اعشى ربيعة ٢٦٩
نابغة بني شيبان ٢٧٠
عدي بن الرقاع ٢٧١
ابو صخر الهذلي ٢٧١
عبد الله بن الزبير ٢٧٢
سائر انصار بني امية ٢٧٣

انصار آل المهلب

زياد الاعجم ٢٧٤
ثابت قطنة ٢٧٦
حمزة بن بيض ٢٧٧
كعب الاشقري ٢٧٧
بهس الجرمي ٢٧٨

انصار العلويين

الكميت بن زيد ٢٧٩
ايمن بن خريم الاسدي ٢٨١

انصار الخوارج وغيرهم

الطرماح بن حكيم ٢٨١
عمران بن حطان ٢٨٣
عبد الله بن الحجاج ٢٨٤
اسماعيل بن يسار ٢٨٤

شعراء الغزل والنشيب

جميل بن معمر ٢٨٦
شعراء قريش الغزليين
عمر بن ابي ربيعة ٢٨٨
العرجي ٢٩٠
الحارث بن خالد ٢٩٠
ابو دهبل الجمحي ٢٩١
ابن قيس الرقيات ٢٩٢
سائر الشعراء الغزليين
مجنون ليلى ٢٩٣
كثير عزة ٢٩٤
ابن ميادة ٢٩٦
الاحوص ٢٩٦
قيس بن ذريح ٢٩٨
المخبل القيسي ٢٩٩
ذو الرمة ٣٠٠
يزيد بن الطثرية ٣٠٠
سائر الشعراء العشاق ٣٠١

الشعراء الخلعاء والسكيرون

الاقيشر الاسدي ٣٠٢
الحزين الكناني ٣٠٣
الشعراء المغنون ٣٠٣

الشعراء الادباء

القطامي ٣٠٤
ليلى الاخيلية وتوبة ٣٠٥
سائر شعراء الدور الثاني ٣٠٦
شعراء الدور الثالث ٣٠٨

الخاتمة

كيف كان الشعراء يستحثون قرائحهم ٣٠٩
شياطين الشعراء ٣١٠
الشعراء والقراءة ٣١١
الخطابة والخطباء ٣١٢
الانشاء في العصر الاموي ٣١٤
الخلاصة ٣١٥

كتاب
تاريخ آداب اللغة العربية

يشتمل على تاريخ اللغة العربية وعلومها وما حوته
من العلوم والآداب على اختلاف مواضيعها . وتراجم العلماء
والادباء والشعراء وسائر ارباب القرائح . ووصف
مؤلفاتهم واماكن وجودها اوطبعها
من اقدم ازمنة التاريخ
الى الآن

تأليف

جرجي زيدان

منشىء الهلال

الجزء الثاني

يحتوي على تاريخ آداب اللغة العربية في العصر العباسي من
قيام الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ الى دخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧ هـ
ويدخل فيه تكوّن العلوم الاسلامية ونقل العلوم الدخيلة الى نضج
العلم في اواسط القرن الخامس للهجرة

مطبعة الهلال بالفجالة بمصر
سنة ١٩١٢

المقدمة

تمهيد في شروط التأليف

من تصدى للكتابة او التأليف فقد جعل نفسه خادماً للمصلحة العامة . الاَّ من يحصر كتابته في شؤون خصوصية او يعالج علماً يلذُّ له ولا يهم سواه . او يتعاطى الكتابة لاغراض معينة . او يكون مرماه من التأليف بيان قدرته على الانشاء والغوص على المعاني العويصة والالفاظ الغريبة بتقليد الاساليب القديمة التماساً لاعجاب العلماء مما يشق فهمه على جمهور القراء — فهؤلاء وأمثالهم يكتبون لانفسهم او لطبقة خاصة لغرض خاص ولهم منزلة وفضل ولكن في غير الخدمة العامة . واذا لم يصادفوا اقبالاً من الجمهور اتهموه بالجهل وهددوه بالاعراض والتقاعد عن الكتابة — مع انه لم يشعر بوجودهم لانهم لم يخاطبوه بلسانه

واما الكاتب العمومي فانه خادم الامة وولي ارشادها . وعليه ان يبذل الجهد في سبيل مصلحتها . ولا بدَّ له في تأليفه من ثلاثة شروط : الاول اختيار الموضوع الذي يرى الامة في حاجة اليه . والثاني ان يسبكه في قالب يسهل تناوله . والثالث ان يتوخى صدق اللهجة والصراحة بلا انحياز الى طائفة او حزب . والكتَّاب يتفاوتون قدرة على القيام باحد هذه الشروط او كلها بتفاوت احكامهم على النافع او الضار من المواضيع وتباين قدرتهم على ايضاح افكارهم . ويصعب ذلك على الخصوص في المواضيع الادبية كالتاريخ والاجتماع والاخلاق ونحوها ـ بخلاف المواضيع الطبيعية فانها مقيدة بمصطلحات تسهل الاجادة فيها

الاسلوب العصري

اما الابحاث الادبية فانها تفتقر في تأديتها الى اعمال الفكرة من حيث ترتيبها وسبكها في عبارة سهلة سالمة من الركاكة والتعقيد . وهذا في نظرنا هو الاسلوب العصري الذي يجب على كل كاتب ان يتحداه ـ وهو شائع اليوم على اقلام الكتاب لا يشذُّ عنه الا المتفانون في المحافظة على القديم الذين يحسبون اللغة وقفاً لا يحلُّ بيعه او التصرف فيه . وفاتهم انها من قبل الاحياء الخاضعة لناموس الارتقاء تتغير بتغير احوال الاجتماع

من البداوة أو الحضارة . فتنمو بتولد الالفاظ الجديدة للمعاني الجديدة والتراكيب العصرية للافكار العصرية . وتذهب الالفاظ القديمة بذهاب معانيها . كالاعضاء المهملة في الجسم الحي تقضي الطبيعة بانقراضها ليقوم سواها مقامها . او هي كالحويصلات التي تمتلئ بالعمل الحيوي فتخلفها الحويصلات الجديدة النامية . فالتغيير الذي يصيب الالفاظ والاساليب باختلاف الاعصر دليلٌ على حياة اللغة . ومن حاول الوقوف في سبيل هذا التغيير فقد عارض الطبيعة — كما يفعل الصينيون بحبس اقدام بناتهم في قوالب الحديد لتبقى صغيرة . فهم لا يوقفون النمو لكنهم يشوشون عمله فتنمو الاقدام مشوهة . وهكذا الوقوف في سبيل اللغة فانه لا يوقف نموها لكنه يشوش عمله

صدق اللهجة

اما صدق اللهجة والصراحة في القول والخلو من الغرض فهي من اهم واجبات الكاتب لكنها من اصعب الشروط عليه اذ لا يسهل على الانسان ان يجرد نفسه من الروابط الدينية او الاجتماعية التي تجاذبه وقد رضعها مع اللبن وتمكنت من خاطره بتوالي الاعوام . وانما يقوى على مغالبتها قويُّ الارادة عالي التربية . وقد يتطرف المتعصب لامته اوطائفته حتى لا يرى الحسنات الا فيها ولا يرى في سواها غير السيئات ولذلك فهو لا يفيد في الخدمة العامة . وقد يضرُّ

اما المواضيع ففيها النافع والضار وما بينهما . والموضوع الواحد يختلف نفعه او ضره باختلاف حال الامة وباختلاف نسق الكاتب في تبويبه واسلوبه في تأديته . وفي مقدار ما يضمّن كتابه من الحقائق او المواد . لان من الكتّاب من يصرف همه الى رشاقة العبارة وتزويقها وتنميقها ولو جرَّ ذلك الى تبديد المعنى اوغموضه . ومنهم من يوجه اهتمامه الى الحقائق التي يستطيع جمعها في كتابه بلا تكلف او تأنق ويحافظ على سلامة المعنى قبل كل شيء — هذه هي الخطة التي نبذل جهدنا في تحديها في ما نكتبه . لاننا نرى الامة في حاجة الى الحقائق اكثر مما الى الالفاظ . وهذا ما توخيناه على الخصوص في هذا الكتاب لاتساعه وتشعب مواضيعه وتعدد جزئياته . ولاننا نعلق عليه اهمية كبرى بالنظر الى حاجة الناشئة العربية اليه

ما هو تاريخ اداب اللغة

واختلف الكتاب في مباحث تاريخ آداب اللغة فبعضهم يقتصر منها على تاريخ الادب بمعناه الخاص دون سائر العلوم . او بمعناه العام لكنه لايتجاوز النظر في تاريخه مع اعتبار مجرى التاريخ العام عليه او بقطع النظر عن ذلك . وقد يكتفي بعضهم من

تاريخ آداب اللغة بتراجم العلماء والشعراء وامثلة من اقوالهم بدون التعرض لكتبهم . او يجعل همه وصف الكتب التي ظهرت في كل علم دون التراجم واطوار العلم . ومنهم من يكتفي باطراء اصحاب هذه اللغة وما بلغوا اليه من الرقي في معالجة المواضيع الهامة بالقياس على الامم الاخرى . اما نحن فقد اردنا ان نجمع بين ذلك كله على ما يبلغ اليه الامكان

نسق هذا الكتاب

فقسمنا كتابنا الى اعصر بينا فيها ما تقلبت عليه آداب اللغة في كل عصر . وذكرنا الاسباب السياسية والاجتماعية التي اثرت في ذلك وما قد يقابلها عند الامم الاخرى ومزية العرب فيها . وأرّخنا كل علم في كل عصر وترجمنا النابغين فيه وذكرنا ما خلفوه من الكتب . واقتصرنا من ذلك على ما يمكن الحصول عليه ووصفنا اهم تلك الكتب ومنزلتها من سواها . واشرنا الى المطبوع منها مع سنة الطبع ومكانه . وما لم يطبع ذكرنا مكان وجوده في اشهر المكاتب الكبرى بمصر او الاستانة او اوربا او غيرها من المكاتب العمومية اوالخصوصية . وربما فاتنا ذكر كتب لا توجد الاّ في بعض المكاتب الخصوصية التي لم يصلنا خبرها . فنرجو ممن يقف على شيء من ذلك ان ينبهنا اليه لننشره خدمة لاداب هذا اللسان . وذيلنا كل ترجمة او باب باشهر المآخذ التي يمكن الرجوع اليها في تفصيل تلك الترجمة او التوسع في ذلك الباب

فمن احب الاطلاع على تاريخ علم من العلوم مثلا طلبه في كل عصر وتتبع تاريخه الى آخره . ومن شاء الاطلاع على تأثير التقلبات السياسية في الاداب والعلوم هان عليه ذلك بمطالعة ما صدرنا به كل عصر من تاريخ تلك التقلبات . واذا اراد الاطلاع على ترجمة عالم او شاعر او اديب او نحوي او لغوي او مؤرخ او جغرافي او اي رجل من رجال العلم أو الادب طلب ترجمته في باب العلم الذي غلب عليه حسب الاعصر . فيجد هناك خلاصة ترجمته وحقيقة منزلته وما خلفه من الكتب مما وصل الينا خبره ووصف كل كتاب واين يوجد . واذا شاء التوسع في ترجمة ذلك الرجل رجع الى ما ذكرناه من المآخذ في ذيل ترجمته . وهكذا اذا كان غرضه البحث عن موضوع يريد التوسع فيه فانه يجد الكتب التي تبحث فيه فيختار ما يريده منها

الغرض من هذا الكتاب

وقد الفنا هذا الكتاب للناشئة العربية اوطلاب هذا اللسان الذين يريدون الوقوف على العلوم العربية واماكنها للمطالعة او التأليف . او يعوزهم درس موضوع او

الكتابة فيه ولايعرفون مظانه . وقد عرفنا حاجة الناشئة الى ذلك من الاسئلة الكثيرة التي تتوالى علينا من هذا القبيل . فربما رغب احدهم في درس تاريخ امة او دولة او موضوع من المواضيع الاجتماعية او الاخلاقية او اللغوية واحب الاطلاع على ما قاله العرب فيه ولا يدري من الف فيه منهم وهل ما الفوه لا يزال باقياً وما هي قيمته بالنظر الى سواه في موضوعه وهل طبع واين واذا لم يطبع فاين يوجد ؟ الخ . فهذا الكتاب يرشده الى كل ما يريده من هذا القبيل . ويسهل استخدامه لهذه الغاية بعد وضع الفهارس في آخره

وقد توخينا الافاضة في ما يهم طلاب الادب او الشعر او التاريخ وسواها من العلوم الادبية والاجتماعية والاخلاقية ونحوها . واختصرنا في كتب الفقه وسائر العلوم الشرعية لكثرتها وتنوعها واستقلالها بموضوعها . وفعلنا ذلك ايضاً في كتب الطب والفلسفة والمنطق ونحوها من العلوم القديمة لذهاب دولتها او تغير قواعدها

موقع الجزء الاول

وقد تحقق ظننا في حاجة الناشئة الى مثل هذا الكتاب بما آنسناه من اقبالهم على الجزء الاول مع قلة مواده واقتصاره على تاريخ آداب اللغة في العصور الاولى قبل تكوُّن العلوم . فاقتنته نظارة المعارف العمومية وقررت بعض المدارس الكبرى تدريسه . وطلب الينا البعض الآخر أن نستخرج منه نسخة مختصرة للتدريس . وسنفعل ذلك بعد الفراغ من تأليف الكتاب ونشره

وكان للجزء الاول المذكور وقع لدى الادباء والكتاب فتناولوه بالتقريظ والانتقاد . اما المقرظون فنشكر لهم حسن ظنهم . واما المنتقدون فقد اهتموا بانتقاده بلهجة تتفاوت شدة واسلوباً بتفاوت فهمهم من المراد بالانتقاد وشروطه . وتدلُّ على حرج مركز الكاتب الشرقي بين قرائه . وليس في الدنيا جمهور استحكم فيه اختلاف المشارب والاهواء والاغراض مثل قراء العربية . فهم مختلفون موطناً ومشرباً ومذهباً وتربية . فلا يتأتى لكاتب ارضاؤهم جميعاً ولو اوتي علم الاولين والاخرين

ومما تحسن الاشارة اليه من الانتقادات المعقولة ان بعضهم انتقد على المؤلف تقليله من الامثلة الشعرية اوالنثرية ولكن ذلك ما اردناه . ولو اكثرنا من الامثلة لخرجنا عن الغرض المقصود من هذا الكتاب . ومن اراد التوسع فليطلب ذلك في المآخذ الاصلية

المذكورة في ذيل التراجم . أو يطالعه في كتب الادب لادباء هذا العصر ومنها طائفة حسنة جمعت نخبة الاشعار والاقوال اشهرها « ادبيات اللغة العربية » لمحمد عاطف بك والشيخين محمد نصار واحمد ابراهيم وعبد الجواد افندي عبد المتعال من رجال نظارة المعارف العمومية . وكتاب « ادب لغة العرب » للشيخ محمد حسن نائل المرصفي مدرس اللغة العربية بكلية الفرير في مجلدين . و« مجاني الادب » وشرحه للاباء اليسوعيين في عدة مجلدات . وجواهر الادب للشيخ احمد الهاشمي مراقب مدارس فيكتوريا ونحوها . ومن الكتب الهامة في تاريخ آداب اللغة « تاريخ علم الادب عند الافرنج والعرب » لروحي بك الخالدي وهو فريد في بابه

وانما نختص من المنتقدين بالذكر الاب لويس شيخو اليسوعي لانه عقد في مجلة المشرق (سنة ١٤ ج ٨) فصلاً طويلاً في نقد الجزء الاول من هذا الكتاب نقداً نمَّ عن ادبه وفضله ودلَّ على تمكنه من الموضوع . فبعد ان وصف الكتاب ومنزلته بالنسبة الى ما ظهر من الكتب في موضوعه بالعربية وغيرها ذكر ملاحظاته وانتقاداته بتعقل واخلاص . فنشكر له حسن ظنه واهتمامه في البحث والتنقيب وسننظر في ملاحظاته بعين الاهتمام وان كان اكثرها في غير مكانه أوقبل اوانه . فان بعضها يكاد يكون تحقيقه مستحيلاً كطلبه بيان اللغات التي كان يتكلم بها العرب في جاهليتهم الاولى . والبعض الاخر ليس مكانه في ذلك الجزء كالمفضليات والحماسات ونحوها فقد ذكر اكثرها في هذا الجزء لان اصحابها من ادباء العصر العباسي . واتهمنا بالتقصير في ابحاث سبق لنا البحث فيها مطولاً في كتبنا الاخرى كبيان نسبة اللغة العربية الى اخواتها السامية فقد فصلنا ذلك في كتابنا « الفلسفة اللغوية » وفي « تاريخ العرب قبل الاسلام » واقترح علينا اموراً لو اردنا العمل بها لاستغرق هذا الكتاب اضعاف حجمه . فانهُ تقدم الينا ان نستخرج عادات العرب وتاريخهم من امثالهم واشعارهم . وهو خارج عن موضوع الكتاب . ومثل ذلك اقتراحه ان نطيل في درس كل شاعر وشعره وهذا يفتقر الى كتاب خاص لكل شاعر . وانما اكتفينا بخلاصة الترجمة وزبدة ما يقال في الموضوع مع مراعاة المكان واشرنا الى المآخذ لمن اراد التعمق . وانتقد علينا ايضاً مبالغتنا في بيان مآثر العرب والتنويه بفضلهم ! ويرى ايضاً اننا أخطأنا في تعيين وفيات بعض شعراء الجاهلية . وغير ذلك من الملاحظات التي يريد من ورائها خدمة آداب اللغة وهي ضالتنا التي ننشدها . ولذلك فاننا سنتدبر ملاحظاته وننظر فيها باخلاص وامتنان . وفي كل حال فاننا قد استفدنا من انتقاده جزاه الله خيراً وجعله قدوة للمنتقدين

موضوع هذا الجزء

كان المراد عند الفراغ من الجزء الاول ان نجعل هذا الجزء خاصاً بتاريخ اداب اللغة في العصر العباسي من ظهور الدولة العباسية سنة ١٣٢ ﻫ الى سقوط بغداد سنة ٦٥٦ ﻫ فقسمنا هذا العصر او الدولة الى اربعة اعصر لكل منها صفة مشتركة في السياسة والاجتماع والادب يمتاز بها عن سواه سيأتي ذكرها . وانما نريد هنا بيان الحكمة من ذلك التقسيم :

فالعصر الاول : (سنة ١٣٢—٢٣٢ ﻫ) هو عصر الاسلام الذهبي من حيث السياسة والدولة او هو عصر الرشيد والمأمون والبرامكة وقد بلغت فيه الدولة الاسلامية ابان مجدها . وفيه نشأت اكثر العلوم الاسلامية ونقلت اهم العلوم الدخيلة

والثاني (سنة ٢٣٢—٣٣٤ ﻫ) هو فترة بين العصرين الاول والثالث اشتغل فيها رجال الدولة بأنفسهم عن نصرة رجال العلم والادب

والثالث (سنة ٣٣٤—٤٤٧ ﻫ) هو عصر الاسلام الذهبي من حيث نضج العلم والادب ولا سيما اللغة وعلومها والتاريخ والجغرافية . وفيه تعاصرت عدة دول تعاون ملوكها وامراؤها ووزراؤها على الاشتغال بالعلم والاخذ بناصر العلماء

والرابع (سنة ٤٤٧ — ٦٥٦ ﻫ) فيه ظهرت ثمار العلوم ونضجت الموسوعات والمعاجم التاريخية والجغرافية وغيرها

فلما اخذنا بالكتابة اتسع بنا المقال فأكتفينا بالاعصر الثلاثة الاولى في هذا الجزء اي من تكوُّن العلوم الى نضجها . واجلنا الكلام في العصر العباسي الرابع وما يليه من العصور الى الجزء الثالث من هذا الكتاب ان شاء الله

الخلاصة

هذا وقد بذلنا الجهد في تنسيق هذا الكتاب وتبويبه وضبط حقائقه وبسط عبارته باخلاص وصراحة مما نعتقد فيه النفع للناشئة العربية . فان احسنّا فذلك ما اردناه وهو فرضٌ ادّيناه . والاّ فقد اعذرنا ببذل الجهد وصدق النية . ولنا الامل ان ينشط من ادبائنا من يوفي الموضوع حقه بأحسن مما فعلنا وبالله التوفيق

العصر العباسي او الدولة العباسية

من سنة ١٣٢ — ٦٥٦ ﻫ

تختلف الدولة العباسية عن الاموية اختلافاً بيناً : كانت الدولة الاموية عربية بدوية واصطبغت الدولة العباسية صبغة فارسية — الا من حيث آداب اللغة فظلت عربية وفي ايامها نضجت آداب العرب وعلومهم ونقلت علوم القدماء الى لغتهم ونبغ الشعراء والادباء والنحاة والمؤرخون واللغويون والمنشئون والفقهاء والمفسرون والمحدثون والمؤرخون والفلاسفة والاطباء وغيرهم

ومدة العصر العباسي او الدولة العباسية في بغداد خمسة قرون وبعض القرن — من تأسيس الدولة العباسية سنة ١٣٢ ﻫ الى سقوط بغداد على يد هولاكو سنة ٦٥٦ ﻫ

وقد تقلبت آداب اللغة العربية في أثنائها بتقلب الدول وتغلب الامم على ما اقتضته الانقلابات السياسية او الاجتماعية . وقد تدبرنا ذلك باعتبار القرون او العصور فوجدنا لكل قرن تقريباً من القرون الثلاثة الاولى خصائص تختلف عما لسواه باختلاف أحوال الاجتماع او السياسة او باختلاف الدول التي افضت الامور اليها . اما القرنان الاخيران فيشتركان في احوالهما . فقسمنا العصر العباسي الى اربعة ادوار او اعصر وهي :

١ — الدور او العصر الاول : من ظهور الدولة العباسية سنة ١٣٢ ﻫ الى اول خلافة المتوكل سنة ٢٣٢ ﻫ ونسميه العصر العباسي الاول

٢ — العصر العباسي الثاني : من خلافة المتوكل سنة ٢٣٢ﻫ الى استقرار الدولة البويهية في بغداد سنة ٣٣٤ ﻫ

٣ — العصر العباسي الثالث : من استقرار الدولة البويهية سنة ٣٣٤ الى دخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧ ﻫ

٤ — العصر العباسي الرابع : من دخول السلاجقة بغداد الى سقوطها في ايدي التتر سنة ٦٥٦ ﻫ وسنصدر الكلام عن كل عصر بما حدث فيه من الانقلاب السياسي او الاجتماعي الذي بعث على تغيير آداب اللغة فيه . ويقال بالاجمال ان في زمن العباسيين بلغت آداب اللغة العربية ارقى احوالها ونضجت فيها اكثر الآداب العربية . ونمهد الكلام في ماكان من تأثير القرآن في نشوئها . وقد اشرنا الى شيء من ذلك متفرقاً في الجزء الاول فأحببنا جمعه والتوسع فيه هنا فنقول :

القرآن

وآداب اللغة العربية

تكاثرت العلوم والآداب في ابان التمدن الاسلامي حتى تجاوز عددها ثلاثمائة علم في الشرع واللغة والتاريخ والادب والشعر وغيرها . واكثرها نشأ من القرآن او تولد خدمة له ولا يكاد يخلو علم من تأثير القرآن عليه راساً او ضمناً . فلا غرو اذا افردنا فصلاً خاصاً لبيان ذلك

١ — العلوم التي تفرعت عنه القرآن او نشأت لخدمته

حمل العرب على العالم في صدر الاسلام وما في ايديهم من الكتب غير القرآن يقرأونه ويتعظون به ويتحاكمون اليه وقد اعجبوا باسلوبه ودهشوا ببلاغته . لانه ليس من قبيل ماكانوا يعرفونه من نثر الكهان المسجع ولا نظم الشعراء المقفى الموزون . وقد خالف كليهما وهو منثور مقفى على مخارج الاشعار والاسجاع . فلا هو شعر ولا نثر ولا سجع وفيه من البلاغة واساليب التعبير ما لم يكن له شبيه في لسانهم . فسحروا بأسلوبه وبما حواه من الشرائع والاحكام والاخبار . فاصبح همهم تلاوته وتفهم احكامه لانه قاعدة الدين والدنيا وبه تتأيد السلطة والخلافة . وهو اول كتاب اخذوا في قراءته وحفظه

﴿ القراءة وعلومها ﴾ واختلفوا في قراءة بعض آياته فتولدت القراءات السبع نسبة الى سبعة من القراء مرَّ ذكرهم . واخذ كل منهم يثبت صحة قراءته فتولد من ذلك علم القراءة وشواذها . وتفرع بتوالي الاعصر الى سبعة علوم هي : علم الشواذ وعلم مخارج الحروف . ومخارج الالفاظ . والوقوف . وعلل القرآن . وكتابة القرآن . وآداب كتابة المصحف . وفي كل من هذه العلوم قواعد وكتب

﴿ النحو ﴾ واول شيء احتاجوا اليه في ضبط القراءة « النحو » وقد بعثهم على التعجيل في وضعه وضبط قواعده ما شاهدوه من لحن الناس في قراءة القرآن بعد الفتوح وانتشار العرب في الآفاق . فسمع ابو الاسود الدؤلي رجلاً يقرأ « ان الله بريء من المشركين ورسوله » بخفض رسوله فصنف باب العطف والنعت وهو من اسس علم النحو . ثم وضع الاعجام لضبط القراءة . فكان القرآن من اهم البواعث

على وضع النحو او الاسراع في وضعه . فتمت قواعده ولم يتم القرن الثاني للهجرة اي انه نضج في قرن وبعض القرن واليونان لم يتم علم النحو عندهم الا بعد انشاء دولتهم بعدة قرون ولم يضع الرومان نحو اللغة اللاتينية الا بعد قيام دولتهم بستة قرون وقد فصلنا ذلك في الجزء الاول من هذا الكتاب صفحة ٢٢٤

﴿ الادب وعلومه ﴾ ويفتقر علم النحو في تأييد قواعده الى معرفة كلام العرب واساليبهم . ولما اخذ المسلمون في تفسير القرآن احتاجوا ايضاً الى ضبط معاني الفاظه وتفهم اساليب عبارته فجرَّهم ذلك الى البحث في اساليب العرب واقوالهم واشعارهم وامثالهم وهو « علم الادب » وقد بعث الى وضعه بالاكثر تفسير القرآن — قال ابن عباس « اذا قرأتم شيئاً من كتاب الله ولم تعرفوه فاطلبوه في اشعار العرب لان الشعر ديوان العرب »

فكانوا اذا عمدوا الى تفسير آية او ارادوا اثبات معنى لفظ التبس عليهم فهمه او تفهم اسلوب لم يألفوه اتوا بشعر جاهلي وردت فيه تلك اللفظة بهذا المعنى او ذاك الاسلوب وخصوصاً في التفاسير التي يراد بها المعنى اللغوي بالاكثر كالكشاف للزمخشري فان الشواهد الشعرية التي جاءت فيه استغرقت مجلداً ضخماً افرد بعضهم كتاباً لشرحها والاشارة الى سبب ورودها . وصاروا يؤلفون كتب الادب والتاريخ لخدمة القرآن — قال ابن قتيبة في مقدمة كتابه الشعر والشعراء «وكان اكثر قصدي للمشهورين من الشعراء الذين يعرفهم جلُّ اهل الادب والذين يقع الاحتجاج باشعارهم في الغريب وفي النحو وفي كتاب الله عز وجل وحديث رسول الله صلعم »

وناهيك بما تفرع اليه علم الادب من الفنون الادبية والعلوم المتعلقة بالالفاظ وهي تزيد على عشرين علماً كالنحو والصرف والاشتقاق والمعاني والبيان والبديع وغيرها والفضل في تعجيل ظهورها للقرآن

﴿ الحديث ﴾ واحتاجوا في تفسير القرآن ايضاً الى تفهم الحديث لانهم كانوا اذا اشكل عليهم فهم آية او اختلفوا في تفسيرها او حكم من احكامها استعانوا باقوال النبي على استيضاحها . فلما تفرق الصحابة في الارض بعد الفتوح تفرقت الاحاديث معهم فاشتغل جماعة من اهل القرائح في جمعها وتدوينها وتولد من ذلك بتوالي الازمان العلوم المتعلقة بالحديث كشرح الحديث وناسخه وتأويله ورموزه وغرائب لغاته وتلفيقه واحوال الرواة ونحو ذلك . وفي كل علم من هذه العلوم مؤلفات وابحاث وعلماء

﴿ التفسير ﴾ والتفسير نفسه لما نضج تفرع الى علوم عديدة ذكرها صاحب مفتاح

السعادة وهي تزيد على سبعين علماً ولكل منها علماء ومؤلفات وابحاث ومناظرات . وكان للعلوم اللغوية ارتباط بالعلوم الشرعية لا يستطيع الطالب اتقان الواحدة ان لم يتقن الاخرى حتى قال حماد بن سلمة « ان الذي يكتب الحديث ولا يعرف النحو مثل الحمار عليه مخلاة لا شعير فيها »

﴿ الفقه ﴾ ولما صار الاسلام دولة احتاج امراؤه الى ما يقضون به بين رعاياهم في احوالهم الشخصية ومعاملاتهم المدنية فكان معولهم على القرآن والحديث فاستنبطوا منه الشريعة واحكامها وهو « الفقه » بفروعه المشهورة كعلم النظر والمناظرة والجدل والفرائض والشروط والقضاء والتشريع والفتاوي ونحوها

﴿ التاريخ ﴾ ولما اشتغل المسلمون في تفسير القرآن وجمع الاحاديث احتاجوا الى تحقيق الاماكن والاحوال التي كتبت بها الآيات او قيلت فيها الاحاديث فعمدوا الى جمع السيرة النبوية ودونوها . واضطروا لتحقيق مسائل الحديث والفقه والنحو والادب الى البحث في اسانيدها والتفريق بين ضعيفها ومتينها . فجرّهم ذلك الى النظر في الرواة وتراجمهم وسائر احوالهم . وقسموا رواة كل فن الى طبقات . فتألف من ذلك تراجم العلماء والادباء والفقهاء والنحاة وغيرهم مما يعبرون عنه بالطبقات كطبقات الشعراء وطبقات المفسرين او النحاة او الفقهاء او الحفاظ او النسّابين او غيرهم . وكان ذلك من اهم اسس علم التاريخ . واتسع تأليفهم في هذا السبيل حتى كثيراً ما كانوا يؤلفون الكتب التاريخية خاصة لتراجم الاعلام الواردة في كتاب ككتاب تراجم الرجال الذين روى ابن اسحق سيرة النبي عنهم . وكتاب تهذيب الاسماء فان من اهم البواعث على تأليفه ترجمة الاعلام الواردة في كتب مختصر المزني والمهذب والتنبيه والوسيط والوجيز والروضة

وزد على ذلك ان المسلمين يجدون في القرآن آيات تستحثهم على الاشتغال في التاريخ والاخبار للعبرة والموعظة كقوله « لقد كان في قَصَصِهم عبرةٌ للأولي الالباب »وقوله « ومثلاً من الذين خلوا من قبلهم وموعظةً للمتقين » وقوله « كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق »

﴿ الجغرافيا ﴾ ويقال نحو ذلك في الاسباب المساعدة على وضع علم الجغرافيا او تقويم البلدان او الاسراع في نضجه ونموه كالاسفار في طلب الحديث من حملته والحج الى مكة والرغبة في تطبيق القواعد الفقهية كالخراج والجزية ويفتقر ذلك الى معرفة حال البلاد وكيفية فتحها صلحاً او عنوة . فجرّهم ذلك الى تعرف البلاد

ومواضعها وعلة فتوحها . ووجدوا في القرآن نصوصاً تحضُّ على طلب هذا العلم كقوله « أفلم يسيروا في الارض فتكونَ لهم قلوبٌ يعقلون بها او آذانٌ يسمعون بها فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » وقوله « قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين » وغير ذلك

٢- تأثير القرآن في آداب الجاهلية

هذا ما كان من تأثير القرآن في تولد العلوم وتفرعها بعد الاسلام . وهناك تأثير لايقلُّ عن ذلك احدثه القرآن في الآداب التي كانت شائعة قبل الاسلام فغير اسلوبها ورقاها وهاك اهمها : —

﴿ الخطابة ﴾ الخطابة والشعر من الفنون الادبية الجاهلية التي زادها الاسلام رونقاً وبلاغة . والخطابة سبقت الشعر في ذلك لحاجة المسلمين اليها في الفتوح والغزوات . فمارسوها وقد اشربت نفوسهم باسلوب القرآن لما علمت من اقبالهم على حفظه وتدارسه فارتقى ذوقهم الخطابي تحدي اسلوبه واقتباس آياته . فاخذ الخطباء يرصعون خطبهم بالآيات تمثُّلاً وتهديداً حتى لقد يجعلون الخطبة بجملتها مجموع آيات كما فعل مصعب بن الزبير لما قدم العراق وحرّض اهله على طاعة اخيه عبد الله وقد نشرنا خطبته في الجزء الاول من هذا الكتاب صفحة ١٩٤. وصار المسلمون يسمون الخطبة التي لم تزين بشيء من القرآن « الشوهاء »

﴿ الشعر ﴾ وقس على ذلك تأثيره في الشعر فانه زاده طلاوة ورونقاً واكتسب تعابير واساليب لم تكن له من قبل وترى امثلة منها في اثناء هذا الكتاب

﴿ الانشاء ﴾ لم يصلنا من اساليب الانشاء الجاهلي غير سجع الكهان اتينا بمثال منه في كلامنا عن الكهانة في الجاهلية في الجزء الاول . واقوال شق وسطيح الكاهنين الجاهليين مشهورة وكلها باردة ركيكة يمجها الذوق — ذلك ما وصل الينا على السنة الرواة . على انهم نقلوا الينا من اساليب الخطابة في الجاهلية مايخالف ذلك كخطبة قس بن ساعدة في عكاظ — والخطابة والانشاء يتقاربان باسلوبهما في كل زمان . ومهما يكن من الامر فان الانشاء في الاسلام تبدّل وارتقى كما ارتقت الخطابة ودخل في طور جديد من البلاغة والفصاحة في عبارته على اختلاف طرق تأديتها . واخذ الكتاب يتحدون القرآن في الايجاز والاعجاز ويتوخون الاختصار على قدر الامكان عملاً بالحديث القائل « أوتيت جوامع الكلم واختصر لي

الكلام اختصاراً » فكانوا يجعمون المعنى الكبير في اللفظ القليل حتى تكاد ترى المعنى مجرداً من اللفظ • وكان لتلك الرسائل تأثيرٌ مثل تأثير الخطب في الفتح فاستعاضوا بعد زمن الفتح ببلغاء الكتاب عن بلغاء الخطباء — كان الرسالة البليغة خطابٌ يتلوه المرسل اليه . وقد اتينا بامثلة من ذلك في الجزء الاول صفحة ١٩٩

وكانوا اذا ارادوا البلاغة والتأنق في الانشاء ضمنوا عباراتهم آيات يقتضيها المقام فهي كالترصيع او التطريز ولايزالون يفعلون ذلك الى اليوم • ويكفي مثالاً على ارتقاء ذوق الانشاء بالقرآن ما ظهر من بلاغة علي بن ابي طالب في خطبه ورسائله — ثم كان للانشاء تاريخ سنأتي عليه في حينه

﴿ اللغة ﴾ دخل اللغة كثير من الالفاظ الاسلامية واكتسبت كثيراً من المعاني الاسلامية لم تكن فيها من قبل كالصلاة والزكاة والمؤمن والكافر والمسلم وغير ذلك من الالفاظ التي اقتضاها الاسلام وقد فصلنا ذلك في مكان آخر

وبالجملة فان معظم العلوم العربية اقتضاها القرآن او الاسلام حتى عدها بعضهم من قبيل الدين • قال ابو عمرو بن العلاء « علم العربية هو الدين بعينه »

وقد رأيت ان العلوم اللسانية استعجلوا في وضعها لقراءة القرآن وتفسيره لكنها ما لبثت ان صارت عالة عليه ترجع في تحقيق قواعدها الى آياته يستشهدون بها في النحو والادب وسائر العلوم اللسانية حتى اجتمع في كتاب سيبويه في النحو ثلاثمائة شاهد من القرآن

واعتبر ذلك في سائر فنون الادب او علوم اللغة . ومنها ما تأيد اكثره باساليب القرآن كالمعاني والبيان والبديع ونحوها • ويرى المسلم في القرآن اماكن يتنسم منها الحض على طلب العلم ورفع قدر العلماء كقوله « هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون »

٣ - تأثيره من الوجهة الاجتماعية

وهناك تأثير عظيم الاهمية لم يوفق لغير القرآن من الكتب الدينية في الامم الاخرى — ذلك انه اطال بقاء اللغة العربية الفصحى وجعل ملايين من الناس يقرأونها ويفهمونها . وهو الذي حفظ الجامعة العربية واستبقى العنصر العربي . لان الاسلام يفرض على كل مسلم ان يحفظه ويطالعه — لولا القرآن لكانت لغة العالم العربي لغات متفرقة يصعب التفاهم بين اصحابها كما صارت اليه اللغة اللاتينية بعد ذهاب

دولة الرومان فتفرق اصحابها امماً وطوائف وامحت الدولة الرومانية والامة الرومانية كما امحت سواها من الامم التي ذهبت جنسيتها بذهاب لغتها كالسريان والانباط في الشام والقبط في مصر — وهؤلاء انما حفظت جامعتهم بالدين لا باللغة

اما اللغة العربية فقد حفظها القرآن وحفظ بها التفاهم بين الامم الاسلامية في الشام ومصر والعراق والحجاز والمغرب وزنجباروالسودان وغيرها . ولولاه لكانت كل امة من هؤلاء تتكلم لغة لاتفهمها صاحبتها . ومع ذهاب التمدن الاسلامي وتقهقر الدولة الاسلامية كان يخشى ضياع تلك الامم وفناؤها او اندماجها في الامم التي تسلطت عليها كما اصاب الامم التي اندمجت بالعرب بعد الاسلام . لكنها الآن تجتمع وتتكاتف لانها تتفاهم بلغة واحدة هي لغة القرآن وتعد نفسها امة واحدة

ناهيك بمن يقرأ العربية من غير العرب بسبب حفظ القرآن ولو كانوا في اقصى الشرق كالهند والصين او باواسط اسيا في تركستان وخراسان وفارس . فان عدد قراء العربية يزيد على مئتي مليون وقراء التوراة بلغتها الاصلية شرذمة من اليهود المتعلمين وجمهورهم يقرأها بلغة بلاده . وقراء الاناجيل بلغاتها الاصلية فئة قليلة . واكثر امم النصرانية يقرأونها في اللغات المترجمة اليها . أما القرآن فالمسلمون يقرأونه في اللغة العربية

ويعدُّ من قبيل تأثيره في آداب اللغة ايضاً تأثيره في اخلاق اصحابه . ولكل كتاب من كتب الدين الرئيسية تأثيرٌ عام على اتباع ذلك الدين يظهر فيهم ولو تباعدت مواطنهم — وذلك طبيعي لما نعلمه من تأثير العادات في الاخلاق والابدان • ولكل دين تعاليم وتقاليد وآداب تظهر آثارها في اخلاق اصحابه . فالمسيحيون يشتركون في كثير من الآداب والعادات والاخلاق يمتازون بها عن سواهم وكذلك اليهود وغيرهم

واعتبر ذلك في القرآن بل هو اشدُّ تأثيراً في اصحابه من سواه لانهم مكلفون بحفظه قبل كل علم وهم اطفال . وهو داخل في كل شيء من امورهم الدينية والدنيوية واساس شرائعهم القضائية وقاعدة معاملاتهم اليومية واحوالهم العائلية حتى الطعام واللباس والشراب والنوم والغسل وكل شيء يمكن استنباطه منه أو تجد له مثالاً فيه . وهذا لا تراه في الاناجيل مثلاً فانها كتبٌ تعليمية لمصلحة الآخرة فقط . ولا تجد فيها شرعاً او حكومة او احوالاً شخصية او نحو ذلك الا ما يأتي عرضاً ويفتقر الى تأويل

ولكل كتاب من هذه الكتب شأن خاص أيضاً من حيث اخلاق الامة التي كتب الكتاب لهم او بلسانهم بما يلائم اخلاقهم وعاداتهم وآدابهم . ويختلف القرآن عن سائر تلك الكتب من هذا القبيل كما تختلف اخلاق العرب الجاهلية الذين جاء القرآن بلسانهم عن اخلاق العبرانيين الذين كتبت التوراة لهم والاقوام الذين كتبت الاناجيل بالسنتهم

وتأثير القرآن في اخلاق اهله ومعاملاتهم اليومية والبيتية لا يخلو من التأثير على عقولهم وقرائحهم وآرائهم ولو بعدت عن الدين وعلومه . فالصبغة الدينية القرآنية او الاسلامية تظهر في مؤلفات المسلمين ولو الفوا في الفلسفة او الطب او الفلك او الحساب اوغيرها من العلوم الرياضية اوالطبيعية. فضلاً عن العلوم الاسلامية الشرعية واللسانية والتاريخ والادب ونحوها

وبالجملة فان للقرآن تأثيراً في آداب اللغة العربية ليس لكتاب ديني مثله في اللغات الاخرى

العصر العباسي الاول

او المئة الاولى من سيادة العباسيين في بغداد

من سنة ١٣٢ — ٢٣٢ هـ

هو عصر الاسلام الذهبي بلغت فيه دولة المسلمين قمة مجدها بالثروة والحضارة والسيادة وفيه نشأت اكثر العلوم الاسلامية ونقلت اهم العلوم الدخيلة الى العربية . وكانت دور الخلفاء آهلة بالادباء والشعراء والعلماء مثل بلاط لويس الرابع عشر ملك فرنسا في ابان مجده . وكانت الدولة العباسية في اكثره صاحبة السيادة على العالم الاسلامي . وأوربا في اكثف غياهب الجهالة

وكان الشرق يومئذ في نهضة فكرية كأن الاسلام هزّ اركانه ونبه اهله فنهض الفرس والترك والتتار والهنود — حتى اهل الصين واليابان فانهم هبوا هبة اصلاحية ادبية في اثناء العصر العباسي الاول او على اثره . فنبغ في الصين نحو القرن العاشر للميلاد طائفة كبيرة من فحول الشعراء على عهد دولة طانغ وكانوا كالعباسيين في دورهم الاول يحبون العلم ويقدمون العلماء . واشتغل اليابانيون في ذلك العصر ايضاً باصلاح لسانهم وتهذيب آدابهم الاجتماعية ونبغ فيهم الشعراء والكتّاب والمصورون والحفارون وغيرهم

وتمهيداً للكلام في آداب اللغة العربية في ذلك العصر نذكر الانقلاب السياسي الذي تقدمه بانتقال الدولة من الامويين الى العباسيين ليهون علينا تفهم ما حدث من التغيير في الآداب والعلوم

الانقلاب السياسي

في العصر العباسي الاول

كانت عاصمة الدولة الاموية في دمشق على حدود بادية العرب وكان خلفاء تلك الدولة عرباً وجندها عرب وقوادها وعمالها من العرب . وكذلك كتابها وقضاتها وسائر رجال حكومتها . اما الدولة العباسية فقد نصرها الفرس فجعلت قصبتها (بغداد) على حدود بلادهم واتخذت وزراءها واكثر امرائها وقوادها منهم . ولما عمرت بغداد تقاطر اليها الناس للارتزاق بالتجارة أو الصناعة أو الادب او الشعر او باسباب الملاهي

فالتقى فيها العربي والفارسي والرومي والنبطي والتركي والصقلبي والهنـدي والبربري والزنجي . وفيهم المسلم والنصراني واليهودي والصابي والسامري والمجوسي والبوذي وغيرهم

واعتبر ذلك في البصرة والكوفة من مدائن العراق الاسلامية فقد كانتا آهلتين بالناس على اختلاف نحلهم واجناسهم وعناصرهم وتختلفان عن بغداد بمن اقام في ضواحيهمامن جالية العرب اهل البادية من القبائل التي نزحت الى هناك بعد الاسلام كما تقدم . وما زالت البصرة والكوفة مجتمع اهل الادب والعلم والشعر حتى عمرت بغداد فاصبحت بما استبحر من عمرانها هي وحدها ام المدائن الاسلامية وبؤرة العلم ومجتمع العلماء . ثم شاركتها في ذلك القاهرة وقرطبة ودمشق والقيروان وغيرها

وناهيك بثروة بغداد وحضارتها وتبسط اهلها في العيش واركانهم الى الرخاء وتدفق الاموال من بيت المـال على اهل الدولة ومن يلتف حولهم من الاعوان او اهل المهن او الادب او الطرب

الخلفاء والعلم والادب

ويمتاز العصر العباسي الاول بمن تولى فيه عرش بغداد من الخلفاء العلماء لرغبتهم في العلم واجلال العلماء والادباء فسهلوا نزوحهم اليهم وأجروا الارزاق عليهم وبالغوا في اكرامهم وقربوهم وجالسوهم وآكلوهم وحادثوهم وعولوا على آرائهم . فلم يبق ذو قريحة او علم أو ادب الا يمّم دار السلام ونال جائزة او هدية او راتباً

ولا يزهو العلم الا في ظل امير يتعهده ويأخذ بايدي اهله ـ والناس كما يكون ملوكهم . وخلفاء العصر العباسي الاول من اكثر الملوك رغبة في العلم : يروى ان المنصور لمـا مات ابنه جعفر وانصرف الى قصره بعد دفنه قال للربيع وزيره « انظر من في اهلي ينشدني (أمن المنون وريبها تتوجع) حتى اتسلى بها عن مصيبتي » فطلب الربيع ذلك من بني هاشم فلم يجد من يستطيعه . فقال المنصور « والله لمصيبتي باهل بيتي ألاّ يكون فيهم واحدٌ يحفظ هذا لقلة رغبتهم في الادب اعظم واشـد عليّ من مصيبتي بابني » (١)

وكان للمنصور دفاتر علم هو شديد الحرص عليها حتى اوصى ابنه المهدي بها عند وفاته (٢) . وكان المنصور من احسن رواة الحديث وله ذوق في الشعر ينتقد الشعراء ويعرف المنحول والمسروق (٣) وكذلك ابنه المهدي فقد كان ينتقد الشعراء لكثرة

(١) الاغاني ٦١ ج ٦ (٢) ابن الاثير ٧ ج ٦ (٣) البيان ١٥٦ ج ٢

شبيبهم قبل المدح وكان يكره الغزل (١) اما الرشيد فكان اكثرهم رغبة في العلم والعلماء حافظاً للشعر نقاداً للشعراء وكان يحفظ شعر ذي الرمة حفظ الصبا (٢) وهو مشهور بتقديم الشعراء والادباء . وابنه المأمون اشهر من ان يذكر بعلمه وفضله وذكروا له مؤلفات حسنة قد ضاعت

وناهيك بابناء الخلفاء والامراء فقد اشتغل كثيرون منهم بالادب كابراهيم بن المهدي انه اول نابغ من بني العباس في الترسل والشعر والموسيقى وله كتاب في الادب اسمه « ادب ابراهيم » وكتاب الطبخ والطب وكتاب الغناء ضاعت كلها . واعتبر ذلك ايضاً في الامراء والوزراء كابي دلف العجلي سيد قومه فقد كان اديباً والف في سياسة الملوك والسلاح والصيد . والفتح بن خاقان وزير المتوكل كانت له خزانة علم لم ير اعظم منها كثرة وحسناً . وكان يحضر داره فصحاء الاعراب وعلماء الكوفة والبصرة . واشتغل بالادب لنفسه فالف كتاب اختلاف الملوك وكتاب الصيد والجارح وكتاب الروضة والزهر . وكان عبد الله بن طاهر شاعراً مترسلاً بليغاً وكذلك ابنه طاهر ولكل منهما مجموع رسائل

فالدولة التي يكون ملوكها وامراؤها على هذه الصورة يجدر بها ان تزهو بالعلم والعلماء . واعتبر هذه القاعدة بسائر عصور آداب اللغة من اول الاسلام فانك لا تجد نهضة الا كان للملك اوالامير او الرئيس تأثير كبير فيها — ذلك شأن الامم في الحكم المطلق وارادة الملك شريعة المملكة

حرية الدين

ومن مميزات هذا العصر اطلاق الفكر من قيود التقليد الا ما يمس الدولة او الخلافة . ولذلك فقد تعددت البدع الدينيـة في ايامهم من المجوس وغيرهم . غـير الفرق الاسلامية وتعدادها . وكان اكثر الخلفاء تسامحاً في الدين المأمون فكان هو نفسه شيعيًّا وكان وزيره يحيي بن اكثم سنيًّا ووزيره احمد بن ابي دواد معتزليًّا . يكفيك من تسامحه في الدين انتصاره للمعتزلة في القول بخلق القرآن

فكانت الافكار من حيث الدين مطلقة الحرية في ذلك العصر لا يكره الرجل على معتقده او مذهبه فربما اجتمع عدة اخوة في بيت واحد وكل منهم على مذهب . فاولاد ابي الجعد ستة منهم اثنان يتشيعان واثنان مرجئان واثنان خارجيان

(١) الاغاني ٥٥ ج ٣ (٢) الاغاني ٣٩ ج ٥

الوزراء الفرس والموالي

وكان للوزراء الفرس تأثير كبير في تلك النهضة . والفرس اهل مدنيـة قديمة وكانوا يومئذ في نهضة علمية بدأت من زمن كسرى انوشروان وكان البرامكة على الخصوص يحبون العلم والعلماء ويبذلون المال في تقريبهم واستحثاث قرائحهم فوقف الادباء والشعراء على ابوابهم كما وقفوا بباب الرشيد وكانت لهم اياد بيضاء في ترجمة العلم القديم الى العربية

ومن ثمار ذلك الانقلاب ان الموالي (المسلمين غير العرب) الذين كان الامويون يحتقرونهم قربهم العباسيون وفيهم الخراسانيون الذين نصروهم في تأييد دولتهم . وقدموا سائر الموالي واستخدموهم في امور الدولة . فارتفع شأن الموالي من ذلك الحين واكثرهم من الفرس . اشهرهم في العصر العباسي الاول آل برمك وآل الفضل . وكان الخلفاء العباسيون يتواصون بالموالي وحسن معاملتهم والاحسان اليهم فنبغ فيهم طائفة كبيرة من العلماء والادباء والشعراء ورجال العلم والعمل

ومن ثمار الحضارة في ذلك العصر تكاثر الجواري مما لم يسمع به قبله حتى كان منهن في بعض المنازل عشرات وفي البعض الآخر مئات . وبلغ عددهن عند الرشيد ٢٠٠٠ جارية وصاروا يتهادوهن كما يتهادون الحلي والجواهر [1] . وتكاثر الغلمان فيه وتفننوا في تزيينهم واستخدامهم وشاع تسريهم كما يتسرون الجواري ويتهادونهم كما يتهادونهن وصاروا يحجبونهم كما يحجبون النساء [2]

فالانقلاب السياسي والاجتماعي المشار اليـه احدث انقلاباً في الافكار والعقول وظهر أثر ذلك طبعاً في آداب اللغة كما سيجيء

(١) ترى تفصيل ذلك في تاريخ التمدن الاسلامي ج ٥ (٢) الاغاني ٢٠٨ ج ٦

اقسام آداب اللغة العربية

والعلوم او الآداب التي سننظر في تاريخها تدخل في اربعة ابواب :

الاول : العلوم العربية الاصلية التي كانت قبل الاسلام واهمها اللغة والشعر والخطابة

الثاني : العلوم الاسلامية وهي قسمان ١ : العلوم الشرعية الاسلامية التي اقتضاها الشرع الاسلامي ٢ : العلوم اللسانية نعني علوم اللغة التي اقتضتها العلوم الاسلامية وبعثت على ظهورها

الثالث : العلوم الدخيلة التي نقلت عن الامم الاخرى

ولنبدأ بالعلوم الدخيلة ليظهر تأثيرها في سائر العلوم

العلوم الدخيلة

لو اردنا بسط الكلام في هذه العلوم واصولها ومواضيعها وما نقل منها الى لساننا لضاق بنا المقام وبعدنا عن المراد من هذا الكتاب — نعني الكلام في ما يمكن الرجوع اليه والانتفاع به من الكتب . والعـلوم الدخيلة التي نقلت يومئذ اصبح معظمها في زوايا الاهمال بظهور العلم الطبيعي الحديث . وقد فصلنا خبرها في الجزء الثالث من تاريخ التمدن الاسلامي فنكتفي هنا بفذلكة اجمالية

امتياز العرب على سواهم من الفاتحين

ومما يحسن ايراده لبيان امتياز اصحاب التمدن الاسلامي على سواهم من الامم الفاتحة من هذا القبيل ان القوط او قبائل الجرمان سطوا على مملكة الروم من الشمال كما سطا عليها العرب من الجنوب وكلاهما اهل بادية وحرب . امتلك القوط ايطاليا في القرن الخامس فتركوا اهلها الروم على ما كانوا عليه من آدابهم وعلومهم وظلوا هم على بداوتهم وحبهم الحرب واستخدموا الوطنيين في تدبير حكومتهم — كما فعل العرب في اوائل دولتهم . لكن القوط لما تحضروا حملوا علماء الرومان على التأليف فالفوا لهم الكتب باللاتينية وليس بالقوطية . فذهبت هـذه اللغة وبقيت لغة الروم بما صارت اليه من الفروع . أما العرب فانهم حالما استتبت لهم السيادة جعلوا الدواوين في العربية وحملوا رعاياهم على مكاتبتهم بالعربية . ولما ارادوا نشر العلم كلفوا رعاياهم نقل تلك العلوم الى العربية فذهبت لغات الامم التي كانت تحت سلطانهم وبقيت العربية

ما هي العلوم الدخيلة

نريد بها العلوم القديمة التي كانت شائعة عند ظهور الاسلام في الممالك التي عرفها المسلمون . وهي عبارة عن خلاصة ابحاث رجل العلم والفلسفة والادب في ممالك التمدن القديم على اختلاف الامم والدول والاماكن والاطوار في القرون المتوالية من اقدم ازمنة التاريخ الى ايامهم وفيها زبدة علوم الاشوريين والبابليين والفينيقيين والمصريين والهنود والفرس واليونان والرومان — ولايراد بذلك ان العرب اخذوا علم كل امة عن اهله راساً ولكنهم جاؤا والعلوم قد تحلبت بتوالي الادهار وتفاعل العناصر واجتمع معظمها لليونان فبوبوها ورقوها وظهرت النصرانية فأثرت فيها . وبقي بعضها في بقايا الدول القديمة كالفرس والكلدان والهنود وغيرهم ممن دانوا للمسلمين وانتظموا في خدمتهم فاخذوا من هؤلاء جميعاً . ولذلك كان من جملة افضال التمدن الاسلامي على العلم انه جمع شتات تلك العلوم من اليونانية والفارسية والهندية والكلدانية الى العربية وزاد فيها ورقاها

فلنبحث اولاً في حال العلم والادب في البلاد التي عرفها المسلمون وهو يتناول النظر في آداب اليونان والفرس والهنود والكلدان على ما يأذن به المقام . ثم نتقدم الى الكلام في ما نقله العرب من ذلك

آداب اللغة اليونانية

الفلسفة والفلاسفة

بينا في الجزء الاول من هذا الكتاب اقسام الآداب اليونانية وعصورها الى عصر الفلسفة . فنكتفي بخلاصة تاريخية عنها :

اخذ اليونان باهداب الفلسفة والعلم على اثر الحروب المورية فانها توالت ٢٧ سنة وفي نهايتها دخلت اثينا في حوزة اللقديمونيين واصبح الاثينيون بعد العز اذلاء فساقتهم العبرة والمذلة الى النظر في الوجود فنهضوا نهضة فلسفية زعيمها وواضع اساسها سقراط . والحروب يغلب ان يعقبها نهضة ادبية او علمية أوسياسية على ما قررناه في غير هذا المكان — وان كانوا قد تنبهوا الى شيء من ذلك قبلاً

فلما اصيبت اثينا بالذل بعد تلك العظمة اصاب اهلها اضطراب وانكسار — والانسان اذا أصيب بنكبة لا حيلة له في دفعها اشتغل عنها بالتعليلات الفلسفية عن

الوجود وأصله ليخفف وطأة تلك المصيبة عليه . وخصوصاً في مثل ما أصيبت به اثينا بعد عزها ورفعة شأنها . واصبح اهلها بعد سقوطها يتلفتون الى الوراء آسفين وينظرون الى الامام خائفين وقد ذهبت اسباب مفاخرتهم القديمة ولم تنتظم حكومتهم الجديدة . فتنبهت اذهانهم وانصرفت قرائحهم الى النظر في شؤون الانسان على الجملة وشؤونهم على الخصوص . فكانت وجهة تلك النهضة الادب والفلسفة . فدخل القرن الرابع قبل الميلاد والناس يتناقلون آراء بعض المتقدمين من العلماء على ما يوافق احوالهم ونفوسهم تشتاق الى الزيادة

ش ١ : سقراط

﴿ سقراط ﴾ وكان الناس في ذلك اذ نبغ سقراط الحكيم . ورأى النظر في الفلسفة الطبيعية لا يجدي نفعاً في تلك الاحوال فانصرفت عنايته الى الفلسفة الادبية فدرسها جيداً وخلصها مما كان يعتورها من الرموز والغوامض وطبقها على حاجات الاثينيين يومئذ . وقسم شرائعه الى ما يتعلق بالانسان من حيث هو انسان والى ما يتعلق به من حيث هو اب ومدبر والى ما يتعلق به من حيث هو احد الجماعة . وذهب الى خلود النفس . ويعتبره اليونانيون واضع الفلسفة الادبية العملية او هو محوّل الفلسفة القديمة من الخيال الى العمل — قال شيشرون « ان سقراط انزل الفلسفة من السماء الى الارض »

ويندر ان ينجو النوابغ واصحاب الآراء الجديدة من حساد يتمنون اذيتهم او

يسعون فيها . وقد كان في تعاليم سقراط ما يخالف اعتقاد الاثينيين يومئذ فقاموا عليه وقتلوه

ش ٢: افلاطون

﴿ افلاطون ﴾ مات سقراط ولم يدون شيئاً من تعاليمه فدونها تلامذته من بعده ولكنهم اختلفوا في تفسير اقواله فانقسموا الى ثلاث فرق تعرف بالكيرينية والكلبية والاشرافية . وهذه الاخيرة اشهرها وتسمى ايضاً الافلاطونية نسبة الى صاحبها افلاطون المولود سنة ٤٢٨ قبل الميلاد . ومذهبه مقتبس من ثلاثة مذاهب قديمة فانه تبع هيرقليطس في الطبيعيات وفيثاغورس في ما وراء الطبيعة والنقليات وتبع سقراط في الفلسفة الادبية والاخلاق . وقال بثلاثة أصول الاله والمادة والادراك والآلهة عنده ثلاث طبقات : عليون ومتوسطون وسفليون وعلم بتناسخ الارواح . وكتب افلاطون على أسلوب المحاورات

﴿ ارسطو ﴾ وانقسم تلامذة افلاطون ايضاً الى فرق اهمها فرقة المشائين وصاحبها ارسطو او ارسطوطاليس الذي اجمع العلماء على انه اقدر الفلاسفة القدماء ويسميه العرب المعلم الاول . ولد سنة ٣٨٤ وتوفي سنة ٣٢٢ ق م . وعنه نقل العرب اكثر كتب الفلسفة والمنطق . جمع ارسطو في كتبه زبدة ما بلغ اليه العلماء في عصره ببلاد اليونان من الفلسفة والعلم . اما الفلسفة فاخذها عن أستاذه افلاطون ويدخل فيها الابحاث المنطقية والعقلية والنفسية والسياسية . وأما العلم ويراد به الحقائق المبنية على المشاهدة والاختبار كالرياضيات والطبيعيات ونحوها فقد كانت من جملة ما طالعه من علوم القدماء وما اختبره بنفسه . وكان غرض ارسطو ايضاح الفلسفة بالعلم واخضاع كل بحث عقلي او نظري الى النواميس الطبيعية . ولم يكن يهمه تزويق العبارة او

ش ٣ : ارسطو

برقشة الالفاظ وانما كان يهمه الغرض الاصلي من الموضوع . فكان يبذل جهده في تجريد عبارته من الخيالات الشعرية التي مازجت فلسفة افلاطون

والكتب التي ثبتت نسبتها الى ارسطو ١٩ كتاباً نقل معظمها الى اللغة العربية . وقد ذكرناها مع كتب افلاطون في الصفحة ١٥١ وما بعدها من تاريخ التمدن الاسلامي ج ٣

الطب والنجوم

والطب ايضاً من ثمار تلك النهضة على اثر الحرب المورية وكان اليونان قبل ذلك يعالجون مرضاهم بالكهانة وينسبون الامراض الى اعمال الشياطين والعلاجات الى أعمال الآلهة . وكان الفلاسفة يتكلمون في الطب باعتبار انه فرع من الطب الطبيعي ولم يستقل احد منهم بالبحث فيه . وأول من رتب الطب وبوبه وبناه على اسس صحيحة ابقراط المتوفى سنة ٣٥٧ ق م ولذلك سموه ابا الطب . وهو من نتاج الحرب المورية نشأ في اثنائها ونبغ بعد انقضائها وسافر الى سوريا ولعله اطلع على طب البابليين والمصريين فاضافهما الى طب اليونان والف فيه الكتب . واساس معالجته الاعتماد

ش ٤ : ابقراط

على الطبيعة وكان يفصد ويحجم ويكوي ويحقن ويشخص الامراض بالسماعة ويصف المسهلات النباتية والمعدنية . وله كتب في الطب كثيرة ذكروا منها ٨٧ كتاباً ولم يثبت له منها الا نحو العشرين ونقلت في جملة ما نقله المسلمون من كتب الطب الى العربية . وما زالت كتب ابقراط معوّل الاطباء الى العصر الجديد وفيهم من شرحها او فسرها او ترجمها او علق عليها

وممن اشتغل من اليونانيين في ترقية العلوم الطبية بعد ابقراط ارسطو وغيره من الفلاسفة العظام فلما انشئت مدرسة الاسكندرية على عهد البطالسة كان للطب شأن كبير فيها

والنجوم او علم الفلك قديم عند سائر الامم كما قد رأيت في كلامنا عن علوم العرب قبل الاسلام . اخذ اليونان مبادىء هذا العلم عمن سبقهم من أمم التمدن القديم على يد الفينيقيين وتوسعوا فيه من عند انفسهم . وكان النظر فيه من جملة ابحاث الفلاسفة واقدمهم طاليس . وقلّ من جاء بعده من فلاسفة اليونانيين ولم يتعرض لهذا الفن واشهرهم فيه انكسيمندر وانكسيمينس وانكساغوراس . وكان للقسم الايطالي من بلاد اليونان عناية كبرى في النجوم ومقدام فلاسفتهم فيه فيثاغورس الشهير المتوفى سنة ٥٠٠ ق م اخذ بعض هذا العلم من مصر وتوسع فيه وتبعه في ذلك

كثيرون . ويكاد لا يخلو فيلسوف يونانيّ من النظر في النجوم واحكامها مما يطول شرحه . على ان هذا العلم بلغ قمة مجده في مدرسة الاسكندرية

ويقال نحو ذلك في سائر العلوم الرياضية كالحساب والهندسة فقد اشتغل فيها الفلاسفة لكنها لم تنضج الا في مدرسة الاسكندرية على يد اوقليدس

ش ٥ : اوقليدس

وقد عقدنا فصلاً عن تاريخ مكتبة الاسكندرية وهل احرقها العرب في الجزء الثالث

ش ٦ : ارخميدس

من تاريخ التمدن الاسلامي صفحة ٤٠ و١٢٣ وفصلاً في الهلال الاول من السنة العشرين . وقد زهت الاسكندرية بالرياضيات والطب والفلسفة ونبغ فيها الرياضيون ومنهم اوقليدس وارخميدس وابولونيوس من اهل القرن الثالث قبل الميلاد وهيبارخس من اهل القرن الثاني . وفيها ظهر بطليموس القلوذي الجغرافي والرياضي في اواسط القرن الثاني بعد الميلاد فوضع كتاب المجسطي وكان عليه المعول في مدارس العالم الى عهد غير بعيد والف ايضاً كتاب الجغرافية الشهير. واشتغل علماء الاسكندرية خصوصاً برصد الافلاك واستخراج الازياج وظل مرصدهم وحيداً في العالم الى ايام الاسلام

ش ٧ : جالينوس

اما الطب فكان يعلم في مدرسة برغامس. فلما زهت مدرسة الاسكندرية توجهت الانظار اليها وعمدة التدريس فيها على مؤلفات ابقراط لكنهم اشتغلوا ايضاً في التشريح وفاقوا به سواهم

وانقسم اطباء الاسكندرية في الطب الى حزبين حتى ظهر جالينوس في اواخر القرن الثاني للميلاد فانتهى الطب اليه . واصبحت كتبه معوّل الناس فيه . وللطب والفلسفة في مدرسة الاسكندرية تاريخ طويل لخصناه في الجزء الثالث من تاريخ التمدن الاسلامي

آداب اللغة الفارسية

الفرس من الشعوب الآرية اخوان الهنود واليونان وهم امة قديمة حاربت اليونان قبل المسيح ببضعة قرون فجردت على بلادهم جيشاً قد يمتنع على اعظم دول الارض اليوم حشده ونقله بمهماته ومؤونته من اواسط اسيا الى البحر الابيض . فكيف منذ بضعة وعشرين قرناً . فالدولة التي هذا مبلغ قوتها لا تخلو من ادب وعلم والفرس اهل ذكاء وتعقل وفيهم استعداد فطري لاسباب التمدن فلا بد من اجادتهم في نظم الشعر على نحو ما فعل اخوانهم الهنود في المهابهاراتة ونحوها وان كان ما وصل منه الينا قليلاً . ناهيك بالعلوم القديمة التي هي من قبيل الطبيعيات والرياضيات كالنجوم والانواء فقد احرزوا شيئاً منها وخصوصاً لانهم ورثوا البابليين والاشوريين واحتكوا باليونان وهم في ابان تمدنهم واختلطوا بجيرانهم الهنود . وكانوا يعرفون الكتابة وينقشونها على الاحجار باللغة الفهلوية . ويؤيد ذلك ما جاء في كتب الاخبار عن فتوح الاسكندر بلاد فارس وما عثر عليه في عاصمتهم اصطخر من خزائن الكتب وفيها ما كان قد جمعه الفرس من علوم الهند والصين الى تلك الايام

والمشهور ان علوم الفرس لم تأخذ في الظهور الا في ايام سابور بن ازدشير فبعث الى بلاد اليونان استجلب كتب الفلسفة وامر بنقلها الى الفارسية [1] واختزنها في مدينته واخذ الناس في نسخها وتدارسها

فلما تولى كسرى انو شروان العادل (من سنة ٥٣١ — ٥٧٨ م) فُتح للفرس مورد جديد للعلم والفلسفة بما كان من اضطهاد يوستنيان قيصر الروم للفلاسفة الوثنيين على اثر اقفاله الهياكل والمدارس الوثنية . وكانت الفلسفة الافلاطونية الجديدة قد نضجت ففرّ بعض اصحابها من وجه الاضطهاد وتفرقوا في العالم وجاء منهم سبعة الى انو شروان فاكرم وفادتهم وامرهم بتأليف كتب الفلسفة او نقلها الى الفارسية فنقلوا المنطق والطب [2] والفوا فيهما الكتب فطالعها هو ورغب الناس فيها . وعقد المجالس للبحث والمناظرة كما فعل المأمون بعده بقرنين وبعض القرن حتى خيل لليونان الذين جالسوا انو شروان انه من تلامذة افلاطون . والمظنون ان تلك الفلسفة كانت اساساً لتعاليم الصوفية التي نشأت بعد ذلك

(١) ابو الفداء ٥٠ ج ١ (٢) الفهرست ٢٤٢

ولم يقتصر انو شروان على نقل علوم اليونان الى لسانه ولكنه نقل علوم الهنود ايضاً من السنسكريتية الى الفارسية [1] وانشأ في جند يسابور مارستاناً (مستشفى) لمعالجة المرضى وتعليم صناعة الطب استقدم اليه الاطباء من الهند وبلاد اليونان وكانوا يعلمون فيه الطبين الهندي والابقراطي فجمع بين الحسنيين

آداب اللغة السريانية

كان للسريان تمدن قديم وانما يهمنا في هذا المقام ما كان عندهم من علوم الفلسفة التي اشتغلوا بنقلها . وهم في ذلك تلامذة اليونان لانهم تعلموا فلسفتهم وطبهم وسائر علومهم كما تعلمها الرومان قبلهم واقتبسها الفرس معهم وكما تعلمها المسلمون بعدهم . والسريان اهل ذكاء ونشاط فكانوا كلما اطمأنت خواطرهم من مظالم الحكام وتشويش الفاتحين انصرفوا الى الاشتغال في العلم فانشأوا المدارس للاهوت والفلسفة واللغة ونقلوا علوم اليونان الى لسانهم وشرحوا بعضها ولخصوا بعضها . ومنهم خرج اكثر الذين ترجموا العلم للعباسيين واكثرهم من النساطرة . ونقتصر هنا على ذكر اشتغالهم في العلم لانفسهم

كان للسريان في ما بين النهرين نحو خمسين مدرسة تعلم فيها العلوم بالسريانية واليونانية أشهرها مدرسة الرها وفيها ابتدأ السريان يشتغلون بفلسفة ارسطو في القرن الخامس للميلاد . وبعد ان تعلموها اخذوا في نقلها الى لسانهم فنقلوا المنطق في اواسط القرن المذكور . ثم اتم دراسة المنطق سرجيس الراس عيني الطبيب المشهور وفي المتحف البريطاني بلندرا نسخ خطية من ترجمته الايساغوجي الى السريانية . وكذلك مقولات ارسطو لفرفوريوس وكتاب النفس وغيرها وقد نشر بعضها من عهد قريب

وفي اوائل القرن السابع للميلاد اشتهرت مدرسة قنسرين على الفرات بتعليم فلسفة اليونان باللغة اليونانية وتخرج منها جماعة كبيرة من السريان وفي جملتهم الاسقف سويرس فقد انقطع فيها لدرس الفلسفة والرياضيات واللاهوت . ولما تمكن من تلك العلوم نقل بعضها الى السريانية ولا تزال بعض ترجماته في الفلسفة محفوظة في المتحف البريطاني . وقد اتمها بعده تلميذه يعقوب الرهاوي واضع علم النحو السرياني واثناسيوس

(١) E. Browne's Lit, Hist. of Persia, 167.

بلد . ومن تلامذته اثناسيوس جورجيوس المعروف باسقف العرب (٦٨٦ م) فقد ترجم بعض كتب ارسطو . واشتغل جماعة آخرون في ترجمة كتب افلاطون وفيثاغورس وغيرهما مما يطول شرحه . واشتهر هناك مدارس اخرى كمدرسة نصيبين التي كان عدد تلامذتها نحو ثمانمائة وكانت تعلم فيها كل العلوم العقلية والنقلية

اما الطب فقد كان لهم فيه حظ وافر على اثر انشاء مارستان جنديسابور واشتهر فيهم من اهل هذه الصناعة كثيرون منهم سرجيس الراس عيني المتقدم ذكره واتاتوس الامدي وسمعان الطيبوتي والاسقف غريغوريوس والبطريرك ثيودوسيوس وغيرهم من الاطباء الذين ادركوا الدولة العباسية وخدموها

وقد نقل اطباء السريان كثيراً من كتب الطب من اليوناني الى السرياني حتى في اثناء اشتغالهم بنقلها الى العربية لانهم كانوا كثيراً ما ينقلونها الى السريانية فقط او الى السريانية والعربية معاً

آداب اللغة الهندية

الهنود امة قديمة والطبقة العلياء منهم اخوان الفرس واليونان وقد نظموا الملاحم ودونوا الاخبار شعراً من قديم الزمان ولهم آداب خاصة وتواريخ خاصة تولدت عندهم بتوالي القرون كما يستدل من مراجعة تواريخهم ودرس احوالهم . حتى كثيراً ما كان ملوك الفرس يستعينون باطبائهم كما فعل انوشروان في مارستان جنديسابور وكما وقع للخلفاء العباسيين في اوائل نهضتهم فانهم كانوا يستقدمون الاطباء من الهند ويستشيرونهم في امراضهم بعد ان تفرغ حيل اطباء الفرس والسريان في معالجتهم . لان للطب الهندي طرقاً غير ما للطب اليوناني او الفارسي . وقد اشتهر منهم عدة اطباء ألفوا في الهندية ونقل المسلمون بعض كتبهم الى العربية ومنهم منكه وصنجهل وشاناق وغيرهم

وكانت لهم معرفة حسنة بالنجوم ومواقعها وابراجها ولها اسماء خاصة بلسانهم وكان لهم فيها ثلاثة مذاهب مذهب الارجهير ومذهب الاركند ومذهب ثالث يقال له بالسنسكريتية سدهنتا Siddhânta هو عبارة عن زيج ذكروا فيه آراءهم في حركات الكواكب . وهو الذي وصل الى العرب ونقلوه الى لسانهم وسموه السند هند . والهنود هم الذين

اخترعوا الارقام وعنهم اخذها العرب . ولهم طرق خاصة في الحساب اكتسبها العرب عنهم وكان لهم معرفة بفن الموسيقى ولهم فيها كتب ترجم المسلمون بعضها الى العربية

نقل الكتب ونقلتها

تلك حال العلوم والاداب عند الامم المتمدنة لما اخذ المترجمون في نقلها الى اللغة العربية في العصر العباسي الاول . اما الخلفاء الذين اهتموا بذلك النقل فهم المنصور كان اكثر اهتمامه بالنجوم والطب . والمهدي قلما اشتغل بذلك . وكذلك الرشيد لم ينقل في ايامه الا كتاب المجسطي . ثم المأمون وهو الذي اهتم بنقل كتب الفلسفة والمنطق على الخصوص وسائر العلوم على العموم[1]

اما نقلة العلم في العصر العباسي فهم من اهل العراق والشام وفارس والهند رغبهم الخلفاء في ذلك بالبذل الكثير وجعلوا لبعضهم رواتب وجواري وبالغوا في اكرامهم ومحاسنتهم . واكثرهم من السريان النساطرة لانهم اقدر على الترجمة من اليونانية واكثر اطلاعاً على كتب الفلسفة والعلم اليوناني : اشهرهم آل بختيشوع سلالة جورجيس بن بختيشوع السرياني النسطوري طبيب المنصور . وآل حنين سلالة حنين بن اسحق العبادي شيخ المترجمين احد نصارى الحيرة وله تاريخ طويل . وحبيش الاعسم الدمشقي ابن اخت حنين . وقسطا بن لوقا البعلبكي من نصارى الشام . وآل ماسرجويه اليهودي السرياني وال الكرخي . وآل ثابت الحراني من الصابئة والحجاج بن مطر وابن ناعمة الحمصي ويوحنا بن ماسويه واسطفان بن باسيل وموسى بن خالد وسرجيس الراسي ويوحنا بن بختيشوع من غير آل بختيشوع المتقدم ذكرهم . والبطريق ويحيى بن البطريق وابو عثمان الدمشقي وابو بشر متى بن يونس ويحيى بن عدي . هؤلاء اشهر نقلة العلم من اليوناني او السرياني الى العربي وبعضهم تجاوز العصر العباسي الاول

واما النقلة من الالسنة الاخرى فمنهم من نقل من الفارسية الى العربية كابن المقفع وال نوبخت كبيرهم نوبخت ولابنه الفضل بن نوبخت نقل من الفارسي الى العربي في النجوم وغيرها . ومنهم موسى ويوسف ابنا خالد وكانا يخدمان داود بن عبد الله بن حميد بن قحطبة وينقلان له من الفارسية الى العربية . وعلي بن زياد التيمي ويكنى ابا الحسن نقل من الفارسي الى العربي كتاب زيج الشهريار . والحسن

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ١٤٠ ج ٣

ش ٨ : يوحنا بن ماسويه

بن سهل وكان من المنجمين . والبلاذري احمد بن يحيى . وجبلة بن سالم كاتب هشام . واسحق بن يزيد نقل سيرة الفرس المعروفة باختيارنامه . ومنهم محمد بن الجهم البرمكي وهشام بن القاسم وموسى بن عيسى الكردي وعمر بن الفرخان وغيرهم

ومن الذين نقلوا عن اللغة السنسكريتية (الهندية) منكه الهندي كان في جملة اسحق بن سليمان بن علي الهاشمي ينقل من اللغة الهندية الى العربية . وابن دهن الهندي وكان اليه مارستان البرامكة نقل من الهندي الى العربي [1]

ومن الذين نقلوا عن اللغة النبطية (الكلدانية) الى العربية ابن وحشية نقل كتباً كثيرة اهمها كتاب الفلاحة النبطية

وهناك طبقة من النقلة اشتغلوا بنقل العلم من عند انفسهم اشهرهم بنوشا كراوبنو موسى لانهم اولاد موسى بن شاكر وهم محمد واحمد والحسن وعرف اولادهم بعدهم ببني المنجم . كان موسى يصحب المأمون والمأمون يرعى حقه في اولاده هؤلاء . واشتغلوا في الهندسة والنجوم والطبيعيات والميكانيكيات وغيرها . واتعبوا انفسهم في جمع الكتب

(١) الفهرست ٢٤٥

القديمة من بلاد الروم واحضروا النقلة بالبذل لنقلها . وممن بذلوا المال في نقل العلم غير الخلفاء محمد بن عبدالملك الزيات وعلي بن يحيى المعروف بابن المنجم ومحمد بن موسى ابن عبد الملك وابراهيم بن محمد بن موسى الكاتب وغيرهم

الكتب التي نقلت

اما الكتب التي نقلت في ذلك العصر فعددها بضع مئات اكثرها من اليونانية منها ٨ في الفلسفة والادب لافلاطون و١٩ كتاباً في الفلسفة والمنطق والادب لارسطو وعشرة في الطب لابقراط و٤٨ في الطب لجالينوس . وبضعة وعشرون كتاباً في الرياضيات والنجوم لاوقليدس وارخميدس وابلونيوس ومنالاوس وبطليموس وابرخس وذيوفنطس وغيرهم

واما منقولات اللغات الاخرى فمنها نحو عشرين كتاباً نقلت عن الفارسية في التاريخ والادب . ونحو ٣٠ كتاباً من اللغة السنسكريتية واكثرها في الرياضيات والطب والنجوم والادب . ونحو عشرين كتاباً عن اللغة السريانية او النبطية اكثرها في السحر والطلسمات الا كتاب الفلاحة النبطية في الزراعة . وهناك بضعة كتب نقلت عن اللاتينية والعبرانية

الخلاصة

وجملة القول ان المسلمين نقلوا الى لسانهم معظم ما كان معروفاً من العلم والفلسفة والطب والنجوم والرياضيات والاديبات عند سائر الامم المتمدنة في ذلك العهد . ولم يغادروا لساناً من السن الامم المعروفة اذ ذاك لم ينقلوا منه شيئا وان كان اكثر نقلهم عن اليونانية والفارسية والهندية . فاخذوا من كل امة احسن ما عندها فكان اعتمادهم في الفلسفة والطب والهندسة والموسيقى والمنطق والنجوم على اليونان . وفي النجوم والسير والآداب والحكم والتاريخ والموسيقى على الفرس . وفي الطب (الهندي) والعقاقير والحساب والنجوم والموسيقى والاقاصيص على الهنود . وفي الفلاحة والزراعة والتنجيم والسحر والطلاسم على الانباط او الكلدان . وفي الكيمياء والتشريح على المصريين . فكلهم ورثوا اهم علوم الاشوريين والبابليين والمصريين والفرس والهنود

واليونان وقد مزجوا ذلك كله وعجنوه واستخرجوا منه علوم التمدن الاسلامي (الدخيلة)

ومما نلاحظه من امر ذلك النقل ان العرب مع كثرة ما نقلوه عن اليونان لم يتعرضوا لشيء من كتبهم التاريخية او الادبية او الشعر مع انهم نقلوا ما يقابلها عند الفرس والهنود فقد نقلوا جملة صالحة من تواريخ الفرس واخبار ملوكهم وترجموا الشاهنامة . ولكنهم لم ينقلوا تاريخ هيرودوتس ولا جغرافية استرابون ولا الياذة هوميروس ولا اوذيسته . والسبب في ذلك ان اكثر ما بعث المسلمين على النقل رغبتهم في الفلسفة والطب والنجوم والمنطق . واما التواريخ والاداب فقد كان التراجمة ينقلونها غالباً من عند انفسهم حبًّا في اظهار مآثر اسلافهم او جيرانهم فالمترجمون الفرس نقلوا شيئاً من تواريخ الفرس وادابهم وكذلك فعل التراجمة السريان باداب اجدادهم وكذلك التراجمة الهنود . فلو كان في اولئك المترجمين واحد او غير واحد من اليونان لنقلوا كثيراً من تواريخ امتهم واشعارها . ولا ريب ان من جملة ما منعهم من نقل الالياذة الى العربية ذكر الآلهة والاصنام فيها . ولكن في الشاهنامة ايضاً كثيراً من ذلك فلم يمنعهم من نقلها لكن الترجمة ضاعت

ويلاحظ ايضاً ان العرب نقلوا من علوم تلك الامم في قرن وبعض القرن ما لم يستطع الرومان بعضه في عدة قرون وذلك شأن المسلمين في اكثر اسباب تمدنهم العجيب

ولا يستخف بما اقتضاه ذلك النقل عن اشهر امم الارض في ذلك العصر من التأثير في الآداب الاجتماعية والآراء العمومية . وخصوصاً مما نقل عن الفارسية لان معظمه في الادب والتاريخ . كما اثر في آدابنا الاجتماعية ما نقلناه في نهضتنا هذه عن الافرنج فضلاً عن دخول الفرس في كل باب من ابواب الدولة . فدخل الاداب العربية والافكار العربية كثيراً من آداب الفرس الساسانيين وافكارهم اقتبسها العرب من الكتب التي نقلت عنهم ولم يبق منها الا الف ليلة وليلة وكليلة ودمنة ونتف متفرقة في بعض الكتب . وقد درس هذا الموضوع المستشرق اينوسترانسيف الروسي ووضع فيه كتاباً طبع في بطرسبرج سنة ١٩٠٩[1]

وعلى هذه المنقولات بنى المسلمون ما الفوه في هذه العلوم في اثناء تمدنهم غير ما اختبروه واضافوه اليها من عند انفسهم . واكثر منقولاتهم ومؤلفاتهم ضاعت ولم يبق منها الا بعضها وعلى هذا البعض كان معول الاوربيين في نهضتهم الاخيرة لانشاء تمدنهم الحديث بما نقلوه منها الى السنتهم كما سنبينه في مكانه

(١) المشرق ٣٩٢ سنة ١٣

الباقي من المنقولات الى الآن

اما الباقي من الترجمات المتقدم ذكرها الى الان فلا يتجاوز بضع عشرات مشتتة في مكاتب اوربا — اليك بعضها على سبيل المثال :

كتاب المجسطي لبطليموس ترجمة الحجاج بن يوسف بن مطر منه نسخة خطية في مكتبة ليدن

كتاب السياسة في تدبير الرياسة ترجمة يوحنا بن البطريق منه نسخ في مكاتب برلين ومنشن وغيرهما

ولقسطا بن لوقا البعلبكي عدة آثار من نقله وتأليفه منها رسائل في الطب والاخبار ذكرها بروكلمن في كتابه آداب اللغة العربية واشار الى اماكن وجودها (صفحة ٢٠٤ ج ١)

ولحنين بن اسحق بقايا حسنة من منقولاته اشهرها المدخل في الطب في مكتبة الاسكوريال ومسائل في الطب للمتعلمين في مكتبة برلين واجتماعات الفلاسفة في بيوت الحكماء في مكتبة منشن . وكتاب النواميس وغيرها

ولابنه اسحق بن حنين كتاب في منطق ارسطو

وليعقوب بن اسحق الكندي فيلسوف العرب بقايا من مؤلفاته سيأتي ذكرها في ترجمته في الدور العباسي الثاني

وسنأتي على مشاهير النابغين في العلوم الدخيلة في ما يلي من هذا الكتاب ولا سيما الذين اشتغلوا بغيرها وانما اجملنا الكلام هنا وتجاوزنا في اجماله العصر العباسي الاول رغبة في الاختصار للسبب الذي قدمناه من صرف العناية في ما نرجو نفعه للقراء فعلاً . ولنعد الى الكلام في العلوم العربية الاصلية

العلوم العربية الاصلية

في العصر العباسي الاول

١ اللغة

اصاب اللغة في هذا الدور تغيير كثير في الفاظها بما نقل اليها من العلوم الدخيلة وما اقتضاه التمدن من الالفاظ الادارية وما استلزمه التوسع في العلوم الاسلامية وغيرها من الاوضاع والمصطلحات العلمية والفلسفية والادارية لتأدية ما حدث من المعاني الجديدة مما لم يكن له مثيل في لسان العرب كما هو شأننا اليوم في نقل العلم الحديث الى لساننا . وكانوا يومئذ احوج الى اقتباس الالفاظ الاعجمية وتنويع المعاني العربية . ولم تقتصر تلك النهضة على اقتباس الالفاظ الاعجمية وتبديلها ولكنها احدثت تنويعاً في معاني الالفاظ العربية واليك امثلة من ذلك :

الالفاظ العلمية العربية

اهمها الالفاظ الطبية ولم يكن منها في الجاهلية الا مفردات كالحجامة والكي ونحوها فحدث منها ما يدل على فنون الطب كالكحالة والصيدلة والتشريح والجراحة والتوليد ومنها ما يختص باصطلاحات كل فن كاسماء الرطوبات والامزجة والاخلاط من الحار والبارد والجاف واليابس والسوداء والصفراء والبلغم والنبض والتخمة والانذار والهضم والبحران والمشاركات

واسماء الادوية كالمسخنات والمبردات والمرطبات والمجففات والمسهلات والنطولات والمخدرات والاستفراغات والسعوطات والادهان والمراهم والاطلية

وافعال تلك الادوية مثل ملطف ومحلل ومنضج ومخشن وهاضم وكاسر الرياح ومخمر ومحكك ومقرح واكال ولاذع ومفتت ومعفن وكاوٍ ومبرد ومقوٍّ ومخدر ومرطب وعاصر وقابض ومسهل ومدرّ ومعرق ومزلق وملس وترياق وغير ذلك

ومن الالفاظ الجراحية الفسخ والهتك والوثي والرض والخلع والفتق وتفرق الاتصال ومفارقة الوضع والجبار وغيره

ناهيك باسماء الامراض اواعراضها كالصداع والكابوس والصرع والتشنج واللقوة والرعشة والاختلاج والسرطان والسلاق والشترة والشرناق والخانوق والذبحة والربو وذات الجنب وذات الرئة والجهر والضمور والخفقان والغشيان واليرقان والاستسقاء

والديلة والاسهال والزحير والسحج والسدد والهيضة والبواسير ونحو ذلك مما لا يمكن حصره

ومن اوصاف الامراض انواع الحميات كالمزمنة والحادة والمختلطة والغب والمطبقة والربع والدق وغيرها . غير الالفاظ التشريحية كاسماء الاوعية الدموية ورطوبات العين وسائر الاعضاء الباطنية التي لم يكن العرب يعرفونها

ويليها الالفاظ الفلسفية ونحوها من مصطلحات الفلسفة والمنطق وما تفرع منها كعلم الكلام والتصوف والفقه ونحوه . وهي كثيرة تفوق الحصر كقولهم الكون والظهور والقدم والحدوث والاثبات والنفي والحركة والسكون والمماسة والمباينة والوجود والعدم والطفرة والاجسام والاعراض والتعديل والتحرير والمصاف من اصطلاحات علم الكلام. والهاجس والمريد والسالك والمسافر والسطح والقطب والهيبة والانس والبقاء والعناء والشاهد والفترة والمجاهدة من اصطلاحات التصوف

وقد تكاثرت الاصطلاحات الكلامية والصوفية والفقهية والاصولية حتى صارت تعد بالالوف فاضطروا الى وضع المعجمات الخصوصية لتفسيرها وشرح ما اكتسبته من المعاني المختلفة باختلاف تلك العلوم . ومن اشهر تلك المعجمات كتاب « التعريفات » للجرجاني في نيف ومئة صفحة و « كشاف اصطلاحات الفنون » للتهانوي في نحو الفي صفحة كبيرة و« كليات ابي البقاء » في اربعمائة صفحة و « اصطلاحات الصوفية » الواردة في الفتوحات المكية وغيرها . فاذا ذكروا لفظاً اوردوا معناه اللغوي ثم معناه الاصطلاحي في الفقه او الكلام او التصوف او الاصول مع ما يناسب ذلك من المعاني الرياضية او الطبيعية او النحوية . وقد يغفلون المعنى اللغوي على الاطلاق

الالفاظ العلمية الاعجمية

ونريد بها ما اضطر المترجمون الى نقله من لغته بلفظه ومعناه . واكثر ما يكون ذلك في اسماء العقاقير والامراض والادوات والمصنوعات مما لم يكن له نظير في بلادهم كالافسنتين والبقدونس والزيزفون والسقمونيا والقنطاريون والمصطكي من اللغة اليونانية والبابونج والبورق والبنج وخيار شمبر والزاتينج والررجون والزرنيخ والزاج والسرقين والاسفيداج والشاهترج والشيرج والمرداسنج من اللغة الفارسية

ومن اسماء الامراض ونحوها من الاستعمالات الطبية القولنج والترياق والكيموس والكيلوس وقيفال ولومان وملنخوليا من اليونانية . وسرسام ومارستان من الفارسية

ومن المصنوعات والادوات الاصطرلاب والقيراط والانبيق والصابون من اليونانية

والبركار والبوتقة والجنزار والدسكرة والاسطوانة من الفارسية

ومن الاصطلاحات الفلسفية ونحوها الهيولى والاسطقس والفلسفة والطلسم والمغنطيس والاقليم والقاموس والقانون من اليونانية — غير ما اقتبسوه من اللغة الهندية واكثره من اسماء العقاقير ونحوها

فترى مما تقدم ان اهل تلك النهضة لم يكونوا يستنكفون من اقتباس الالفاظ الاعجمية ولم يتعبوا انفسهم في وضع الفاظ عربية لتأدية المعاني التي نقلوها عن الاعاجم بل كانوا كثيراً ما يستخدمون للمعنى الواحد لفظين من لغتين اعجميتين . فالسرسام مثلاً اسم فارسي لورم حجاب الدماغ استعمله العرب للدلالة على هذا المرض ولما ترجموا الطب من لغة اليونان استخدموا اسمه اليوناني وهو « قرانيطس » ولو استنكفوا من استخدام الالفاظ الاعجمية لاستغنوا عن اللفظين جميعاً

التراكيب الاعجمية في اللغة العربية

قياساً على ما نشاهده من تطرق العجمة الى اسلوب كتبة اهل هذا العصر في ما ينقلونه من الافكار الاعجمية نعتقد ان اسلافنا في النهضة العباسية دخل اسلوبهم شيء من ذلك وان كنا لانستطيع تتبعه الى اصوله تماماً لتباعد عهده واختلاطه. على اننا اذا فحصنا لغة ذلك العصر وقابلنا بين عبارة كتب الطب والفلسفة وعبارة كتب الادب رأينا الفرق بينهما واضحاً . واذا دققنا النظر في سبب ذلك راينا عبارة اصحاب الفلسفة تمتاز بامور هي سبب ضعفها وركاكتها اهمها :

(١) استخدام فعل الكون بكثرة على نحو ما يستعمله اهل اللغات الافرنجية

(٢) كثرة الجمل المعترضة الشائعة عندهم

(٣) الاكثار من استعمال الفعل المجهول

(٤) استعمال ضمير الغائب « هو » بين المبتدا والخبر حيث يمكن الاستغناء عنه

(٥) ادخال الالف والنون قبل ياء المتكلم في بعض الصفات كقولهم روحاني ونفساني وباقلاني ونحو ذلك مما هو مألوف في اللغات الآرية ولا يستحسن في اللسان العربي

ومن التعبيرات التي اقتبسها العرب من اللغة اليونانية ما لم يكن لهم مندوحة عنها ولا بأس منها :

(١) تركيب الالفاظ مع لا النافية وادخال أل التعريف عليها كقولهم اللانهاية واللاأدرية واللاضرورة

(٢) صوغ الاسم من الحروف او الضمير مثل قولهم اللمية والكيفية والكميـة والهوية والماهية

(٣) نقل الالفاظ الوصفية الى الاسمية كقولهم المائية والمنضجة والخاصة

ومن هذا القبيل اقتباسهم بعض التعبيرات الفارسية الادارية مثل قولهم «صاحب الشرطة» و« صاحب الستار » وهو تعبير فارسي . غير ما اصاب اللغة من التغيير في الفاظها على الاجمال على اثر نموها وبما طرأ على الآداب الاجتماعية من التغيير فضلاً عن التجارة والصناعة . وما اقتضاه ذلك من تنوع الالفاظ العربية او اقتباس الالفاظ الاعجمية غير العادات والاخلاق ونحوها . وغير ما اقتضاه ناموس الارتقاء من النمو والتجدد والتنوع والتفرع . وقد عقدنا فصلاً ضافياً في هذا الباب في كتابنا تاريخ اللغة العربية تجاوزنا فيه هذا الدور الى ما يليه من الادوار العباسية (صفحة ٣٧ — ٤٠) وفصلاً في الالفاظ النصرانية واليهودية والتراكيب السريانية والعبرانيـة التي دخلت هذه اللغة في اثناء التمدن الاسلامي (صفحة ٤١ — ٤٣) فلتراجع هناك

ماآخذ لهذا الموضوع

ومن الكتب التي يمكن الرجوع اليها في هذا الموضوع غير كتاب تاريخ اللغـة العربية المتقدم ذكره « كتاب التعريفات » للجرجاني المتوفى سنة ٨١٦ هـ ويشتمل على المصطلحات الفقهية والنحوية وغيرها مرتبة على حروف المعجم وهو مطبوع في باريس سنة ١٨٤٥ وفي مصر . و« درة الغواص» للحريري طبع في مصر وغيرها . و« شفاء الغليل في ما في كلام العرب من الدخيل » لشهاب الدين الخفاجي المتوفى سنة ١٠٦٩ هـ طبع بمصر سنة ١٢٨٢ . و « كشاف اصطلاحات الفنون » للتهانوي سنة ١١٥٨ هـ طبع في كلكتة سنة ١٨٦١ و« المعرب من الكلام الاعجمي» لابي منصور الجواليقي المتوفى سنة ٥٣٩ هـ طبع في ليبسك سنة ١٨٦٧ وكتاب « المعرب والدخيل » لاحد ابناء القرن الحادي عشر للهجرة منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية . و« المغرب في ترتيب المعرب» لابي الفتح المطرزي منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية . غير المعاجم اللغوية وكتب اللغة

الشعر

في العصر العباسي الاول

الانتقال الاجتماعي

انتقل الشعر في الدولة العباسية انتقالاً كبيراً مثل انتقال الامة العربية من البداوة الى الحضارة ومن شظف العيش الى الرخاء ومن الملابس الخشنة الى الناعمة . فتحضر كثيرون من الشعراء وشاركوا اهل الحضارة باخلاقهم وشعورهم . وبعد ان كانوا يقيمون في المضارب لا تقع عين احدهم الا على صحراء قاحلة تسفي الرياح رمالها يبيت فيها حذراً خائفاً من غارات الاعداء ودبابات الصحراء . لا عشير له الا جواده او ناقته ـ اصبح وقد اركن الى الرخاء يقيم في القصور تكتنفها الحدائق فيها من كل فاكهة زوجان تجري فيها المياه مدبرة في الاحواض والاقنية تحف بها الازهار بازهى الالوان وتسرح في اكنافها الاطيار الداجنة من جميل الريش ورخيم الصوت . وبعد ان كان يرتدي العباءة من شعر الجمل وينتعل الحفاء او يحتذي النعال من الخوص او الحبال لبس الحرير والوشي ـ وانتعل الخف والجورب وتخفف بالغلائل والملايات . واستبدل المضارب وفرشها الرمال بقاعات فرشها البسط والسجاد وعلى جدرانها الستائر من الخز والديباج بمسامير الفضة عليها طراز الذهب . وقد ضعفت انفة البداوة وحل عقال الحشمة وترك الناس وشأنهم ينغمسون بما يشأؤون . وقد تدفقت عليهم الاموال بلا حساب وتكاثر الذهب بين ايديهم . فانتشر التهتك وذهبت الغيرة بشيوع التسري وانتشار المسكر . وللشعراء الحظ الاوفر من ذلك لترددهم على مجالس الغنـاء واختلافهم الى الخلفاء والوزراء والامراء من اهل البذخ والترف والرخاء فانطبعت في مخيلاتهم صور لم تألفها اهل البادية

فلا غرو اذا اختلف الشعر في هذا العصر عما كان عليه في الدولة الاموية لرغبة الامويين بالبداوة والاخذ بناصر العرب وتحقير سواهم . فكان اكثر شعرائهم من اهل البادية يفدون عليهم من البصرة والكوفة او الحجاز او نجد وينذر فيهم المتحضرون . اما الدولة العباسية فاصحابها كانوا يرمون الى غرض يخالف ذلك — كان العباسيون

يرون تقديم غير العرب ويودون التخلص من العرب والاستغناء عن جزيرة العرب . حتى حبب بعضهم الى المنصور ان يستبدل الكعبة بما يقوم مقامها في العراق وتكون حجاً للناس [1] وفعل ولم يفلح

فاختلاف طبائع الناس في الدولة العباسية عما كانوا عليه في العصر الاموي طبيعي وفي جملتهم الشعراء وخيالهم ـ واليك اهم مميزات الشعر والشعراء في العصر العباسي الاول

مميزات الشعر

في العصر العباسي الاول

يختلف الشعر العربي في هذا العصر عنه في العصر الاموي مثل اختلاف العصرين بالاحوال السياسية والاجتماعية والادبية لان الشعر مرآة اخلاق الامة وآدابها وسائر احوالها . فخصائص الشعر في هذا العصر ترجع الى ما يأتي :

١ — طريقة النظم

يشتمل الشعر على الخيال الشعري وهو المعنى . وعلى القالب الذي يسبك فيه ذلك المعنى وهو الكلام المقفى الموزون او النظم واهم ما يلاحظ في النظم ثلاثة امور (١) طريقته وهي الخطة التي يجري عليها الشعراء في تنسيق المعاني (٢) الاسلوب وهو العبارة التي يختارونها للتعبير (٣) اللفظ

ومن القواعد الاساسية في تاريخ الشعران يتبع في اسلوبه ولفظه وطريقته حال الامة التي تقوله فيتنوع شعرها بتنوع نظام اجتماعها وسائر احوالها . ولكن العرب ظلوا الى عهد غير بعيد يحدون طريقة الجاهليين في ما ينظمونه . فيستهلون قصائدهم بذكر الرحيل والاطلال والابل وغيرها من خصائص الجاهلية . حتى الالفاظ فانهم كثيراً مايقلدونهم بها وفيها الوحشي الذي لايلائم المدنية لان وحشي الكلام لوحشي الناس

والسبب في تمسكهم بالقديم رسوخ الاعتقاد بافضلية آداب الجاهلية وشعراء الجاهلية اذ كان اليها مرجعهم في صدر الاسلام لتحقيق الالفاظ والتراكيب . ثم عظم الامويون مناقب الجاهلية وطباع البداوة لرغبتهم في تأييد العرب ودولة العرب . فرسخ في اذهان الناس ان مناقب الجاهلية افضل ما يتبع . فلما تغلب العباسيون بانصارهم الفرس وغلب العرب على امرهم وعلت كلمة الفرس اخذ ذلك الاعتقاد بالزوال

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ٣٠ ج ٢

اما من حيث الاسلوب فان الشعر الجاهلي عريقٌ في البلاغة مع سلامته من الركاكة والعجمة . واما الخيال الشعري فيرى بعض العلماء ان العقل البشري سائر نحو الارتقاء في كل سبيل الا من حيث الخيال الشعري فانه لا يزال في مكانه — هذا هوميروس لا يزال نابغة الشعراء وقد مرَّ عليه نحو ٣٠٠٠ سنة والناس يتقدمون في كل شيء

وانظر الى امرىء القيس والنابغة وزهير وغيرهم من الجاهليين فانهم لا يزالون يعدون من نوابغ الشعراء الى الآن . على ان للشعر العربي شأناً خاصا من حيث الاسلوب . فان كلام الاسلاميين يعدُّ على العموم اعلى طبقة من كلام الجاهليين في منثورهم ومنظومهم نعني الشعراء والخطباء والمترسلين في صدر الاسلام الى اوائل الدولة العباسية [1] فضلاً عن تأثير الاحوال الاجتماعية على الخيال الشعري ولاسيما في الانتقال من البداوة الى الحضارة — ومجاري الطبيعة كالقضاء المبرم لايدفعها دافع . لكن تعظيم الامويين للعرب جعل الجاهليين مثالاً يقتدى بهم في الشعر . فكان الادباء يتحاشون نقد ذلك الاعتقاد في الدولة الاموية . ومع ارتقاء الاسلوب واتساع الخيال ظلوا يحدون طريقة الجاهليين في النظم

فلما انتقل الامر الى بني العباس هان عليهم الانتقاد واخذوا يفكرون في تقبيح تلك الطريقة واول من تجرا على نقدها من الادباء ابن قتيبة في اواسط القرن الثالث للهجرة في كتابه الشعر والشعراء [2] وسنعود الى ذلك في تاريخ نقد الشعر

على ان الشعراء تنبهوا الى هذا الامر من صدر الدولة العباسية فاخذوا في انتقاد طريقة الجاهليين ولم يجدوا من يأخذ بناصرهم لغلبة التقليد على طباعهم . لكنهم حاولوا الخروج من تلك القيود على الاقل من العصر العباسي الاول عصر حرية القول . واصبح حديث الشعراء في مجالسهم انتقاد تلك الطريقة واقدم ما بلغنا من هذا القبيل اجتماع مطيع بن اياس بفتى من اهل الكوفة ففاوضه بشأن ذلك فقال :

لأحسن من بيدٍ يحارُ بها القطا ومن جبلي طيٍّ ووصفكما سلعا

تلاحظ عيني عاشقين كلاهما له مقلة في وجه صاحبه ترعى [3]

وكان ذلك لسان حال اكثر الشعراء وان لم ينظموه . وممن جاهر به منهم ابو نواس ومن اقواله التي يستدل بها على انكاره طريقة القدماء قوله :

(١) ابن خلدون ٥٠٨ ج ١ (٢) الشعر والشعراء ٥
(٣) الاغاني ١٠٣ ج ١٢

لا تبك ليلى ولا تطرب الى هند واشرب على الورد من حمراء كالورد

ومن هذا القبيل قوله :

صفة الطلول بلاغة القدم فاجعل صفاتك لابنة الكرم (١)

ولما سجنه الخليفة على اشتهاره بالخمر واخذ عليه ان لا يذكرها في شعره وكأنه كلفه الرجوع عنها الى النظم على طريقة الجاهليين فقال :

أعر شعرك الاطلالَ والمنزل القفرا فقد طالما ازرى به نعتك الخمرا
دعاني الى نعت الطلول مسلطٌ تضيق ذراعي انْ اردَّ له امرا
فسمعاً امير المؤمنين وطاعةً وان كنت قد جشمتني مركباً وعرا

فجاهر بان وصفه الاطلال والقفر انما هو من خشية الامام والا فهو عندهُ فراغ وجهل . واقتدى به ابو العتاهية ومن جاء بعده . ولكن بين الشعراء من يتحدى الجاهليين حتى الآن

واثر في اسلوب الشعر ومعناه في هذا العصر ما نقل الى العربية اوحفظ فيها من آداب الفرس واخبارهم فاكتسب الشعر العربي خيالاً لطيفاً وزادت فيه معانٍ جديدة نحو ما كان من تأثير آداب اليونان القدماء في اخلاق الرومان . ويشبه ذلك تأثير التمدن الحديث في آدابنا ومجاري افكارنا

٢ — المعاني الجديدة باتساع الخيال

كان الاعتقاد في شعراء الجاهلية انهم لم يتركوا معنى من معاني الشعر لم يطرقوه. وفي الواقع انهم طرقوا اكثر المعاني التي تخطر لابن البادية ولكن الحضارة لها معان خاصة . او هي توسع الخيال وتفتق القرائح لانتشار الناس في الارض . فاذا تأملت ما في اشعار الصدر الاول الاسلاميين من الزيادات على معاني القدماء والمخضرمين . ثم ما في طبقة جرير والفرزدق واصحابهما من التوليدات والابداعات العجيبة التي لا يقع مثلها للقدماء الا نادراً . ثم تأتي بشار بن برد وابا نواس واصحابه فترى ما زادوه من المعاني وما زاده الذين جاؤا بعدهم — علمت ان الشعر سار على سنة الارتقاء مثل سائر احوال الحياة . ومن امثلة المعاني التي حدثت في العصر العباسي الاول قول بشار بن برد الاعمى :

يا قوم اذني لبعض الحي عاشقةٌ والاذن تعشق قبل العين احيانا (٢)
قالوا بمن لا ترى تهذي فقلت لهم الاذن كالعين توفي القلب ما كانا

وقول ابي نواس :

فكاني وما ازيّن منها قعديٌّ يزيّن التحكيما

(١) العمدة ١٥٥ ج ١ (٢) العمدة ١٨٨ ج ٢

كلٌّ عن حمله السلاحَ الى الحر ب فاوصى المطيق ان لا يقيما

والقعدة فرقة من الخوارج ترى الخروج وتأمر به وتقعد عنه . وقوله ايضاً :

بنيت على كسرى سماء مدامة مكللة حافاتها بنجوم
فلوردّ في كسري بن ساسان روحه اذاً لاصطفاني دون كلّ ندیم

وقال ايضاً في صفة النساء الخمارات ويروى لابن المعتز :

وتحت زنانيرٍ شددن عقودها زنانير اعكان معاقدها السررُ

فهذا تشبيه لم يسبق اليه وقال ايضاً :

لست ادري اطال ليليَ ام لا كيف يدري بذاك من يتقلى
لو تفرغت لاستطالة ليلي ولرعي النجوم كنت مخلاّ

ومما زاد من المعاني في هذا العصر قول ابي تمام :

واذا اراد الله نشر فضيلة طويت اتاح لها لسان حسودِ
لولا اشتعال النار فيما جاورت ماكان يعرف طيب عرف العود

وقوله :

بني مالك قد نبهت خامل الثري قبورٌ لكم مستشرفات المعالمِ
غوامض قيد الكف من متناول وفيها علا لا يرتقى بالسلالم

غير ما اخذوه من المعاني القديمة او توسعوا فيه ولا سيما النسيب والغزل

٣ — المعاني الجديدة بالاقتباس

تلك معانٍ شعرية اقتضاها توسع الخيال بالحضارة . وهناك معانٍ حدثت بدخول العلوم القديمة الى اللغة العربية فاستعار الخطباء والكتاب والشعراء تعابير فلسفية فيها الفاظ علمية قد تقدم ذكر امثلة منها كالتناهي والتوليد والتجزء والمعاد . ومنها قول ابي نواس :

وذات خدٍ موردٍ قوهية المتجردْ
تأمل العين منها محاسناً ليس تنفد
فبعضها قد تناهى وبعضها يتولد
والحسن في كل عضو منها معادٌ مردد

وقوله :

يا عاقد القلب مني هلا تذكرت جلاّ
تركت قلبي قليلاً من القليل اقلاّ

يكاد لا يتجـزى اقل في اللفظ من لا [1]

واستعار آخرون معاني من اخبار اليونان كاقتباس ابي العتاهية ما قاله بعض حكماء اليونان في تأبين الاسكندر ونظمه في رثاء ابن له وهو :

كفى حزناً بدفنك ثم اني نفضت تراب قبرك من يديا
وكنت في حياتك لي عظات فانت اليوم اوعظ منك حياً

ومن المعاني التي دخلت الشعر في هذا العصر اقوال بعض الائمة ورجال الافكار اقتبسها الشعراء ونظموها كما نظم بشار الحكمة القائلة « انظر الى ما ينفعك ودع كلام الناس اذ لا سبيل الى النجاة من كلام الناس » فقال بشار :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهـج

وحضارة العباسيين اكثر عمالها من الفرس فدخل اللغة طائفة من المعاني الفارسية فضلاً عن الالفاظ . حتى لقد يقتبس الشعراء جملاً فارسية يدخلونها في اشعارهم كقول العماني من قصيدة مدح بها الرشيد :

من يلقه من بطل مسرندي في دغفة محكمة بالسرد
يجـول بين راسه والكرد

يعني العنق . وقوله :

لما هوى بين غياض الاسد وصار في كف الهزبر الورد
آلى يذوق الدهر آب سرد

واقتبسوا ايضاً الفاظاً سريانية من لغة نبط السواد كقول ابراهيم الموصلي المغني في وصف حمار نبطي ـ وكانه ينقل كلامه بلفظه اذ يقول :

فقال « ازل بشينا » حين ودّعني وقد لعمرك زلنا عنه بالشين [2]

ومن المعاني الجديدة وصف ما استحدث من ثمار تلك المـدنية من اسماء الابنية والابنية والقصور والرياش وسائر اسباب الحضارة ولا سيما الغلمان والخمر كما سيجيء

٤ ـــ المبالغة في المدح

لم يخل الشعر من المدح في عصر من العصور لكنه كان في الجاهلية اقرب الى الواقع وابعد عن المبالغة ثم اخذ يزداد مبالغة بازدياد الحضارة والاركان الى الرخاء واضطرار الشعراء الى التزلف والتملق ولا سيما بعد الاختلاط بالفرس . فبعد ان

(١) البيان والتبيين ٦١ ج ١ (٢) الاغاني ١٢ ج ٥

كان زهير بن ابي سلمى يقول في مدح كريم حازم :

تراه اذا ما جئته متهللاً كانك تعطيه الذي انت سائله

صار منصور النمري يقول في الرشيد :

ان المكارم والمعروف اودية احلك الله منهـا حيث تجتمع
اذا رفعت امرأ فالله رافعه ومن وضعت من الاقوام متضعُ
من لم يكن بامين الله معتصماً فليس بالصلوات الخمس ينتفع
ان اخلف الغيث لم تخلف انامله او ضاق امرٌ ذكرناه فيتسع

وقول رجل من ولد زهير بن ابي سلمى في مدحه « فكانه بعد الرسول رسول »

وقول العكوك في مدح ابي دلف :

انت الذي تنزل الايام منزلها وتنقل الدهر من حال الى حال
وما مددت مدى طرف الى احد الا قضيت بارزاق وآجال

على ان المبالغة زادت بعد هذا العصر من كل وجه بزيادة اسباب الزلفى والانغماس في الرخاء كما ستراه

٥ ـــ وصف الخمر والغلمان

ذكرنا من مميزات الشعر في العصر الاموي ان الشعراء بدأوا بوصف الخمر على اثر انغماسهم في المسكر والقصف . ولكن وصفهـا لم ينضج الا في العصر العباسي الاول الذي نحن في صدده . واشهر من نظم في وصفها من شعرائه ابو نواس فان له في ذلك بضعة آلاف بيت في مئات من القصائد والمقاطيع تجدها في ديوانه . ولذلك عدُّوا ابا نواس امام الوصافين للخمر

اما الغلمان فقد تقدمت الاشارة الى تعشقهم في هذا العصر ولم يبق شاعر من شعرائه المقيمين في بغداد من لم يشتهر بغلام يعشقه ويتغزل به . واقدم من فعل ذلك منهم حماد عجرد ثم حسين بن الضحاك واقتدى به ابو نواس وكان معاصراً له كما اقتدى به في وصف الخمر لكنه فاقه في كليهما . وقد زادهما تمكناً من هذه الرذيلة تقربهما من محمد الامين وهو كثير الاقتناء للغلمان فكانوا فتنة له ولشعرائه . ولحسين المذكور اقوال كثيرة في وصف الغلمان نشرها صاحب الاغاني في ترجمته (١٧٠ ج ٦)

اما ابو نواس ففي ديوانه باب خاص بوصف الغلمان يسمونه « غزل المذكر » فيه نحو الف بيت اكتفينا بالاشارة اليها تنزيهاً للقارىء عن مطالعتها . وقد اغضينا لذلك عن حوادث كثيرة تتعلق بغزل المذكر تدل على ما بلغ اليه القوم من التهتك

ولم يعصمهم علمهم ولا ادبهم ولا مقامهم في الدولة عن ارتكابه . وسيد هذه الرذائل المسكر وعلة انتشاره تساهل بعض الفقهاء بتحليل شرب النبيذ لانه غير الخمر الوارد النهي عنها . لكنهُ قد يسكر او يتحول اذا طال مكثهُ الى خمر مسكرة . كما يحللون بعض الالعاب اليوم لانها غير مبنية على الصدفة فقط فلا تعد من العاب القمار . ولكنهم قد يقامرون بها اوهي تجرُّهم الى المقامرة الفاحشة . واصبح التغزل بالغلمان بعد هذا العصر باباً من ابواب الشعر

٦ ـ الشعر المجوني

ان استبحار عمران الدولة بعث كبراءها على الاستكثار من اسباب اللهو ولا سيما الخمور والجواري والغلمان مع ميلهم الى سماع الادب والشعر فتولدت طبقة من الشعراء اكثروا من المجون في منظومهم وعرفوا بالشعراء المجان وامامهم ابو نواس . وقد تهتكوا في مجونهم وتفننوا فيه وهم يمثلون الآداب الاجتماعية في تلك الطبقة من الناس في ذلك العصر — والشعراء عنوان آداب الامة او مثال يدل عليها

٧ ـ وصف الرياض والازهار

توسعوا في هذا العصر بوصف الرياض والازهار . ومن وصافها فيه ابو نواس كقوله :

يوم تقاصر واستبث نعيمه في ظل ملتف الحدائق اخضرا
واذا الرياح تنسمت في روضة نثرت به مسكاً عليك وعنبرا

ولم يخل الشعر الجاهلي والاموي من وصفها ولا سيما في اقوال الشعراء الذين خالطوا الحضارة ورأوا بساتين الحيرة او غوطة الشام او غيرهما من مدن العراق او الشام كاعشى بكر القائل :

ما روضة من رياض الحسن معشبة خضراء جاد عليها مسبلٌ هطلُ
يضاحك الشمس فيها كوكبٌ شرق مؤزر بعميم النبت مكتهلُ
يوماً باطيب منها نشر رائحة ولا بأحسن منها اذ دنا الاصل

على ان اهل هذا العصر فاقوهم فيه كابي نواس وابي تمام وفاقهما فيه اهل العصور التالية

الشعراء

في العصر العباسي الاول

الفرق بينهم وبين من تقدمهم

قد رايت في الكلام على شعراء الجاهلية انهم كانوا ينظمون لقبائلهم او لانفسهم فخراً اوحماسة وقلَّ فيهم المتكسبون بالشعر . ثم تبين لك ان شعراء بني امية كان القصد الرئيسي من تقديمهم عند الخلفاء الاستنصار بالسنتهم على اعدائهم لتعويل تلك الدولة على العصبيات بين القبائل . ثم قامت الدولة العباسية ونصراؤها خراسانيون فكانت في غنى عن تلك السياسة . فلما استقرت اصولها اصبح تقريب الشعراء اكثره للتلذذ بالادب او سماع المدح والاطراء . ويندر للخليفة اوالامير ان يقدم شاعراً لعصبية او يستنصره على عدوّ . فاصبح الشاعر بتوالي الاعوام كالنديم بمجالس الخليفة او الامير في مجالس الانس او الادب تبعاً لحال ذلك الخليفة او الامير من حب العلم اوالخلاعة اوغيرها

١ — الاستجداء

واصبح الشعراء في هذا العصر يفدون على بغداد كرسي العباسيين من الحجاز ونجد واليمامة ومن البصرة والكوفة والشام وغيرها في اوقات معينة او غير معينة كما كانوا يفدون على دمشق كرسي الامويين واكثرهم من اهل البادية . وكان الامويون يفضلون بقاءهم على البداوة فلا يرغبونهم في الاقامة عندهم . اما العباسيون فكانوا اذا وفد الشاعر على احدهم . واعجبه شعره استبقاه في حاشيته . فاصبح اكثر الشعراء يقيمون في بغداد وظل بعضهم يقيمون في بلادهم وانما يفدون في المواسم او غيرها فينالون الجوائز وينصرفون . فكثر الشعراء المتحضرون وصار لهم مذهب في الشعر يختلف عن مذهب اهل البادية [1] وهم ينقطعون لمنادمة الخليفة او الامير او الوزير او الوجيه يمدحونه او ينادمونه . واكثرهم يختصون بمنادمة الخلفاء او الوزراء ولا سيما البرامكة . وفيهم من انقطع لمنادمة الامراء من بني هاشم كابراهيم بن المهدي ومحمد ابن سليمان . او بعض رجال الدولة كابي دلف وابن طاهر

فلم يكن ينبغ شاعر من قبيلة او بلد الا وفد على الخلفاء او غيرهم بقصيدة مدح

(١) الاغاني ٣٥ ج ٢٠

يلتمس العطاء . ويندرفيهم من ينظم الشعرولا يلتمس به جائزة او كسباً . فاذا تحضر صارنديماً اوكالنديم . فقلّ الشعراء الفرسان واصحاب السيادة وكانوا كثاراً في العصر الجاهلي ولم يبق منهم في العصر الاموي الا القليلون وهم في هذا العصر اقل كثيراً

٢ — التهتك والخلاعة

ومع رغبة الخلفاء والامراء والوزراء في الادب والعلم فانهم جروا مع تيارالحضارة فكانوا يعقدون مجالس الانس والشراب يحضرها الشعراء والمغنون فكثر في شعرائهم اهل الخلاعة والمجون والتهتك ولم يكن من هؤلاء في العصر الاموي الا القليل واقل منهم في العصر الجاهلي . ومن اقبح اسباب التهتك في ذلك العصر تسري الغلمان كما تقدم . ونظراً لكثرة تردد الشعراء على مجالس الانس والطرب اصبحت تلك العادة اكثر شيوعاً فيهم مما بسائرالطبقات . فلم يخل من هذه الفاحشة منهم غير الذين ظلوا على بداوتهم بعيدين عن مفاسد المدنية

اما المتهتكون فبلغ من تهتكهم ان يشترك بضعة رجال منهم في عشق غلام [١] وقد يتوسط الشاعر في المصالحة بين عاشقين لاصلاح ذات البين ويفعلون اقبح من ذلك مما يخجل القلم من ذكره [٢] غير مجالسهم في اماكن اللهو على موائد الشرب التي يخالطها تهتك وخلاعة كما كانوا يفعلون في منزل اسماعيل القراطيسي الكوفي وكان يجتمع عنده ابونواس وابو العتاهية ومسلم بن الوليد وحسين الخليع يتذاكرون الشعر وينظمون

واذا اعملت الفكرة في ما لحق بعض الخلفاء والامراء من الفساد رايت اصله في الاكثر راجعاً الى من يتولى تربيتهم او من يعاشرهم من الخاصة او الشعراء . فجعفر ابن المنصور افسده مطيع بن اياس [٣] ومحمد الامين ساعد على افساده حسين بن الضحاك وابو نواس

٣ — الشعراء الموالي

وكان الشعر العربي في الجاهلية منحصراً في العرب لم يكن فيهم من غير العرب الا عبد بني الحسحاس . ثم تكاثر الشعراء الموالي في العصر الاموي لكنهم لم يزيدوا على عشرين في المئة . اما في العصر العباسي فزادوا على ستين في المئة . وبعد ان كان اكثر وفودهم من البادية صاروا يفدون ايضاً من البصرة والكوفة وغيرهما من المدائن . واكثر فحول الشعراء في هذا العصر من الموالي كابي نواس وابي العتاهية وبشار بن

(١) الاغاني ١٠٥ ج ١٢ (٢) الاغاني ١٩٨ ج ٦ (٣) الاغاني ٨٥ ج ١٢

برد وسلم الخاسر ومروان بن ابي حفصة . فامتاز اولئك الموالي الاعاجم على اسيادهم العرب كما امتازهوراس وفرجيل من كبراء شعراء الرومان — واولهما ابن مولى والاخر ابن حطاب [١] . ولم يكن للشاعرالعربي بدٌّ من رحلة الى بلاد العرب لاقتباس اساليبهم

٤ — الشكوك في الدين والزندقة

قد ذكرنا ما كان من الحركة الفكرية في هذا العصر على اثر الانقلاب السياسي وتجمع الحقائق العلمية والفلسفية والطبية واللاهوتية والرياضية والفلكية والادبية وتزاحمها في اذهان الناس — والفلسفة لم تدخل ديار قوم اهل دين الا شوشت اعتقادهم وتركتهم حيارى مذبذبين ريثما يرسخون في العلم فيستقر رايهم على شيء يدينون به . كما حدث في مثل هذه الحال لهذا العهد

على ان الشكوك في الدين شاعت في الادباء والشعراء قبل نقل الفلسفة الى العربية فلعلها تطرقت الى اذهانهم من معاشرة الامم المختلفة في بغداد والكوفة والبصرة ممن دخل منهم في الاسلام . ومن تقريب الموالي اهل تلك البلاد وفيهم من اطلع على الفلسفة فبثوها في سائرهم — فاتيح لطائفة المعتزلة ان تنشر تعاليمها وانتقاداتها وانتحل بعضهم ديناً آخر وقامت المجادلات والمباحثات والمناظرات

وظهرت طائفة من الاحرار جاهروا بانتقاد الدين او الذهاب الى انكاره وكلهم متهمون بدينهم . وفيهم جماعة كبيرة من الادباء والشعراء اشهرهم : حماد عجرد وحفص ابن ابي وردة وابن المقفع ويونس ابن ابي فروة وعلي بن الخليل وحماد الراوية وابن الزبرقان وبشار بن برد وصالح بن عبد القدوس وابان اللاحقي وعمارة بن حمزة ويزيد بن الفيض وجميل بن محفوظ . وكانوا يجتمعون على الشراب يتنادمون ويقولون الشعر ولا يكادون يفترقون ويهجو بعضهم بعضاً هزلاً وجدًّا [٢] وكثيراً ما كانوا يشتركون في اموالهم واحوالهم كما يفعل الاشتراكية اليوم . فكان مطيع بن اياس ويحيى بن زياد الحارثي وابن المقفع ووالبة بن الحباب يتنادمون ولا يفترقون ولا يستأثراحدهم على صاحبه بمال ولا ملك . وكانوا جميعاً يرمون بالزندقة

وكان اولئك المتفلسفون ينظرون الى الدنيا من وجهها الاسود فلا يرون فيها حسناً ولا يعترفون لاحد بفضيلة نحو من يعبر عنهم الافرنج بالبسيمست (Pessimistes) ذكروا ان مطيع بن اياس مر بيحيى بن زياد وحماد الراوية وهما يتحادثان فقال لهما « فيما انتما ؟ » قالا « في قذف المحصنات » قال « او في الارض محصنة تقذفانها ؟ » [٣] ويدل هذا من جهة اخرى على رايهم في المرأة

(١) Litt. anc. 184 (٢) الاغاني ١٤٩ ج ١٦ و ٨١ و ١٠٠ ج ١٢ وولكسن ٣٧٤

٥ — اطلاق حرية الاقلام والالسنة

والفضل في اطلاق الاقلام والالسنة في اواخر ذلك العصر للمأمون الخليفة العالم الفيلسوف فكانت حرية القول في ايامه اشبه بحرية الصحافة في البلاد المتمدنة اليوم . ومن اشهر الادلة على ذلك خبره مع دعبل الشاعر وكان متشيعاً للعلويين كثير الهجو لبني العباس وله فيهم قصائد هجوها شديدٌ واعداؤه يحرضون المأمون على قتله . ومن جملتهم ابو سعد المخزومي فقد كان يستعلي دعبل في اول امره وكان يدخل على المأمون فينشده هجاء دعبل له وللخلفاء ويحرضه عليه فلم يجد عند المأمون ما اراده فيه . وكان المأمون يقول « الحق في يدك والباطل في يد غيرك والقول لك ممكن فقل ما يكذبه فاما القتل فاني لست استعمله الا فيمن عظم ذنبه »

ودخل ابو سعد مرة على المأمون وانشده قول دعبل :

ويسومني المأمون خطة عاجزٍ او ما رأى بالامس راس محمد

واردفها بقصيدة رد بها على دعبل ثم قال « اتأذن لي يا اميرالمؤمنين ان اجيئك براسه ؟ » قال « لا . هذا رجل نخر علينا فانخر انت عليه فاما قتله بلا حجة فلا » وهل يقول اعدل من ذلك وزيرٌ من ارقى وزراء الامم الدستورية المتمدنة اليوم في صحافي طعن على امير او ملك ؟ فلا غرو اذا اطلقت حرية الدين في عهده

ومن هذا القبيل اطلاق حرية القول في انتقاد العنصر العربي وكان العرب في العصر الاموي مقدمين على سائر العناصر كلهم من طينة غير طينة البشر . ولم يكن هؤلاء يستنكفون من تفضيلهم بل كانوا يعتقدون فضلهم في اقامة الدين وانهم مادته واصله ولا كانوا يأنفون من ان يسموا العرب اسيادهم ويعترفوا بفضلهم عليهم في العقل والحزم . على ان اكثرهم كانوا يفعلون ذلك خوفاً من الامويين وارضاء للعنصر العربي . فلما اطلقت الالسنة والاقلام في ايام المأمون تظاهر اعداء العرب بالطعن وظهرت طائفة الشعوبية القائلة بالمساواة بين بني الانسان ولذلك سموهم « اهل التسوية » وقامت المناظرة بينهم وبين المتعصبين للعرب . وظهرت الكتب في الطعن على العرب وفي الدفاع عنهم . وممن طعن على العرب سهل بن هرون قيم بيت الحكمة وابو عبيدة الراوية وعلان الشعوبي . ولم يكن يجد المأمون بأساً في هؤلاء الطاعنين وقد جعلهم من بطانته . وممن دافع عن العرب ابن قتيبة فألف كتاباً في « تفضيل العرب » (١)

(١) اقرأ تفصيل ذلك في تاريخ التمدن الاسلامي ٥٨ و١٣٥ ج٣

ومما لا يحسن الاغضاء عنه في هذا المقام ان شعراء العصر العباسي مثل شعراء العصر الاموي وشعراء معظم عصور التمدن الاسلامي الاولى اكثرهم من عرب الشام والعراق وعرب الشام أشعر من عرب العراق وما يجاورها في الجاهلية والاسلام . وقد علل ذلك ابو منصور الثعالبي بقربهم من خطوط العرب ولا سيما اهل الحجاز وبعدهم عن بلاد العجم وسلامة السنتهم من الفساد العارض لالسنة اهل العراق بمجاورة الفرس والنبط ومداخلتهم اياهم

واتفق انهم كانوا يمنون برؤساء من اهل الادب ومحبيه كعبد الملك في زمن بني امية والرشيد والمأمون في هذا العصر وغيرهم في غيره كما سيجيء

٦ — منزلة الشعراء عند الخلفاء والامراء

ان الخلفاء والامراء كانوا يقربون الشعراء في كل عصر . اما الامويون فكانوا يقربونهم في اول الامر لاغراض سياسية ثم فعلوا ذلك تلذذاً بالشعر وآدابه وربما استقدموا الراوية من العراق الى الشام ليسألوه عن معنى بيت او من قاله كما فعل هشام بن عبد الملك باستقدام حماد الراوية (١)

اما في العصر العباسي فكان الغرض الغالب من تقريب الشعراء رغبة الخلفاء والامراء في الأدب . وكثيراً ما كانت تعقد مجالس الشعراء لغرض ادبي كوصف منظر او اداة كما فعل الهادي اذ استقدم الشعراء اليه واقترح عليهم ان يصفوا سيفاً اهداه اليه المهدي وهو سيف عمرو بن معدي كرب . فوضع السيف بين يديه وقال للشعراء صفوه فنال الجائزة ابن يامين المصري (٢)

وكان الرشيد من اكثر الخلفاء بحثاً في الشعر وقائليه فقد سأل اهل مجلسه مرة عن صدر هذا البيت « ومن يسأل الصعلوك اين مذاهبه » فلم يعرفه احد وكان الاصمعي مريضاً لا يقدر على المجيء فارسل اليه اسحق الموصلي وبعث معه الف دينار لنفقته فجاء الجواب ان البيت من قصيدة لابي النشناش النهشلي وهذا صدره :

وسائلة اين الرحيل وسائل ومن يسأل الصعلوك اين مذاهبه (٣)

وكثيراً ما كان الرشيد يعقد المجالس للبحث في معنى بيت . وقد سأل اهل مجلسه يوماً عن معنى هذا البيت :

قتلوا ابن عفان الخليفة محرماً ورعا فلم ار مثله مخذولا

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ١١٢ ج ٣
(٢) المسعودي ١٨٧ ج ٢ (٣) المزهر ٨٣ ج ١

وكان في المجلس الكسائي والاصمعي فطال الجدال بينهما والخليفة يسمع[١] واعطى الرشيد الفضل خاتماً قيمته ١٦٠٠ دينار مكافأة على احسن بيت قالته العرب في الذئب[٢] والمأمون ولى ابن الجهم البرمكي ولاية من اجل بيت طلبه منه واشترط عليه ذلك[٣]

٧ — نفوذ الشعراء وثروتهم

وكان الخلفاء اذا قدموا الشعراء بذلوا لهم الاموال الطائلة حتى وقع الشك في صحة بعض ما ذكروه من الجوائز الكبرى . وقد بينا في تاريخ التمدن الاسلامي انها صحيحة وان النقود لم يكن لها قيمة لكثرتها . وفي كل حال فان ما خلفه بعض الشعراء من الثروة ولا تكسب لهم من غير الشعر يدلُّ على كثرة ما كان يصل الى ايديهم من المال

ذكروا ان سلم الخاسر المتوفى سنة ١٨٦ هـ خلف ثروة مقدارها ٥٠ ٠٠٠ دينار و١ ٥٠٠ ٠٠٠ درهم غير الضياع[٤] ومثله مروان بن ابي حفصة خلف ثروة طائلة وكانت جوائزه تبلغ ١٠٠ ٠٠٠ دينار مراراً[٥] وكان ابو نواس يكتسب اكثر من ذلك لكنه كان متلافاً سمحاً . وكان يتساجل في الانفاق هو وعباس بن الاحنف وصريع الغواني (مسلم بن الوليد) . وكان البحتري وهو من العصر العباسي الثاني قد فاض كسبه وكان يركب في موكب من عبيده . واما ابو تمام فانفق ماله في تجواله الارض

وقد تبسط شعراء ذلك العصر في العيش وتوسعوا في مظاهر الابهة فكان لابي تمام والبحتري قهرمة وكتاب[٦] وبلغ من دالة ابي نواس على الرشيد انه كان يمرّ به بنو هاشم والقواد والكتاب يسلمون عليه وهو متكىء ممدود الرجل فلا يتحرك لاحد منهم[٧]

وكثيراً ما كان رجال الدولة يعولون على الشعراء في تبليغ بعض ما يخافون غضب الخليفة منه كما فعلوا بتبليغ الرشيد خبر نقفور ملك الروم اذ غدر وهمَّ ان يغزو بلاد الاسلام ولم يجترىء يحيى بن خالد على ابلاغ الرشيد ذلك فاطمع بعض الشعراء بالمال حتى نظم الخبر في شعر قاله في حضرته[٨]

وكم من شعر وضع السيف في الرقاب كما فعل شعر سديف بالسفاح فحمله على قتل بني أمية . وكم من شعر رفع السيف عن الرقاب كما فعل مالك بن طوق وقد حكم عليه بالاعدام فقال للرشيد شعراً فعفا عنه[٩] . وقد رفع الرشيد السيف عن ربيعة

(١) المزهر ٢٧٨ ج ١ (٢) النجوم الزاهرة ٤٦،٢ ج ١ (٣) الاغاني ١٦ ج ١٣
(٤) الاغاني ٨١ ج ٢١ (٥) العمدة ١٥٠ ج ٢ (٦) العمدة ٧ ج ١ (٧) الاغاني ١٦١ ج ٣
(٨) الاغاني ٤٥ ج ١٧ (٩) فوات الوفيات ١٤٣ ج ٢

واحسن اليهم بعد سماعه ابياتاً قالها منصور النمري استعطفه بها فامر بكف السيف عن ربيعة لاجله

٨ — تأثير الشعر في الهيأة الاجتماعية

قد تقدم في صدر هذا الكتاب ان فطرة العرب شعرية ونفوسهم حساسة ولغتهم شعرية ولذلك كانوا اكثر الناس شعراً وشعراء فمن لم ينظم الشعر حفظه وتناقله او تناشده او تذاكر فيه . وكانوا يعقدون المجالس للمناشدة من زمن الجاهلية في عكاظ وامثالها . ثم عقدوها في زمن الامويين بالمربد في البصرة . واما في العصر العباسي فلولا اشتغال الناس بالعلوم القديمة ونقلها وتفهمها لاصبح كل منزل من منازل اهل الادب نادياً للمذاكرة والمناشدة . ومع ذلك فان الشعر كان عندهم فكاهة المجالس ومضرب الامثال وديوان العبر ومختزن الحكمة حتى كانوا لكثرة محفوظهم منه يرمزون باسم الشاعر الى بيت من ابياته مشهور بمعنى ويريدون ذلك المعنى كما اتفق للرجل الجالس على جسر بغداد او المراة التي مرت به قادمة من الرصافة فاستقبلها بقوله « رحم الله علي بن الجهم » فقالت له المرأة « رحم الله ابا العلاء المعري » وما وقفا بل سارا مشرقاً ومغرباً — قال الراوي «فتبعت المرأة وقلت لها والله ان لم تقولي لي ما اراد وما اردت لافضحتك . قالت أراد بعلي بن الجهم قوله :

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث ادري ولا ادري

وارادت بابي العلاء قوله :

فيا دارها بالخيف ان مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال[١]

والحادثة المذكورة جرت بعد العصر الاول الذي نحن في صدده لكنها يصح ان تكون مثالاً عنه . لان اهل هذا العصر بلغ من شغفهم بالشعر انهم نقشوه على جدران منازلهم واندیتهم وعلى فصوص خواتمهم وكتبوه في صدور مجالسهم وعلى القباب والمستظرات والابواب . وطرزوه على الستائر والطنافس والكلل والاسرة والوسائد والمرافق والمقاعد وعلى القناني والاقداح والكاسات والارطال والجامات وسائر آنية الفضة والذهب والصيني . ونقشوه على العيدان والمضارب والسرنايات والطبول والمعازف والدفوف وزينوا به الثياب فطرزوه على ذيول الاقمصة والاعلام وطراز الاردية والاكمام . وعلى العصائب ومشاد الطرر والزنانير والتكك والمناديل والمذاب والمراوح

(١) حلبة الكميت ٩٥

حتى النعال والخفاف . وزينوا به مظاهر ابدانهم فكتبوه بالحناء على الجبين والخد والاقدام والراح . ونقشوا به التفاح والاترج وغيرهما . فكنت حيثما توجهت رايت الشعر منقوشاً او مطرزاً او مكتوباً او منسوجاً . وتجد امثلة من ذلك في كتاب الموشى الآتي ذكره

طبقات الشعراء

في العصر العباسي الاول

ان عدد الشعراء في هذا العصر اضعاف شعراء العصر الاموي لان مدة العصر العباسي اطول وقد اتسعت مساحة البلاد التي يقيم فيها العرب وكثر الشعراء من غير العرب وكانوا في زمن الامويين يفدون من جزيرة العرب وبعض ضواحيها فصاروا يأتون في زمن العباسيين من اكثر المدائن الاسلامية . وبعد ان كان الشعر منحصراً تقريباً في العرب شاركهم فيه الموالي وغيرهم رغم اشتغال القرائح بترجمة الكتب وانصراف طبقة من الناس اليها . ولو شئنا تعداد شعراء هذا العصر لضاق المقام بهم لانهم كثيرون يزيدون على بضع مئات اورد ابن النديم اسماءهم في الفهرست وذكر عدد ما خلفه كل منهم من الابيات [1] واكثر ذلك ضاع الآن ومن العبث ان نأتي باخبار كل هؤلاء الشعراء وفيهم من لا اهمية له وليس بين ايدينا شيء من نظمه

ويقال بالاجمال ان اكثر هؤلاء الشعراء من طلاب الرزق انقطع اكثرهم الى الخلفاء وتحضروا في بغداد او البصرة وبعضهم انقطعوا الى البرامكة وآخرون انحازوا للشيعة العلوية. ومنهم من اختص ببعض الامراء والوزراء. وهناك جماعة منهم لم يتحضروا بل كانوا يقيمون في البادية وانما يفدون على بغداد في المواسم ينشدون ما ينظمونه في مدح الخليفة او غيره ويعودون الى مضاربهم . ومنهم طائفة لم يفدوا على احد فكانوا ينظمون الشعر لانفسهم وهم قليلون او ان اكثرهم ظل في ثنايا الاهمال لبعدهم عن الدولة

الشعراء المتحضرون

وهذه اسماء اشهر شعراء ذلك العصر الذين نزلوا المدن وتحضروا واكثرهم من الموالي غير العرب اقام معظمهم في بغداد تحت ظل الخلفاء او وزرائهم باعتبار اغراضهم

(١) الفهرست ١٥٧ ومابعدها

او غرض من يتمون اليه او يعيشون في ظله . وفيهم من توفي بعد سنة ٢٣٢ هـ ولكننا عددناه من شعراء هذا العصر لانهُ نبغ فيه :

شعراء الخلفاء	شعراء البرامكة	شعراء سائر الامراء
ابو دلامة	ابان بن عبدالحميد	ابراهيم بن سيابة مدح ابراهيم الموصلي
حماد عجرد	ابن مناذر	~~« بن العباس « طاهر بن الحسين~~
بشار بن برد	الرقاشي	محمد بن امية واخوه « ابرهيم بن المهدي
مروان بن ابي حفصة	مسلم بن الوليد	العكوك « ابا دلف
سلم الخاسر	اشجع السلمي	محمد بن صالح « ابن المدبر
ابو نواس		مطيع بن اياس « جعفر بن المنصور
منصور النمري	شعراء الشيعة	ابو الشيص « عقبة بن جعفر
ابو العتاهية	السيد الحميري	
ابو تمام	دعبل	
علي بن الجهم	ديك الجن	
حسين بن الضحاك		

شعراء لم يكتسبوا بالشعر

وهناك طائفة لم يتكسب اصحابها بالشعر اشهرهم :

صالح بن عبد القدوس

العباس بن الاحنف من عدي

محمد بن بشير مولى بني اياس (ويدخل في هؤلاء ايضاً السيد الحميري وديك الجن وقد ذكرا بين شعراء الخلفاء وشعراء الشيعة)

شعراء لم يتحضروا

اما الشعراء الذين ظلوا على بداوتهم فكانوا يفدون على الخليفة او الامير فينالون الجوائز ثم يعودون الى بلدهم فكلهم من العرب وهاك اشهرهم :

ربيعة الرقي من الرقة

كلثوم بن عمرو العتابي

عمارة بن عقيل من هوازن

ناهض بن ثومة الكلابي من عامر

ونبغت طائفة من الشعراء في ذلك العصر عرفت بطبقة المترفين وابناء النعم منهم عبد الله بن عباس الربيعي من نسل الفضل بن الربيع. وقد يشترك بعض شعراء احدى هذه الطبقات بخصائص طبقة أخرى وانما اردنا بهذا التقسيم سهولة التعليق بالذهن

هؤلاء هم اشهر الشعراء في العصر العباسي الاول وبهم قام ذلك الانقلاب الشعري فامتاز به شعر هذا العصر على سواه كما تقدم . واكثرهم تأثيراً في ذلك الانقلاب اكثرهم تقرباً من الخلفاء لتقدمهم في الشاعرية ولرفعة مقامهم قلدهم الناس في اساليبهم او استنباطاتهم . وفي مقدمتهم سبعة هم عمدة هذا الانقلاب هذه اسماؤهم مع سني وفاتهم:

بشار بن برد	توفي سنة ١٦٧ هـ	ابو العتاهية	توفي سنة ٢١١
السيد الحميري	« « ١٧٣	ابو تمام	« « ٢٣١
ابو نواس	« « ١٩٨	دعبل	« « ٢٤٦
مسلم بن الوليد	« « ٢٠٨		

واليك تراجمهم على هذا الترتيب بما يقتضيه المقام من الايجاز . والا فان كلاً منهم يحتاج في بسط ترجمته ودرس شعره ونقده الى مجلد قائم بنفسه . فنترك ذلك الى من فرغ للدرس والنقد من الادباء

عمدة الشعراء

في العصر العباسي الاول

١ — بَشَّارُ بن بُرْد

توفي سنة ١٦٧ هـ

هو فارسيٌّ اصل آبائه من طخارستان أخذ ابوه برد في سبي وقع في يدي المهلب بن ابي صفرة فكان من فيء القشيرية امراة المهلب . فاقامته في ضيعة لها بالبصرة مع عبيدها ثم زوجته واهدته الى امرأة عقيلية كانت صديقة لها فولد له بشار . واعتقته العقيلية فصار مولى . ونشأ في البصرة ثم قدم بغداد بعد ان بناها المنصور

ولد بشار اعمى جاحظ الحدقتين يغشاهما لحم احمر . وكان ضخماً طويلاً عظيم الخلق والوجه مجدراً . وكان اطبع شعراء ذلك العصر على الشعر وقد قوّى العمى شاعريته لانصراف المخيلة الى التصوير — ولذلك رايت اكثر العميان من الشعراء يفوقون

معاصريهم في سعة الخيال مثل هوميروس اليوناني وملتن الانكليزي وبشار وابي العلاء وغيرهما عند العرب

جاء بشار في اوائل العصر العباسي الاول فكان في مقدمة الذين نبغوا فيه فهو مقدم عليهم باجماع الرواة (١) ورئيسهم بلا خلاف . قال الجاحظ « المطبوعون على الشعر بشار والسيد الحميري وابو العتاهية وابن ابي عيينه ولكن بشاراً اطبعهم » (٢) وقد عاصر اواخر الدولة الاموية واوائل العباسية . وقال الشعر وهو ابن عشر سنين وادرك جريراً والفرزدق . وهجا جريراً فاعرض جرير عنه استخفافاً — قال بشار « ولو هاجني لكنت اشعر الناس » فظل نحو ثمانين سنة وهو ينظم الشعر فمدح وهجا ونال الجوائز . وبلغ ما نظمه نحو ١٢٠٠٠ قصيدة ولذلك جاهر بين يدي اهل الادب ان له ١٢٠٠٠ بيت جيد . فقالوا له « هذا القدر لايجتمع لكل الشعراء » فقال « لي ١٢٠٠٠ قصيدة الا يكون لي بيت جيد من كل قصيدة ؟ » ولم يبق من هذه القصائد الى ايام ابن النديم صاحب الفهرست الا ٤٠٠٠٠ بيت وليس منها الان الا نتفٌ متفرقة في كتب الادب وليس لبشار ديوان شعر مجموع . ويقال ان اكثر الناس شعراً في الجاهلية والاسلام ثلاثة بشار وابو العتاهية والسيد الحميري (٣)

ويمتاز بشار بانه تصرف وتفنن في معاني الشعر شيئاً كثيراً . وراج شعره في ايامه بالبصرة حتى لم يبق غزل ولا غزلة الا ويروي من شعر بشار ولا نائحة ولا مغنية الا تتكسب به ولا ذو شرف الا وهو يهابه ويخاف معرة لسانه . وبشار مثل امرىء القيس فهو عندهم امام الشعراء المحدثين وقد قالوا ذلك ايضاً في ابي نواس ولكن بشاراً اسبق. وكان عند قيام الدولة العباسية منحازاً للعلويين وكان ابراهيم بن عبد الله بن الحسن ناهضاً على المنصور . فنظم بشار قصيدة حرض بها ابراهيم على الفتك بالمنصور مطلعها :

ابا جعفر ما طول عيش بدائم ولا سالم عما قليل بسالم

ثم علم بفوز المنصور وقتله ابراهيم المذكور فقلب الكنية واظهر انه قال القصيدة في ابي مسلم الخراساني فقال :

ابا مسلم ما طول عيش بدائم ولا سالم عما قليل بسالم .

وفي هذه القصيدة ابيات حكمية في غاية البلاغة منها :

اذا بلغ الرأي المشورة فاستعن براي نصيح او نصيحة حازم

(١) الاغاني ٢٠ ج ٣ (٢) البيان والتبيين ٢٤ ج ١
(٣) الاغاني ٣ ج ٧

ولا تجعل الشورى عليك غضاضةً فان الخوافي قوةٌ للقوادم
وما خير كفٍّ امسك الغلُّ اختها وما خير سيف لم يؤيد بقائم
وخلِّ الهوينا للضعيف ولا تكن نؤوماً فان الحزم ليس بنائم
وحارب اذا لم تعطَ الا ظلامةً شبا الحرب خيرٌ من قبول المظالم

ثم انتقل الى بغداد ومدح العباسيين وعاصر المهدي . ومدح خالد بن برمك جد البرامكة وكان كلما وفد عليه اعطاه خمسة آلاف درهم ثم زادها له . ومن قوله يتمنى امر خالد ان يكتبا في صدر مجلسه وهما :

اخالد ان الحمد يبقى لاهله جمالاً ولا تبقى الكنوز على الكدِّ
فاطعم وكلْ من عارةٍ مستردة ولا تبقها ان العواريَ للردِّ

واخبار بشار كثيرة بسطها صاحب الاغاني في ٦٠ صفحة من الجزء الثالث من كتابه . ولم يدع بشار باباً من ابواب الشعر الا طرقه واجاد فيه ومن قوله في الغزل :

لم يطل ليلي ولكن لم انمْ ونفى عني الكرى طيفٌ المّْ
واذا قلتُ لها جودي لنا خرجتْ بالصمت عن لا ونعمْ
نفسي ياعبد عني واعلمي انني ياعبد من لحم ودم
ان في برديَّ جسماً ناحلاً لو توكأتِ عليه لا نهدم
ختم الحبُّ لها في عنقي موضع الخاتم من اهل الذمم

ومن قوله :

اذا كنت في كل الامور معاتباً صديقك لم تلقَ الذي لا تعاتبهْ
فعش واحداً او صل اخاك فانه مقارف ذنب مرةً ومجانبه
اذا انت لم تشرب مراراً على القذى ظمئت وايُّ الناس تصفو مشاربه

ومن الغزل قولهُ :

يزهدني في حب عبدة معشرٌ قلوبهمُ فيها مخالفة قلبي
فقلت دعوا قلبي وما اختار وارتضى فبالقلب لا بالعين يبصر ذو الحبِّ
فتبصر العينان في موضع الهوى ولا تسمع الاذنان الا من القلب

وكان بشار من اصحاب الفلسفة المتحيرين في الدين ويعتقدون ان الانسان مسوق لا مخير يدلُّ على ذلك قوله :

طبعتُ على ما فيَّ غير مخيرٍ هواي ولو خيرت كنت المهذبا
أريد فلا اعطى واعطى فلم ارد وقصر علمي ان انال المغيبا

فاصرف عن قصدي وعلمي مقصرٌ وامسي وما اعقبت الا التعجبا

وقد تقدم خبر انحرافه عن بني العباس ولم يغنه تغيير مطلع تلك القصيدة شيئاً فان المنصور سكت عنه وما زال يعتقد انحرافه عنهم قلبيًّا . ولذلك ظل في خاطره شيءٌ عليه . وكان المهدي بعده يظهر له فتوراً فغضب بشار ومدح وزيره يعقوب بن داود فلم ينفعه . فهجاه ببيتين كانا سبب موته وهما :

بني امية هبوا طال نومكم ان الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم ياقوم فالتمسوا خليفة الله بين الزق والعود

فبعث المهدي اليه صاحب الزنادقة فضربه حتى مات . ولم يخرج في دفنه احد لانه مات وخصمه الخليفة — وربما كان هذا هو السبب ايضاً في خمول اسمه مع تبرزه في الشعر

وتجد ترجمته في الاغاني ١٩ ج ٣ و ٤٧ ج ٦ وابن خلكان ٨٨ ج ١ والشعر والشعراء ٤٧٦ والفهرست ١٥٩

٢ — السيِّد الحِمْيَري

توفي سنة ١٧٣ هـ

اسمه يدلُّ على انه من حمير نزل البصرة وكان شاعراً متقدماً مطبوعاً . وقد تقدم انه هو وبشار وابا العتاهية اكثر الناس شعراً في الجاهلية والاسلام . وبلغ منظومه ٢٣٠٠ قصيدة ولم يصلنا منها ما يستحق الذكر . وقد خمل ذكره لانهُ كان يسبُّ الصحابة بتشيعه لعلي فتحومي شعره وتخوف الناس منه . اما من حيث الشاعرية فله طراز ومذهب قلما يلحق فيه . وكان اسمر اللون تام القامة اشنب ذا وفرة حسن الالفاظ جميل الخطاب . اذا تحدث في مجلس قوم اعطى كل رجل من المجلس نصيبه من حديثه ويعده بعضهم من طبقة بشار وانهما اشعر المحدثين . ويمتاز عن سائرهم انه كان يكره الاستجداء بالشعر وقد نظم في ذلك ابياتاً وهي :

ايها المادح العباد ليعطى ان لله ما بأيدي العباد
فاسأل الله ما طلبت اليهم وارجُ نفعَ المنزّل العواد
لا تقل في الجواد ما ليس فيه وتسمي البخيل باسم الجواد

فلما سمع بشار قوله قال « لولا ان هذا الرجل شغل عنا بمدح بني هاشم لشغلنا ولو شاركنا في مذهبنا لتعبنا »[1] ومن شعره في مدح بني هاشم لما استقرّ الامر لابي العباس السفاح قوله :

دونكموها يا بني هاشم ... فجددوا من عهدها الدارسا
دونكموها فالبسوا تاجها ... لا تعدموا منكمْ له لابسا
لو خير المنبر فرسانه ... ما اختار الا منكمُ فارسا
قد ساسها قبلكم ساسة ... لم يتركوا رطباً ولا يابسا
ولست من ان تملكوها الى ... مهبط عيسى فيكم آيسا

ومن قوله في ذم الصحابة :

قل لابن عباس سميّ محمد ... لاتعطينّ بني عديّ درهما
احرم بني تيم بن مرة انهم ... شرُّ البرية آخراً ومقدما
ان تعطهم لايشكروا لك نعمة ... ويكافئوك بان تذم وتشتما
وان ائتمنتهم او استعملتهم ... خانوك واتخذوا خراجك مغنما
ولئن منعتهم لقد بدؤكم ... بالمنع اذ ملكوا وكانوا اظلما
منعوا تراث محمد اعمامه ... وبنيه وابنته عديلة مريما

وله في مدح العلويين ما يدل على حرية في القول . ومن ادلة ترفعه عن الجوائز ان الرشيد اعطاه جائزة ففرقها . وتجد ترجمته واخباره في الاغاني ٢ ج ٧ وفوات الوفيات ١٩ ج ١

٣ــ أبو نُواس

توفي سنة ١٩٨ هـ

هو الحسن بن هانئ ولد في الاهواز سنة ١٤٥ هـ في خلافة ابي جعفر المنصور وكانت امه اهوازية اسمها جلبان وكان ابوه دمشقيًا من جند مروان بن محمد آخر ملوك بني امية انفذه مروان الى الاهواز فلقي جلبان فاحبها وتزوجها فولدت له اولاداً منهم ابو نواس وابو معاذ . وقبل ان يتجاوز ابو نواس السنة الثانية من عمره انتقل والداه الى البصرة فنشأ فيها . ولم يكن والداه في سعة او لعل والده مات وترك اولاده في كفالة امهم فاسلمت ابا نواس الى عطار يتخرّج عنده في مهنة العطارة ولكن نفسه

(١) الاغاني ٦ ج ٧

كانت تميل الى غير هذه الصناعة . وكان اذا قرأ شعراً ارتاحت نفسه الى معانيه وقامت فيه رغبة في النظم . فاذا اجتمع باديب او راوية او شاعر او حضر مجلس ادب وسمع شعراً احب ناظمه وتمنى ان يراه . وكان في جملة من سمع اشعارهم واحب الاجتماع بهم والبة بن الحباب وكان ظريفاً غزلاً وصّافاً للشراب . واتفق ان والبة قدم الاهواز ليمدح ابا بجير الاسدي عامل المنصور عليها فمرّ بذلك العطار فلقي ابا نواس وكان جميل الصورة ذكيا فتوسم فيه النباهة فجالسه وخاطبه فآنس فيه قريحة وقادة فقال له « ان فيك مخايل ارى ان لا تضيعها وستقول الشعر فهل تصحبني اخرّجك » ولم يكن ابو نواس يعرف مخاطبه فقال ومن انت قال « انا ابو اسامة والبة من الحباب » فقال « نعم . انا والله في طلبك ولقد اردت الخروج الى الكوفة بسببك لآخذ عنك واسمع منك » فسار ابو نواس معه الى الكوفة ثم قدما بغداد

وكان والبة وبعض شعراء تلك الايام وندمائه يجتمعون كل ليلة على الشراب وقول الشعر لا يكادون يفترقون فيهجو بعضهم بعضاً هزلا وجدًّا ويصفون الخمر وغيرها . وكان ابو نواس يحضرهم فيسمع ويعي ويزداد كل يوم علماً ودربة وكان يختلف الى ابي زيد الانصاري فتعلم منه غريب الالفاظ وتردد على ابي عبيدة معمر بن المثنى فتعلم منه ايام الناس ونظر في نحو سيبويه حتى اصبح في الطبقة الاولى من المولدين وشعره عشرة انواع اجاد فيها كلها . واحسن علم اللغة وفروعها حتى قال فيه الجاحظ « ما رأيت رجلاً اعلم باللغة من ابي نواس ولا افصح لهجة مع مجانبة الاستكراه » وقال معمر بن المثنى « كان ابو نواس للمحدثين كامرىء القيس للمتقدمين » وقد تقدم ان ذلك اولى ان يقال ببشار لانه اسبق

ويروى عن ابي نواس انه قال « ما قلت الشعر حتى رويت لستين امرأة من العرب منهن الخنساء وليلى فما ظنك بالرجال » وقال ابن السكيت « اذا رويت من اشعار الجاهليين فلأمرىء القيس والاعشى ومن الاسلاميين فلجرير والفرزدق ومن المحدثين فلأبي نواس فحسبك » وهو يعدُّ ايضاً من الشعراء المجان

وقد قدمنا في كلامنا عن مزايا الشعر في العصر العباسي الاول ما كان لابي نواس من الفضل في تغيير طريقته والتوسع في معانيه فهم يعدُّونه امام هذه الطريقة . ولذلك فهو يمتاز بتصرفه في الشعر عن طريقة القدماء ــ كان عندهم للشعر الفاظ محدودة واساليب معينة فتجاوزها كما تجاوزها الاعشى قبله[1] ولكن تقرب ابي

(١) العمدة ٨٣ ج ١

نواس من الخلفاء ونفوذه عندهم ساعد على نشر طريقته فصار الشعراء يتحدونه فيها شأنهم في تحدي كل وجيه نافذ الكلمة . ولذلك قالوا الناس على دين ملوكهم . واذا تدبرت تاريخ الاجتماع رأيت ذلك قاعدة في سائر أحوال الحياة

ووصف شعر ابي نواس لايفي به صفحة او بضع صفحات . وهو اول من توسع في وصف الخمر والتغزل بالغلمان . وفي ديوانه المطبوع بمصر صفحات عديدة من نظمه في هذين البابين فضلاً عن تغزله بجارية احبها اسمها جنان . وقد اشرنا الى تهتكه في جملة متهتكي ذلك العصر ولعله اكثرهم انغماساً في اللهو على انواعه طمعاً منه بعفو الله على حد قوله :

تكثر ما استطعت من الخطايا فانك بالغ رباً غفورا
ستبصر ان وردت عليه عفواً وتلقى سيداً ملكاً كبيرا
تعضُّ ندامة كفيك مما تركت مخافة النار السرورا

ومن لطيف نظمه في مدح محمد الامين قوله يمدح ناقته :

وتجشمتْ في هول كل تنوفة هوجاء فيها جرأة اقدام
تذر المطي وراءها فكأنها صفٌّ تقدمهن وهي امام
واذا المطي بنا بلغنا محمداً فظهورهن على الرجال حرام

وعابوا عليه المبالغة في مدح الرشيد لقوله :

واخفتَ اهل الشرك حتى انه لتخافك النطف التي لم تخلق

ومن قوله في وصف الخمر :

وندمان سقيت الراح صرفاً وستر الليل منسدل السجوف
صفت وصفت زجاجتها عليها كمعنى دق في ذهن لطيف

وقوله : مدام تبدت من مقام مشرف تلوح لنا انوارها ثم تختفي
ولما شربناها ودب دبيبها الى موضع الاسرار قلت لها قفي
مخافة ان يسطو عليّ شعاعها فيطلع جلاسي على سري الخفي

وقوله : معتقة صاغ المزاج لرأسها اكاليل در ما لناظمها سلكُ
جرت حركات الدهر فوق سكونها فذابت كذوب التبر اخلصه السبك
وقد خفيت من لطفها فكأنها بقايا يقين كاد يذهبها الشكُّ

وهي كثيرة ويناسب ذلك وصفه للاقداح وما عليها من النقوش كقوله :

تدور علينا الراح في عسجدية حبتها بألوان التصاوير فارس

قرارتها كسرى وفي جنباتها مهاً تدَّريها بالقسيّ الفوارس
فللخمر ما زرّت عليه جيوبها وللماء ما حازت عليه القلانس

ويظهر انه كان مطلعاً على اقوال الاوائل المنقولة الى العربية ولا سيما علم النجوم والطبيعيات بدليل قوله وفيه الملم بالفلك :

الم ترَ الشمس حلت الحملا وقام وزن الزمان فاعتدلا
وغنت الطير بعد عجمتها واستوفت الخمرُ حولها كملا

ومما يدل على معرفته علم الطبائع قوله :

قل لزهير اذا حدا وشدا اقلل واكثر فانت مهذارُ
سخنتَ من شدة البرودة حتى صرت عندي كانك النار
لايعجب السامعون من صفتي كذلك الثلج باردٌ حار

وفي ذلك اشارة الى نظر اهل الهند في الطبائع فهم يزعمون ان الشيء اذا زاد في البرد عاد حارًّا . ومن اقوالهم «ان الصندل الابيض اذا افرط في حكه عاد حارًّا مؤذياً»

ومما يدل على المامه بخرافات اليونان والفرس قوله من قصيدة يمدح بها يحيى بن خالد :

صورة المشتري لدى بيت الـ لميل والشمس انت عند انتصابِ
ليس زاويش[1] حين سار امام الـ محوت والبدر اذ هوى لانصباب
منك اسخى بما تشحُّ به الانـ ـفس عند انتقاص درّ الحلاب
لا وبهرام تستقلُّ به العقـ ـرب بالليل رائداً في الحساب
منك امضى لدى الحروب ولااهو ل في العين عند ضرب الرقاب

واختلفوا في سنة وفاته والارجح انها سنة ١٩٨ هـ ولو اردنا الاتيان بامثلة من نظمه لضاق المقام مع شيوع ديوانه . وقد جمعه غير واحد[2] وهو مطبوع غير مرة في فينا ومصر وبيروت . وفي صدر طبعة مصر سنة ١٨٩٨ فصلٌ لجامع الديوان حمزة ابن الحسن الاصبهاني في شعر ابي نواس ونقده . والديوان نحو ٤٥٠ صفحة ويتضمن نحو ١٣٠٠٠ بيت مرتبة على ١٢ باباً (١) نقائضه مع الشعراء (٢) المديح (٣) المراثي (٤) العتاب (٥) الهجاء (٦) الزهد (٧) الطرد (٨) الخمريات (٩) الخمريات والمجون (١٠) غزل المؤنث (١١) غزل المذكر (١٢) المجون وقد اهمل الناشر باب المجون لتهتكه الزائد

(١) يراد بزاويش (زفس) احد الهة اليونان (٢) فهرست ١٣٩

وتجد اخباره في الاغاني ٢ ج ١٨ و ١١٠ و ١٧٠ و ١٨٦ ج ٦ و ١٤٨ ج ١٦ وابن خلكان ١٣٥ ج ١ وطبقات الادباء ٩٦ والشعر والشعراء ٥٠١ والفهرست ١٦٠ والعقد الفريد ٣٣٧ ج ٣

٤ ـ مُسلِم بن الوَليد

توفي سنة ٢٠٨ هـ

ويعرف بصريع الغواني وهو من ابناء الانصار كان مداحاً محسناً وجل مدائحه في يزيد بن مزيد وداود بن يزيد المهلبي والبرامكة ومحمد بن منصور بن زياد كاتبهم. وولاه المأمون بريد جرجان فلم يزل بها حتى مات . وهو اول من الطف في المعاني ورقق في القول وعليه يعول ابوتمام في ذلك وعلى ابي نواس ومن قوله في الوداع :

واني واسماعيل يوم وداعه لكالغمد يوم الروع زايله النصلُ
فان اغشُ قوماً بعده او ازرهمُ فكالوحش يدنيها من الأنس المحلُ

ومن بديعه الذي امتثله ابو تمام وغيره :

اذا مانكحنا الحرب بالبيض والقنا جعلنا المنايا عند ذاك طلاقها

ومن مدحه قولهُ في الفضل بن يحيى :

تساقط يمناه الندى وشماله الردى وعيون القول منطقه الفصلُ
عجول الى ان يودع الحمد ماله يعدُّ الندى غنماً اذا اغتنم البخلُ
له هضبةٌ تأوي الى ظل برمك منوطٌ بها الامال اطنابها السبلُ

ومن قوله في وصف سفينة :

اطلت بمجدافين يعتورانها يقوّمها كبح اللجام من الدبر
كان الصبا تحكي بها حين واجهت نسيم الصبا مشي العروس الى الخدر

ومن لطيف غزله :

اذا التقينا منعنا النوم اعيننا ولا نلائم يوماً حين نفترقُ
اقرُّ بالذنب مني لست اعرفهُ كيما اقول كما قالت فنتفق

وله ديوان مطبوع في ليدن سنة ١٨٧٥ وتجد اخباره في الشعر والشعراء ٥٢٨ وفي الاغاني ٩ ج ١٣ والعقد الفريد ١٤٢ ج ١ وفي طبعة الديوان المذكورة

٥ — أبو العتَاهية

توفي سنة ٢١١ هـ

هو مولى واسمه اسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان . ولد بعين التمر سنة ١٣٠ هـ ونشأ في الكوفة وكان في اول امره يتخث فيحمل زاملة المخنثين . ثم اشتغل بصناعة ابيه فجعل يصطنع الجرار ويحملها في قفص على ظهره ويدور في الكوفة ويبيع منه . ولكنه احس من حداثته باقتداره على النظم . وكان الشعر يومئذ ديوان الناس وموضوع احاديثهم وحيثما اجتمعوا تناشدوه وتذاكروا فيه

فاتفق يوماً وهو يدور بقفص الجرار انه مر بفتيان جلوس يتذاكرون الشعر ويتناشدونه فسلم ووضع القفص عن ظهره ثم قال « يا فتيان اراكم تتذاكرون الشعر فاقول شيئاً منه فتجيزونه ؟ فان فعلتم فلكم عشرة دراهم » فهزأوا منه وسخروا به لكنهم قالوا « نعم » قال « لا بد ان يشترى باحد القمرين رطب يؤكل فانه قمر حاصل » وجعل رهنه تحت ايديهم وقال اجيزوا :

ساكني الاجداث انتم

وجعل بينه وبينهم وقتاً في ذلك الموضع وعين نقطة اذا بلغتها الشمس ولم يجيزوا البيت غرموا الخطر . فلما اعياهم ذلك جعل يهزأ بهم وتممه :

ساكني الاجداث انتم مثلما بالامس كنتم
ليت شعري ما صنعتم اربحتم ام خسرتم

وهي قصيدة من شعره طويلة . فخجل الفتيان واذاعوا خبره في الكوفة فجعل ادباؤها وطلاب الشعر من فتيانها يأتونه الى معمله يستنشدونه فينشدهم اشعاره فيأخذون ما تكسر من الخزف فيكتبونها فيه

ثم وفد على بغداد في اول خلافة المهدي وانشده قصيدة مطلعها :

الا مالسيدتي مالها ادلت فاحمل ادلالها

وكان بشار بن برد حاضراً فاستخف بها حتى اذا وصل الى قوله :

اتته الخلافة منقادة اليه تجرر اذيالها
فلم تك تصلح الاَّ له ولا يك يصلح الاَّ لها
ولو رامها احدٌ غيره لزلزلت الارض زلزالها

ولو لم تطعه بنات القلو ب لمـا قبل الله اعمالها

قال بشار لجار له « انظر ويحك هل طار الخليفة عن فرشه » وصار ابو العتاهية من المقربين . وكان المهدي يراعي خاطره ويكرمه فاحرز نفوذاً عظيماً عنده حتى كثيراً ما كان يتوسط بالعفو لديه . ولما توفي المهدي خلفه الهادي وكان واجداً عليه لانه كان يلازم اخاه الرشيد فهنأه ابو العتاهية بقصيدة يتقرب بها اليه مطلعها :

الا شافع عند الخليفة يشفع فيدفع عنا شرَّ ما يتوقع

فاذن بادخاله . ولم تطل مدة الهادي فخلفه الرشيد وكان ابو العتاهية قد عاهد نفسه ان لا يقول شعراً فالزمه الرشيد على القول فاطاعه فحظي عنده حظوة كبيرة حتى كان لا يفارقه في حضر ولا سفر وعين له راتباً مقداره ٥٠٠٠٠ درهم سوى الجوائز منه ومن امرائه ووزرائه . وكان بعض هؤلاء يجرون عليه الرواتب الشهرية اوالسنوية

وكان ابو العتاهية سوداوي المزاج كثير التردد في امر الدين فتقلب على اطوار شتى — شأن الذين يحلون انفسهم من قيود الدين و ينظرون فيه نظر الناقد . فاستقر راي ابي العتاهية اخيراً على التمسك بالاسلام والزهد عن الدنيا فامره الرشيد ان يقول الشعر فابى فحبسه وضربه ثم اطلقه شفقة عليه . وله غزل كثير في عتبة جارية المهدي

وهو من مؤسسي الانقلاب الشعري في هذا العصر وقد اطلق نفسه من التقليد بالمعاني والالفاظ فاتى بمعان جديدة ونظم على اوزان لا تدخل في العروض ولم يتقدمه فيها احد[1] ولم يتهيب ما يتهيب له كثيرون من شعرائنا خوفاً من الرجوع عن التقليد . قعد يوماً عند قصار فسمع صوت المدقة فحكى ذلك في ابيات شعره فقال :

للمنون دائرا ت يدرن صرفها
هن ينتقيننـا واحداً فواحداً

ومن مخترعاته في المعاني قوله :

الناس في غفلاتهم ورحى المنية تطحن

وقوله لاحمد بن يوسف :

الم تر ان الفقر يرجى له الغنى وان الغنى يخشى عليه من الفقر

وقوله في موسى الهادي :

ولمـا استقلوا بأثقالهم وقد ازمعوا للذي ازمعوا
قرنت التفاتي بآثارهم واتبعتهم مقلة تدمع

(١) الاغاني ١٢٦ ج ٣ والشعر والشعراء ٤٩٧

وقوله :

هب الدنيا تصير اليك عفواً اليس مصير ذاك الى زوال

ومن لطيف معانيه قوله :

اذا المرء لم يعتق من المال نفسه تملكهُ المال الذي هو مالكه
الا انما مالي الذي انا منفق وليس لي المال الذي انا تاركه

وذكروا له ارجوزة حكمية في بضعة آلاف بيت منها :

حسبك مما تبتغيه القوت ما اكثر القوت لمن يموت
الفقر فيما جاوز الكفافا من اتقى الله رجا وخافا

ومع ذلك فالاصمعي يقول « شعر ابي العتاهية كساحة الملوك يقع فيها الجوهر والذهب والتراب والخزف والنوى »

وكان ابو العتاهية ابيض اللون اسود الشعر نظيف الثياب له وفرة جعدة وهيأة حسنة ولباقة وحصافة . وكان سيال القريحة سريع الخاطر لطيف المعاني سهل الالفاظ . فقد سأله بعضهم كيف تقول الشعر قال « ما اردته قط الا مثل لي فاقول ما اريد واترك ما لا اريد »

وقد نظم في كل ابواب الشعر وامتازمنها بالزهد . ويؤخذ من سيرة حياته انه كان متردداً متقلباً ويغلب ذلك في طباع الشعراء لانهم اهل خيال واوهام وخصوصاً الذين يستجدون بشعرهم فانهم يتقلبون مع الاهواء ويسعون وراء النفع حيثما كان . على ان تمنع ابي العتاهية عن قول الغزل بعد ان امره به الرشيد يخالف هذه القاعدة ولكن لعل له سبباً حمله على ذلك

واما تقلبه فظاهر من تذبذبه في الدين كما تقدم . وانه كان اذا اختص ببعض الامراء ادعى ولاء قبيلته — فقد كان طول حياة يزيد بن منصور يدعي انه مولى لليمن وينتفي من عنزة . فلما مات يزيد رجع الى ولائه . وعاتبه بعضهم في ذلك وقال له « الم تكن تزعم ان ولاءك لليمن » قال « ذلك شيء احتجنا اليه في ذلك الزمن . وما في واحد انتميت اليه خيرٌ ولكن الحق احق ان يتبع » . وكان مع ما جمعه من الاموال بخيلاً وله حوادث كثيرة تدل على شدة بخله ذكرها صاحب الاغاني

وله ديوان مطبوع في بيروت سنة ١٨٨٧ . وتجد اخباره في الاغاني ١٢٦ ج ٣ و١٨٦ ج ٦ و٢٤ ج ٨ وابن خلكان ٧١ ج ١ وطبقات الشعراء ٤٩٧ والفهرست ١٦٠ وفي الهلال ١٣٣ سنة ١٣

٦ — ابو تمّام

توفي سنة ٢٣١ هـ

هو عربيٌّ من طي واسمه حبيب بن اوس الطائي ولد في منبج من بلاد الشام وجاء مصر صغيراً . وكان يسقي الماء في الجامع ثم جالس الادباء واخذ عنهم وتعلم . وكان فطناً فهماً يحب الشعر فلم يزل يعانيه حتى اجاده وسار شعره وشاع ذكره في بغداد بؤرة الادب في ذلك الحين وخليفتها المعتصم وقد التفت حوله حلقة من الشعراء . فبعث في طلب ابي تمام فنظم فيه القصائد فاجازه وقدمه على شعراء وقته . فلم يعد يقدر احد منهم ان يأخذ درهماً بالشعر في حياته . فلما مات اقتسم الشعراء ما كان يأخذه . وقد امتاز بمذهب في المطابق سبق به الشعراء وان كانوا قد فتحوه قبله وقالوا القليل منه فان له فضل الاكثار فيه والسلوك في جميع طرقه (١)

وهو من المقدمين بحسن الديباجة ورقة العبارة وفي اجادة الرثاء (٢) ومطلع قصيدته التي رثى بها محمد بن حميد الطوسي لا يزال الراثون والمؤبنون يتمثلون به الى اليوم وهو :

الا فليجلّ الخطب وليفدح الامر وليس لعين لم يفض ماؤها عذرُ

وذكر صاحب الاغاني ان كثيراً من ابيات هذه القصيدة مسروق من قصيدة مكنف ابي سلمى من ولد زهير بن ابي سلمى هجا فيها ذفافة العبسي وذكر ابياتاً منها (٣)

ومن مراثيه قوله يرثي ابنين صغيرين لعبد الله بن طاهر ماتا معاً :

لهفي على تلك الخايل منهما لو امهلت حتى تكون شمائلا
لغدا سكونهما حجى وصباهما حلماً وتلك الاريحية نائلا
ان الهلال اذا رأيت نموّه ايقنت ان سيكون بدراً كاملا

ومن مدائحه قوله :

سود اللباس كانما نسجت لهم ايدي السموم مدارعاً من قار
بكروا واسروا في متون ضوامر قيدت لهم من مربط النجار
لا يبرحون ومن رآهم خالهم ابداً على سفر من الاسفار

ولابي تمام وصية في كيفية النظم اوصى بها ابا عبادة البحتري بين فيها احسن

(١) الاغاني ١٠٠ ج ١٥ (٢) العمدة ١١٩ ج ٢ (٣) الاغاني ١٠٧ ج ١٥

الوسائل لاجادة النظم قال « تخير الاوقات وانت قليل الهموم صفر من الغموم . واعلم ان العادة في الاوقات ان يقصد الانسان لتأليف شيء او حفظه في وقت السحر وذلك ان النفس قد اخذت حظها من الراحة وقسطها من النوم فان اردت النسيب فاجعل اللفظ رقيقاً والمعنى رشيقاً واكثر فيه من بيان الصبابة وتوجع الكآبة وقلق الاشواق ولوعة الفراق واذا اخذت في مدح سيد ذي ايادٍ فاشهر مناقبه واظهر مناسبه وابن معالمه وشرف مقامه وتقاض المعاني واحذر المجهول منها واياك ان تشين شعرك بالالفاظ الزرية . وكن كأنك خياط يقطع الثياب على مقادير الاجسام واذا عارضك الضجر فأرح نفسك ولا تعمل الا وانت فارغ القلب . واجعل شهوتك لقول الشعر الذريعة الى حسن نظمه فان الشهوة نعم المعين . وجملة الحال ان تعتبر شعرك بما سلف من شعر الماضين فما استحسنته العلماء فاقصده وما تركوه فاجتنبه ترشد ان شاء الله تعالى »

ديوان الحماسة

وله فضل على معاصريه من الشعراء انه لم يكتف بما نظمه من ضروب الشعر لكنه جمع مختارات من اشعار العرب الجاهلية وغيرهم في كتاب سماه الحماسة وتعرف بحماسة ابي تمام تمييزاً لها عن حماسة البحتري . حمله على جمعها انه نزل عند صاحب له في همدان اسمه ابن سلمة فأكرمه فأصبح ذات يوم وقد وقع ثلج كثير قطع السابلة فغم ابو تمام وفرح ابن سلمة وقال « وطن نفسك على البقاء ان الثلج لا ينحسر الا بعد زمان » واحضر له خزانة كتب فطالعها واشتغل بها وصنف خمسة كتب في الشعر منها كتاب الحماسة والوحشيات وهي قصائد طوال . فبقي كتاب الحماسة في خزائن آل سلمة يضنون به ولا يكادون يبرزونه لاحد حتى تغيرت احوالهم وورد من همذان رجل من اهل دينور يعرف بأبي العواذل فظفر به وحمله الى اصبهان . فأقبل ادباؤها عليه ورفضوا ما عداه من الكتب المصنفة في معناه فشهر فيهم وقد شرحه كثيرون

ومن احسن الشروح شرح الخطيب التبريزي المتوفى سنة ٥٠٢ هـ وقد طبع بمصر سنة ١٢٩٦ في اربعة اجزاء كبار بين فيها اشتقاق اسامي شعراء الحماسة وغيرهم وتفسير كل بيت وما فيه من الغريب والاعراب وايراد الاخبار من اماكنها . وطبعت الحماسة بلا شرح في الهند سنة ١٨٥٦ ولها شرح للمرزوقي وآخر لابي العلاء المعري وآخر لابن جني منها نسخ خطية في المكتبة الخديوية وفي غيرها

وقد عني في طبع الحماسة مع شرح التبريزي ايضاً فريتاغ في مجلدين مع ترجمة وشروح لاتينية . ظهر المجلد الاول سنة ١٨٢٨ والثاني ١٨٥١ في بون . وقد ترجمها الى

الالمانية فريدريك روكرت وطبعت مع الاصل في مجلدين في ستتغارت سنة ١٨٤٦ . ولابي تمام حماسة اخرى هي كتاب الوحشيات منها نسخة في جملة كتب خطية نادرة استنسخها زكي باشا سكرتير مجلس النظار من مكاتب اوربا لتطبع بمصر

وكان ابو تمام اسمر طويلاً فصيحاً حلو الكلام فيه تمتمة يسيرة . وله ديوان شرحه كثيرون شروحاً حسنة منها شرح للصولي المتوفى سنة ٣٣٥ هـ منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية . وقد طبع الديوان في مصر وفي بيروت سنة ١٣٢٣

وتجد اخبار ابي تمام في الاغاني ٩٩ ج ١٥ وابن خلكان ١٢١ ج ١ وطبقات الادباء ٢١٣ والفهرست ١٦٥

٧ — دِعْبِل الخُزَاعي

توفي سنة ٢٤٦ هـ

هو عربي من اليمن شديد التعصب للقحطانية على النزارية لا يخشى بذلك لوماً ولا يخاف تهديداً . اسمه دعبل بن علي بن رزين من خزاعة . اصله من الكوفة وجاء بغداد بطلب من الرشيد . وهو شاعر مطبوع هجاء خبيث اللسان لم يسلم منه احد من الخلفاء ولا وزرائهم ولا اولادهم ولا ذو نباهة احسن اليه او لم يحسن ولا افلت منه كبير ولا صغير . فكان الناس يخافونه ويتقونه حتى المأمون فانه هجاه هجاء شديداً واحتمل ذلك منه . ومن شديد هجائه الذي يحتاج الى جرأة قوله للمأمون :

انّي من القوم الذين سيوفهم قتلت اخاك وشرفتك بمقعد
شادوا بذكرك بعد طول خموله واستنقذوك من الحضيض الاوهد

يشير الى طاهر بن الحسين الخزاعي وقتله الامين حتى تولى المأمون . ومن قوله في هجاء المعتصم :

ملوك بني العباس في الكتب سبعةٌ ولم تأتنا عن ثامن لهم كتبُ
كذلك اهل الكهف في الكهف سبعة
خيارٌ اذا عدُّوا وثامنهم كلب
واني لأعلي كلبهم عنك رفعة لانك ذو ذنب وليس لهُ ذنب
لقد ضاع ملك الناس اذ ساس ملكهم وصيفٌ واشناس وقد عظم الكرب

وهجا ايضاً ابراهيم بن المهدي وغيره حتى آل طاهر مع انه كان ميالاً اليهم . وكان مسلم بن الوليد المتقدم ذكره شاخ ودعبل شاب وهو يعترف باستاذيته فجفاه

مسلم فهجاه دعبل بقصيدة فيها عتاب شديد [1] ختمه بقوله :

فهبك يميني استأكلت فقطعتها وصبرت قلبي بعدها فتشجعا

وجرى له مع المطلب بن عبدالله احد امراء مصر حديث غاظ دعبلاً فهجا المطلب بقصيدة قال فيها :

تعلق مصر بك المخزيات وتبصق في وجهك الموصلُ
وعاديتَ قوماً فما ضرَّهم وشرَّفتِ قوماً فلم ينبلوا
شعارك عند الحروب النجا وصاحبك الأخورُ الافشل
فأنت اذا ما التقوا آخرٌ وانت اذا انهزموا اول

وله في مقابل ذلك مدائح بغاية البلاغة . واكثر مدائحه في اهل البيت لانه كان شديد التعصب لعلي واهله . على انه كثيراً ما كان يتخذ هجوه للارهاب فيضطر الناس الى استرضائه ليكف عن هجائهم اوليمدحهم ومن قوله في مدح المطلب المذكور :

ابعد مصرٍ وبعد مطلب ترجو الغنى ان ذا من العجبِ
ان كثرونا جئنا باسرنا او واحدونا جئنا بمطلب

ومن اشهر قصائده قوله يمدح اهل البيت ويهجو الرشيد بعد موته :

وليس حيٌّ من الاحياء نعلمه من ذي يمان ومن بكر ومن مضرِ
الا وهم شركاءٌ في دمائهم كما تشارك ايسار على جزرِ
قتلٌ واسر وتحريق ومنهبةٌ فعل الغزاة بأرض الروم والخزرِ
ارى امية معذورين ان قتلوا ولا ارى لبني العباس من عذر
إربع بطوس على القبر الزكيّ اذا ما كنت تربع من دير الى وطر
قبران في طوس خير الناس كلهم وقبر شرّهم هذا من العبر
ما ينفع الرجس من قرب الزكي ولا على الزكي بقرب الرجس من ضرر
هيهات كل امرئ رهن بما كسبت له يداه فخذ ما شئت او فذر

ومن ادلة اقتداره على انتقاء الالفاظ قوله في رثاء محمد بن يزيد الخزاعي :

كانت خزاعة ملءَ الارض ما اتسعت فقصَّ مرُّ الليالي من حواشيها
هذا ابو القاسم الثاوي ببلقعة تسفي الرياح عليه من سوافيها
هبت وقد علمت ان لا هبوب به وقد تكون حسيراً اذ يباريها

(١) الاغاني ٤٨ ج ١٨

اضحى قرىً للمنـايا اذ نزلن به وكان في سالفِ الايام يقريها

ومن شعره في الغزل قوله :

لا تعجبي يا سلمَ من رجل ضحك المشيب براسه فبكى
لا تأخذوا بظلامتي احداً قلبي وطرفي في دمي اشتركا

فانت ترى شاعرية هذا الرجل لكن ذكره خمل بسبب هجوه الخلفاء — والناس على دين ملوكهم . فلم يصل الينا من اشعاره الا شذرات مبعثرة مع اخباره في الاغاني ٢٩ ج ١٨ وابن خلكان ١٧٨ ج ١ والشعر والشعراء ٥٣٩ والفهرست ١٦١

سائر الشعراء

في العصر العباسي الاول

شعراء الخلفاء

نريد بشعراء الخلفاء الذين انقطعوا للخلفاء او كان اكثر منظومهم فيهم او انهم لم يختصوا بسواهم ولا يدخلون في طبقة من الطبقات الاخرى . وقد ترجمنا بعضهم في ما تقدم من فحول هـذا العصر ونأتي الان على خلاصة اخبار الباقين مراعاة للمقام وترتيبهم حسب سني وفاتهم

١ — أَبُو دُلَامَة

توفي سنة ١٦١ هـ

هو زند بن الجون وسمي ابا دلامة نسبة الى ابنه دلامة . وهو كوفي المنشأ اسود اللون مولى لبني اسد . وكان ابوه عبداً لرجل منهم فاعتقه . ادرك ابو دلامة اواخر الدولة الاموية ولكنه نبغ في الدولة العباسية وانقطع الى ابي العباس السفاح والمنصور والمهدي . وكانوا يقدمونه ويصلونه ويستطيبون محاسنه ونوادره وفيه دعابة وظرف لا يخلو حديثه من نكتة او ملحة . وكان مع ذلك معدوداً في جملة المتهمين بالزندقة وفساد الدين وكان يشرب الخمر ولا يحضر صلاة ولا فروضاً . وله قصائد عديدة في مدح الخلفاء المذكورين منها قصيدة في قتل ابي مسلم الخراساني مطلعها :

ابا مسلم خوفتني القتل فانتحى عليك بما خوفتني الاسد الورد

انشدها المنصور في محفل من الناس فقال له « احتكم » فطلب عشرة الاف درهم فقبضها . وله فيه مدائح كثيرة وكلما زاده عطاء زاده مدحاً حتى قال فيه :

لوكان يقعد فوق الشمس من كرم قومٌ لقيل اقعدوا يا آل عباس
ثم ارتقوا في شعاع الشمس كلكم الى السماء فانتم اطهر النـاس
وقدّموا القائم المنصور رأسكم فالعين والانف والاذنان في الراس

ومن مداعباته ومجونه ان ابا العباس السفاح قال له « سلني حاجتك » فقال ابو دلامة « كلب اتصيد به » فاستغرب طلبه لكنه امر باعطائه فقال ابودلامة « واعطني دابة اتصيد عليها » قال « اعطوه » قال « وغلام يصيد بالكلب ويقوده » قال « اعطوه غلاماً » قال « وجارية تصلح لنا الصيد وتطعمنا منه » قال « اعطوه جارية » قال « هؤلاء يا امير المؤمنين عبيدك فلا بد لهم من دار يسكنونها » قال « اعطوه داراً تجمعهم » قال « فان لم تكن لهم ضيعة فمن اين يعيشون ؟ » قال « قد أعطيتك مائة جريب عامرة ومائة جريب غامرة » قال « وما الغامرة ؟ » قال « التي لا نبات فيها » فقال « قد أقطعتك انا يا اميرالمؤمنين خمسمائة الف جريب غامرة من فيافي بني اسد » فضحك وقال « اجعلوها كلها عامرة »

ومن مجونه ان المنصور الزمه بالصلاة في مسجده ووكل به من يلاحظه فغاظه ذلك فكتب الى المنصور رقعة قال فيها :

الم تعلموا ان الخليفة لزّني بمسجده والقصر مالي وللقصر
اصلي به الاولى مع العصر دائماً فويلي من الاولى وويلي من العصر
ووالله ما لي نية في صلاتهم ولا البر والاحسان والخير من امري
وما ضره والله يصلح امره لو ان ذنوب العالمين على ظهري

فضحك المنصور واعفاه . واخباره في الاغاني ١٢٠ ج ٩ وابن خلكان ١٩٠ ج ١ والشعر والشعراء ٤٨٧ والدميري ١٣٢ ج ١ والمستطرف ٤٣ ج ٢

٢ — حَمَّادُ عَجْرَد

توفي سنة ١٦١ هـ

هو مولى ايضاً نشأ في الكوفة ثم واسط وعاصر الدولتين لكنه نبغ في الدولة العباسية بعد ان نادم الوليد بن يزيد الاموي وجاء بغداد ايام المهدي ومعه مطيع ابن اياس ويحيى بن زياد وكلهم من المتهمين في دينهم . وحماد من الشعراء المجيدين وكان

ماجناً ظريفاً خليعاً وادرك بشار بن برد وله معه اهاج فاحشة لولا فحشها لذكرنا امثلة منها . ولم يكن يهاب كبيراً ولا صغيراً عالماً كان او خليفة . وقد عاصر الامام ابا حنيفة وكانت بينهما مودة ثم قاطعه ابو حنيفة وبلغ حماداً انه يتنقصه فكتب اليه :

ان كان نسكك لا يتم بغير شتمي وانتقاصي
فاقعدوقم بي كيف شئت مع الاداني والاقاصي
فلطالما زكيتني وانا المقيم على المعاصي
ايام نأخذها ونعطي في اباريق الرصاص

واهتم ادباء ذلك العصر بالمهاجاة بين بشار وحماد كما اهتموا في العصر الاموي بالمهاجاة بين جرير والفرزدق . وقد اجمع علماء البصرة انه ليس في هجاء حماد لبشار شيء جيد الا ٤٠ بيتاً معدودة . اما بشار فله من الهجاء اكثر من الف بيت جيد وكل منهما هتك صاحبه بالزندقة . وكانا يجتمعان عليها فسقط عجرد وتهتك بفضل بلاغة بشار وجودة معانيه وبقي بشار على حاله لم يسقط

ومن ظريف اخباره انه هجا حفص بن ابي بردة وكان صديقه وزنديقاً مثله وحفص اعمش افطس اعضب مقبح الوجه . فاجتمعوا يوماً على شراب وجعلوا يتحدثون ويتناشدون فاخذ حفص بن ابي بردة يطعن على مرقش ويعيب شعره ويلحنه فقال له حماد :

لقد كان في عينيك يا حفص شاغلٌ وانف كثيل العود عما تتبعُ
تتبع لحناً في كلام مرقشٍ ووجهك مبنيٌّ على اللحن اجمع
فاذناك اقواء وانفك مكفأٌ وعيناك ايطاء فانت المرقع

وقد سبق ابا نواس بالتغزل في الغلمان من ذلك قوله في غلام كان يهواه اسمه ابو بشر:

اخي ان دائي ليس عندي دواؤه ولكن دوائي عند قلب ابي بشرِ
دوائي ودائي عند من لو رأيته يقلب عينيه لاقصرت عن زجري
فاقسم لو اصبحت في لوعة الهوى لاقصرت عن لومي واطنبت في عذري
ولكن بلائي منك انك ناصحٌ وانك لا تدري بانك لا تدري

وكان السبب في وفاة حماد عجرد انه شبب بزينب اخت محمد بن سليمان بن علي وبلغه غضب محمد فهرب الى الاهواز فبعث محمد بطلبه ففر الى غيرها ومرض في تنقله حتى مات في شيراز ودفن فيها.

وتجد ترجمته في الاغاني ٧٣ ج ١٣ وابن خلكان ١٦٥ ج ١ والشعر والشعراء ٤٩٠ والفهرست ٩١

٣ - مَرْوان بن ابي حَفصَة

توفي سنة ١٨١ هـ

هو من الشعراء الموالي اصل جده من سبي اصطخر وكان غلاماً اشتراه عثمان ابن عفان ووهبه لمروان بن الحكم واقام بعد ذلك باليمامة وولد له غلام سماه مروان . وقد اختلفوا في حقيقة نسبه . شب مروان على كره الشيعة لانه من موالي بني امية وقد حارب معهم . وكان شجاعاً مجرباً فلما نبغ في الشعر قدم بغداد ومدح المهدي ثم الرشيد وكان يتقرب اليه بهجاء العلويين . وهو من الفحول المقدمين اول من شهره ونوّه به معن بن زائدة الجواد المشهور بقصيدة نونية مدحه بها مطلعها :

معن بن زائدة التي زيدت به شرفاً على شرف بنو شيبان

ولكنه اشتهر على الخصوص بقصيدة لامية مدح بها معناً مطلعها :

بنو مطر يوم اللقاء كانهم اسودٌ لهم في بطن خفان اشبل

فاجازه عليها بمال كثير فكان كلما زاده معن عطاء زاده مروان مدحاً حتى غار منه المهدي وعنفه مرة وقد دخل عليه في جملة الشعراء وانشده قصيدة في مدحه فقال له المهدي « من انت ؟ » قال « شاعرك يا امير المؤمنين وعبدك مروان بن ابي حفصة » فقال له المهدي « الست انت القائل :

اقمنا باليمامة بعد معن مقاماً لا نريد به زوالا
وقلنا اين نرحل بعد معن وقد ذهب النوال ولا نوالا

قد ذهب النوال كما زعمت فلمَ جئت تطلب نوالنا ؟ لا شيء لك عندنا .. جروا برجله» فجروه برجله حتى اخرج . فلما كان من العام المقبل تلطف حتى دخل مع الشعراء — وكانت الشعراء تدخل على الخلفاء في كل عام مرة — فمثل بين يديه وانشد قصيدة في مدحه حتى بلغ الى قوله :

هل تطمسون من السماء نجومها بأكفكمْ او تسترون هلالها
او تجحدون مقالة عن ربكم جبريل بلغها النبي فقالها
شهدت من الانفال آخر آية بترائهم فأردتم ابطالها

فطرب المهدي وسأل عن القصيدة كم بيت فقيل مئة بيت فامر له عن كل بيت بالف درهم فنال ١٠٠ ٠٠٠ درهم وهي اول مرة نال شاعر هذه العطية [1]

(١) الاغاني ٤٤ ج ٩

ولما تولى الرشيد جاءه مع الشعراء فاصابه معه كما اصابه مع المهدي . ثم مدحه بقصيدة بائية أعجبته فاعطاه عن كل بيت الف درهم . ولم ينل احد من شعراء ذلك العصر ما ناله مروان بشعره فجمع مالاً كثيراً لكنه كان مطبوعاً على البخل وظهر ذلك على الخصوص بالمقابلة مع سلم الخاسر الآتي ذكره لان هذا كان يتمتع بماله فيأتي باب المهدي على البرذون قيمته ١٠٠٠٠ درهم . ويلبس الخز والوشي ويتطيب ويتنعم بالاكل عكس مروان [1]

وتجد اخبار مروان في الاغاني ٣٦ ج ٩ وابن خلكان ٨٩ ج ٢ و ١٠٩ ج ٢ والشعر والشعراء ٤٨١ وخزانة الادب ٤٤٧ ج ١ والفهرست ١٦٠

٤ - سَلْم الخاسِر

توفي سنة ١٨٦ هـ

هو سلم (ويقال سالم) بن عمرو احد موالي ابي بكر الصديق . نشأ في البصرة وكان شاعراً مطبوعاً متصرفاً في فنون الشعر وكان متظاهراً بالخلاعة والفسوق والمجون وزاد شاعرية وتمرساً بالشعر على يد بشار لانه كان راويته وتلميذه اخذ عنه واغترف من بحره ونسج على منواله وكثيراً ما كان يأخذ اقواله فيسلخها ويمسخها كما مسخ هذا البيت :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهجُ

فجعله :

من راقب الناس مات غماً وفاز باللذة الجسور

فبلغ بيته بشاراً فغضب واقسم الا يدخل عليه ولا يفيده ما دام حيًّا فاستشفع اليه بكل صديق حتى رضي ووبخه وقنعه بمخصرة كانت بيده . وكان صديقاً لابراهيم الموصلي المغني المشهور ولابي العتاهية . وكان يمدح البرامكة وخصوصاً الفضل بن يحيى . وكان اول اشتهاره انه حمل قصيدة بشار الى عمر بن العلاء فلما انشده اياها امر لبشار بمئة درهم فقال سلم «ان خادمك (يعني نفسه) قد قال في طريقه فيك قصيدة» قال ما هي فانشده اياها ومطلعها :

قد عزني الداء فمالي دواء مما الاقي من حسان النساء

حتى تخلص الى المدح بقوله :

(١) الاغاني ٣٩ ج ٩

كم كربة قد مسَّني ضرها ناديت فيها عمر بن العلاء

فامر له بعشرة آلاف درهم وهي اول عطية سنية نالها ثم توالت عليه الجوائز من الخلفاء والوزراء والامراء وكان يتبسط في المعيشة ويلبس احسن الملابس كما تقدم. وظل الى آخر ايامه يعترف انه جزء من محاسن بشار

وتجد ترجمته في الاغاني ١١٠ ج ٢١ وابن خلكان ١٩٨ ج ١

٥ - مَنصور النمري

هو عربيٌّ من النمر بن قاسط نشأ في الجزيرة بين النهرين . وهو تلميذ كلثوم بن عمرو العتابي الآتي ذكره بين الشعراء الذين لم يتحضروا وراويته . وعنه اخذ ومن بحره استقى . وقدمه العتابي الى البرامكة فوصفه للفضل بن يحيى وقرظه عنده حتى استقدمه من الجزيرة واستصحبه . ثم وصله بالرشيد وجرت بعد ذلك بينه وبين العتابي وحشة حتى تهاجرا وتناقضا وسعى كل منهما في هلاك صاحبه

وكان مسكن النمري في الشام فطلب الى البرامكة ان يذكروه للرشيد فذكروه ووصفوه فاستحضره . وكان ذا حيلة سياسية فادرك ان الرشيد يسرُّه ان يمدح بنفي الامامة عن علي والطعن عليه لما كان يراه من تقديم مروان بن ابي حفصة بسبب ذلك فسلك مذهبه ونحا نحوه — والشعراء يومئذ انما يطلبون الكسب . لكنه لم يصرح بالهجاء والسب كما فعل مروان ومن قوله فيه قصيدة مطلعها :

امير المؤمنين اليك خضنا غمار الهول من بلد شطير
تخوّض كالاهلة خافقات تلين على السرى وعلى الهجير
حملن اليك احمالاً ثقالاً ومثل الصخرة الدر المثير
فقد وقف المديح بمنتهاه وغايته وصار الى المصير

ومما قاله في تفضيله على ابناء علي بالارث قوله :

فان شكروا فقد انعمت فيهم والا فالندامة للكفور
وان قالوا بنو بنت فحق وردوا ما يناسب للذكور
وما لبني بنات من تراث مع الاعمام في ورق الزبور

وكان الرشيد يفضل مروان عليه بالعطاء ولو قليلاً . وقد ذكرنا الابيات التي قالها في مدح الرشيد من المبالغة [1] وناهيك بالقصيدة التي رفعت السيف عن ربيعة [2]

(١) الاغاني ٢٠ ج ١٢ والعمدة ١١٠ ج ٢ (٢) الاغاني ٢٣ ج ١٢

وقد مدح ايضاً يزيد بن مزيد بقصيدة مطلعها :

لو لم يكن لبني شيبان من حسب سوى يزيد لفاقوا الناس بالحسب

وتجد اخبار المنصور النمري في الاغاني ١٦ ج ١٢ و٣٢و١٤١ ج ١٧

٦- علي بن الجهم

توفي سنة ٢٤٩ هـ

هو عربي قرشي شاعر فصيح مطبوع وقد خص بالمتوكل حتى صار من جلسائه ثم ابغضه لانه كان كثيرالسعاية اليه بندمائه واذا خلا به عرفه انهم يعيبونه ويثلبونه فيكشف الخليفة عن ذلك فلا يجد له حقيقة فنفاه الى خراسان بعد ان حبسه مدة وكان مذهبه في الشعر مذهب مروان بن ابي حفصة في مجاء آل ابي طالب وذمهم والاغراء بهم وهجاء الشيعة كقوله :

ورافضة تقول بشعب رضوى امامٌ . خاب ذلك من امام
امامٌ من له عشرون الفاً من الاتراك مشرعة السهام

وهجا الخليفة المتوكل مرة فنفاه الى خراسان . وكتب الخليفة الى طاهر بن عبد الله صاحب خراسان ان يصلبه فقبض عليه وصلبه في الشاذياخ يوماً الى الليل مجرداً فلما نزل قال في ذلك قصيدة فخرية مطلعها :

لم ينصبوا بالشاذياخ عشية ا لاثنين مسبوقاً ولا مجهولا
نصبوا بحمد الله ملءَ قلوبهم شرفاً وملءَ صدورهم تجيلا

ومما قاله عن حبسه بعد الخروج منه وفيه احسن ما قيل في مدح السجن :

قالوا حبستَ فقلت ليس بضائري حبسي وايّ مهند لا يغمدُ
او ما رايت الليث يألف غيله كبراً واوباش السباع تردّد
والشمس لولا انها محجوبة عن ناظريك لما اضاء الفرقد
والبدر يدركه السرار فتنجلي ايامه وكأنه متجدد
والغيث يحصره الغمام فما يرى الا وريقه يراع ويرعد
والزاعبية لا يقوم كعوبها الا الثقاف وجذوة تتوقد
والنار في احجارها مخبوأة لا تصطلى ان لم تثرها الازند

وله اقوال في الغزل والعتاب وفي الوصف ومن اجمل ذلك قوله في وصف حفلة بعد صيد فرشوها واقاموا يشربون على الزعفران :

وطئنا رياض الزعفران وامسكت علينا البزاة البيض حمر التدارج
ولم تحمها الادغال منا وانما ابحنا حماها بالكلاب البوارج
بمستروحات سابحات بطونها على الارض امثال السهام الزوالج
ومستشرفات بالهوادي كأنها وما عقفت منها رؤوس الصوالج
ومن دالعات ألسناً فكانها لحى من رجال خاضعين كواسج
فلينا بها الغيطان فلياً كانها انامل احدى الغانيات الحوالج

وتجد اخباره في الاغاني ١٠٤ ج ٩ وابن خلكان ٣٤٩ ج ١

٧ — حُسَين بن الضَحَّاك

توفي سنة ٢٥٠ هـ

هو مولى باهلة ولد في البصرة ونشأ فيها ونادم الخلفاء من بني العباس وكان خليعاً فاسداً وكان مع ذلك حسن التصرف في النظم لشعره قبول ورونق فهو من المتفننين وله معان جديدة في الخمر كان ابونواس يأخذها عنه . ومع ان ابا نواس مات سنة ١٩٨ والضحاك مات سنة ٢٥٠ فقد تعاصرا لان مولدهما متقارب لكن ابن الضحاك عمر كثيراً

وهو اول من نادم الامين وله فيه مدائح كثيرة فلما رجع المأمون من خراسان بعد مقتل اخيه واستتب الامر له طلب قوماً من اهل الادب يجالسونه فذكروا له جماعة فيهم حسين بن الضحاك فقال « اليس هو القائل في محمد (الامين) :

هلاَّ بقيت لسدّ فاقتنا ابداً وكان لغيرك التلفُ
فلقد خلفت خلائفاً سلفوا ولسوف يعوِز بعدك الخلفُ

لا حاجة لي فيه والله لا يراني ابداً الا في الطريق » ولم يعاقبه على ما كان من هجائه له وتعريضه به . وانحدر الحسين الى البصرة فاقام بها طول ايام المأمون

وله في الامين مراث جيدة . فلما تولى المعتصم سأل عن حسين بن الضحاك فقيل له انه في البصرة فاستقدمه فقدم وانشده قصيدة فيها من المديح قوله :

خير الوفود مبشرٌ بخلافة خصت ببهجتها ابا اسحق
وافته في الشهر الحرام سليمة من كل مشكلة وكل شقاق
اعطته صفقتها الضمائر طاعةً قبل الاكف باوكد الميثاق
سكن الانام الى امام سلامةٍ عفّ الضمير مهذب الاخلاق

فحمى رعيته ودافع دونها واجار مملقها من الاملاق

وله ابيات في التغزل بالغلمان اقتبس بعضها ابو نواس [1]

وتجد اخباره في الاغاني ١٧٠ ج ٦ وابن خلكان ١٥٤ ج ١

شعراء البرامكة

نريد بهم الشعراء الذين كان اكثر انقطاعهم للبرامكة او اختصوا بهم دون سواهم او كان لهم معهم شأن خاص وهاك اشهرهم :

١ — أبان بن عبد الحميد

هو من الشعراء الموالي واكثر شعره مزدوج ومسمط . نقل كتباً من الفارسية الى العربية . وله ذكر خاص في آداب اللغة العربية لانه نظم كتاب كليلة ودمنة شعراً باشارة البرامكة كما نظمه الفرس قبلاً ليسهل حفظه على الاذهان . وقد نقله ابن المقفع نثراً . وهاك مطلع الترجمة الشعرية :

هـذا كتاب ادب ومحنـهْ وهو الذي يدعى كليلة دمنـهْ

فيه احتيالاتٌ وفيه رشـدُ وهو كـتابٌ وضعته الهندُ

فاعطاه يحيى بن خالد عشرة الاف دينار واعطاه الفضـل خمسة الاف دينار ولم يعطه جعفر شيئاً وقال « الا يكفيك ان احفظه فاكون راويتك ؟ »

وهذا النقل من جملة افضال البرامكة على اللغة العربية لـكن المنظومة ضاعت ولم يبق منها الا هذان البيتان . ونقله شعراً ايضاً آخرون سنذكرهم عند ذكر هذا الكتاب

وارتقى ابان في ايام البرامكة حتى جعل يحيى بن خالد امتحان الشعراء وترتيبهم في الجوائز اليه فامتحنهم ورتبهم وفي جملتهم ابونواس . فلم يرض ابو نواس المرتبة التي جعله فيها وهجاه بقصيدة اتهمه فيها بالزندقة واكثر اعـدائه كانوا يتهمونه بذلك وفيهم المعذل بن غيلان فانه قال فيه :

رايت ابانا يوم فطر مصلياً فقسم فكري واستفزني الطربْ

وكيف يصلي مظـلم القلب دينهُ على دين مانٍ ان ذاك من العجب

(١) الاغاني ١٧٠ ج ٦

واغتنم ابان تقربه من البرامكة ووسطهم بايصاله الى الرشيد او ايصال مديحه لعله يحظى كما حظي مروان بن ابي حفصة فلم يفعلوا . ولما عاتبهم قالوا « ان مروان يتقرب اليهم بهجو آل ابي طالب فهل تفعل ؟ » فقال لا فقالوا « فماذا نصنع لا تأتي الدنيا الا بما لا يحل » ثم غلب عليه التماس الرزق فقال :

نشدت بحق الله من كان مسلماً اعم بما قد قلته العجم والعربْ

اعمُّ رسول الله اقرب زلفةً لديه ام ابن العم في رتبة النسب

وايهما اولى به وبعهـده ومن ذا له حق التراث بما وجب

فان كان عباسٌ احق بتلـكم وكان عليٌّ بعد ذاك على سبب

فابناء عباس هم يرثونه كما العم لابن العم في الارث قد حجب

وهي طويلة فقدموها الى الرشيد فاجازه عليها واتصل به من ذلك الحين

وتجد اخباره في الاغاني ٧٣ ج ٢٠ والفهرست ١٦٣

٢ — ابن مُنَاذر

توفي سنة ١٩٨ هـ

هو مولى ويكنى ابا جعفر واسمه محمد بن مناذر شاعر فصيح مقدم في العلم باللغة وامام فيها حتى اخذ عنه اكابر اهلها وكان في اول امره يتعبد ثم عدل عن ذلك فهجا الناس وتهتك وخلع وقذف اعراض اهل البصرة حتى نفي عنها الى الحجاز فمات هناك

وكان ينحو نحو عدي بن زيد في شعره ويميل اليه ويقدمه . وقد مدح آل برمك وغيرهم . ولما نكب البرامكة وآلت الوزارة الى عدوهم الفضل بن الربيع اصبح شعراء البرامكة في خطر . فاراد ابن مناذر ان يتقرب الى الرشيد طلباً للرزق فاغتنم ذهابه الى الحج وتقدم اليه يوم التروية بقصيدة فلاح البشر في وجه الرشيد فقال الفضل بن الربيع للرشيد . « هذا شاعر البرامكة » فعبس الرشيد فقال الفضل « مره ان ينشدك قوله فيهم » فامره فاعتذر فالح عليه فانشد القصيدة التي مطلعها :

اتانا بنو الامـلاك من آل برمك فيا طيب اخبار ويا حسن منظر [1]

وكلها اطراء في البرامكة ولما فرغ منها استدرك بقوله « كانوا اولياءك يا امير المؤمنين لما مدحتهم » فامر الرشيد ان يلطم فلطموه وامر فسحبوه وخرج لا يلوي

(١) الاغاني ٢٥ ج ١٧

على شيء . فلقيه ابو نواس فدفع اليه صرة فيها ٣٠٠ دينار وقال له « استعن بهذه واعذرني » ولم يعد ابن مناذر يرى خيراً بعد البرامكة

وتجد اخباره في الاغاني ٩ ج ١٧ والشعر والشعراء ٥٥٣

٣ — الرُّقاشي

توفي سنة ٢٠٠ هـ

هو مولى واسمه الفضل بن عبد الصمد الرقاشي من اهل البصرة كان سهل الشعر مطبوعاً وكان منقطعاً الى آل برمك مستغنياً بهم عن سواهم . وكانوا يصولون به على الشعراء ويروُّون اولادهم اشعاره ويدونونها القليل والكثير منها تعصباً له وحفظاً لخدمته وتنويهاً باسمه وتحريكاً لنشاطه فحفظ ذلك لهم . فلما نكبوا صار اليهم في حبسهم فاقام معهم مدة ايامهم ينشدهم و يسامرهم حتى ماتوا ثم رثاهم فاكثر من رثاهم . من ذلك قوله لما صلب الفضل بن يحيى واجتاز به الرقاشي وهو مصلوب على الجذع فوقف يبكي ثم قال :

اما والله لولا خوف واشٍ ... وعين للخليفة لا تنامُ
لطفنا حول جذعك واستلمنا ... كما للناس بالحجر استلام
فما ابصرت قبلك يا ابن يحيى ... حساماً حتفه السيف الحسام
على اللذات والدنيا جميعاً ... ودولة آل برمك السلام

وتجد ترجمته في الاغاني ٣٥ ج ١٥ وفوات الوفيات ١٢٥ ج ٢ والشعر والعشراء ٥١٥

٤ — أَشْجع السُّلَمي

هو اشجع بن عمرو السلمي من قيس . ولد باليمامة ومات ابوه فجاءت به أمه البصرة فماتت هناك . ونشأ اشجع بالبصرة وقال الشعر واجاد وعد من الفحول وكان الشعر يومئذ في ربيعة واليمن ولم يكن لقيس شاعر معدود فلما نجم اشجع افتخرت به قيس . ثم اتصل بالبرامكة واختص بجعفر واصفاه مدحه فاعجب به واوصله الى الرشيد فاعجب به فأثرى . ومن بليغ شعره قوله في ابراهيم بن عثمان بن نهيك صاحب شرطة الرشيد وكان جباراً عبوساً :

في سيف ابراهيم خوفٌ واقعٌ ... بذوي النفاق وفيه أمنُ المسلمِ
وببيت يكلأ والعيون هواجعٌ ... مال المضيع ومهجةَ المستسلم

جعل الحطام بأنف كل مخالف ... حتى استقام له الذي لم يخطم
لا يُصلح السلطانَ الاشدةٌ ... تغشى البريءَ بفضل ذنب المجرم
ومن الولاة مقحمٌ لا يتقى ... والسيف تقطر شفرتاه من الدم
منعت مهابتك النفوس حديثها ... بالامر تكرههُ وان لم تعلم

وتجد اشعاره واخباره في الاغاني ٣٠ ج ١٧ والشعر والشعراء ٥٦٢

واكثر الشعراء مدحوا البرامكة وانتفعوا بهم وانما اتينا على اشهرهم في ذلك وبعضهم يدخل في الابواب الاخرى

شعراء الشيعة

نريد بشعراء الشيعة الذين كانوا يتشيعون لآل علي ويتعصبون لهم ولو مدحوا غيرهم وقد ترجمنا اثنين منهم هما السيد الحميري ودعبل في جملة عمدة شعراء هذا العصر . واليك ترجمة ثالثهم ديك الجن :

دِيك الجِنّ

توفي سنة ٢٣٥ هـ

اسمه عبد السلام بن رغبان واصله من اهل مؤتة (وقيل سلمية) وقد اسلم جده في اول الاسلام . ولد في حمص وديك الجن لقب له وكان شديد التشعب والعصبية على العرب يرد على الذين يحتقرون غير العرب بقوله « ما للعرب علينا فضل جمعتنا واياهم ولادة ابراهيم واسلمنا كما اسلموا » وهو شاعر مجيد يذهب مذهب ابي تمام والشاميين في شعره وكان مقيماً في حمص ولم يبرح نواحي الشام ولا وفد الى العراق ولا الى غيره منتجعاً بشعره ولا متصدّ لاحد وهذا نادر في شعراء ذلك العصر . وكان يتشيع لآل البيت وله مراثٍ كثيرة في الحسين بن علي كان بعضها مشهوراً عند الخاص والعام يناح به . وكان مع ذلك خليعاً ماجناً منعكفاً على القصف واللهو متلافاً لما ورث عن آبائه وما اكتسبه بشعره من احمد وجعفر ابني علي الهاشميين . ومن اقواله في الخلاعة والغزل قصيدة مطلعها :

مولاتنا يا غلام مبتكره ... فباكر الكاس لي بلا نظره

وعشق جارية نصرانية من اهل حمص اسمها وردة حملها على الاسلام وتزوجها وله فيها تشبيب منه قوله :

انظر الى شمس القصور وبدرها ... والى خزاماها وبهجة زهرها
لم تبك عينك ابيضاً في اسودٍ ... جمع الجمال كوجهها في شعرها
وردية الوجنات يختبر اسمها ... من ريقها من لا يحيط بخبرها
وتمايلت فضحكت من ارادفها ... عجباً ولكني بكيت لخصرها
تسقيك كاس مدامة من كفها ... وردية ومدامة من ثغرها

ودخل بعض اقربائه بينه وبينها واتهمها بحب رجل آخر واحتال حتى صدق ديك الجن التهمة وهي افتراء وقتلها على غضب ثم عرف انها بريئة فنظم في رثائها :

يا طلعة طلع الحمام عليها ... وجنى لها ثمر الردى بيديها
روَّيتُ من دمها الثرى ولطالما ... روى الهوى شفتيَّ من شفتيها
قد بات سيفي في مجال وشاحها ... ومدامعي تجري على خديها
فوحق نعليها وماوطىء الحصى ... شيء اعزُّ عليَّ من نعليها
ما كان قتليها لاني لم اكن ... ابكي اذا سقط الذباب عليها
لكن ضننت على العيون بحسنها ... وانفت من نظر الحسود اليها

وبعضهم ينسب هذه الابيات لغير ديك الجن . واحسن نظمه بعد ذلك فيها وكله جيد على انه كان مجيداً في الرثاء حتى فضلوه فيه على ابى تمام [1] . وتجد اخباره في لاغاني ١٤١ ج ١٢ وابن خلكان ٢٩٣ ج ١ والدميري ٣١٦ ج ١

شعراء سائر الامصار

وهناك طبقة من شعراء العصر العباسي الاول انقطع كل منهم الى امير او وزير اوكبير . اشهرهم علي بن جبلة المعروف بالعكوك انقطع لابي دلف . ومطيع بن اياس انقطع لجعفر بن المنصور. وابو الشيص لعقبة بن جعفر بن الاشعث وهذه تراجمهم :

١ – مُطيع بن أَياس

هو عربي الاصل يرجع نسبه الى كنانة وقد عاصر الدولتين الاموية والعباسية وكان ماجناً خليعاً ظريفاً مليح النادرة متهماً بالزندقة . ولد ونشأ في الكوفة

(١) العمدة ١١٩ ج ٢

وانقطع لجعفر بن ابي جعفر المنصور ومدح قليلين غيره . وهو من طبقة كانت في صدر الدولة العباسية قبل ابي نواس وابي العتاهية ادركوا المنصور وهو لا يقبل الشعراء وكانوا ثلاثة : مطيع وحماد عجرد ويحيى بن زياد فكانوا يتذاكرون ايام بني امية وكثرة الخير فيها وما هم فيه ببغداد من القحط ايام المنصور . وقد نظم مطيع في ذلك شعراً منه قوله :

حبذا عيشنا الذي زال عنا ... حبذا ذاك لا حبذا ذا
اين هذا من ذاك سقياً لذا ... ك ولسنا نقول سقياً لهذا
زاد هذا الزمان عسراً وشرًّا ... عندنا اذ احلنا بغذاذا
بلدةٌ تمطر التراب على النا ... س كما تمطر السماء الرذاذا
خربت عاجلاً واخرب ذو العر ... ش باعمال اهلها كلواذا

وكانوا يتهتكون في تعشق الغلمان ولعلهم اقدم من فعل ذلك من الشعراء . وفي الاغاني حديث عنهم نخجل من ذكره يدل على مقدار تهتكهم في ذلك العصر. ولمطيع قصيدة عامرة يمدح بها معن بن زائدة مطلعها :

اهلاً وسهلاً بسيد العرب ... ذي الغرر الواضحات والنجب
فتى نزار وكهلها واخي الجـ ... ـود حوى عانيه من كثب

وترى اخباره في الاغاني ٧٨ ج ١٢ و٨٥ ج ١٣ و٨٦ ج ٢١

٢ – أَبو الشَّيص

توفي سنة ١٩٦ هـ

هو ابو جعفر محمد بن رزين من اليمنية . وهو عم دعبل الشاعر المشهور وقد تقدمت ترجمته . وكان ابو الشيص من شعراء عصره متوسط المحل فيهم غير نبيه الذكر لوقوعه بين مسلم بن الوليد واشجع وابي نواس فخمل وانقطع الى عقبة بن جعفر بن الاشعث الخزاعي وكان اميراً على الرقة فمدحه باكثر شعره وقلما يروى له في غيره . وكان عقبة جواداً فاغناه عن غيره لانه كان يعطيه عن كل بيت الف درهم . وكان من وصاف الخمر وله مقدرة على الغزل . واصيب آخر عمره بالعمى فنظم الشعر في بكاء عينيه فمن ذلك قوله :

يا نفس ابكي بادمع هتن ... ووا كف كالجمان في سنن
على دليلي وقائدي ويدي ... ونور وجهي وسايس البدن

ابكي عليها بها مخافة ان يقرنني والظلام في قرن

ومن اقواله في الغزل :

وقف الهوى بي حيث انت فليس لي متأخرٌ عنه ولا متقدمُ
اجد الملامة في هواك لذيذة حباً بذكرك فليلمني اللوَّم
اشبهت اعدائي فصرتُ احبهم اذ كان حظي منك حظي منهم
واهنتني فاهنتَ نفسي صاغراً ما من يهون عليك ممن يكرم

وهو مما يتغنى به. وقد سرق ابو نواس معنى البيت الاول فنظمه في قوله :

فما جازه جودٌ ولا حل دونهُ ولكن يسير الجود حيث يسير

وسرق آخرون معنى البيت الثاني فقال بعض المغاربة :

هددت بالسلطان فيك وانما أخشى صدودك لا من السلطان
اجد اللذاذة في الملام فلو درى أخذ الرشا مني الذي يلحاني

وتجد اخباره في الاغاني ١٠٨ ج ١٥ وفوات الوفيات ٢٢٥ ج ٢ والشعر والشعراء ٥٣٥ والفهرست ١٦١

٣ – العَكوَّك

توفي سنة ٢١٣ هـ

اسمه علي بن جبلة الانباري والعكوَّك لقبه وهو من الموالي ابناء الشيعة الخراسانية من اهل بغداد ولد في الحربية منها ونشأ فيها وكان ضريراً منذ ولادته مثل بشار بن برد . وهو شاعر مطبوع عذب اللفظ جزله لطيف المعاني مداح حسن التصرف . وقد استنفد شعره في مدح ابي دلف العجلي وابي غانم حميد بن عبد الحميد الطوسي وزاد في تفضيلهما وتفضيل ابي دلف خاصة حتى فضل ربيعة على مضر. فاستاء المأمون من ذلك وبلغه ابيات قالها العكوك في ابي دلف منها :

كل من في الارض من عرب بين باديه الى حضره
مستعير منك مكرمة يكتسيها يوم مفتخره

فغضب المأمون وطلبه وسل لسانه من قفاه . ويقال بل هرب ولم يزل متوارياً حتى مات . وسبب معرفة العكوك بابي دلف طلب الرزق فقد بلغه ان الناس يقصدونه لجوده فقصده بقصيدة مدحه بها وهي اربعون بيتاً في جملتها البيتان المتقدمان

وهو ابرص اسود . وله في الغزل قوله :

بابي من زارني مكتتماً خائفاً من كل شيء جزعا
زائراً نمَّ عليه حسنهُ كيف يخفى الليل بدراً طلعا
رصد الغفلة حتى أمكنت ورعى السامر حتى هجعا
ركب الاهوال في زورته ثم ما سلم حتى ودعا

واخبار العكوك كثيرة وقد ذكرنا مدحه ابا دلف من امثلة المبالغة صفحة ٤٧ وتجد اكثر اخباره في الاغاني ١٠٠ ج ١٨ وابن خلكان ٣٤٨ ج ١ والشعر والشعراء ٥٥٠

وهاك اهم الذين انقطعوا لمدح الامراء غير من تقدم ذكرهم . وبجانب اسم كل منهم المأخذ الذي يرجع اليه في مطالعة اخباره :

٤ ابراهيم بن سيابة	مدح ابراهيم الموصلي المغني	اخباره بالاغاني	٦ ج ١١
٥ محمد بن امية واخوه علي	» ابراهيم بن المهدي	»	٣٢ ج ١١ و ٦٣ ج ٢٠
٦ محمد بن صالح	» ابن المدبر	»	٨٨ ج ١٥ و ٢٢٠ فوات ٢

شعراء لم ينتسبوا بالشعر

كل من تقدم ذكرهم انما كانوا يرتزقون بالشعر مدحاً او هجاء او نحو ذلك مثل سائر شعراء ذلك العصر وغيره وقليل فيهم من لم يتكسب بالشعر اي يجعله باباً للرزق . ومن هذا القليل في العصر العباسي الاول صالح بن عبد القدوس والعباس ابن الاحنف ومحمد بن بشير الرياشي

١ – صَالح بن عبد القُدُّوس

توفي سنة ١٦٧ هـ

هو صالح بن عبد القدوس بن عبد الله بن عبد القدوس من حكماء الشعراء منهم بالزندقة قوي الحجة له منزلة كبرى عند اهل مذهبه . نشأ في البصرة وكان يقصُّ على الناس ويعظهم . وبلغ المهدي خبر زندقته فبعث اليه يستقدمه من دمشق وكان قد رحل اليها وهو شيخ طاعن في السن . فلما جاء بغداد ومثل بين يدي المهدي قال له المهدي الست القائل ؟ :

والشيخ لا يترك اخلاقه حتى يوارى في ثرى رمسه

قال « بلى يا امير المؤمنين » قال « وانت لا تترك اخلاقك حتى تموت » فامر به فقتل وصلب على جسر بغداد سنة ١٦٧ هـ واكثر اشعاره في الحكم الفلسفية . ومن احاسن اقواله القصيدة التي منها ذلك البيت . وهو يقول فيها :

لا يبلغ الاعداء من جاهلٍ ما يبلغ الجاهل من نفسهِ
والشيخ لا يترك اخلاقه حتى يوارى في ثرى رمسه
اذا ارعوى عاد الى جهله كذي الضنى عاد الى نكسه
وانّ من ادبته في الصبا كالعود يسقى الماء في غرسه
حتى تراه مورقاً ناضراً بعد الذي ابصرت من يبسه

وقوله :

لا يعجبنك من يصون ثيابه حذر الغبار وعرضهُ مبذولُ
ولربما افتقر الفتى فرأيتهُ دنس الثياب وعرضهُ مغسول

وكان فيه ميل الى العزلة والانقطاع عن الناس شأن الفلاسفة ومن قوله :

انستُ بوحدتي ولزمت بيتي فتم العزُّ لي ونما السرور
وادبني الزمان فليت اني هجرت فلا أزَارُ ولا ازور
ولست بقائلٍ ما دمت حيًّا اقام الجند ام نزل الامير

وهو القائل :

اذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه الى ما تستطيع

وله قصيدة حكمية اخلاقية بديعة مطلعها :

المرء يجمع والزمان يفرّق ويظلُّ يرقع والخطوب تمزّق

وترى اكثر اخباره في فوات الوفيات ١٩١ ج ١ والدميري ٢٦ ج ١

٢ – ٱلْعَبَّاسُ بن الْأَحْنَف

توفي سنة ١٩٢ هـ

هو عربي شريف النسب لم يتكسب بالشعر وانما كان ينظم ما يجيش في خاطره واكثره في الغزل ولم يتجاوزه الى مديح او هجاء . وله مذهب حسن ولديباجة شعره رونق ولمعانيه عذوبة ولطف . ولولا حذقه وسعة خياله لم يقدر ان يكثر من النظم في مذهب واحد لا يتجاوزه . ويندر ذلك في الشعراء قديماً وحديثاً . وله ديوان طبع

مع ديوان ابن مطروح بالاستانة سنة ١٢٩٨ هـ ولشعره الغزلي وقع في النفس فانهم كانوا يغنون كثيراً منه كقوله :

لا جزى الله دمع عيني خيراً وجزى الله كلَّ خير لساني
نمَّ دمعي فليس يكتمُ شيئاً ورأيت اللسان ذا كتمان
كنت مثل الكتاب اخفاه طيٌّ فاستدلوا عليه بالعنوان

وقوله :

لو كنت عاتبة لسكن روعتي املي رضاك وزرت غير مراقبِ
لكن مللت فلم تكن لي حيلة صدُّ الملول خلاف صدّ العاتب

وقوله :

اتأذنون لصب في زيارتكم فعندكم شهوات السمع والبصر
لا يضمر السوء ان طال الجلوس به عف الضمير ولكن فاسق النظر

وتجد اخباره واشعاره في الاغاني ١٥ ج ٨ وابن خلكان ٢٤٥ ج ١ والشعر والشعراء ٥٢٥

٣ – محمد بن بَشير ٱلرِّيَاشي

هو من الشعراء الموالي غير محمد بن بشير الخارجي . اما الرياشي فانه شاعر ظريف من اهل البصرة لم يفارقها ولا وفد على خليفة ولا شريف منتجعاً ولا تجاوز بلده . وكان ماجناً هجاء خبيثاً وله في الهجاء قصيدة وصفية هجا بها شاة دخلت بستانه وفيه بقلٌ من غرسه فاكلته ثم دخلت داره فلم تجد فيها غير القراطيس وفيها شعره فاكلتها وخرجت فنظم في ذلك قصيدة طويلة [1] مطلعها :

لي بستانٌ انيق زاهر ناضر الخضرة ريان ترف

واحسن في وصف الشاة وحركاتها ويتخلل ذلك مجون لطيف . واكثر قصائده على هذا الاسلوب منها قصيدة وصف بها فراخاً [2] مطلعها :

يارب رب الرائحين عشية بالقوم بين منى وبين ثبير

وهي طويلة وفيها مجون واكثر نظمه من هذا النوع

وتجد اخباره في الاغاني ١٢٩ ج ١٢

(١) الاغاني ١٣٠ ج ١٢ (٢) الاغاني ١٣٥ ج ١٢

شعراء لم يتحضروا

اما الشعراء الذين ظلوا على بداوتهم أو لم يقيموا في بغداد بل كانوا يفدون على الخلفاء او الامراء ثم يرجعون الى البادية فهم اقل كثيراً من الذين تحضروا اشهرهم :

١ — كُلثُوم بن عمرو العتّابي

توفي سنة ٢٢٠ هـ

اصله من قنسرين مدح البرامكة وطاهر بن الحسين وكان حسن الاعتذار في شعره ورسائله وله مصنفات في المنطق والادب واللغة وكان يقيم في رأس عين بعيداً عن دور الخلفاء والامراء . وبلغ الرشيد قصيدة قالها فاعجب بها فطلب اشخاصه اليه فجاء وعليه قميص غليظ وفروة وخف وعلى كتفه ملحفة جافية بغير سراويل . فلما رفع الخبر بقدومه الى الرشيد أمر بان تفرش له حجرة وتقام له وظيفة ففعلوا . فكانت المائدة اذا قدمت اليه اخذ منها رقاقة وملحاً وخلط الملح بالتراب فاكله بها . فاذا كان وقت النوم نام على الارض والخدم يتفقدونه ويتعجبون من فعله . وسأل الرشيد عنه فاخبروه بامره فأمر بطرده فخرج حتى اتى يحيى بن سعيد العقيلي وهو في منزله فسلم عليه وانتسب له فرحب به وقال له « ارتفع » فقال « لم آتك للجلوس » قال « فما حاجتك » قال « دابة ابلغ عليها الى راس عين » فقال « يا غلام اعطه الفرس الفلاني » فقال « لا حاجة لي في ذلك ولكن تأمر أن تشترى لي دابة أتبلغ عليها » فقال لغلامه « امض معه فابتع له ما يريد » فمضى معه فعدل به العتابي الى سوق الحمير فقال الغلام « انما امرني ان ابتاع لك دابة » فقال له « انه ارسلك معي ولم يرسلني معك فان عملت ما أريد والا انصرف » فمضى معه فاشترى حماراً بمائة وخمسين درهماً وقال « ادفع اليه ثمنه » فدفع اليه فركب الحمار عرياً بمرشحة عليه وبرذعة وساقاه مكشوفتان فقال له يحيى بن سعيد « فضحتني أمثلي يحمل مثلك على هذا » فضحك وقال « ما رأيت قدرك يستوجب اكثر من ذلك » ومضى الى رأس عين . وكانت امرأته من باهلة فلامته وقالت « هذا منصور النمري (تلميذك وراويتك) قد اخذ الاموال فخلى نساءه وبنى داره واشترى ضياعاً وانت ههنا كما ترى » فانشد يقول :

تلوم على ترك الغنى باهلية ذوى الفقر عنها كل طرف وتالد
رأت حولها النسوان يرفلن في الثرى مقلدة اعناقها بالقلائد

أسركِ اني نلتُ ما نال جعفرٌ من العيش او مانال يحيى بن خالد
وان امير المؤمنين اغضني بغصهما بالمشرفات النوارد ؟
دعيني تجيني منيتي مطمئنة ولم اتجشم هول تلك الموارد

ويرى صاحب الاغاني اضطراباً في هذا الخبر . على انه كان يفد على الخلفاء والامراء وينال جوائزهم . وهو أستاذ المنصور النمري

اخباره في الاغاني ٢ ج ١٢ وفوات الوفيات ١٣٩ ج ٢

٢ — ربيعة الرقّي

هو ربيعة بن ثابت الانصاري ولد في الرقة ونشأ بها وكان شاعراً مطبوعاً . وهو ضرير مثل بشار وكان منقطعاً عن الحضارة بعيداً عن مجالسة الخلفاء فاخمل ذكره بسبب ذلك . لكنهم كانوا يستقدمونه اليهم واول من فعل ذلك المهدي فمدحه ونال جوائزه . وكان ابن المعتز يرى ربيعة اشعر غزلاً من ابي نواس لان في غزل ابي نواس برداً كثيراً وغزل هذا سليم عذب سهل ولذلك فان شهرته بلغت الى بلاط الخليفة . وكان يمدح غير الخلفاء وينال جوائزهم ويعود الى بلده . وان قصر احد في عطائه هجاه وله في ذلك حديث مع العباس بن محمد بن علي من امراء بني العباس — وذلك ان الرقي مدحه بقصيدة مطلعها :

لو قيل للعباس يا ابن محمد قلْ «لا» وانت مخلدٌ ما قالها
ما ان اعدّ من المكارم خصلة الا وجدتك عمها او خالها
واذا الملوك تسايروا في بلدة كانوا كواكبها وكنت هلالها
ان المكارم لم تزل معقولة حتى حللت براحتيك عقالها

فبعث اليه العباس دينارين وهو يتوقع ان يعطيه الفي دينار فاعطى الدينارين الى الرسول على ان يوصل اليه رقعة كتب فيها :

مدحتك مدحة السيف المحلى لتجري في الكرام كما جريتْ
فهبها مدحة ذهبت ضياعاً كذبت عليك فيها وافتريت
فانت المرء ليس له وفاءٌ كاني ان مدحتك قد زنيت

فغضب العباس وشكاه الى الرشيد فاحضره الرشيد وهمَّ بقصاصه فقص عليه الحديث . فلما اطلع الرشيد على الحقيقة احتقر العباس وكان ينوي ان يزوجه ابنته فتغير عليه وامر للرقّي بثلاثين الف درهم وبغلة واوصاه ان لا يذكر العباس تعريضاً

ولا تصريحاً . واتفق للرقي ايضاً مثل ذلك مع معن بن زائدة وقد لقيه في بعض قدماته الى العراق فمدحه فلم يهش له فهجاه بقصيدة مطلعها :

معن يا معن يا ابن زائدة الكلـ ـب الذي في الذراع لا في البنان
لا تفاخر اذا فخرت بآبا ـئك وافخر بعمك الحوفزان

ومن غزله ابيات يغنّى بها وهي :

وتزعم اني قد تبدّلتُ خلة سواها وهذا الباطل المتقوّلُ
لحى الله من باع الصديق بغيره فقالت نعم حاشاك ان تك تفعل
ستصرم انساناً اذا ما صرمتني بحبك فانظر بعده من تبدل

وتجد اخباره في الاغاني ٣٨ ج ١٥ وخزانة الادب ٥٥ ج ٣

٣ — عمارة بن عقيل : هو من الشعراء البدو في هذا العصر حفيد جرير الشاعر المشهور . وهو شاعر مقدم فصيح كان يسكن بادية البصرة ويزور الخلفاء العباسيين فيجزلون صلته ويمدح قوادهم فيحظى بكل فائدة وكان النحويون بالبصرة يأخذون عنه . وتجد اخباره في الاغاني ١٨٣ ح ٢٠ وطبقات الادباء ٢٣٣

٤ — ناهض بن ثومة : هو من عامر شاعر بدوي فارس فصيح كان يقدم البصرة فيكتب عنه شعره وتؤخذ عنه اللغة . واخباره في الاغاني ٣٣ ج ١٢

وهناك شعراء كثيرون لم تبلغ اخبارهم الينا لانهم قضوا حياتهم في البادية ولم يفدوا على احد . ناهيك بمن نظم الشعر من غير الشعراء وفيهم طائفة من اللغويين والنحاة والفقهاء والمحدثين حتى الوزراء والخلفاء والولاة والخدم والنساء وغيرهم ممن جمعت اشعارهم في ذلك العصر وبقي كثير منها الى اواسط القرن الرابع . فقد ذكر ابن النديم في الفهرست مئات من أولئك الشعراء . فيهم من الشعراء الكتاب بضع مئات وعدة عائلات تسلسل الشعر في اعقابها كآل ابي أمية وآل اللاحقي وآل ابي عيينة المهلبي وآل المعدّل وآل ابي العتاهية . وطائفة من النساء الشواعر

وذكر ابن النديم لبعض الشعراء مقدار ما خلفوه من الشعر بعدد الورق بتقدير الورقة صفحتين في كل منهما عشرون سطراً . فذكر نحو مئة شاعر منهم بشار له الف ورقة وابو نواس ٨٠٠ ورقة وابن هرمة ٥٠٠ ورقة وغيرهم ٣٠٠ واقل الى ٥٠ او ٢٠ ورقة على ما كان معروفاً في عصره باواسط القرن الرابع . ولم يبق من ذلك الى اليوم الا القليل فمن اراد مراجعة قائمة ابن النديم فهي تبدا بصفحة ١٥٩ من الفهرست

العلوم اللسانية

الادب والادباء وعلم الادب

اختلف العلماء في تعريف الادب وتحديده . اما علم الادب فيشتمل في اصطلاحهم على اكثر علوم العربية كالنحو واللغة والتصريف والعروض والقوافي وصنعة الشعر واخبار العرب وانسابهم . وصاحب هذه العلوم او احدها كانوا يسمونه « اديب »[1] وقالوا الفرق بين الاديب والعالم ان الاديب يأخذ من كل شيء احسنه فيألفه والعالم من يقصد لفن من العلم فيتقنه[2] . ولكن التعريف الاول اقرب الى المراد ولذلك جعلوا الغاية من علم الادب الاجادة في فني المنثور والمنظوم — وقد شاعت هذه التسمية قبل ان تتميز هذه العلوم ويستقل بعضها عن بعض . وكانت في اول امرها مختلطة متشابهة ثم استقلت بالتدريج وتفرعت وصار كلٌّ منها علماً له احكام مستقلة جرياً على سنة النشوء والارتقاء

فكان المراد بالادب في اول الاسلام جمع اقوال العرب واشعارهم واخبارهم وامثالهم للاستعانة بها على تفسير القرآن وضبط الفاظه وتفهم اساليبه — اخذوا بذلك من القرن الاول للهجرة . وكان ابن عباس يقول « اذا قرأتم شيئاً من كتاب الله لم تعرفوه فاطلبوه في اشعار العرب لان الشعر ديوان العرب »[3]

ثم وضع ابو الاسود الدؤلي النحو لضبط المعاني كما تقدم فزادت الحاجة الى جمع اقوال العرب واشعارهم للاستشهاد بها في الاعراب والتصريف . واهتمت الدولة الاموية في احياء لغة العرب وآدابها واخذ خلفاؤها في حفظ الآداب الجاهلية فجعلوا يقربون الذين يحفظونها أو ينقلونها او يروونها ويبذلون لهم الاعطية

الادباء في الدولة العباسية

وظلت الرغبة في اللغة وأدبها متصلة بالدولة العباسية ولا سيما في عصرها الاول لرغبة خلفائها الاولين ووزرائها البرامكة في العلم والادب والشعر . ولم تكن رغبتهم قاصرة على الشعر ولكنهم نشطوا الادب على الاجمال واستقدموا الادباء من الكوفة والبصرة للسماع منهم او لتعليم ابنائهم اللغة والنحو والشعر . فالمنصور استقدم شرقيّ القطامي ليعلم ابنه المهدي الادب والنسب[4] فشب المهدي على حب الادب والادباء

(١) طبقات الادباء ١١٧ (٢) معجم الادباء ١٧ ج ١ (٣) العمدة ١١ ج ١
(٤) طبقات الادباء ٤٢

فألَّفَ لهُ المفضل الضبي المفضليات . وكثيراً ما كان يعقد المجالس للمناظرة بين الادباء في النحو او اللغة يحضرها الكسائي واليزيدي وغيرهما [١] ثم عهد الى الكسائي بتعليم ابنه هرون (الرشيد) في حديث لطيف يدل على عناية المهدي في اللغة [٢]

فلما صارت الخلافة الى الرشيد نشأ على احترام استاذه حتى كان يجلسه على كرسي في حضرته ويأمره ان لا ينزعج لنهضته [٣] وعهد اليه بتعليم ابنه الامين . وكان الرشيد شديد الرغبة في سماع مناظرات الادباء فكان يعقد المجالس للمناظرة بين الاصمعي وابي عبيدة [٤] او يدعو احد الرواة اذا ارق او ضجر ليقص عليه اخبار العرب فاذا سرَّه حديثه اجزل عطاءه الى مئة الف درهم او حواليها فضلاً عن الهدايا وغيرها [٥] وقد يجادله او ينتقده مما يشف عن علم ومعرفة [٦]. وكان الرشيد يحب ان يكون محاطاً بالادباء والشعراء حتى في دار النساء . فكان يؤثر الجواري المتعلمات ويعرضهن على الاصمعي او غيره ليمتحنهن ويعلم درجة معارفهن [٧] واعتبر ذلك ايضاً في الوزراء والامراء فالبرامكة تنشيطهم للادب اشهر من ان يذكر . والفضل بن الربيع فاضلَ بين الاصمعي وابي عبيدة [٨] اما الامراء فكانوا يقتدون بالخلفاء في تقريب اهل الادب

رواة الادب من غير العرب

وكان العرب في الصدر الاول مشتغلين عن الادب بالسياسية اوالشعر اوالخطابة وهم في غنى عن الاستشهاد في ضبط كلامهم او قراءتهم لاستغنائهم بملكتهم الفطر. عن تعلم القواعد وحفظ الالفاظ . وكان الاعاجم الذين دخلوا الاسلام من اهل فارس والعراق وخراسان بالولاء او بالخدمة يفتقرون في تعلم العربية الى قواعد وشواهد لانها ليست لغتهم . واكثرهم مع ذلك اهل فاقة يلتمسون الرزق . فتوافدوا للاشتغال بالادب الى البصرة والكوفة لانهما على حدود البادية او هما واسطة الاتصال بين الحضارة والبداوة . وزاد توافدهم في الدولة العباسية لانها جعلت قصبتها في العراق على مقربة من هذين البلدين وفيهما جماعة كبيرة من قبائل العرب نزلوهما في صدر الاسلام وانزلوا مواليهم معهم فنبغ من هؤلاء الموالي طائفة من الادباء كان لهم فضل كبير على آداب اللغة واكثرهم من موالي بني اسد النازلين بجوار الكوفة وغيرهم بجوار البصرة

(١) الاغاني ٧٦ج ١٨ (٢) طبقات الادباء ٨٧ (٣) المزهر ٢١١ ج ٢
(٤) طبقات الادباء ١٤٥ (٥) طبقات الادباء ١٦٢ (٦) ابن خلدون ٥٠٩ ج ١
(٧) طبقات الادباء ١٥٧ (٨) طبقات الادباء ١٦٦

فمن اولئك الادباء جماعة اشتغلوا بجمع الاشعار والاخبار والامثال ونحوها وسموا الرواة لانهم يروون ما سمعوه . وكانوا يأخذون ذلك عن عرب البادية الذين لم يخالط لسانهم العجمة ممن كانت قريش تخير الفاظهم واساليبهم . واكثر ما نقلوه عن قبائل قيس وتميم واسد وعمدة الثقات من الرواة . ثم قبيلة هذيل وبعض كنانة وبعض طي. ولم يأخذوا شيئاً عن الحضر ولا من البدو المجاورين ـ فلم يأخذوا من لخم وجذام لمجاورتهما اهل مصر ولا من قضاعة وغسان واياد لمجاورتهم اهل الشام واكثرهم نصارى يقرأون العبرانية والسريانية . ولا من بكر لمجاورتهم النبط والفرس ولا من عبد القيس والازد وعمان لانهم كانوا بالبحرين يخالطون الهند والفرس ولا من اهل اليمن لمخالطتهم الهند والحبشة ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة ولا من ثقيف واهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن . ولا من حاضرة الحجاز لان الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتداوا ينقلون لغة العرب وقد خالطوا غيرهم من الامم وفسدت السنتهم

فاهل البصرة والكوفة هم رواة اللغة وواضعو اساس آدابها وعلومها . وكانوا يركبون في طلب ذلك الى البادية يحادثون العرب ويستطلعون اخبارهم واشعارهم ويعودون بها الى البصرة . وكان اولئك العرب في اول الامر لا يرون بأساً من املاء ما يعرفونه ولا يطلبون على ذلك اجراً. ثم علموا ان الرواة يرتزقون بما ياخذونه عنهم فصاروا يطلبون به مالاً. ثم صار الفصحاء من العرب يتوافدون هم انفسهم الى البصرة يقيمون فيها او في ضواحيها تخفيفاً لمشاق الرحلة على الرواة وتسابقاً الى التكسب من املاء ما يعرفونه من اللغة او الشعر. وربما كان الراوي لا يكتفي بالاخذ عن الوافدين فيرحل الى البادية ليأخذ عن اهلها — بدأوا بذلك من اواخر العصر الاموي وتكاثر الرواة والوافدون في الدولة العباسية الى البصرة وبغداد وكان اكثر وفودهم في العصر العباسي الاول اولاً الى البصرة فاصبحت غاصة بالادباء والرواة والشعراء والفصحاء وغيرهم

الفصحاء الذين نقل الرواة عنهم

فمن الفصحاء الذين اخذ عنهم الرواة في ذلك العصر او حواليه :

١ ابو البيداء الرباحي : اعرابي نزل البصرة وكان يعلم الصبيان باجرة واقام بها عمره يوخذ عنه العلم

٢ ابو مالك عمرو بن كركرة : اعرابي كان يعلم في البادية ويورق في الحضر وكان يحفظ اللغة كلها على مذهب اهل البصرة

٣ ابو عرار : اعرابي من بني عجل فصيح يقرب من ابي مالك في معرفة اللغة
٤ ابو زياد الكلابي : اعرابي بدوي قدم بغداد ايام المهدي
٥ ابو سوّار الغنوي : كان فصيحاً واخذ عنه ابو عبيدة
٦ ابو الجاموس ثور بن يزيد : اعرابي كان يفد على آل سليمان بن علي وعنه اخذ ابن المقفع الفصاحة
٧ ابو الشمخ : اعرابي بدوي نزل الحيرة
٨ شبيل بن عرعرة الضبعي : من خطباء الخوارج وعلمائهم مات بالبصرة
٩ ابو عدنان : وهو ابو عبد الرحمن عبد الاعلى كان راوية ابي البيداء الرباحي
١٠ ابو ثوابة الاسدي : اعرابي روى عنه الاموي
١١ ابو خيرة نهشل بن زيد : اعرابي بدوي من بني عدي نزل الحيرة
١٢ ابو شبل العقيلي : اعرابي فصيح وفد على الرشيد واتصل بالبرامكة
١٣ نصر بن مضر : من بني اسد
١٤ ابو محلم الشيباني : اعرابي من اعلم الناس بالشعر واللغة كان يغلظ طبعه ويفخم كلامه ويعرب منطقه
١٥ ابو مهدية : اعرابي صاحب غريب يروي عنه البصريون
١٦ ابو مسحل : اعرابي حضر بغداد وافداً على الحسن بن سهل
١٧ الوحشي العكلي : اعرابي فصيح كان يعلم في البادية
١٨ ابو ضمضم الكلابي : وفد على الحسن بن سهل
١٩ البهدلي : كان راجزاً فصيحاً راوية وعنه اخذ الاصمعي
٢٠ جهم بن خلف المازني . عاصر خلف والاصمعي
٢١ الحرمازي : اعرابي بدوي قدم البصرة
٢٢ ابو العميثل : اعرابي كان يؤدب ولد عبد الله بن طاهر في خراسان
٢٣ الفقعسي : راوية بني اسد وصاحب مآثرها واخبارها ادرك المنصور ومن بعده وعنه اخذ العلماء مآثر بني اسد
٢٤ ابن ابي صبح : اعرابي بدوي نزل بغداد وبها مات اخذ عنه العلماء
٢٥ ربيعة البصري : بدوي تحضر وكان راوية

وقد ذكر صاحب الفهرست عشرات من الفصحاء لا فائدة من ايراد اسمائهم [1]

(١) الفهرست ٤٧

ولبعض من تحضر من هؤلاء الاعرابيين كتب الفوها في اللغة اكثرها في النوادر والغريب والفروق وكتب الخيل والابل والحشرات وخلق الانسان لم يصلنا منها شيء

الرواة الذين نقلوا عنهم

اما الرواة الذين اخذوا عن اولئك الفصحاء بالبصرة او رحلوا في طلب اللغة الى البادية فاكثرهم من الموالي منهم :

١ اللحياني غلام الكسائي : لقي العلماء الفصحاء من الاعراب وعنه اخذ ابو عبيد القاسم بن سلاّم
٢ الاموي : هو عبد الله بن سعيد ليس من الاعراب لقي العلماء ودخل البادية واخذ عن الفصحاء من الاعراب
٣ ابو المنهال : احد الرواة
٤ خلف الاحمر : مولى ابي موسى الاشعري وسنعود اليه
٥ اليزيديون : هم اسرة تنسب الى كبير منها سمي اليزيدي لانه صحب يزيد بن منصور خال المهدي . ولهم مؤلفات كثيرة في اللغة والشعر لم يصل الينا منها شيء ولكن استفاد منها الرواة الذين وصلتنا كتبهم اواخبارهم . ولم يصلنا الا اخبار الرواة المقربين من الخلفاء او الوزراء في بغداد كالاصمعي وابي عبيدة وغيرهما وربما كان بين الذين ضاعت اخبارهم جماعة اولى بالبقاء

عمدة الرواة

أو مرجع الناس في علوم العرب

قد رأيت كثرة المشتغلين في علوم العرب واخبارها بين قادم من البادية ونازل من العراق وفارس وخراسان يلتقون في البصرة أوالكوفة اوالحيرة فيتبادلون اخبار العرب وادابهم واشعارهم على غير نظام . وقد انتهى ذلك في العصر العباسي الاول الى ثلاثة هم عمدة الرواة وائمة الناس في تلك العلوم وعنهم روى الرواة واخذ الآخذون وهم ابو زيد الانصاري وابو عبيدة والاصمعي وكلهم اخذوا عن ابي عمرو بن العلاء أحد القراء السبعة اللغة والنحو والشعر ورووا عنه القراءة . واشتهر بصدق الرواية قبل هؤلاء قتادة السدوسي وجاء بعدهم القاسم بن سلام ـ واليك تراجمهم حسب سني الوفاة :

١ – قَتَادَة بن دِعَامة

توفي سنة ١١٧ هـ

قتادة بن دعامة السدوسي الاكمه من اهل البصرة كان عالماً كبيراً مقصداً للطلاب والباحثين لم يكن يمرُّ يوم لاتأتيه راحلة من بني امية تنيخ ببابه لسؤال عن خبر او نسب أو شعر . وكان يدور البصرة اعلاها واسفلها بغير قائد وبلغ من اشتهاره بالعلم وصحة الرواية حتى قالوا لم يأتنا من علم العرب اصح من شيء اتانا من قتادة [١] لكنه لم يخلف اثراً . وهو من اهل العصر الاموي لكننا وضعناه هنا لمواصلة سياق الموضوع . وترجمته في ابن خلكان ٤٢٧ ج ١

٢ – ابو عَمْرو بن العَلاء

توفي سنة ١٥٤ هـ

هو زبان بن العلاء بن عمار بن عبد الله بن الحصين التميمي المازني أحد القراء السبعة . وكان من اشراف العرب ووجوهها مدحه الفرزدق وغيره وكان اعلم الناس بالقراءات والعربية وايام العرب وكانت دفاتره الى السقف ثم تسك فاحرقها [٢] . وكان له شغف بالرواية وجمع علوم العرب واشعارهم . وعامة اخباره عن اعراب ادركوا الجاهلية ومع ذلك فقد قال «ما انتهى اليكم مما قاله العرب الا اقله» [٣] وعنه اخذ اكثر نحاة ذلك العصر فضلاً عن رواته وادبائه لكنه لم يخلف اثراً مكتوباً . وتجد اخباره في ابن خلكان ٣٨٦ ج ١ وطبقات الادباء ٣١ وفوات الوفيات ١٦٤ ج ١ والفهرست ٢٨

٣ – ابو عُبَيْدَة مَعْمَر بن المُثَنَّى

توفي سنة ٢٠٩ هـ

هو معمر بن المثنى التيمي مولى بني تيم من قريش . ولد سنة ١١٠ وهو اجمع سائر الرواة لعلوم العرب واخبارهم وانسابهم . كان في البصرة ويفد على الخلفاء في بغداد وله حكايات في مجلس الرشيد مع الاصمعي للمناظرة والمناقشة . ثم انتقل الى بغداد سنة ١٨٨ استقدمه اليها الفضل بن الربيع في خلافة الامين . واخذ عنه جماعة من

(١) ابن خلكان ٤٢٧ ج ١ والمزهر ١٧١ ج ٢ (٢) فوات الوفيات ١٦٤ ج ١
(٣) طبقات الادباء ٣٣

علمائها اشهرهم ابو عبيد القاسم بن سلام وابو عثمان المازني وابو حاتم السجستاني . وكان ابو عبيدة يقول ما التقى فرسان في جاهلية او اسلام الا عرفتها وعرفت فارسها [١] وهو الذي روى اخبار ايام العرب التي يتناقلها المؤرخون الى الآن [٢] وروى اشعار كثيرين من الشعراء . وكان ابنه عبد الله يتكسب باملاء الاشعار على الطلاب فكان يملي شعر كثير بثلاثين ديناراً [٣] وكان ابو عبيدة شعوبياً أي متعصباً على العرب ويرى رأي الخوارج . ومع سعة معرفته في اللغة كان اذا انشد بيتاً لم يقم اعرابه . وكان شديد الطعن حاد اللسان فلم يسلم شريف من طعنه والف كتاباً في المثالب . وكان غليظ الشفة وسخاً مدخول الدين والنسب لكنه كان كثير الاشتغال بالتأليف . فذكر له صاحب الفهرست مئة وخمسة مؤلفات في مواضيع شتى في القرآن واللغة والامثال والفتوح والانساب والمثالب وبيوتات العرب وايامهم والتراجم وغيرها لم يصلنا منها الا :

١ كتاب نقائض جرير والفرزدق : منها نسخة خطية في المكتبة الخديوية وقد طبعت النقائض في ليدن سنة ١٩٠٥ رواية ابي عبد الله اليزيدي المتوفى سنة ٣١٠ هـ عن السكري عن محمد بن حبيب عن ابي عبيدة [٤] ولم يذكره صاحب الفهرست بين كتبه

٢ كتاب طبقات الشعراء : منه نسخة خطية في مكتبة الآباء اليسوعيين في بيروت ويسميه الفهرست الشعر والشعراء

وتجد اخباره في ابن خلكان ١٠٥ ج ٢ وطبقات الادباء ١٣٧ والفهرست ٥٣

٤ – الأَصْمَعِي

توفي سنة ٢١٤ هـ

هو عبد الملك بن قريب من قيس وقد اشتهر بكنيته «الاصمعي» ولكثرة ما يروى عنه اصبحت هذه الكنية مرادفة للفظ «الرواي» . وكان اتقن القوم واعلمهم بالشعر واحضرهم حفظاً تعلم نقد الشعر من خلف الاحمر وقد روى عنه كثيرون . وهو من اهل البصرة وقدم بغداد في ايام الرشيد مع ابي عبيدة فقيل لابي نواس ذلك فقال «اما ابو عبيدة فاذا امكنوه قرأ عليهم اخبار الاولين والآخرين واما الاصمعي فبلبل يطربهم بنغماته» وكان الاصمعي شديد الحفظ يحفظ

(١) المزهر ٢٠٣ ج ٢ (٢) العقد الفريد ٤٧ – ٩٣ ج ٣ (٣) الاغاني ٢٨ ج ٨
(٤) المشرق ٦٣٨ سنة ١٠

١٢٠٠٠ ارجوزة واذا انتقل حمل كتبه في ١٨ صندوقاً [١] . ولما تولى المأمون كان الاصمعي قد عاد الى البصرة فاستقدمه فاعتذر بضعفه وشيخوخته فكان يجمع المشكل من المسائل ويسيرها اليه فيجيب عنها . واخباره كثيرة

اما مؤلفاته فقد ذكر منها ابن النديم نيفاً واربعين كتاباً في مواضيع مختلفة ذهب معظمها على ان حظه من البقاء خير من حظ اسلافه من الرواة . اما كتبه الباقية مما بلغ خبره الينا فبعضها شعرية والبعض الآخر كتب لغوية لدلالات الالفاظ . اكثرها موضوع في مجاميع كل كتاب في باب خاص من الاسماء بعضها لاسماء الوحوش والآخر للابل وغيرها وهي :

١ الاصمعيات : هي مجموع مختارات الاصمعي للشعراء طبعت في ليبسك سنة ١٩٠٢
٢ رجز العجاج : رواية الاصمعي منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية
٣ كتاب اسماء الوحوش — طبع سنة ١٨٨٨
٤ « الابل — « في بيروت سنة ١٣٢٢
٥ « خلق الانسان — « « « « [٢]
٦ « الخيل — « « فينا سنة ١٨٩٥ مع ترجمة نمساوية
٧ « الشاء — « سنة ١٨٩٦
٨ « الدارات — « في بيروت
٩ « الفرق — « « فينا
١٠ « النبات والشجر — « « بيروت
١١ « النخل والكرم — « « « سنة ١٩٠٢
١٢ « الغريب — منه نسخة خطية في مكتبة الاسكوريال

وتجد ترجمة الاصمعي في ابن خلكان ٢٨٨ ج ١ وطبقات الادباء ١٥٠ والفهرست ٥٥ والدميري ٣١٠ ج ٢

٥ — أبو زيد الأنصاري

توفي سنة ٢١٥ هـ

هو ابو زيد سعيد بن أوس الانصاري من اهل البصرة اخذ عن ابي عمرو بن العلاء . وكان عالماً ثقة بالنحو واللغة وكان سيبويه اذا قال « سمعت الثقة » فانه

(١) الاغاني ٦٨ ج ٥ (٢) هذان الكتابان طبعا معاً باسم الكنز اللغوي

يريد ابا زيد الانصاري وعنه اخذ كثيرون من علماء البصرة . وكان لفرط رغبته في استيعاب العلم يأخذ عن اهل الكوفة ايضاً ولم يرو من البصريين عن اهل الكوفة الا ابو زيد [١] فقد روى عن المفضل الضبي اكثر كتابه « النوادر في اللغة » على ان اكثر رواياته عن العرب البحت [٢] وقد غلب عليه اللغة والنوادر والغريب . وكان يمتاز عن رفيقيه ابي عبيدة والاصمعي بالثقة فانه كان اوثقهم كما كان الاصمعي احفظهم وابو عبيدة اجمعهم [٣] وجاء ابو زيد بغداد حين قيام المهدي [٤]

وقد الف كتباً كثيرة في علوم الادب لم يصلنا منها الا :

١ كتاب النوادر في اللغة : طبع في بيروت سنة ١٨٩٤
٢ كتاب المطر : منه نسخة خطية في المكتبة الاهلية بباريس وطبع في بيروت
٣ كتاب اللبن : منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية

وتجد اخباره في ابن خلكان ٢٠٧ ج ١ وطبقات الادباء ١٧٣ والفهرست ٥٤

٦ — ابو عُبَيْد القَاسِم بن سَلاَّم

توفي سنة ٢٢٣ هـ

كان ابوه عبداً رومياً لرجل من اهل هراة . اشتغل ابو عبيد بالحديث والادب والفقه وكان ديناً ورعاً متفنناً في اصناف علوم الاسلام والقراآت والفقه والعربية والاخبار حسن الرواية صحيح النقل لم يطعن احد في شيء من دينه . وهو يصح ان يعد من رجال الحديث لولا ان كتبه كان لها شأن لغوي . تولى القضاء في طرسوس ١٨ سنة وروى عن ابي زيد والاصمعي وابي عبيدة وابن الاعرابي والكسائي والفراء وغيرهم . والف بضعة وعشرين كتاباً في القرآن والحديث وغريبه والفقه وهو اول من الف غريب الحديث . وانقطع الى عبد الله بن طاهر وكان كلما الف كتاباً اهداه اليه فيحمل له مالاً كثيراً . فلما عمل كتاب غريب الحديث استحسنه ابن طاهر وقال « ان عقلاً بعث صاحبه على عمل مثل هذا الكتاب لحقيق ان لا يخرج عنا الى طلب المعاش » فاجرى له عشرة الاف درهم في كل شهر . وذكر له صاحب الفهرست بضعة وعشرين كتاباً في غريب الحديث ومعاني القرآن وفي الادب والشعر واللغة والنحو ونحوها لم يصلنا منها الا ما يأتي :

(١) طبقات الادباء ١٧٥ (٢) المزهر ٧٥ ج ١ (٣) ابن خلكان ٢٠٨ ج ١
(٤) الفهرست ٥٤

١ كتاب غريب الحديث : منه نسخة خطية في مكتبة كوبرلي بالاستانة

٢ غريب المصنف : تكلم به على نعوت الانسان والطعام والشراب والابنية والمراكب والسلاح والطير والحشرات والنار والشمس والقمر وغير ذلك . اشتغل في تأليفه ٤٠ سنة وفيه الف فصل و١٢٠٠ شاهد . منه نسخة خطية في مكتبة ايا صوفيا بالاستانة وفي المكتبة الخديوية

٣ كتاب الامثال : منه نسخة خطية في مكتبة باريس وكوبرلي بالاستانة وطبع مع ترجمة لاتينية في غوتنجن سنة ١٨٣٦ وقد شرحه البكري

٤ كتاب فضائل القرآن وادبه : في مكتبة برلين

٥ « المواعظ : منه نسخة خطية في مكتبة ليبسك

وتجد اخباره في ابن خلكان ٤١٨ ج ١ وطبقات الادباء ١٨٨ والفهرست ٧١

رواة الشعر

وهناك طبقة من الرواة غلبت عليهم رواية الشعر على سواه من علوم العربية فاشتغلوا بجمع شعر عرب الجاهلية وغيرهم ودونوه اوحفظوه — وهم غير الذين يختص كل راو منهم بشاعر فيكون راويته — وقد علمت من كلامنا عن شعراء الجاهلية انهم كانوا كثاراً عددنا منهم مئة وبعض المئة وهم اكثر من ذلك لضياع اخبار الباقين منهم في اثناء ظهور الاسلام لكثرة من قتل منهم ومن رواتهم في الحرب والغزو على عهد النبي والراشدين

فلما احتاج المسلمون في صدر الاسلام الى معرفة معاني الالفاظ في التفسير والقراءة عمدوا الى جمع اشعار العرب وامثالهم واقوالهم بلا تخصيص . ثم غلب على بعضهم جمع الشعر وعلى البعض الاخر شواهد النحو وعلى غيرهم الامثال وغيرهم اللغة . فاخذوا يطلبونها في اماكنها وينقلونها عن اصحابها او من سمع عنهم . والمشهور ان اخبار الجاهلية لم يدون منها شيء قبل الاسلام . ثم ظهر ان بعض ذلك كان مدوناً في صحف عند عباد الحيرة من ايام المناذرة

واول من اشتغل بجمع الشعر بعد الاسلام ممن بلغ الينا خبره حماد الراوية المتوفى سنة ١٥٦ هـ وقد عاصر الدولتين الاموية والعباسية وعاصر ابا عمرو بن العلاء المتقدم ذكره . ثم ظهر خلف الاحمر والمفضل الضبي وغيرهما وهذه تراجمهم :

١ — حمّاد الرّاوية

توفي سنة ١٥٦ هـ

هو حماد بن ميسرة اصله ديلمي من موالي بني بكر بن وائل . نشأ في الكوفة وكان في اول امره يتشطر ويصحب الصعاليك واللصوص . فنقب ليلة على رجل فأخذ ماله وكان فيه جزء من شعر الانصار فقراه حماد فاستحلاه وحفظه ثم طلب الادب والشعر وايام الناس ولغات العرب بعد ذلك وترك ماكان عليه فبلغ في العلم ما بلغ حتى عرف بحماد الراوية تمييزاً له عن بضعة آخرين بهذا الاسم

وكان قوي الحافظة بما يفوق المألوف ومن اعلم الناس بايام العرب واشعارها واخبارها لكنه اختص بجمع الشعر وكان ضعيفاً بالعربية يلحن بكلامه . وكان بنو امية يقدّمونه ويستزيرونه على البريد وينال منهم الجوائز ويسألونه عن ايام العرب واشعارها وعلومها . وسأله الوليد بن يزيد يوماً « بما استحققت ان تدعى الراوية ؟ » فقال « باني اروي لكل شاعر تعرفه يا امير المؤمنين او سمعت به ثم اروي لاكثر منهم ممن تعترف انك لا تعرفه ولا سمعت به ثم لا ينشدني احد شعراً قديماً ولا محدثاً الا ميزت القديم من المحدث » فقال له « فكم مقدار ما تحفظ من الشعر » قال « كثير ولكنني انشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الاسلام » قال « سأمتحنك في هذا » ثم امره بالانشاد فانشده حتى ضجر الوليد فوكل به من استحلفه ان يصدقه عنه ويستوفي عليه فانشده الفين وتسعمائة قصيدة للجاهلية واخبر الوليد بذلك فامر له بمائة الف درهم

وكان حماد هذا وحماد عجرد الشاعر المتقدم ذكر وحماد بن الزبرقان يتنادمون على الشراب في الكوفة وكانوا متهمين بالزندقة جميعاً . فلما آل الامر الى بني العباس كان حماد هذا قد اشتهر بالرواية فسمع به المنصور وكان حزيناً على موت اخيه ابي العباس واراد أن يرثيه بابيات كان يعلم ان هفان بن همام قالها في رثاء ابيه وقد ذهبت عن خاطر المنصور فبعث في طلب حماد ليرويها له فجاءه وانشده اياها فبكى وقال « هكذا كان اخي رضي الله عنه[1] . وظل حماد حياً الى ايام المهدي وكان يستدعيه اليه ويستنشده كما يستنشد المفضل الضبي . وكان يؤثر المفضل عليه لانه اصدق منه في ما يرويه . وكان حماد يزيد

(١) الاغاني ١٦٩ ج ٥

في اشعار الناس ما ليس منها وينسبه اليهم وسيأتي خبر ذلك

وهو الذي جمع المعلقات التي بين ايدينا وجمع اشعار اكثر القبائل واكثر شعراء بني امية وجعل شعر كل قبيلة أو شاعر في كتاب ـ فكان عنده كتاب لشعر قريش وآخر لشعر ثقيف وآخر لغيرهم [1] لكنها ضاعت كلها ولم يذكر منها صاحب الفهرست شيئاً وانما روى الناس عنه وصنفت الكتب بعده

وتجد اخباره في الاغاني ١٦٤ ج ٥ وابن خلكان ١٦٤ ج ١ وطبقات الادباء ٤٣

٢ — المفضّل الضّبي

توفي سنة ١٦٨ هـ

هو المفضل بن محمد الضبي كان ثقة من اكابر الكوفيين اخذ عنه ابو زيد الانصاري من البصريين لثقته . وقد ادرك المهدي العباسي فقربه وادناه فجمع له الاشعار المختارة التي سماها المفضليات كما جمع ابو تمام ديوان الحماسة . لكن هذا جمع الحماسة من كتب مدونة واما المفضل فاخذ اكثرها عن الالسنة — وهو غير المفضل بن سلمة اللغوي الآتي ذكره . وهذه مؤلفاته الباقية :

١ المفضليات وتسمى الاختيارات : وهي عبارة عن مائة وعشرين قصيدة وقد تزيد أو تنقص حسب الروايات . طبعت في ليبسك سنة ١٨٨٥ وفي مصر . ولها شرح خطي في المكتبة الخديوية لابي بكر بن الانباري

٢ كتاب الامثال : طبع في الاستانة سنة ١٨٨٢

وتجد اخباره في طبقات الادباء ٦٧ والفهرست ٦٨ والعقد الفريد ١٣١ ج ٣

٣ — خَلَف الأَحْمَر

توفي سنة ١٨٠ هـ

هو خلف بن حيان كان مولى ابي بردة واصله من فرغانة لكنه حفظ كلام عرب الجاهلية واشعارهم حتى صار يقول الشعر فيجيده وينحله الشعراء المتقدمين فلا يتميز من شعرهم لمشاكلة كلامه كلامهم . وكان من اهل البصرة وقد اخذ الاصمعي وسائر اهل البصرة عنه . وله قوة عجيبة على تمييز الاشعار وتعيين اصحابها . وهو اول من احدث السماع بالبصرة وذلك انه جاء الى حماد الراوية فسمع منه [2] . وكان ضنيناً

(١) الاغاني ١٧٤ ج ٥ (٢) طبقات الادباء ٧٠

بادبه . وهو معدود ايضاً بين الشعراء . وذكر له صاحب الفهرست كتاباً واحداً عن العرب وما قيل فيها من الشعر

وتجد اخباره في طبقات الادباء ٦٩ والفرست ٥٠ والشعر والشعراء ٤٩٦ والعقد الفريد ١٠٧ ج ٣

٤ — ابو عمرو الشيباني

توفي سنة ٢٠٦ هـ

هو من الموالي واسمه اسحق بن مرار كان يؤدب في احياء بني شيبان بالكوفة فنسب اليهم . وكان راوية واسع العلم باللغة ثقة بالحديث كثير السماع . وقد جمع دواوين اشعار القبائل وعنه اخذت . وكان له بنون وبنو بنين يروون عنه كتبه . وذكر احد اولاده ان اباه جمع اشعار نيف وثمانين قبيلة وكان كلما جمع اشعار قبيلة واخرجها للناس كتب مصحفاً وجعله في مسجد الكوفة . وعاش اكثر من مئة سنة وكان يكتب بيده الى ان مات . وخلف بضعة مؤلفات في الخيل والحديث والنوادر وخلق الانسان والحروف ذكرها صاحب الفهرست ولم يصلنا منها الا :

كتاب الجيم في اللغة منه نسخة خطية في مكتبة الاسكوريل في عشرة اجزاء

وتجد اخباره في ابن خلكان ٦٥ ج ١ ومعجم الادباء ٢٣٣ ج ٢ والفهرست ٦٨

هؤلاء هم عمدة رواة الاشعار في ذلك العصر — وان لم يقتصروا عليها . وعنهم أخذ من الف في طبقات الشعراء او دون اشعار الافراد أو القبائل . فضلاً عن ابي عبيدة والاصمعي وابي عمرو بن العلاء المتقدم ذكرهم . وغير من اشتغل برواية الشعر بعدهم من النحاة واللغويين كمحمد بن حبيب وخالد بن كلثوم وابن الاعرابي وغيرهم . وقد يجمع اشعار الشاعر أو القبيلة غير واحد ويختلفون في الرواية او الاشعار او الاخبار فيأتي من يجمع بين الروايات وينقح ويضبط . كما حدث في شعر امرىء القيس فقد رواه ابو عمرو بن العلاء والاصمعي وخالد بن كلثوم ومحمد بن حبيب ثم صنعه من جميع هذه الروايات ابو سعيد السكري وصنعه ايضاً ابو العباس الاحول وابن السكيت

فظهر بعد هذه الطبقة من الرواة طبقة من الجامعين الذين ينظرون في الروايات ويجمعون بينها ويعدلونها . نخص منهم بالذكر اثنين من اهل العصر العباسي الاول هما محمد بن سلام وابن ابي الخطاب القرشي

٥ — محمد بن سلاَّم

توفي سنة ٢٣٢ هـ

هو ابو عبد الله محمد بن سلام الجمحي البصري كان عالماً بالشعر والاخبار فالف كتاباً في طبقات الشعراء الجاهليين وطبقات الشعراء الاسلاميين هو اقدم ما وصل الينا من كتب الطبقات وظل مرجع طلاب الشعر الى عهد غير بعيد . وقد ذكره صاحب الفهرست فجعله كتابين احدهما في الشعراء الجاهليين والاخر في الاسلاميين وذكره صاحب الاغاني مراراً كثيرة واستشهد باقواله ورجع اليه في تعيين طبقات كثيرين من الشعراء وكذلك فعل القالي والزجاج فقد ذكراه في اماليهما مراراً . وعول عليه السيوطي في كتابه « المزهر » ونقل عنه اقوالاً تدخل في بضع صفحات . وذكره صاحب كشف الظنون في مقدمة الذين الفوا في طبقات الشعراء . وهو اول من فعل ذلك ثم قلده غيرهُ . وقد ذكرنا في الجزء الاول من هذا الكتاب صفحة ٧٦ انه ضاع لاننا لم نجده في مكاتب اوربا ولا الاستانة ولا المكتبة الخديوية ولا غيرها من المكاتب الكبرى التي تيسر لنا الوقوف على فهارسها ثم علمنا بوجود نسخة خطية منه بين كتب وقفها المرحوم الشيخ الشنقيطي للمكتبة الخديوية ولها فهرس خاص[1] وتصفحناها فاذا هي منقولة بخط جميل عن نسخة في مكتبة شيخ الاسلام في المدينة وتدخل في ٢١٠ صفحات تبدأ بنقد الشعر ثم في اول من وضع النحو في البصرة وتاريخ ذلك . ثم قسم المؤلف الشعراء الى الجاهليين والاسلاميين وقسم كل طائفة منهما الى عشر طبقات في كل طبقة اربعة من الفحول يشتركون في بعض الاحوال . وقدم الكلام في الشعر وتاريخه واشار الى ما ادخله الرواة من الشعر المصنوع . ثم ذكر طبقات الشعراء الجاهليين وهي :

الطبقة الاولى : امرؤ القيس والنابغة الذبياني وزهير والاعشى
الثانية : سقط بعضها في النسخ ولعل من شعرائها كعب بن زهير والحطيئة
الثالثة : نابغة بني جعدة وابو ذؤيب الهذلي والشماخ بن ضرار ولبيد بن ربيعة
الرابعة : طرفة بن العبد وعبيد بن الابرص وعلقمة بن عبدة وعدي بن زيد
الخامسة : خداش بن زهير والاسود بن يعفر وابو زيد المخبل وتميم بن مقبل
السادسة : عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة وسويد بن ابي كاهل (وسقط الرابع)

(١) نبهنا الى وجودها هناك مصطفى افندي الرافعي الشاعر فاشكره على صدق رغبته في خدمة آداب اللغة

السابعة : سلامة بن جندل وحصين بن الحمام والمتلمس والمسيب بن علس
الثامنة : عمرو بن قميئة والنمر بن تولب واوس بن .... وعوف بن عطية
التاسعة : ضابىء بن الحارث وسويد بن كراع والخويدرة الذبياني ؟ وسحيم عبد بني الحسحاس
العاشرة : امية بن حرثان وحريث بن محفض والكميت بن معروف وعمرو بن شاس

واضاف الى ذلك اصحاب المراثي وجعلهم طبقة حادية عشرة وهم متمم بن نويرة والخنساء واعشى باهلة وكعب بن سهل . ثم تكلم عن شعراء القرى وهي المدينة ومكة والطائف واليمامة والبحرين وذكر فحول كل قرية

وتقدم الى الشعراء الاسلاميين في عشر طبقات :

الاولى : جرير والفرزدق والراعي والاخطل وغيرهم
الثانية : البعيث والقطامي وكثير وذو الرمة
الثالثة : كعب بن جعيل وعمر بن احمد وسحيم بن وثيل واوس بن مغراء
الرابعة : نهشل وحميد بن ثور والاشهب وعمرو بن لجاء
الخامسة : ابو زبيد الطائي والعجير السلولي وعبد الله بن همام ونفيع بن لقيط
السادسة : ابن قيس الرقيات والاحوص وجميل ونصيب
السابعة : المتوكل الليثي ويزيد بن ربيعة وزياد الاعجم وعدي بن الرقاع
الثامنة : عقيل بن علفة المري وبشامة بن العذير وشبيب بن البرصاء وقراد بن حنش
التاسعة : كلهم رجاز وهم الاغلب العجلي وابو النجم والعجاج ورؤبة ابنه
العاشرة : مزاحم بن الحارث ويزيد بن الطثرية وابو داود الرواسي ؟ والقحيف

وقد قابل في كل طبقة بين شعرائها وفاضل بينهم

وذكر صاحب الفهرست لابن سلام كتاباً في بيوتات العرب واخر في ملح الاشعار ونجد اخباره في طبقات الادباء ٢١٦ والفهرست ١١٣

٦ — ابن ابي الخطَّاب

صاحب جمهرة اشعار العرب

اسمه ابو زيد محمد بن ابي الخطاب القرشي لم نقف على ترجمته ولكن يظهر انه نبغ في اواسط القرن الثالث للهجرة وانما عمدنا الى ذكره لانه جمع خيرة اشعار الجاهلية وصدر الاسلام في كتاب سماه « جمهرة اشعار العرب » في سبعة مجاميع فصلناها في كلامنا

عن طبقات الشعراء في الجزء الاول صفحة ٧٤ والكتاب مطبوع بمصر سنة ١٣٠٨ وفي صدره مقدمة انتقادية في الشعر واللغة والمقابلة بين لغة القرآن واقوال الشعراء وفي الشعر والشعراء واقدمهم وغير ذلك في ٣٩ صفحة كبيرة

ما هو مبلغ صدق الرواة

واصطناع الاشعار

ان ما بين ايدينا من اخبار العرب واشعارهم في الجاهلية انما وصل الينا على ايدي الرواة الذين ذكرناهم فهم رووا تلك الاشعار والاخبار وروتها الناس عنهم — فهل نقلوها عن ثقة ؟ وهل هم صادقون في روايتها ؟

والجواب على ذلك ان رواياتهم على اجمالها صادقة وان كان ما وصل الينا من اشعار الجاهلية لا يخلو من المنسوب لغير اصحابه . ولذلك سببان يتصل احدهما بالعرب الذين تلوا تلك الاشعار على الرواة والثاني يتصل بالرواة انفسهم . فالعرب لما قام الاسلام شغلوا به عن مفاخراتهم ومناشداتهم فلما انقضت دولة الراشدين وقام الامويون واقتضت سياستهم احياء عصبية الجاهلية عادت القبائل الى مفاخراتها كل قبيلة تفاخر سواها بمن نبغ فيها من الشعراء وما قالوه . وكان قد ذهب معظمه فاخذ ابناء الشعراء او بعض اهلهم يزيدون في الاشعار التي قيلت ولم يكن يخفى ذلك على اهل العلم . كما اتفق لابن داود بن متمم بن نويرة وقد قدم البصرة لما يقدم له البدوي من الجلب والميرة فاتاه بعض الرواة وسألوه عن شعر ابيه فلم يروبعضه حتى ادركوا المصنوع منه[1]

لكن كثيراً من الاشعار تنسب لغير اصحابها اعتباطاً لتشابه القافية والوزن والمعنى فكثير من اشعار كُثيِّر تنسب لمجنون ليلى . وكذلك سائر العشاق تتشابه اشعارهم لتشابه معانيها . فاذا اتحدت قوافيها واوزانها اختلطت وصعب تفريقها كقصيدة ابن الحدادية اليائية التي مطلعها :

سقى الله اطلالاً بنعم ترادفت بهنَّ النوى حتى حللنا المطاليا

فان بعضهم يدخل ابياتاً منها في قصيدة مجنون ليلى [2] التي مطلعها :

تذكرت ليلى والسنين الخواليا وايام لا أعدي على الدهر عاديا

وقس على ذلك امثاله وهو كثير وقد ينسبون القصيدة الى غير واحد . وبعض القصائد تنسب الى عشرين شاعراً او اربعين

(١) المزهر ٨٧ ج ١ (٢) الاغاني ٨ ج ١٣

تعمد التزوير

والرواة يتفاوتون ثقةً فمنهم الثقة المحقق ومنهم من يتعجل في التصديق وبعضهم يتقلب في رواياته مع الاهواء فينظم الابيات على لسان بعض الجاهليين وينسبها اليهم لمطمع مالي او غرض آخر . واشهر من فعل ذلك حماد وخلف المتقدم ذكرهما وهما مرجع رواة الاشعار كما رايت . فكان حماد كثيراً ما يصنع الابيات أو القصيدة ينسبها الى شاعر من قوم يريد ان يتزلف الى رجل منهم صاحب نفوذ او سيادة في عصره . كما فعل في ولاية خالد بن عبد الله القسري وكان خالد شديد العصبية لقومه اليمنية على القيسية . فنظم حماد ابياتاً نسبها الى ابن الحدادية يمدح بها اسد بن كرز من بجيلة قبيلة خالد القسري المذكور واسد بن كرز ابو جدّه . فاورد حماد حكاية جرت لابن الحدادية مع ناس من قومه اصابوا دماً في قوم من خزاعة فهربوا حتى نزلوا في بجيلة على اسد بن كرز فآواهم واحسن اليهم وان ابن الحدادية نظم فيه قصيدة يمدحه بها — الى آخر الحديث[1] ولكن الرواة المحققين يقولون انها من نظم حماد للغرض الذي تقدم . وكذلك كانوا يفعلون في وضع الانساب طمعاً بالمال — قال ابن الكلبي « أول كذبة كذبتها في النسب ان خالد بن عبد الله سألني عن جدته أم كريز وكانت امة بغياً لبني أسد يقال لها زينب فقلت له هي زينب بنت عرعرة بن جذيمة بن نصر بن قعين فسرَّ بذلك ووصلني » [2]

وقد شهد المفضل الضبي وهو معاصر لحماد ايضاً قال « قد سلط على الشعر من حماد الراوية ما افسده فلا يصلح أبداً » فقيل له «وكيف ذلك اتخطىء في روايته ام يلحن» قال « ليته كان كذلك فان اهل العلم يردُّون من اخطأ الى الصواب ولكنه رجل عالم بلغات العرب واشعارها ومذاهب الشعراء ومعانيهم فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل ويدخله في شعره ويحمل ذلك عنه في الافاق فتختلط اشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها الا عند عالم ناقد واين ذلك »

وقد بلغ قول الضبي الى الخليفة المهدي فاكده له بالامتحان بين يديه فاعترف حماد بابيات زادها في اشعار زهير بن ابي سلمى . فامر المهدي بابطال روايته لانه يدخل باشعار الناس ما ليس منها ووصل المفضل لصدقه وصحة روايته [3]

وخلف الاحمر كان يفعل فعل حماد وقد قال عن نفسه انه كان ينظم الاشعار وينحلها لغير اصحابها . وانه كان يأخذ من حماد الصحيح من اشعار العرب ويعطيه المنحول فيقبله . وكان خلف شاعراً مجيداً فينظم القصائد الغر ويدخلها في دواوين

(١) الاغاني ٥ ج ١٣ (٢) الاغاني ٥٨ ج ١٩ (٣) الاغاني ١٧٢ ج ٥

الشعراء ويقال ان القصيدة المنسوبة للشنفرى التي اولها :

اقيموا بني امي صدور مطيكم فاني الى اهل سواكم لاميل

هي له . وقال ابو حاتم كان خلف الاحمر شاعراً وقد وضع على عبد القيس شعراً مصنوعاً عبثاً منه . وادخل أيضاً على غيرهم من القبائل ابياتاً وقصائد وكان اهل البصرة والكوفة يأخذون ذلك عنه لانه كان لتمكنه من الشعر والشعراء اذا نظم على السنة الناس أشبه كل شعر يقوله بشعر الذي يضعه له . وتنسك في اواخر ايامه وندم على ذلك وكف عن النظم . ثم خرج يوماً الى اهل الكوفة واعترف لهم بما كان يعمله وعرفهم الاشعار التي قدادخلها في اشعار الناس فقالوا « انت كنت عندنا في ذلك الوقت اوثق منك الساعة » ولم يستطيعوا اخراج ذلك من دواوينهم (١)

وممن كان يفعل فعل حماد وخلف ابن دأب والشرقي بن القطامي سئل القطامي « ما كانت العرب تقول في صلاتها على موتاها » فقال «لا ادري » فقيل له « اكذب» فقال «كانوا يقولون رويدك حتى تبعث الخلق باعثة» فشاع ذلك وتحدثوا به .(٢) حتى الرواة الثقات كالاصمعي وابي عبيدة وابي زيد فقد كانوا يتطاعنون ويضعف كل منهم رواية الآخرين ولكن المحققين ينزهون هؤلاء عن الكذب . وقد قال محمد بن سلام الجمحي « في الشعر موضوع مفتعل مصنوع لا خير فيه ولا حجة باعرابه (٣) »

على ان المحققين في العصر العباسي الثاني كابي الفرج الاصبهاني وابن قتيبة وابن عبد ربه وغيرهم ممن عانى الادب وانتقد الشعر بينوا اماكن الضعف في كثير من المواضع وجعلوا للرواية شروطاً (٤) في الاسناد والاخذ والتحقيق لامحل لها هنا . وانتقد محمد بن سلام شيئاً من ذلك في مقدمة طبقاته

ولابي القاسم عمر بن حمزة البصري المتوفى سنة (٣٧٥ هـ) كتاب في انتقاد الرواة سماه « التنبيهات على اغاليط الرواة » ضمنه التنبيه على الاغاليط التي وقعت في نوادر ابي زياد الكلابي ونوادر ابي عمرو الشيباني وكتاب النبات لابي حنيفة الدينوري والكامل للمبرد والفصيح لثعلب والغريب للقاسم بن سلام واصلاح المنطق لابن السكيت وغيرهم . وفي المكتبة الخديوية نسخة خطية من هذا الكتاب

واذ فرغنا من الكلام على الرواية بانواعها وهي اصل علم الادب فلنأت الى ما يتفرع اليه الادب من العلوم وأهمها النحو واللغة فان اصحابها كانوا في الاصل من من جملة الرواة ثم اختص بعضهم بهذا العلم والبعض الآخر بذاك

(١) المزهر ٢٠٣ ج ٢ (٢) المزهر ٢١٠ ج ٢
(٣) المزهر ٨٥ ج ١ (٤) المزهر ٧١ ج ١

النحو

في العصر العباسي الاول

البصريون والكوفيون

النحو باعتبار ما تقدم فرع من الادب لكنه ولد قبله لاحتياج المسلمين الى ضبط القراءة فوضعه ابو الاسود الدؤلي كما تقدم في العصر الاموي وقد نضج وصار علماً في ايام العباسيين على ايدي ادباء البصرة والكوفة . واهل البصرة اسبق الى ذلك وهم الذين ضبطوا النحو والفوا فيه . ومنهم ابو الاسود واضعه وابن ابي اسحق الحضرمي اول من علله وعيسى بن عمر الثقفي اول من الف فيه وهارون بن موسى اول من ضبطه وسيبويه اول من اجاد في تأليفه . ثم قلدهم الكوفيون وخالفوهم ببعض قوانينه وقامت المناظرة بين البلدين وصار لكل منهم مذهب في النحو كما هو مشهور . واهل البصرة ارسخ قدماً واوسع علماً واولى بالثقة . ولكن السياسة اقتضت ظهور الكوفيين بعد قيام الدولة العباسية فقدمهم خلفاؤها لانهم كانوا من انصارهم . فكانوا يقربونهم دون نحويي البصرة ويختارون منهم اساتذة لاولادهم — فالكسائي والفراء والمفضل الضبي والشرقي بن القطامي كلهم من اهل الكوفة وقد علموا ابناء الخلفاء ولولا الغرض السياسي لم يكن لهم ذكر . وتحامل الامين على سيبويه في المناظرة التي عقدها بينه و بين الكسائي بشأن النحلة والزنبور وهي اشهر من ان تذكر (١)

اول من علله

فالبصريون اصحاب الفضل في وضع النحو وترقيته وتنسيقه بدأ بذلك ابو الاسود فوضع بعض قواعده واخذ يلقيها ويعلمها لمن شاء من الادباء او القراء . فكان ابرع تلامذته عنبسة بن معدان المهري فتكاثف الناس يطلبون النحو على يده فتفقه عليه جماعة كان ابرعهم ميمون الاقرن (٢) فجعل الناس يأخذون النحو عنه تلقيناً بلا تعليل ولا ضبط . ويقال ان اول من علله اي ذكر اسباب اعرابه عبد الله بن ابي اسحق الحضرمي المتوفى سنة ١١٧ هـ والغالب في اعتقادنا ان تعليل الاعراب لم ينضج الا بعد نقل كتب الفلسفة اليونانية الى العربية في العصر العباسي الذي نحن في صدده

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ٧٩ ج ٣ (٢) طبقات الادباء ١٦

اول من ضبط قواعده والف فيه

اما ضبط قواعده فاول من اقدم عليه هرون بن موسى وهو يهودي من اهل البصرة اسلم واشتغل بالادب وضبط النحو لكنه لم يؤلف فيه . واول من الف فيه عيسى بن عمر الثقفي المتوفى سنة ١٤٩ هـ وكان فصيحاً ينقعر في كلامه فيقال انه الف كتابين احدهما الجامع والاخر الاكمال ذكرهما الخليل في شعره ولم يرهما احد [1]

وقد عانى النحو وقواعده كل من ظهر في البصرة من الادباء في ذلك العصر لانه من علم الادب الا ان بعضهم كان يميل الى النحو اكثر من سواه وربما دخل في جملة مايكتبه في الادب او اللغة كما فعل الخليل بن احمد واضع علم العروض فقد اتى على اشياء من قبيل النحو في كتاب العين الآتي ذكره . وهكذا يقال في امثاله الذين اشتغلوا بفنون الادب كابي عمرو بن العلاء . ومنهم من اختص بالنحو ونصب نفسه للافادة وان لم يؤلف فيه كيونس بن حبيب المتوفى سنة ١٨٣ وكان معاصراً لهؤلاء جميعاً واخذ عن ابي عمرو ابن العلاء وتمكن من النحو حتى صار له فيه مذاهب واقيسة تفرد بها . وعقد لنفسه حلقة في البصرة يلقى فيها هذا العلم . وكان يقصده طلبة العربية وفصحاء الاعراب فكان يعلم النحو واللغة وهما لم يفترقا بعد. ولم يستقل النحو بنفسه استقلالاً تاماً حتى الف فيه سيبويه كتابه المشهور — وهاك اشهر نحاة هذا العصر حسب سني الوفاة :

علماء النحو

في العصر العباسي الاول

١ — سِيبَوَيْهِ

توفي سنة ١٨٣ هـ

هو من الموالي واسمه ابو بشر عمرو بن عثمان مولى بني الحارث بن كعب . ولقب سيبويه بالفارسية ومعناها رائحة التفاح . نشأ في البصرة وطلب الآثار والفقه ثم طلب النحو واخذه عن الخليل ويونس وعيسى بن عمر حتى برع فيه والف كتابه الذي لم يسبقه احد الى مثله ونسب فيه الى كل من اساتذته اقواله واعتمد على ابي

(١) طبقات الادباء ٢٨

زيد الانصاري وكان يسميه الثقة فكان لذلك وقع جميل عند اهل البصرة وصار كتابه تحفة يتسابق الفضلاء الى مهاداتها . واشتهر حتى اصبح قائلهم اذا قال « قرأ فلان الكتاب » علم انه يعني كتاب سيبويه . وكان ابو العباس المبرد اذا اراد احد ان يقرأ عليه كتاب سيبويه يقول له « هل ركبت البحر » تعظيماً للكتاب واستصعاباً لما فيه . وقال ابو عثمان المازني « من اراد ان يعمل كتاباً كبيراً في النحو بعد كتاب سيبويه فليستح » واخذ العلم عنه جماعة من المشاهير اشهرهم ابو الحسن الاخفش وكان اكبر سناً منه وقطرب وكانت له معهما ومع سواهما مناظرات

وكان اهل الكوفة في اثناء ذلك قد هموا بالنحو فاخذوه عن اهل البصرة واشتغلوا فيه فنبغ معاذ الهراء المتوفى سنة ١٨٧ وابو جعفر الرواسي ابن اخي معاذ فوضع كتاباً في النحو وهو اول فعل ذلك من الكوفيين والكتاب ضاع

كتاب سيبويه

اما كتاب سيبويه فانه باق ومنه عدة نسخ خطية في المكتبة الخديوية وغيرها وقد طبع في باريس سنة ١٨٨٣ — ١٨٨٩ بعناية المستشرق درنبورج في مجلدين كبيرين في ١٠٠٠ صفحة كبيرة عليها تعاليق مفيدة ومقدمة باللغة الفرنساوية عن مسودات هذا الكتاب ومظانها وما قيل فيها . وطبع بمصر سنة ١٨٩٦ وفي كلكته ١٨٨٧ وقد نقله الى الالمانية الدكتور ياهن وطبع في برلين سنة ١٨٩٤ — ١٨٩٨ وفي الكتاب ٨٢٠ فصلاً يحتوي الجزء الاول منه على الكلم واقسامه والفاعل والمفعول فالفعل وما يعمل عمله واحكام المصدر والحال والظرف والجر والبدل والمعرفة والنكرة والصفة والمبتدا والخبر والاسماء التي بمنزلة الفعل والاحرف المشبهة به والنداء والترخيم والنفي بلا والاستثناء وباب لكل من احرف الجر . وفي الجزء الثاني ما ينصرف وما لا ينصرف والنسبة والاضافة والتثنية والتصغير والمقصور والممدود والجمع وفعلت وافعلت وما يليها من المزيدات وفي الوقف وشروطه وما يكون عليه الكلم وما ابدل من الفارسية وغير ذلك مما يطول شرحه . على غير الترتيب المألوف عندنا لكنه جامع كل ما يحتاج اليه طالب النحو . وفيه ٣٠٠ مثال للابنية حتى قالوا اصل الكتب المؤلفة في النحو كتاب سيبويه وكتاب العين للخليل . ولذلك تعرض جماعة لانتقاد كتاب سيبويه منهم المبرد [1] . وقد الف ابو بكر الزبيدي كتاباً سماه كتاب

(١) المزهر ٥٨ ج ١

الاستدراك على كتاب سيبويه انتقد فيه مواد هامة طبع في رومية سنة ١٨٩٠ بعناية الاستاذ جويدي المستشرق الايطالي . وقد شرح الكتاب سعيد بن المرزبان ومن هذا الشرح بضع نسخ في المكتبة الخديوية احداها بخط عبد اللطيف البغدادي الرحالة الشهير

واخبار سيبويه في ابن خلكان ٣٨٥ ج ١ وطبقات الادباء ٧١ والفهرست ٥١ والدميري ١٢٤ ج ٢

٢ — مَعَاذ الهرّاء

توفي سنة ١٨٧ هـ

هو ابو مسلم عم ابي جعفر الرواسي من اساتذة الكسائي الآتي ذكره ولم يخلف مؤلفاً وانما ذكرناه لانه اول من وضع التصريف (١)

وترجمته في ابن خلكان ٩٩ ج٢ وطبقات الادباء ٦٤ والفهرست ٦٥

٣ — الكِسَائي

توفي سنة ١٨٩ هـ

هو اشهر نحاة الكوفة واسمه علي بن حمزة مولى بني اسد واصله من فارس .اخذ النحوعن ابي جعفر الرواسي ومعاذ الهراء المتقدم ذكرهما . وخرج الى البصرة ولقي الخليل بن احمد فاخذ عنه وعشق النحو . وهو من القراء السبعة . واستقدمه الخلفاء العباسيون الى بغداد ليعلم ابناءهم وقدمه البرامكة فارتفعت منزلته واخذ يعرّض بسيبويه وكتابه حتى كانت مسألة الزنبور والنحلة . فتعصب الخليفة الامين لمعلمه الكسائي وجمع الرجلين فتناظرا في حضرته وشهد بدوي بصحة راي سيبويه لكن الامين تعصب لمعلمه حتى اضطرسيبويه الى الفرار في حديث طويل . والف الكسائي عدة كتب في النحو والقراءات والادب والنوادر وغيرها لم يصلنا منها الا رسالة في لحن العامة منها نسخة خطية في مكتبة برلين وقد طبعت في برسلاو

واخباره في ابن خلكان ٣٣٠ ج ١ وطبقات الادباء ٨١ والفهرست ٢٩ و ٦٥

واشتهر من النحاة في العصر العباسي الاول آل اليزيدي وهم كثار وابو الحسن الاخفش وابو عمر الجرمي وغيرهم من اهل البصرة . وجماعة كبيرة من اهل الكوفة نبغوابعد فوز الكسائي لان انتصاره كان انتصاراً لبلده واشتهر جماعة منهم في بغداد كالفراء وابن الاعرابي وهشام بن معاوية الضرير وابن السكيت وهاك اشهرهم :

(١) المزهر ٢٠٢ ج ٢

٤ — الفَرّاء

المتوفى سنة ٢٠٧ هـ

هو ابو زكريا يحيى بن زياد الفراء الديلمي من موالي بني اسد في الكوفة واخذ عن الكسائي وكان اماماً ثقة له شأن عظيم في اللغة ومذهب واتباع ومريدون . قال ابو العباس ثعلب « لولا الفراء لما كانت اللغة لانه حصلها وضبطها ولولا الفراء لسقطت العربية لانها كانت تتنازع ويدعيها كل من اراد ويتكلم الناس على مقادير عقولهم وقرائحهم فتذهب » وقال ابوبكر بن الانباري « لولم يكن لاهل بغداد والكوفة من علماء العربية الا الكسائي والفراء لكان لهم بهما الافتخارعلى جميع الناس »

ومما رفع قدره وجمع الادباء حوله حظوته عند المأمون الخليفة فانه كان يقدمه وعهد اليه تعليم ابنيه النحو واقترح عليه ان يؤلف ما يجمع به اصول النحو وماسمع من العربية . وامر ان تفرد له حجرة من الدار ووكل بها جواري وخدماً للقيام بما يحتاج اليه وصيرالية الوراقين يكتبون ما يمليه حتى صنف كتاب « الحدود» في سنتين ثم خرج للناس واملى كتاب « المعاني » فخزنه الوراقون عن الناس ليتكسبوا بنسخه كل خمس اوراق بدرهم فشكاهم الناس اليه . فلما ابوا اخراج كتابه اخذ يملي كتاباً آخر في المعاني اطول واوسع فخاف الوراقون فرضوا ان ينسخوا كل عشر اوراق بدرهم

وعظم قدر الفراء في الدولة حتى تسابق تلميذاه ابنا المأمون الى تقديم نعله اليه لما نهض للخروج ثم اصطلحا على ان يقدم كل منهما فردة . وبلغ المأمون ذلك فاستدعاه وقال له بذلك فقال « لقد اردت منعهما ولكن خشيت ان ادفعهما عن مكرمة سبقا اليها او اكسر نفوسهما عن شريفة حرصا عليها » (١) ففرح المأمون وقال « لو منعتهما عن ذلك لاوجعتك لوماً »

ولم يكن الفراء مقتصراً في معرفته على النحو فانه كان ماهراً في النجوم والطب وايام العرب واخبارها . وله مؤلفات كثيرة تدخل في ثلاثة آلاف ورقة اي ٦٠٠٠ صفحة كان يمليها على تلامذته بدون كتاب لانه كان قوي الحافظة . وكان اكثر مقامه في بغداد يجمع طوال دهره فاذا كان آخر السنة خرج الى الكوفة اقام بها ٤٠ يوماً يفرق ماجمعه حتى توفي سنة ٢٠٧ هـ وذكر له صاحب الفهرست عدة مؤلفات في النحو

(١) طبقات الادباء ١٣١ وابن خلكان ٢٢٨ ج ٢

واللغة لم يصلنا منها الا :

١ كتاب معاني القرآن منه نسخة في كتب الشنقيطي بالمكتبة الخديوية

٢ بلغنا ان في المكتبة الاحمدية بحلب نسخة من كتاب المذكر والمؤنث تنسب اليه

وكان له اصحاب ومريدون اشهرهم ابو جعفر محمد بن قادم معلم المعتز وسلمة بن عاصم احد علماء الكوفة الثقات وغيرهما . واكثرهم الفوا في النحو وضاعت كتبهم وتجد اخبار الفراء في ابن خلكان ٢٢٨ ج٢ وطبقات الادباء ١٢٦ والفهرست ٦٦

٥ — ابن السِّكّيت

توفي سنة ٢٤٤ هـ

هو ابو يوسف يعقوب بن اسحق السكيت آخر نحاة الكوفة في هذا العصر اصله من الاهواز . وكان يؤدب ولد جعفر المتوكل . اخذ النحو عن ابي عمرو الشيباني والفراء وابن الاعرابي الآتي ذكره بين اللغويين . ولقي الاعراب واخذ عنهم وعلم عبد الله بن طاهر وغيره . وغضب عليه المتوكل في آخر ايامه لجراته في الدفاع عن علي ابن ابي طالب وآله وذلك ان المتوكل سأله يوماً وهو يعلم ابنيه « يا يعقوب ايهما احب اليك ابناي هذان ام الحسن والحسين » فاجابه « ان قنبراً خادم علي خير منك ومن ابنيك » فامر المتوكل فسلوا لسانه من قفاه فمات وقد خلف بضعة وعشرين مؤلفاً في النحو واللغة والمنطق والشعر ذكرها صاحب الفهرست وهاك ما بلغنا خبره منها :

١ كتاب اصلاح المنطق : منه نسخ خطية في اكثر مكاتب اوربا والاستانة وفي المكتبة الخديوية وقد طبع في بيروت سنة ١٨٩٨ بعناية الاب شيخو اليسوعي . وفي مصر سنة ١٩٠٧

٢ كتاب الالفاظ او تهذيب الالفاظ : في اللغة وليس في النحو يبحث في احوال الالفاظ ومعانيها منه نسخة خطية في مكتبتي باريس وليدن . وقد طبع في بيروت بعناية الاب شيخو عن تينك النسختين سنة ١٨٩٦ مع شروح للتبريزي وطبعوا منه طبعة مختصرة سنة ١٨٩٧ سموها مختصر تهذيب الالفاظ

وتجد اخباره في ابن خلكان ٣٠٩ ج ٢ وطبقات الادباء ٢٣٨ والفهرست ٧٢

فالنحو نضج في هذا العصر ووضعت فيه الكتب الوافية بخلاف الادب فانه كان لا يزال مشتتاً مضطرباً وسينضج في الاعصر الآتية . وكذلك علم اللغة كما سنبينه في مكانه

علم اللغة

في العصر العباسي الاول

نريد بعلم اللغة الاشتغال بالفاظ اللغة من حيث معانيها واصولها واشتقاقها وهو ينتهي بتأليف المعاجم اللغوية ولم يتم نضجها الا في العصر العباسي الثالث كما سيجيء . لكن السبيل تمهدت لها في هذا العصر وما يليه بما الفه الادباء من الكتب في الفاظ المواضيع الخاصة . وقد جاء ذكر بعضها في مؤلفات الاصمعي وغيرها من كتب الادب ككتاب الخيل واسماء الوحوش وكتب الشاء وخلق الانسان . وقد يتبادر الى الاذهان من قراءة اسمائها انها كتب في علم الحيوان او التشريح ولكنها كتب لغوية يحوي كل منها اسماء الحيوانات واعضائها ومن الانسان اسماء اعضائه واحواله . وكانت للعرب همة عالية في استقصاء ذلك في صدر دولتهم يتبارون في التنقيب عنه من اماكنه إما بالسفر الى البادية او بالسؤال ممن يفد على البصرة والكوفة من فصحاء العرب كما تقدم

وكان الامويون يستحثون الادباء على ذلك بمناقشات يثيرونها بين ايديهم في هذه المواضيع كما فعل عبد الملك في مجلس من مجالسه ضم جماعة من خواصه ومسامريه فقال « ايكم يأتيني بحروف المعجم في بدنه وله عليَّ ما يتمناه ؟ » فقام اليه سويد بن غفلة فقال « انا لها يا امير المؤمنين » فقال « قل ما عندك » قال « انف . بطن . ترقوة . ثغر . جمجمة . حلق . خد . دماغ . ذكر . رقبة . زند . ساق . شفة . صدر . ضلع طحال . ظهر . عين . غبيبة . فم . قفا . كف . لسان . منخر . نغنغ . هامة . وجه . يد . فهذه آخر حروف المعجم والسلام على امير المؤمنين »

فقام بعض اصحاب عبد الملك وقال « يا امير المؤمنين انا اقولها في جسد الانسان مرتين » فضحك عبد الملك وقال لسويد « اما سمعت ما قال » قال « نعم انا اقولها ثلاثاً » فقال له « لك ما تمنى » فقال « انف . اسنان . اذن . بطن . بصر . بز . ترقوة تمرة . تينة . ثغر . ثنايا . ثدي . جمجمة . جنب . جبهة . حلق . حنك . حاجب . خد . خصر . خاصرة . دبر . دماغ . دردر . ذكر . ذقن . ذراع . رقبة . رأس . ركبة . زند . زردمة . زغب . ساق . سرة . سبابة . شفة . شعر . شارب . صدر . صدغ . صلعة . ضلع . ضفيرة . ضرس . طحال . طرة . طرف . ظهر . ظفر . ظلم . عين . عنق . عاتق . غبيبة . غلصمة . غنة . فم . فك . فؤاد . قلب . قدم . قفا . كف

كتف . كعب . لسان . لحية . لوح . مرفق . منكب . منخر . نغنوغ . ناب . نن . هامة . هيف . هيئة . وجه . وجنة . ورك . يمين . يسار . يافوخ » ثم نهض مسرعاً وقبل الارض بين يدي عبد الملك . فقال « والله مانزيد عليها اعطوه ما تمنى» ثم اجازه وانعم عليه وبالغ في الاحسان اليه

اوليات كتب اللغة

فهذا وامثاله بعث الناس على العناية بحفظ الفاظ اللغة وحمل آخرين على التأليف فيها بشكل مجاميع كل مجموع في موضوع . فكتاب النخل والكرم مثلاً لا يبحث في طبائع النخل والكرم ومعالجتهما اوزراعتهما وانما هو يبحث في اسماء انواعها واغصانهما وما يتعلق بها من اسم اوفعل . وهاك قطعة من اول هذا الكتاب على سبيل المثال :

«من صغار النخل الجثيث وهو اول ما يطلع من أمه وهو الودي والهراء والفسيل واذا كانت الفسيلة في الجذع ولم تكن مستأرضة فهو من خسيس النخل والعرب تسميها الراكب .فاذا قلعت الودية من امها بكربها قيل ودية منعلة . فاذا غرسها حفرلها بئراً فغرسها ثم كبس حولها بترنوق المسيل والدمن فتلك البئر هي الفقير يقال : فقرنا للودية تفقيراً . والاشأ من صغار النخل

« ومن نعوت سعفها وكونها وقلبها يقال للفسيلة اذا أخرجت قلبها قد انسغت . ويقال للسعفات اللواتي يلين القلبة « العواهن » في لغة اهل الحجاز . اما اهل نجد فيسمونها « الخوافي » . واصول السعف الغلاظ الكرانيف الواحدة كرنافة . والعريضة التي تيبس فتصير مثل الكتف هي الكربة وشحمة النخلة هي الجمار فاذا صار للفسيلة جذع قيل قد قعدت وفي ارض بني فلان من القاعد كذا وكذا . والسعف هو الجريد عند اهل الحجاز واحدته جريدة وهو الخرص وجمعه خرصان والخلب الليف وحدته خلبة ... » (١)

وقس على ذلك كتب خلق الانسان والابل وغيرها . فكل منها يشتمل على اسماء وافعال تجمعها صفة مشتركة بينها في المعنى فهي من قبيل المعاجم المعنوية التي تجمع مفردات اللغة فيها حسب معانيها تمييزاً لها عن المعجمات اللفظية التي تجتمع بها الالفاظ بحسب هجائها على ترتيب الابجدية . واشهر المعجمات المعنوية فقه اللغة للثعالبي والمخصص لابن سيده وهي اتم مما فعله الاصمعي واترابه ولكنها تشبهها من حيث المراد بها وسيأتي ذكرها في مكانه . وعلى كتب الخيل والشاء والابل والشجر والكرم

(١) كتاب النخل والكرم طبعة الاب شيخو

وخلق الانسان واشباهها من كتب النوادر والامثال والاضداد واللغات والفروق وغريب القرآن والحديث وكتب المياه والجبال ونحوها عول واضعو المعجمات في ضبط الالفاظ ومعانيها فضلاً عن تحريهم المفردات عن فصحاء الاعراب

علماء اللغة

في العصر العباسي الاول

١ - الخَليل بن أَحْمَد

توفي سنة ١٨٠ هـ

هو ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد البصري الفراهيدي الازدي سيد اهل الادب في تصحيح القياس واستخراج مسائل النحو وتعليله . وكان من تلامذة ابي عمرو بن العلاء . وعنه اخذ سيبويه وعامة الحكاية في كتاب سيبويه عن الخليل وكلما قال سيبويه « سألته » او « قال » من غير ان يذكر قائله فهو يعني الخليل . واخذ عنه ايضاً النضر بن شميل ومؤرج السدوسي وعلي بن نصر وغيرهم

وقد علمت انه اول من ضبط اللغة وهو ايضاً اول من استخرج علم العروض الى الوجود وحصر اقسامه في خمس دوائر يستخرج منها ١٥ بحراً . ثم زاد فيه الاخفش بحراً سماه الخبب . وقد ضبط اوزان الشعر ووقعها على المقاطع والحركات . واستغرق في درس ذلك حتى كان يقضي الساعات في حجرته وهو يوقع باصابعه ويحركها — رووا ان ابنه دخل عليه مرة وهو في هذه الحال فظنه جن فقال له الخليل :

لو كنتَ تعلم ما اقول عذرتني ... او كنت تعلم ما تقول عذلتكا
لكن جهلت مقالتي فعذلتني ... وعلمتُ انك جاهل فعذرتكا

وكان الخليل في فاقة وزهد لا يبالي بالدنيا وذكروا ان سليمان بن علي وجه اليه من الاهواز لتأديب ولده فاخرج الخليل الى رسول سليمان خبزاً يابساً وقال « كلْ فما عندي غيره وما دمت اجده فلا حاجة لي الى سليمان » فقال الرسول « فما ابلغه » فقال

ابلغ سليمان اني عنه في سعة ... وفي غنى غير اني لست ذا مال
شحاً بنفسي اني لا ارى احداً ... يموت هزلاً ولا يبقى على حال
والفقر في النفس لا في المال تعرفه ... ومثل ذاك الغنى في النفس لا المال

فالرزق عن قدر لا العجز ينقصه ولا يزيدك فيه حول محتال

واهم مؤلفاته كتاب العين :

كتاب العين

الخليل اسبق العرب الى تدوين اللغة وترتيب الفاظها على حروف المعجم قبل الاصمعي وسيبويه وسواهما من الادباء والنحاة في كتاب سماه كتاب العين جمع فيه ما كان معروفاً في ايامه من الفاظ اللغة واحكامها وقواعدها وشروطها ورتب ذلك على احرف الهجاء . لكنه رتب الحروف حسب مخارجها من الحلق فاللسان فالاسنان فالشفتين وبدا بحرف العين وجعل حروف العلة في الآخر . وهاك ترتيبه ع ح ه خ غ ق ك ج ش ض ص س ز ط د ت ظ ذ ث ز ل ن ف ب م و ا ي فكان الخليل حذا بذلك حذو الهنود في ترتيب حروف لغتهم السنسكريتية فانهم يبداون باحرف الحلق وينتهون بالاحرف الشفوية (١)

وكان من عادة العرب ان يسموا الكتاب باول لفظ من الفاظه ككتاب الجيم للهروي وهو كتاب رتبه على حروف المعجم بدأ به بحرف الجيم (٢) وكتاب الجيم لابي عمرو الشيباني ومثلهما كتاب الغين وكتاب الميم . ويستفاد من ترتيب الحروف في كتاب العين ان الجيم كانت تلفظ كالكاف الفارسية

ومن ابحاث كتاب العين احصاء الفاظ اللغة في ايامه فقد نقل عنه السيوطي انه أحصى فيه عدد ابنية كلام العرب المستعمل والمهمل فبلغ ١٢ ٣٠٥ ٤١٢ كلمة . ولعله اراد ما يمكن تكوينه بتركيب احرف الهجاء على كل شكل من الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي . ولم يذكر عدد الكلام المستعمل منها . على ان ابا بكر الزبيدي الذي اختصر كتاب العين وجه نظره الى هذه المسألة ودرسها فكانت نتيجة درسه ان عدد الالفاظ العربية ٦ ٦٩٩ ٤٠٠ لفظ لا يستعمل منها الا ٥ ٦٢٠ لفظاً والباقي وهو ٦ ٦٥٣ ٧٨٠ لفظاً مهملاً . وقد قسمها من حيث عدد احرفها على هذه الصورة :

عدد الالفاظ		المستعمل منها	المهمل
٧٥٠	الثنائي	٤٨٩	٢٦١
١٩٦٥٠	الثلاثي	٤ ٢٦٩	١٥ ٣٨١
٣٣٤٠٠	الرباعي	٨٢٠	٣٠ ٢٥٨٠
٦ ٣٧٥ ٦٠٠	الخماسي	٤٢	٦ ٣٧٥ ٥٥٨
٦ ٦٩٩ ٤٠٠		٥٦٢٠	٦ ٦٩٣ ٧٨٠

(١) William's Sanskrit Grammar 15 (٢) طبقات الادباء ٢٦٠

ومن النظر الى هذا الجدول يتبين لك ان الزبيدي عنى بعدد الفاظ اللغة ما عناه الخليل وان كان قد جعل عددها نصف ما قاله ذاك فانك تجد اكثرها مهملاً فهو يريد بالمهمل الالفاظ التي يمكن ان تتركب من الاحرف الهجائية كما تقدم لا التي تركبت واستخدمها الناس زماناً ثم اهملت لسبب من الاسباب

ولم يصل الينا من كتاب العين الا ما نقل عنه في كتب اللغة كالمزهر للسيوطي وكتاب النحو لسيبويه . ولم ينبغ نحوي ولا لغوي ولا اديب في عصر الخليل وما يليه الا استفاد من كتابه . ولكن الثقات الباحثين مختلفون في حقيقة نسبته اليه وفي صحة ما جاء فيه من الروايات والاقوال . من ذلك ما رواه ابن النديم في الفهرست عن ابن دريد قال « وقع في البصرة كتاب العين سنة ثماني واربعين (ومائتين) قدم به وراق من خراسان وكان في ثمانية واربعين جزءاً فباعه بخمسين ديناراً وكان قد سمع بهذا الكتاب انه في خراسان بخزائن الطاهرية حتى قدم به هذا الوراق . وقيل ان الخليل عمل كتاب العين وحج وخلف الكتاب بخراسان فوجه به الى العراق من خزائن الطاهرية . ولم يرو هذا الكتاب عن الخليل ولا روي في شيء من الاخبار انه عمل هذا البتة . وقيل ان الليث من ولد نصر بن سيار صحب الخليل مدة يسيرة وان الخليل عمله له واخذ طريقته وعاجلت المنية الخليل فتممه الليث » (١)

وذكر السيوطي آراء القوم في اصله وحجج القادحين فلتراجع في المزهر (٣٩ ج ١ وما بعدها) ولكن الغالب في سبب تلك الحملة على الخليل انهم حسدوه لما اتاه من السبق الى ذلك العمل الجليل — وكل سباق محسود . فلا خلاف في فضله على الاطلاق وهب انه لم يتم الكتاب في حياته فله الفضل في تبويبه والشروع فيه

وقد جاء في ذلك الكتاب على قواعد النحو واكثرها على مذهب الكوفيين مع انه بصري فخالف ما جاء في كتاب سيبويه مما رواه سيبويه عنه . وقد جعلوا هذا حجة للطعن في الكتاب وانه ليس للخليل . ويرى الاكثرون انه له وذلك لم يمنع انتقاده والاستدراك عليه . فالف في انتقاده جماعة منهم المفضل بن سلمة وعبد الله بن محمد الكرماني وابن دريد وغيرهم . وقد اختصره ابو بكر الزبيدي المتوفى سنة ٣٧٩هـ اختصاراً لطيفاً وشاع مختصره واقبل عليه الناس وتحدثوا به فاستعملوه وفضلوه على الكتاب نفسه لكونه حذف ما اورده المؤلف من الشواهد المختلفة والحروف المصحفة والابنية المختلة . وفضلوه ايضاً على سائر ما الف على حروف المعجم من كتب اللغة

(١) الفهرست ٤٢

يومئذ لاجل صغر حجمه . والحق به بعضهم ما زاده أبو علي القالي في البارع على كتاب العين فكثرت الفائدة . على ان بعضهم انتقد على الزبيدي حذفه الشواهد

وبالجملة فان كتاب العين تحفة من تحفة الادب وللخليل فضل كبير في وضعه وللاسف انه ضاع وقد كان موجوداً الى القرن الرابع عشر للميلاد . ولايبعد ان يعثر الباحثون على نسخة منه في بعض المكاتب الخصوصية

اما مختصره للزبيدي فمنه نسخة خطية في مكتبة برلين واخرى في الاسكوريال باسبانيا وكذلك في مدريد وفي مكتبة كوبرلي بالاستانة

وذكر له ابن النديم من المؤلفات ايضاً كتاب النغم وكتاب العروض وكتاب الشواهد وكتاب النقط والشكل وكتاب الايقاع . وفي المكاتب الكبرى في اوربا مما ينسب الى الخليل :

٢ كتاب في معنى الحروف — في مكتبة ليدن ومكتبة برلين
٣ شرح حرف الخليل — » » برلين قطعة منه
٤ جملة آلات العرب — » » ايا صوفيا بالاستانة
٥ قطعه من كلام على اصل الفعل — » » اكسفورد (بودليان)

وتجد ترجمتهُ في ابن خلكان ١٧٢ ج ١ وطبقات الادباء ٥٤ والفهرست ٤٢ وابن خلدون ٤٨٢ ج ١

٢ — مُؤرّج السدُوسِي

توفي سنة ١٩٥ هـ

هو ابو فيد مؤرج بن عمرو السدوسي كان من اكابر اهل اللغة واخذ عن ابي زيد الانصاري وصحب الخليل بن احمد وكان من كبار اصحابه . اصله من البادية قدم البصرة ولا معرفة له بالقياس في العربية واول ما تعلم ذلك في حلقة ابي زيد وكان يحفظ ثلثي اللغة وكان شاعراً . وصحب المأمون من العراق الى خراسان وسكن مرو مدة ثم قدم الى نيسابور واقام فيها وكتب عنه مشائخها

وله من المؤلفات كتاب الانواء وكتاب غريب القرآن وكتاب جماهير القبائل وكتاب المعاني وغيرها لم يصلنا منها شيء

وتجد اخباره في ابن خلكان ١٣٠ ج ٢ وطبقات الادباء ١٧٩

٣ — النَّضْر بن شُمَيْل

توفي سنة ٢٠٣ هـ

هو ابو الحسن النضر بن شميل التميمي البصري من تلامذة الخليل اخذ عنه وعن فصحاء العرب كابي خيرة الاعرابي وابي الدقيش واقام في البادية اربعين سنة في هذا السبيل . وعنه اخذ ابو عبيد القاسم بن سلام الآتي ذكره . وبعد ان اقام في البصرة مدة ضاق به الرزق فنزح عنها الى خراسان فاصاب بها مالاً عظيماً وكانت اقامته في مرو وله مع المأمون في اثناء اقامته هناك حكايات ونوادر لانه كان يجالسه .

وله عدة كتب ذهب خبرها الا كتاب غريب الحديث اخذ الثعالبي عنه

واخباره في ابن خلكان ١٦١ ج ٢ وطبقات الادباء ١١٠ وفهرست ٥٢

٤ — قُطْرُب

توفي سنة ٢٠٦ هـ

هو ابو علي محمد بن المستنير البصري من الموالي كان من كبار علماء اللغة اخذ عن سيبويه وجماعة من اهل البصرة وكان يذهب مذهب المعتزلة وله عدة مؤلفات منها:

١ كتاب الاضداد : مرتب على الابجدية منه نسخة خطية في مكتبة برلين
٢ ما خالف فيه الانسان البهيمة : منه نسخة في مكتبة فينا
٣ كتاب الازمنة : في المتحف البريطاني
٤ مثلث قطرب : هو منظومة في بضعة وستين بيتاً تحتوي على الالفاظ التي يختلف معناها باختلاف حركاتها مثل سِهَام وسَهَام وسهام ولكل منها معنىً وهو اول من فعل ذلك . ومنه نسخ في مكاتب ليدن وباريس والاسكوريال والمكتبة الخديوية . وقد طبع في مابرج سنة ١٨٥٧ مع ترجمة لاتينية . وله شروح منها شرح ابراهيم اللخمي وغيره . ومن هذه الشروح نسخ في اكثر مكاتب أوربا الكبرى

واخباره في ابن خلكان ٤٩٤ ج ١ وطبقات الادباء ١١٩ والفهرست ٥٢

٥ — ابن الأَعرَابي

المتوفى سنة ٢٣١ هـ

هو ابو عبد الله محمد بن زياد من موالي بني هاشم وكان من اكابر أئمة اللغة بالكوفة ولم يكن في الكوفيين اشبه برواية البصريين من روايته وكان ربيباً للمفضل الضبي وسمع منه الدواوين وصححها . وكان احفظ الناس للغات والانساب وطريقته طريقة الفقهاء

والعلماء وله من الكتب الباقية الى الآن :

١ كتاب اسماء البئر وصفاتها : منه نسخة في المكتبة الخديوية وقد نشرته مجلة المقتبس (مجلد ٦ ج ١) في سبع صفحات بتصحيح السيد محمود شكري الالوسي

٢ كتاب اسماء الخيل وانسابها : منه نسخة خطية بين كتب الشنقيطي بالمكتبة الخديوية

واخباره في ابن خلكان ٤٩٢ ج ١ وطبقات الادباء ٢٠٧ والفهرست ٦٩

الانشاء والمنشئون

الانشاء

الانشاء من فنون الادب وقد تقدم تاريخه في الجاهلية وعصر الراشدين والامويين ورأيت انه اختلف في هذه العصور باختلاف احوالها من المدنية او الجاهلية من الحضارة او البداوة . وللعرب اقتدار عليه مثل اقتدارهم على الشعر . واللغة اكبر مساعد على ذلك

كان الانشاء في صدر الاسلام قاصراً على مكاتبة الخلفاء وامرائهم وقوادهم او مع سواهم في طلب حرب او صلح او حث او تحريض . فلما صار الاسلام دولة تفرعت الكتابة الى اقسام اقتضاها تعدد مصالح الدولة وتفرع احتياجاتها فصارت الكتابة خمسة انواع ذكرناها في الجزء الاول من تاريخ التمدن الاسلامي — واهمها بالنظر الى الانشاء والبلاغة كتابة الرسائل وصاحبها يسمى كاتب السر وهو يد الخليفة ومستودع اسراره . وقد نبغت طائفة من كتاب الرسائل في الدولة الاموية آخرهم وابلغهم عبد الحميد كما تقدم [٤]

فلما صارت الدولة الى العباسيين على اثر ذلك الانقلاب الذي تبدلت فيه رجال الدولة وانتقل كرسي الخلافة وتنوعت اغراض الخلفاء — كما بينا ذلك في مكانه — اصاب الانشاء تغيير يلائم ذلك الانقلاب . واهم ظواهره الاستبحار في المدنية والاغراق في الحضارة بالنظر الى الدولة الاموية . وظهر اثر ذلك على اقلام المنشئين كما ظهر في قرائح الشعراء

(١) الجزء الاول ٣١٤

اول ثمار الرخاء

فالانشاء في صدر الدولة العباسية اخذ في النزوع الى ثمار الرخاء والترف واهمها التطويل والاطراء . وزادهم الاختلاط بالفرس وما ترجم من آدابهم تأنقاً في العبارة نزوعاً عن اسلوب البلغاء في صدر الاسلام وفي العصر الاموي من تحدي الايجاز والاعجاز . واخذوا يضمنون رسائلهم الاشعار والامثال . وخالط ذلك في العصر العباسي الاول شيء من الاطراء والتفخيم وخصوصاً في ما كانوا يكتبونه الى الامراء يستعطفونهم او يستعطونهم كما فعل ابراهيم بن سيابة في رسالة كتبها الى يحيى بن خالد بن برمك توخى فيها التسجيع فضلاً عن الاطراء فقال في مطلعها :

« للاصيد الجواد الواري الزناد الماجد الاجداد الوزير الفاضل الاشم الباذل اللباب الحلاحل من المستكين المستجير اليائس الضرير فاني أحمد الله ذا العزة القدير اليك والى الصغير والكبير بالرحمة العامة والبركة التامة امابعد فاغنم واسلم واعلم ان كنت تعلم انه من يرحم يرحم ومن يحرم يحرم ومن يحسن يغنم ومن يصنع المعروف لا يعدم . وقد سبق اليَّ تغضبك علي واطراحك لي وغفلتك عني بما لا اقوم له ولا اقعد ولا انتبه ولا ارقد فاست بحي صحيح ولا بميت مستريح فررت بعد الله منك اليك وتحملت بك عليك » — الى آخر الرسالة

وهي كما ترى اشبه بما صار اليه الانشاء في أواسط الدولة العباسية . ولولا ثقتنا بصدق راويها وهو الجاحظ [١] مع قرب عهده من ذلك العصر لشككنا في صحتها . فالظاهر ان ابن سيابة بالغ في تمييق عبارته حتى خرج عن الاسلوب المألوف في عصره فاعظم الناس اقتداره وعملوا على حفظ اقواله . وذكر الجاحظ ان البغداديين حتى عامتهم كانوا يحفظون هذه الرسالة في تلك الايام . ولا يصح ان تعدَّ مثالاً لاسلوب ذلك العصر وانما امام الانشاء فيه ابن المقفع واسلوبه مشهور وسنعود الى ذلك

وتنوعت اساليب الانشاء ومذاهب المنشئين في الدولة العباسية بتنوع العلوم فاصبح للفقه اسلوب والفاظ وتراكيب ومثل ذلك للجندي أو المحدث او الفيلسوف او الطبيب لتعود كل منهم مصطلحات علمه وفنه كما هو شأننا لهذا العهد فان للصحافي اسلوباً خاصًّا ومثله للمؤلف والروائي والطبيعي والمحامي وغيرهم تظهر فيه صبغة مهنته . ولكن هذه الاساليب كانت ولا تزال تتشابه وتتقارب لاضطرار اصحابها الى تحدي اساليب القرآن والفاظ العرب العرباء

(١) البيان والتبيين ١١٤ ج ٢

التوقيعات

وظل الميل الى الايجاز والاعجاز متغلباً في نفوس الادباء ولا سيما في التوقيع ويراد به ما يعلقه الخليفة على القصص او الرقاع (العرضحالات) . وكان الخلفاء في صدر الاسلام هم الذين يوقعون بانفسهم أو يأمرون كتابهم بتدوينه . والغالب في توقيعهم ان يكون اقتباساً من آية او حديث او حكمة مشهورة او شعر حكمي . ومن امثلة ذلك ان سعد بن ابي وقاص عامل العراق كتب الى عمر بن الخطاب كتاباً يستأذنه فيه ببناء دار فوقع عمر في اسفل الكتاب « ابنِ ما يكنك من الهواجر واذى المطر » ووقع عمر ايضاً لعمرو بن العاص عامله على مصر جواباً على كتاب كتبه اليه « كن لرعيتك كما تحب ان يكون لك اميرك » وتشكى قوم لعثمان بن عفان من مروان بن الحكم وذكروا انه امر بوجء اعناقهم فوقع في ذلك الكتاب « فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون » وارسله اليه

وقس على ذلك توقيعات بني العباس فقد وقع السفاح الى قوم من اهل الانبار شكوا اليه ان منازلهم أُخذت منهم وادخلت في بناء امر به ولم يعطوا اثمانها فوقع « هذا بناء اسس على غير تقوى » وامر باعطائهم الاثمان . وشكا اهل الكوفة الى ابي جعفر المنصور سوء معاملة عاملهم فوقع على كتابهم « كما تكونون يؤمر عليكم » ووقع على قصة رجل شكا عيلة « سل الله من رزقه » وجاء من عامله على حمص كتاب فيه خطأ فوقع في اسفله « استبدل بكاتبك والا استبدل بك » وكتب صاحب ارمينيا الى المهدي يشكو سوء طاعة رعاياهُ فوقع في الكتاب « خذِ العفوَ وأْمُرْ بالعرفِ واعرض عن الجاهلين » وشكا بعضهم اليه اهمال عامله في خراسان فوقع على شكواهم « انا ساهر وانت نائم » وارسلهُ اليه . ومن توقيعات هرون الرشيد الى عامله في خراسان « داوِ جرحك لايتسع » والى عامله على مصر « احذر ان تخرب خزانتي وخزانة اخي يوسف فيأتيك منه ما لا قِبَل لك به ومن الله اكثرَ منهُ » . وكتب ابن هشام الى المأمون يتظلم من امر فوقع على كتابه « من علامة الشريف ان يظلم من فوقه ويظلمه من دونهُ فاي الرجلين انت؟ »

ولم تكن التوقيعات خاصة بالخلفاء . فمن توقيعات الامراء والوزراء توقيع جعفر البرمكي لمحبوس « ولكل اجل كتاب » ووقع في كتاب جاءه في شكوى بعض عماله « لقد كنز شاكوك وقلَّ شاكروك فاما اعتدلت واما اعتزلت »

الانشاء المرسل او اسلوب المؤلفين

هذا كله من انشاء الرسائل في المخاطبات والمكاتبات . ولكن هناك ضرباً من الانشاء نضج في العصر العباسي الاول نعني الانشاء المرسل في تأليف الكتب او كتابة المقالات الطويلة في الوصف او الموعظة او الفلسفة — وهو غير اسلوب المراسلات . فان هذا اقرب الى الخطابة او الشعر منه الى الاسلوب المتناسق الذي يقتضيه الاسترسال في وصف موضوع طويل متسلسل

ولم ينضج الاسلوب المرسل الا في العصر العباسي الاول لاضطرار الناس الى التأليف من عند انفسهم بان يدونوا افكارهم او ينقلوا افكار سواهم من اللغات الاخرى . واشهر من فعل ذلك في العصر المذكور عبد الله بن المقفع في نقل كتاب كليلة ودمنة وغيره من الفارسية القديمة (الفهلوية) الى العربية

وكان ابن المقفع عريقاً في الفارسية عالماً بآدابها متمكناً من اساليبها لانها لغته ولغة ابائه . وكان يعرف اللغة اليونانية جيداً . وقد نشأ في البصرة في النصف الاول من القرن الثاني للهجرة وهي حافلة بالادباء والشعراء فبرع في اللغة العربية وآدابها وكان سليم الذوق ذا قريحة انشائية . ولما نقل كتاب كليلة ودمنة من الفارسية الى العربية جاءت عبارته شاملة للبلاغة والسهولة . وقد تحداها من جاء بعده لانه اقدم من حفظ انشاؤه في المواضيع الادبية باللغة العربية

وكتاب كليلة ودمنة اقدم ما وصل الينا من الانشاء المرسل من قلم رجل واحد هو من علماء الفرس وقد نقل الكتاب عن لغة الفرس . ونظراً لما يمتاز به الكتاب المذكور من السهولة والرشاقة عن سائر ما كتب في عصره او ما بعده من كتب الادب يغلب على ظننا انه اكتسب ذلك من تأثير اساليب اللغات الاخرى التي كان يعرفها ابن المقفع مع اقتدار خاص فيه على مثل ذلك الاسلوب . وقد قلَّ من جاء بمثله بعده ولم يأت احد باحسن منه في بابه مع ما بلغ اليه العلم من الرقي في العصر العباسي . وما نبغ فيه من علية الكتاب المشاهير — مما يدلك على ان الانشاء قريحة خاصة مثل قريحة الشعر

فيقسم المنشئون في العصر العباسي الاول الى طبقتين : الاولى منشئو الرسائل والثانية مؤلفو الكتب :

منشئو الرسائل

والمنشئون للرسائل كثيرون مثل كثرة الشعراء للاسباب التي قدمناها . ومنهم طائفة حسنة من كبار الرجال حتى الخلفاء والامراء والوزراء والشعراء . واشتهر بانشاء الرسائل في هذا العصر من الامراء والوزراء ونحوهم ابراهيم بن المهدي اخو الرشيد وله رسائل وشعر جيد . ومنهم ابو دلف والفتح بن خاقان وآل طاهر — وخصوصاً طاهر بن الحسين

طاهر بن الحسين

وهو رئيس هذه الاسرة توفي سنة ٢٠٧ هـ وكان من نوابغ المنشئين وله مجموع مراسلات ضاع خبره الا رسالة بليغة كتبها لابنه عبد الله لما ولاه المأمون الرقة ومصر وما بينهما اوصاه فيها بجميع ما يحتاج اليه في دولته وسلطانه من الآداب الدينية والخلقية والسياسية ومكارم الاخلاق . وهي منشورة في مقدمة ابن خلدون بباب « ان العمران البشري لابدّ له من سياسة ينتظم بها امره » تدخل في ثماني صفحات

وتجد ترجمة طاهر في ابن خلكان ٢٣٥ ج١

عمرو بن مسعدة

ومنهم عمرو بن مسعدة بن سعد بن صول المتوفى سنة ٢١٧ هـ وزير المأمون كان كاتباً بليغاً جزل العبارة وجيزها سديد المقاصد والمعاني وكان يوقع بين يدي جعفر ابن يحيى البرمكي في ايام الرشيد . وقد اثرى في خدمة المأمون حتى قيل انه خلف بعد موته ٨٠ ٠٠٠ ٠٠٠ درهم فقيل ذلك للمأمون فقال « هذا قليل لمن اتصل بنا وطالت خدمته لنا فبارك الله لولده فيما خلف واحسن لهم النظر فيما ترك »

وتجد مثالاً من انشائه في ترجمته في ابن خلكان ٣٩٠ ج ١

ومنهم ابن الليث كاتب يحيى بن خالد . وذكر ابن النديم اسماء جماعة خلفوا رسائل مجموعة في كتاب منهم غيلان بن مرارة جمعت رسائله في الف ورقة وخالد بن ربيعة الافريقي نشأ في الدواوين ورسائله ٢٠٠ ورقة . وغيرهم كثيرون لا فائدة من ذكرهم لان آثارهم ضاعت . ثم ان كتاب ديوان الرسائل اكثرهم في صدر الدولة العباسية من المنشئين البلغاء كابن عبد الملك الزيات الوزير وابي علي البصير واليوسفي كاتب المأمون وحميد بن مهران كتب للبرامكة وابن يزداد وزير المأمون وموسى بن عبد الملك وميمون بن ابراهيم وغيرهم (١)

(١) الفهرست ١١٥ — ١٢٥

الكتاب المؤلفون

١ — عبدالله ابن المقفّع

توفي سنة ١٤٣ هـ

هو امام هذه الطبقة وقد تقدم ذكره وكان في باديء امره مجوسياً فاسلم على يد عيسى بن علي عم السفاح ثم اختص بالمنصور وكتب له حتى قتل وهو في مقتبل العمر لم يتجاوز ٣٦ سنة لكنه خلف آثاراً حفظت ذكره قروناً ولا تزال — اهمها :

١ — كتاب كليلة ودمنة

هو كتاب في اصلاح الاخلاق وتهذيب النفوس وضعه فيلسوف هندي اسمه بيدبا منذ نيف وعشرين قرناً لملك من ملوك الهند اسمه دبشليم ذكروا انه تولى الهند بعد فتح الاسكندر وطغى وبغى فأراد بيدبا اصلاحه وتدريبه فألف هذا الكتاب وجعل النصح فيه على السنة البهائم والطيور على عادة الهنود البراهمة في عصورهم القديمة فأنهم كانوا يروون الحكمة على السنة الحيوانات لاعتقادهم بتناسخ الارواح . والمظنون ان معظم ما يتناقله الناس من امثال هذه الاقاصيص اصله من الهند . وقد صنف في هذا الموضوع وعلى هذه الكيفية غير واحد من الحكماء . ويقال ان بيدبا اول فاتح لهذا الباب وكل من صنف بعده في نوادر الحكايات مقتبس من ضيائه

وترجع مواضيع النصح في هذا الكتاب الى ما يحتاج اليه الناس في معاملاتهم كوجوب الابتعاد عن سماع كلام الساعي والنمام ووخامة عاقبة الاشرار ومنافع الاصحاب وعدم جواز الامن من كيد العدو ومضار الاهمال والغفلة وآفة التعجيل وفائدة الحزم وعدم الاعتماد على ارباب الحقد ونحو ذلك مما يهذب النفوس ويرقي العواطف في حكايات يتفرع بعضها عن بعض

وقد كتب اولاً باللغة الهندية السنسكريتية في ١٢ باباً ونقل الى لغة التيبت فاللغة السريانية ثم الى الفهلوية اي الفارسية القديمة وعنها نقل ابن المقفع الترجمة العربية وصدرها بمقدمة سماها « عرض الكتاب » وصف بها الكتاب وافاض في التحريض على مطالعته . فلما اطلع العرب على فوائده اعجبوا به واخذوا يتدارسونه ويتناقلونه وكأن علماء اللغة وادباءها حسدوا ابن المقفع على سبقه في ترجمته فاقدم بعضهم على نقله ثانية واشتغل غيره بنظمه شعراً تسهيلاً لحفظه وتصدى آخرون لمعارضته كما سيجيء

على ان الترجمات ذهبت كلها الا ترجمة ابن المقفع التي هي بين ايدينا وقد تعدلت بتوالي الازمان بين تنقيح وتصدير وتذييل فبلغت ابوابها ٢١ باباً بعضها هندي الاصل والاخر فارسي والاخر عربي

فالابواب الهندية ١٢ وهي : باب الاسد والثور. الحمامة المطوقة . البوم والغربان . القرد والغيلم . الناسك وابن عرس . الجرذ والسنور . الملك والطائر فنزه . الاسد وابن آوى . اللبوءة وبلاذ وابرخت . السائح والصائغ . ابن الملك واصحابه

والفارسية ثلاثة : مقدمة برزوية وباب بعثة برزوية وباب ملك الجرذان . وهناك ستة ابواب لم تكن معروفة قبل الترجمة العربية نعني مقدمة الكتاب على لسان بهنود بن سحوان المعروف بعلي بن الشاه الفارسي وباب عرض الكتاب لابن المقفع وباب الفحص عن امر دمنة وباب الناسك والضيف وباب مالك الحزين والبطة وباب الحمامة والثعلب ومالك الحزين . وبعض هذه الفصول لا يوجد الان في النسخ المطبوعة من الترجمة العربية

ثم فقد الاصل الهندي والترجمة الفهلوية ولم يبق غير العربية وعنها اخذت الامم هذا الكتاب ونقلته الى السنتها . فنقل الى اللغة السريانية مرة ثانية والى اليونانية والايطالية والفارسية الحديثة والتركية والعبرانية واللاتينية والاسبانية والملقية والانكليزية والروسية . ونقل عن بعض هذه التراجم الى لغات اخرى . وقد عقدنا لتاريخ هذا الكتاب فصلاً ضافياً في الهلال سنة ١٤ ج ٧

طبع كتاب كليلة ودمنة في العربية مرارا من اواخر القرن الثامن عشر الى الان . وبعض طبعاته مزينة بالرسوم . وقد ضبطه بالشكل الكامل المرحوم الشيخ خليل اليازجي . وهو لا يزال الى الان من خيره الكتب في الانشاء وقد شغف العرب بمعانيه فنقلوها الى الشعر :

نظم كليلة ودمنة

اقدم من نظم هذا الكتاب في العربية ابو سهل الفضل بن نوبخت الفارسي من خدم المنصور العباسي وابنه المهدي في صدر الدولة العباسية . وكان الفضل في خزانة الحكمة بايام الرشيد وله عدة كتب نقلها من الفارسية الى العربية ذكرها صاحب الفهرست (صفحة ٢٧٤) ليس بينها نظم كليلة ودمنة . ولكن كشف الظنون ذكر ذلك في عرض كلامه عن هذا الكتاب فقال « نقله ايضاً عبد الله بن هلال الاهوازي ليحيى بن خالد البرمكي في خلافة المهدي سنة ١٦٥ هـ ونظمه ابو سهل بن نوبخت الحكيم ليحيى بن خالد وزير المهدي والرشيد . فلما وقف عليه اجازه بالف

دينار » وقد ذكرنا في ترجمة ابان اللاحقي الشاعر انه نظم كليلة ودمنة شعراً لم يبق منه الا بيتان ذكرناهما (صفحة ٨٢)

ثم نظمه علي بن داود كاتب زبيدة بنت جعفر زوج الرشيد . ونظم بعضه بشر بن المعتمد . وكل هذه المنظومات ضاعت

ثم نظمه ابن الهبارية المتوفى سنة ٥٠٤ هـ في كتاب سماه « كتاب نتائج الفطنة في نظم كليلة ودمنة » كان منه نسخ مشتتة في الاستانة ولندن والهند . فنشرت نسخة الهند في بمباي سنة ١٣٠٤ هـ على الحجر . ثم طبع الكتاب طبعة اخرى عن نسخة اخرى في بعبدا (لبنان) سنة ١٩٠١ بعناية الخوري نعمة الله الاسمر . وقد نقحها ونظم منها قطعاً لم ينظمها ابن الهبارية منها باب الحمامة والثعلب ومالك الحزين (١)

ثم نظمه ابن نباتي المصري المتوفى سنة ٦٠٦ هـ وضاع نظمه . وجاء بعده عبد المؤمن بن الحسن من اهل القرن السابع للهجرة فنظمه او شيئاً منه او كتاباً على مثاله سماه « درر الحكم في امثال الهنود والعجم » منها نسخ خطية في فينا ومونيخ ثم نظمه جلال الدين النقاش من اهل القرن التاسع ومن نظمه نسخة في مكتبة الاباء اليسوعيين في بيروت واخرى في المتحف البريطاني

وعارض كليلة ودمنة سهل بن هارون الكاتب الآتي ذكره فنظم كتاباً على مثاله سماه « كتاب ثعلة وعفرة » وقد ضاع (٢) ومن مؤلفات ابن المقفع المنقولة عن الفارسية ايضاً :

سائر مؤلفاته

٢ كتاب الادب الصغير : في الاخلاق والمواعظ وفلسفة الاجتماع . طبعته جمعية العروة الوثقى في الاسكندرية سنة ١٩١١ مضبوطاً بالشكل الكامل بتحقيق احمد زكي باشا كاتب اسرار مجلس النظار وقد صدره بمقدمة انتقادية في اسلوب الكتاب ونسبته الى كليلة ودمنة

٣ كتاب الدرة اليتيمة ويسمى ايضاً كتاب الادب الكبير : هي رسائل في النصح والارشاد . قال ابن المقفع في الغرض منها يخاطب القارىء « وانا واعظك في اشياء من الاخلاق اللطيفة والامور الغامضة التي لو حنكتك سن كنت خليقاً ان تعلمها وان لم تخبر عنها ولكن احببت ان اقدم اليك فيها قولاً لتروض نفسك على محاسنها قبل ان تجري على عادة مساويها فان الانسان قد تبتدر اليه في شبيبته المساوي وقد يغلب عليه ما يبدر اليه منها »

(١) المشرق ٩٨١ سنة ٤ (٢) الفهرست ١٢٠ والبيان ٢٤ ج ١

وقد طبعت الدرة اليتيمة مراراً في نحو ٥٠ صفحة منها طبعة بيروت سنة ١٨٩٧ مع مقدمة وشروح للامير شكيب ارسلان . وهي تحت الطبع الان مضبوطة بالشكل الكامل باسم « الادب الكبير » بتحقيق زكى باشا . ولها تتمة لابن العربي سماها « عظة الالباب وذخيرة الاكتساب » منها نسخة في مكتبة باريس

٤ رسالة في الاخلاق : منها نسخة خطية في مكتبة نور عثمانية بالاستانة

وله كتب اخرى ادبية واخلاقية نقلها عن الفارسية منها كتاب التاج في سيرة انو شروان وكتاب سير ملوك العجم لم نقف عليها . لكن منها نتفاً نقلها ابن قتيبة في كتاب عيون الاخبار . وتجد اخبار ابن المقفع في ابن خلكان ١٤٩ ج ١ وتراجم الحكماء لابن القفطي ١٤٨ والفهرست ١١٨

٢ — سهل بن هارون

هو سهل بن هارون بن رامنوي الدستميساني . فارسي الاصل انتقل الى البصرة ثم اقام في بغداد وكان متحققاً في خدمة المأمون وصاحب خزانة الحكمة له . وكان حكيماً فصيحاً شاعراً شعوبي المذهب شديد العصبية على العرب . وله في ذلك كتب كثيرة ورسائل في البخل . وكان الجاحظ يفضله ويصف براعته وفصاحته ويحكى عنه . وله من الكتب ديوان الرسائل وكتاب ثعلة وعفرة المتقدم ذكره وكتاب الهذلية والمخزومي وكتاب النمر والثعلب وغيرها كثير لم نقف عليها . واخباره في الفهرست ١٢٠ والدميري ٣١٣ ج ١

ومنهم علي بن عبيد الريحاني له اختصاص بالمأمون وكان يرمى بالزندقة وذكر له صاحب الفهرست (صفحة ١١٩) نحو خمسين مؤلفاً ضاعت كلها . وللمستشرق الروسي اينوسترانسيف كلام عن مؤلفاته في كتابه عن تأثير آداب الفرس في اللغة العربية طبع في بطرسبرج سنة ١٩٠٩

الموسيقى او الغناء

الموسيقى من الفنون الجميلة مثل الشعر . وفي العرب استعداد لها فطري لحساسة نفوسهم وشدة تأثرهم . وكان لهم في جاهليتهم الحان توافق خشونتهم فلما ظهر الاسلام واختلطوا بالروم والفرس اقتبسوا الموسيقى عن تلك الامم قبل سائر العلوم الدخيلة لان اقتباسها لا يحتاج الى نقل او ترجمة . واول من فعل ذلك عبدٌ مكي اسمه سعيد ابن مسجح كان حسن الصوت مغرماً بالموسيقى . وكان في مكة عند حصار الامويين لها

على عهد عبدالله بن الزبير في الثلث الاخير من القرن الاول للهجرة . واستخدم ابن الزبير رجالاً من الفرس في ترميم الكعبة فسمع ابن مسجح بعضهم يغني بالفارسية فطرب والتقط النغم منه . ثم رحل الى الشام وفارس وأخذ الالحان الرومية والفارسية والقى منها ما استقبحه من النبرات والنغم مما لا يألفه الذوق العربي وغنى على هذا المذهب وهو اول من فعل ذلك . واخذ عنه من جاء بعده من مغني المسلمين فنبغ منهم جماعة كبيرة . وكان الغناء يزداد اتقاناً ويزداد نبوغ المغنين كلما قربت الدولة من الترف والقصف . ولذلك كثروا في اواخر الدولة الاموية واواسط الدولة العباسية . ومن أشهر المغنين ابن سريج والغريض ومعبد وحكم الوادي وفليح بن ابي العوراء وسياط ونشيط وعمر الوادي وابراهيم الموصلي وابنه اسحق وغيرهم . ومن المغنيات جميلة وحبابه وسلامة وعقيلة وغيرهن

ولما اشتغل المسلمون في نقل العلوم الدخيلة كان من جملتها كتب الموسيقى لليونان والهند فتناولها المسلمون ودرسوها واصبحت الموسيقى عندهم علماً باصول . وقد جمعوا بين الحان اليونان والهنود والفرس والعرب فالفوا من ذلك علماً خاصاً بالتمدن الاسلامي بلغ درجة حسنة من الاتقان . فالفوا فيه المؤلفات المسهبة فضلاً عما استنبطوه من الالحان او اخترعوه من الآلات

فى العصر العباسي الاول صار للعرب مذاهب في الغناء خاصة بهم . واصبح الغناء علماً قائماً بنفسه فعمدوا الى تدوينه . واول من دونه يونس بن سليمان الكاتب اصله فارسي وصار مولى لعمرو بن الزبير . نشأ في المدينة وكان ابوه فقيهاً اسلمه الى الديوان فكان من كتابه واخذ الغناء عن معبد ولم يكن في اصحاب معبد احذق ولا اقوم منه . وله غناء حسن فوضع كتاباً في الاغاني وهو اول من فعل ذلك[1] وقد ضاع كتابه . وللخليل بن احمد كتاب في الموسيقى زم فيه اصناف النغم وحصر به انواع اللحون وحدد ذلك كله ولخصه وذكر مبالغ اقسامه ونهايات اعداده وقد ضاع هذا ايضاً

وممن اشتغل بفن الموسيقى يحيى بن ابي منصور الموصلي فالف كتاباً في الاغاني على الحروف وآخر في العود والملاهي لم نقف على خبرهما . ووضع المغنون كتباً ضبط كل منهم فيها الالحان التي حدثت فضلاً عن الاصوات القديمة . لان المغني كان اذا برع واشتهر استنبط الحاناً من عند نفسه حتى انتهى ذلك الى اسحق بن ابراهيم الموصلي فاصبح هو امام المغنين وينسبون اليه كتاباً في الاغاني كبير يشك الناقدون في نسبته اليه .

(١) الاغاني ١١٤ ج ٤

والف يحيى بن مرزوق المكي كتاباً فيه ١٢٠٠٠ صوت اهداه الى محمد بن عبد الله بن طاهر فوصله بثلاثين الف درهم . وشاع هذا الكتاب لكن اسحق الموصلي صححه

الغناء القديم والغناء الحديث

ولما زها العصر العباسي الاول في زمن الرشيد والمأمون واطلقت الالسنة والافكار اخذ المغنون يفكرون في تعديل الالحان واستنباط اسلوب جديد . واول من تجرأ على ذلك ابراهيم بن المهدي اخو الرشيد ـ وكان من الطامعين في الخلافة فلما استتب الامر لاخيه المأمون انصرف هو الى الغناء كما انصرف خالد بن يزيد الاموي الى الكيمياء لما يئس من الخلافة . وكان ابراهيم من اعلم الناس بالنغم والوتر والايقاعات واطبعهم في الغناء واحسنهم صوتاً وهو يعدّ من الطبقة الأولى في عصره لكنه كان مقصراً عن اداء الغناء القديم على طريقة الموصلي . فكان يحذف نغم الاغاني الكثيرة العمل حذفاً شديداً او يخففها على قدر طاقته ـ وانما تجرأ على ذلك بما له من المنزلة عند الناس . فكان اذا عوتب قال « انا ملك اغني كما اشتهي » وصارت له طريقة يسمونها الغناء الحديث . وسموا طريقة اسحق الطريقة القديمة . وانقسم المغنون في ذلك الى قسمين واصحاب فن الغناء يعدون عمل ابراهيم بن المهدي افساداً في هذه الصناعة لانهم يفضلون القديم فاخذوا في الرجوع اليه

على ان ذلك بعثهم على اعمال الفكرة والتعمق بهذا الفن وانتهى ذلك الى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر من اهل العصر العباسي الثاني وكان من كبار العلماء المفكرين ولا سيما في علوم الاوائل والموسيقى والهندسة فوضع كتاباً في النغم وعلل الاغاني سماه « الآداب الرفيعة » نال شهرة واسعة ونأسف لضياعه مثل ضياع اكثر ما وضعه العرب في الموسيقى او الغناء قبل كتاب الاغاني لابي الفرج الاصبهاني . وسيأتي ذكره [1]

ش ٩ : الآلات الموسيقية العربية

(١) راجع تاريخ الغناء في الجاهلية والاسلام في تاريخ التمدن الاسلامي ١٩٧ ج ٣ و٣٢ ج ٥

العلوم الاسلامية الشرعية

في العصر العباسي الاول

الفقه

في هذا العصر ضبط الفقه ودونت احكامه بعد ان افضت الخلافة الى بني العباس . وكان ائمة الفقه في المدينة فاراد المنصور تصغير امر العرب واعظام امر الفرس لانهم انصارهم واهل دولتهم فكان من جملة مساعيه في ذلك تحويل انظار المسلمين عن الحرمين فبنى بناء سماه القبة الخضراء حجاً للناس وقطع الميرة عن المدينة [1] وفقيه المدينة يومئذ الامام مالك الشهير فاستفتاه اهلها في امر المنصور فافتى بخلع بيعته فخلعوها وبايعوا محمد بن عبد الله من آل علي . وعظم امر محمد هذا وحاربه المنصور ولم يتغلب عليه الا بعد العناء الشديد . فرجع اهل المدينة الى بيعة المنصور قهراً وظل مالك مع ذلك ينكر حق البيعة لبني العباس . فعلم امير المدينة يومئذ وهو جعفر بن سليمان عم المنصور بذلك فغضب ودعا بمالك وجرّده من ثيابه وضربه بالسياط وخلع كتفه [2]

الرأي والقياس

وكانت علوم القرآن قد انتشرت في العراق وفارس ونبغ من ابنائها من درس الفقه والفتيا ولكنهم ما زالوا عيالاً فيها على اهل المدينة لانهم اوثق الناس بحفظ الحديث وقراءة القرآن . وكان الحديث قليلاً في العراق على الخصوص . والمسلمون غير العرب هناك اكثرهم من الفرس وهم اهل تمدن وعلم فعمدوا الى استخدام القياس العقلي في استخراج احكام الفقه من القرآن والحديث . فخالفوا بذلك اهل المدينة لانهم كانوا شديدي التمسك بالتقليد — فكان من جملة مساعي المنصور في تصغير امر المدينة وفقهائها وخصوصاً مالك بعد ان افتى بخلع بيعته انه نصر فقهاء العراق القائلين بالقياس وكان كبيرهم يومئذ ابو حنيفة النعمان في الكوفة فاستقدمه الى بغداد واكرمه وعزز مذهبه . وكان ابو حنيفة لا يحب العرب ولا العربية حتى انه لم يكن يحسن الاعراب ولا يبالي به [3] ولذلك كان الربيع حاجب المنصور يقاومه لان الربيع ينتسب الى العرب وكان يكره الفرس وابنه الفضل هو الذي سعى في قتل البرامكة

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ٣٠ ج ٢ (٢) ابن خلكان ٤٣٩ ج ١
(٣) ابن خلكان ١٦٥ ج ٢

فلما نصر المنصور ابا حنيفة واصحابه وهم المعروفون باهل الرأي اوالقياس ازداد مالك تمسكاً برأيه وتبعه فقهاء الحجاز وهم اهل الحديث . وانقسم الفقهاء كافة الى قسمين اهل الحديث واهل الرأي وزعيم الاول مالك وانصاره من اهل الحجاز واصحاب الشافعي واصحاب سفيان الثوري واصحاب احمد بن حنبل وغيرهم من اهل التقليد وعرفوا باصحاب الحديث لان عنايتهم مبذولة في تحصيل الاحاديث ونقل الاخبار وبناء الاحكام على النصوص ولا يرجعون الى القياس الجلي أو الخفي ما وجدوا خبراً او اثراً . ويدلك على شدة تمسكهم بذلك قول الشافعي « اذا وجدتم لي مذهباً ووجدتم خبراً على خلاف مذهبي فاعلموا ان مذهبي ذلك الخبر »

وزعيم اصحاب الراي ابو حنيفة النعمان واصحابه فقهاء العراق ومنهم محمد بن الحسن الشيباني وابو يوسف القاضي وزفر بن الهذيل المتوفى سنة ١٥٨ واللؤلؤي وابن سماعة المتوفى سنة ٢٣٣ هـ وابو مطيع البلخي وعافية القاضي وغيرهم . وقد سموا اهل الراي لان عنايتهم بتحصيل وجه من القياس والمعنى المستنبط من الاحكام وبناء الحوادث عليها وربما يقدمون القياس الجلي على احاد الاخبار (١)

وجاء بعد مالك من اصحاب مذهبه محمد بن ادريس المطلبي الشافعي فرحل الى العراق وخالط اصحاب ابي حنيفة واخذ عنهم ومزج طريقة اهل الحجاز بطريقة أهل العراق واختص بمذهب خالف فيه مالكاً في كثير من مذهبه . ثم جاء بعده احمد ابن حنبل وكان من علية المحدثين وقرأ أصحابه على اصحاب الامام ابي حنيفة مع وفور بضاعتهم من الحديث فاختصوا بمذهب آخر . ووقف التقليد في الامصار عند هؤلاء الاربعة وتولدت منهم مذاهب الاسلام الاربعة : الحنفي والمالكي والحنبلي والشافعي

واليك خلاصة تراجمهم حسب سني وفاتهم مع ما خلفوه من الكتب :

الائمة الاربعة

١ — ابو حَنيفَة النُّعمان

توفي سنة ١٥٠ هـ

هو النعمان بن ثابت مولى بني تيم الله من اهل الكوفة . ولد سنة ٨٠ هـ وكان خزازاً يبيع الخز وكان عالماً عاملاً زاهداً عابداً كثير الخشوع دائم التضرع فاتصل خبره بالخليفة ابي جعفر المنصور فبعث اليه فلما جاءه اراد ان يوليه القضاء فخلف انه لا يفعل وقال

(١) الشهرستاني ١٢٢ ج ١

« لن اصلح الى قضاء » وكان حسن الوجه حسن المجلس شديد الكرم حسن المواساة لاخوانه . وكان ربعة في الرجال وقيل كان طويلاً تعلوه سمرة ومن أحسن الناس منطقاً واحلاهم نغمة . وكان قوي الحجة حتى قال عنه الامام مالك « انه رجل لو كلمته في هذه السارية ان يجعلها ذهباً لقام بحجته » وكان طلق اللسان جهوري الصوت اذا سألته عن الفقه تفجر وسال كالوادي وسمعت له دوياً وجهارة

وهو الذي بوب الفقه وفرع له فروعاً وعمدته في ما قاله القياس . وكان بعيداً عن الغيبة لا يذكر احداً بسوء ولو كان عدوًّا له . وكان واسع العلم في كل العلوم الاسلامية الى ذلك العهد الا انهم عابوه بالعربية . وكان مذهبه في النحو كوفياً لانه من اهل الكوفة وتوفي في السجن . وذكر المسعودي انه مات وهو ساجد في صلاته ومن مؤلفاته الباقية :

١ الفقه الاكبر : منه نسخ خطية في اكثر مكاتب اوربا وفي المكتبة الخديوية . وقد طبع في لكناو الهند مع ترجمة هندستانية . وهو من قبيل اصول الدين وفيه دفاع ضد المرجئة . وله شروح ومختصرات في المكتبة الخديوية وغيرها . طبع بمصر وعليه شرح ملا علي القاري

٢ مسند ابي حنيفة : جمعه تلامذته ومنه نسخ خطية عديدة بالمكتبة الخديوية

٣ وصيته لاصحابه : في الاصول منها نسخ خطية في غوطا وباريس وعليها شروح في مكاتب غوطا وايا صوفيا ونور عثمانية والمكتبة الخديوية والاسكوريال

٤ وصيته لابنه : منها نسخة في باريس

٥ المخارج في الحيل : في الفقة رواها تلميذه ابو يوسف منها نسخة خطية في المكتبة الخديوية

وتجد اخباره في ابن خلكان ١٦٣ ج ٢ والفهرست ٢٠١ وغيرهما

٢ — مالك بن أَنَس

توفي سنة ١٧٩ هـ

هو ابو عبد الله مالك بن انس الاصبحي امام دار الهجرة وصاحب المذهب المالكي ولد سنة ٩٥ هـ اخذ الفقه عن ربيعة الرأي فقيه اهل المدينة المتوفى سنة ١٣٦ هـ بالهاشمية . وكان مالك بن انس ورعاً تقيًّا اذا اراد ان يحدث توضأ وجلس على صدر فراشه وسرَّح لحيته وتمكن في جلوسه بوقار وهيبة ثم حدث . وكان يأتي المسجد ويشهد

الصلوات والجمعة والجنائز ويعود المرضى ويقضي الحقوق وهناك يجتمع اليه اصحابه ويأخذون عنه الفقه والفتوى وهم الذين نشروا مذهبه وكتبوا فيه . وعنه اخذ الامام الشافعي . وكان مالك بن انس شديد البياض مع ميل الى الشقرة طويلا عظيم الهامة اصلع يلبس الثياب العدنية الجياد ويكره حلق الشارب ويعيبه وله من الكتب :

١ كتاب الموطأ : اساس المذهب المالكي وهو كالحديث رواه عنه ابو محمد الليثي . ومنه نسخ خطية في اكثر مكاتب اوربا . وقد طبع في دهلي بالهند سنة ١٢١٦ هـ وفي لاهون بالهند سنة ١٨٨٩ وله شروح للبطليوسي ولابن العربي والقرطبي والزرقاني وقد طبع هذا الاخير بمصر سنة ١٢٨٠ هـ وغيرها في ٤ مجلدات . وقد رواه الشيباني المتوفى سنة ١٨٩ هـ ورد فيه على مايخالف مذهب مالك وطبع في لكناو الهند سنة ١٢٩٧ وفي لودهيانا الهند سنة ١٨٩٢ . وله شروح اخرى لا فائدة من ذكرها

٢ رسالة في الوعظ : بشأن الرشيد ويحيى البرمكي منها نسخة في الاسكوريال وطبعت في بولاق سنة ١٣١١

٣ كتاب المسائل عن لسان تلميذه ابن عبد الحكم منها نسخة في غوطا

وترجمته في ابن خلكان ٤٣٩ ج ١ والفهرست ١٩٨

٣ — الإمام الشافعي

توفي سنة ٢٠٤ هـ

هو الامام ابو عبد الله محمد بن ادريس الشافعي وينتهي نسبه الى هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف القرشي . ولد بغزة من بلاد الشام سنة ١٥٠ هـ وتوفي في مصر سنة ٢٠٤ هـ في زمن المأمون بن الرشيد . ودفن في القرافة بمصر ومقامه مشهور وبجواره الآن مدفن العائلة الخديوية . قدم بغداد سنة ١٨٥ وبعد سنتين خرج الى مكة ثم عاد الى بغداد بعد سنة فاقام بها شهراً . ثم قدم مصر فاقام فيها وما زال الى ان توفاه الله . وكان الامام الشافعي كثير المناقب جم المفاخر حاز من العلوم الاسلامية اقصاها وادناها من العلم في الكتاب والسنة وكلام الصحابة وآثارهم واختلاف اقاويل العلماء وغير ذلك من معرفة كلام العرب واللغة والشعر حتى اقرّ له بالسبق الاصمعي الراوي الشهير واحمد بن حنبل الامام . وقال ابو عبيد «ما رأيت رجلاً قط اكمل من الشافعي » وسأل عبد الله بن احمد بن حنبل والده عنه فقال « يا بني كان الشافعي كالشمس للدنيا والعافية للبدن » وهو اول من تكلم باصول الفقه وهو الذي

استنبطه . وقد ذكر له الفهرست نيفاً ومئة مؤلف لم يصل الينا منها الاّ :

١ كتاب الام : رواه عنه الربيع بن سليمان فانه يبدا هكذا « اخبرنا ابو علي الحسين بن حبيب بن عبد الملك في دمشق سنة ٣٣٧ قال اخبرنا الربيع بن سليمان قال اخبرنا محمد بن ادريس الخ » وهو كتاب ضخم منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية وطبع بمصر في ٧ مجلدات

٢ السنن المأثورة : في مكتبة كوبرلي بالاستانة

٣ اصول الفقه : هي رسالة في الاصول طبعت بمصر

٤ مسند الشافعي بالحديث : منه نسخة خطية في بني جامع وكوبرلي وقد رواه النيسابوري وشرحه ابن الاثير

٥ قصيدة تنسب اليه في ليدن . وترجمته في ابن خلكان ٤٤٧ ج ١ والدميري ٢٥ ج ١ وسير الملوك ١٥٠ والفهرست ٢٠٩

٤ — الإمام احمد بن حنبل

توفي سنة ٢٤١ هـ

هو الامام ابو عبد الله احمد بن حنبل يتصل بنسبه بشيبان من ربيعة . ولد في بغداد سنة ١٦٤ هـ وكان من اصحاب الامام الشافعي وشهد الشافعي عند خروجه الى مصر بقوله « خرجت من بغداد وما خلفت بها اتقى ولا افقه من ابن حنبل » وظهر في ايامه القائلون بخلق القرآن فدعي للقول بقولهم فلم يجب فضرب وحبس وهو مصرٌّ على الامتناع . وكان حسن الوجه ربعة يخضب بالحناء خضباً ليس بالقاني . في لحيته شعيرات سود ودفن في بغداد بمقبرة باب حرب . وهو صاحب المذهب الحنبلي واهم مؤلفاته الباقية :

١ المسند : في الحديث رواه ابنه عبد الله وهو موجود خطاً في اكثر مكاتب اوربا والاستانة والمكتبة الخديوية . وقد طبع بمصر وهو مرتب حسب الرواة فيقسم الى مسانيد اولها مسند ابي بكر فعمر فعثمان الى غيرهم من الصحابة

٢ كتاب السنة موصل المعتقد الى الجنة : في مكتبة برلين

٣ « الزهد : في برلين

وترجمته في ابن خلكان ١٧ ج ١ والفهرست ٢٢٩

اصحاب الائمة

ونبغ طائفة من تلامذة اولئك الأئمة واصحابهم وقد ذكرنا بعضهم وليس منهم في هذا العصر من خلف آثاراً تستحق الذكر الا ثلاثة اثنان من اصحاب ابي حنيفة والثالث من اصحاب مالك وهم :

١ — القاضي أبو يوسف

توفي سنة ١٨٢ هـ

هو القاضي ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم الانصاري . ولد سنة ١١٣ هـ وهو من اهل الكوفة . وكان صاحباً للامام ابي حنيفة وقد اخذ عنه الفقه وما يتعلق به . وكان فقيهاً عالماً اخذ عن كثيرين من الفقهاء ولكن غلب عليه مذهب ابي حنيفة وان يكن خالفه في بعض المواضع . وذاع صيته حتى تولى القضاء في بغداد على عهد ثلاثة من خلفاء بني العباس المهدي والهادي والرشيد . وهو اول من دعي بقاضي القضاة وميز العلماء بلباس خاص وكانوا لا يميزهم شيء من ذلك عن سائر العامة . وقد ذكر ابو احمد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ان ابا يوسف تكلم عن نفسه قائلاً :

« كنت اطلب الحديث والفقه وانا مقلٌّ رث الحال فجاءني ابي يوماً وانا عند ابي حنيفة فانصرفت معه فقال « يابنيَّ لا تمد رجلك مع ابي حنيفة فان ابا حنيفة خبزه مشوي وانت تحتاج الى المعاش » فقصرت عن كثير من الطلب وآثرت طاعة ابي. فتفقدني ابو حنيفة وسأل عني فجعلت اتعهد مجلسه . فلما كان اول يوم اتيته بعد تأخري عنه قال لي « ما شغلك عنا » قلت « الشغل بالمعاش وطاعة والدي » فجلست فلما انصرف الناس دفع اليَّ صرَّة وقال « استمتع بها » فنظرت فاذا فيها مائة درهم وقال لي « الزم الحلقة واذا فرغت هذه فاعلمني » فلزمت الحلقة فلما مضت مدة يسيرة دفع اليَّ مائة اخرى ثم كان يتعهدني وما اعلمته بخلة قط ولا اخبرته بنفاد شيء وكانه كان يخبر بنفادها حتى استغنيت وتمولت » اهـ والباقي من مؤلفاته :

كتاب الخراج : فيه مقدمة يخاطب بها الرشيد رواه تلميذه الشيباني . منه نسخ خطية في برلين وباريس وايا صوفيا ونور عثمانية وكوبرلي . وطبع بمصر سنة ١٣٠٢ هـ

وترجمته في ابن خلكان ٣٠٣ ج٢ والدميري ١٢٩ ج ١

٢ — محمد بن الحسن الشيباني

توفي سنة ١٨٩ هـ

هو ابو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني بالولاء الفقيه الحنفي ولد سنة ١٣٥ هـ وهو ابن خالة الفراء النحوي الشهير . وكان مولده في واسط بالعراق واصله من قرية عند باب دمشق في وسط غوطتها . ونشأ بالكوفة وحضر مجلس ابي حنيفة وتفقه على ابي يوسف المتقدم ذكره والف كتباً كثيرة في الفقه وغيره وهو الذي نشر مذهب ابي حنيفة . وكان فصيح اللسان حتى قالوا انه « اذا تكلم خيل الى سامعه ان القرآن نزل بلغته » وقد عاصر الامام الشافعي صاحب المذهب الشافعي وجرت بينهما احاديث ومجالس بحضرة الخليفة هرون الرشيد . وقال الامام الشافعي « ما رايت احداً يسأل عن مسألة فيها نظر الا تبينت الكراهة في وجهه الا محمد بن الحسن » وخلف مؤلفات جمة اشهرها :

١ كتاب المبسوط : وهو كتاب الاصل في الفروع منه نسخ خطية في ايا صوفيا ونور عثمانية والمكتبة الخديوية . وهو غير المبسوط للسرخسي

٢ كتاب الزيادات : منه نسخة في المكتبة الخديوية ونسخة مشروحة

٣ الجامع الكبير : في الفروع منه نسخة في المكتبة الخديوية وبني جامع ولها شروح وتلخيص متفرقة في مكاتب اوربا والاستانة والخديوية

٤ الجامع الصغير : مطبوع بمصر على هامش كتاب الخراج المتقدم ذكره

٥ كتاب الآثار : في المكتبة الخديوية

٦ كتاب السير الكبير : وفيه احكام الحرب ومنه نسخ خطية في اكثر مكاتب اوربا وفي المكتبة الخديوية . وترجمة الشيباني في ابن خلكان ٤٥٣ ج ١

٣ — عبد الرحمن بن القاسم

توفي سنة ١٩١ هـ

هو ابو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة مولى زبيد بن الحارث العتقي تفقه بالامام مالك فصحبه عشرين سنة وانتفع به اصحاب مالك بعد موته وقد اشتهر على الخصوص بالمدونة الكبرى في مذهبهم وهي كتاب ضخم على سبيل السؤال والجواب ولها شأن كبير لدى المالكيين طبعت بمصر ولها شروح منها شرح على موادها

المشكلة منها نسخة في المكتبة الخديوية وغيرها . وتجد ترجمته في ابن خلكان ٢٧٦ج١

ومن الفقهاء في هذا العصر فقهاء الشيعة لم ينبغ منهم من يستحق الذكر . ومنهم من لاينسب الى امام اشهرهم يحيى بن آدم بن سليمان المتوفى سنة٢٠٣هـ له كتاب الخراج طبعه جونبول في ليدن سنة ١٨٩٦

فترى مما تقدم ان المسلمين دونوا فقههم واقروه واستنبطوا الاحكام والشرائع قبل انقضاء القرن الثاني من تأسيس دولتهم ولم يتفق ذلك لدولة من الدول قبلهم . فان الشريعة الرومانية لم يستقر امرها وتضبط الا في زمن يوستنيان وذلك بعد تأسيس الدولة الرومانية باكثر من عشرة قرون

الحديث

لم ينضج علم الحديث ويتم تكونه الا في آخر هذا العصر وفي العصر العباسي الثاني وكان في العصر الاول مختلطاً بالفقه وقد اشتغل الائمة الاربعة المتقدم ذكرهم في الحديث في جملة اشتغالهم بالفقه واختلفوا في عدد الصحيح منه . فالامام ابو حنيفة زعيم اصحاب الراي لم يصح عنده الا ١٧ حديثاً ومالك صح عنده ٣٠٠ حديث وروى ابن حنبل ٥٠٠٠٠٠ حديث او اكثر وقد دونوا ذلك في كتبهم . فابو حنيفة الف كتاباً في الحديث خاصة . واما مالك بن انس فقد دون الاحاديث في الموطأ وقد تقدم ذكره وكذلك الشافعي قد ذكرنا له السنن . وكان الامام ابن حنبل يحفظ نحو مليون حديث لكنه دون منها في مسنده نحو نصفها ومسنده المذكور يعرف باسمه وقد ذكرناه

واشتغل في الحديث بهذا العصر جماعة كبيرة في انحاء المملكة الاسلامية اكثرهم في المدينة ومصر وبغداد والكوفة والبصرة هاك اشهرهم حسب سني الوفاة ومكانها :

ابن جريج من الموالي	١٤٩ ببغداد	الواقدي مولى	٢٠٧ بغداد
الاوزاعي عربي	١٥٧ ببيروت	ابن نافع الصنعاني مولى	٢١١ اليمن
سفيان الثوري عربي	١٦١ البصرة	عبد الله بن عبد الحكم	٢١٤ مصر
زياد البكائي «	١٨٣ الكوفة	« « مسلمة عربي	٢٢١ البصرة
ابن عياش «	١٩٣ «	كاتب الواقدي	٢٣٠ بغداد
سفيان بن عيينة مولى	١٩٨ مكة	يحيى بن معين الحافظ	٢٣٣ المدينة
السمان فارسي	٢٠٣ البصرة		

وبعض هؤلاء سيأتي ذكرهم في الابواب الاخرى ويذكر ما لهم في الحديث في جملة مؤلفاتهم الاخرى . وانما نذكر هنا الأوزاعي فان له كتاباً في الحديث منه نسخة خطية في جملة كتب الشنقيطي في المكتبة الخديوية . ويلي هؤلاء الائمة في الحديث اصحاب الكتب الستة عمدة المحدثين وسيأتي الكلام عليها في العصر الاتي

التفسير والقراءة

قلما اشتغل القوم بالتفسير في هذا العصر ولم يدونوا ما يستحق الذكر منه . وقد ذكرنا تفسير ابن عباس في الجزء الاول وهو يبدأ هكذا « اخبرنا عبد الله الثقة بن المأمون الهروي قال اخبرنا ابي قال اخبرنا ابو عبد الله قال اخبرنا ابو عبد الله محمود بن محمد الرازي قال اخبرنا عمار بن عبد المجيد الهروي قال اخبرنا علي بن اسحاق السمرقندي عن محمد بن مروان عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس قال .. » وسيأتي ذكر بعض كتب التفسير في اثناء الكلام عن المواضيع الاخرى لاشتغال الادباء والمؤرخين والنسابين به . والتفسير لم يتضح وتظهر فيه المؤلفات الوافية الا في العصر الاتي . ولم يحدث في القراءة ما يستحق الذكر في هذا العصر

التاريخ

في العصر العباسي الاول

بدأ التاريخ يتكون في العصر الاموي كما تقدم لكنهم لم يشتغلوا الا في ما دعتهم اليه دولتهم واغراضها من الاطراء بمشاهيرهم او تحقيق الانساب لاجل العطاء ونحوه . ولم يصل الينا منه شيء لذهاب ذلك في اثناء الفتن او لتعمد العباسيين محو آثار عدوتهم اللدودة او لاهمال الناس تلك الكتب مراعاة لرأي العباسيين

على ان التاريخ بمعناه الحقيقي لم يتم تكونه ولا في العصر العباسي الاول الذي نحن في صدده . وانما تمهد فيه السبيل لتأليف التواريخ العامة او الخاصة . ثم ظهر التاريخ في العصر الذي يليه بعد نقل العلم والادب عن غير العرب واستقرار الاحوال السياسية والاجتماعية . فاهل المئة الاولى من العصر العباسي كان اشتغالهم على سبيل التمهيد

مثل اشتغالهم في الادب والتفسير والحديث . وفي كتب الادب كثير من مواد التاريخ عن العرب وبلادهم

على انهم لما اخذوا في جمع القرآن وتفسيره وجمع الاحاديث احتاجوا الى تحقيق الاماكن التي كتبت بها الايات او قيلت فيها الاحاديث فعمدوا الى جمع السيرة النبوية لانها شاملة لكل ذلك . ولما اشتغل المسلمون بضرب الخراج اختلفوا في البلاد هل فتحت عنوة او صلحاً او اماناً فاضطروا الى تحقيق ذلك وتدوين اخبار الفتوح

مؤرخو الفتوح

١ — الشيخ ابو اسماعيل

اقدم كتب الفتوح التي وصلت الينا كتاب فتوح الشام للشيخ ابي اسماعيل محمد بن عبد الله الازدي البصري من اهل اواسط القرن الثاني للهجرة طبع في كلكتة الهند سنة ١٨٥٤ وهو عظيم الاهمية وقد ذكرناه مفصلاً في باب الانشاء من عصر الراشدين (صفحة ١٩٩) والكتاب نحو ٢٦٠ صفحة غير الفهارس والمقدمات مع خلاصة ترجمته بالانكليزية

٢ — الواقدي

توفي سنة ٢٠٧ هـ

يليه الواقدي وهو مولى من موالي بني هاشم في المدينة واسمه ابو عبد الله محمد بن عمر بن واقد كاتب جليل القدر . كان عالماً بالحديث والمغازي والفتوح وقد قربه المأمون وولاه القضاء بشرقي بغداد في عسكر المهدي وتوفي هناك . وكان المأمون يراعي جانبه ويبالغ في اكرامه لكن المحققين يستضعفون حديثه وله مؤلفات عديدة ذكر منها ابن النديم ٢٨ كتاباً هاك ما وصلنا منها :

١ كتاب المغازي : يشتمل على غزوات النبي طبعه كرامر في كلكتة سنة ١٧٥٦ في ٤٠٠ صفحة وله خلاصة انكليزية طبعها ولهاوزن في برلين سنة ١٨٨٢

٢ كتاب فتوح الشام : هو اشبه بالقصص منه بالتاريخ لما حواه من التفاصيل والمبالغات لكنه مؤسس على الحقيقة . وفيه حقائق لا توجد في سواه من كتب الفتوح وقد طبع مراراً احداها في الهند سنة ١٨٥٤ — ١٨٦٠ في ثلاثة مجلدات مع ملاحظات وتعاليق بقلم المستشرق نساو . وطبع ايضاً في مصر سنة ١٨٨٢ هـ وغيرها

٣ فتح افريقيا : طبع في تونس سنة ١٣١٥ في مجلدين

٤ فتح العجم : طبع في الهند سنة ١٢٨٧

٥ فتح مصر والاسكندرية : طبع في ليدن سنة ١٨٢٥

٦ تفسير القرآن : منه نسخة خطية في المتحف البريطاني

٧ عدة كتب في الفتوح تنسب اليه كفتح منف والجزيرة والبهنسا طبعت بمصر وغيرها . وكان له كتاب يسمى فتوح الامصار لم نقف عليه ولكن المؤرخين نقلوا عنه . واكثر كتبه محشوة بالمبالغات لا يعول عليها . وفي مجلة المشرق البيروتية مقالة انتقادية في الواقدي ومؤلفاته (صفحة ٩٣٦ سنة ١٠) جزيلة الفائدة

وترجمة الواقدي في ابن خلكان ٥٠٦ ج ١ والفهرست ٩٨

ومن كتب الفتح كتاب فتوح مصر واعمالها على عهد عمر بن الخطاب لابن اسحق الاموي طبع على الحجر بمصر سنة ١٢٧٥ هـ وهو كالقصة داخل في كتاب فتوح الشام للواقدي وسنذكر سائر كتب الفتوح في اماكنها حسب العصور

كتب الطبقات

قد رايت في ما تقدم من كلامنا عن القرآن والحديث والنحو والادب ان العلماء اضطروا لتحقيق مسائل هذه العلوم الى البحث في اسانيدها والتفريق بين ضعيفها ومتينها فجرهم ذلك الى النظر في رواة تلك الاسانيد وتراجمهم وسائر احوالهم حتى اصبح من شروط الاجتهاد في الفقه معرفة الاخبار بمتونها واسانيدها والاحاطة باحوال النقلة والرواة عدولها وثقاتها ومطعونها ومردودها والاحاطة بالوقائع الخاصة بها فقسموا رواة كل فن الى طبقات فتألف من ذلك تراجم العلماء والادباء والفقهاء والنحاة وغيرهم مما يعبرون عنه بالطبقات . ومنها طبقات الشعراء وطبقات الادباء وطبقات النحاة وطبقات الفقهاء وطبقات الصحابة والتابعين وطبقات الفرسان والمحدثين واللغويين والمفسرين والحفاظ والمتكلمين والنسابين والاطباء حتى الندماء والمغنين وغيرهم والفوا في كل باب غير كتاب . ولذلك كان المسلمون اكثر امم الارض كتباً في التراجم لافراد الرجال

واقدم كتب الطبقات التي وصلت الينا غير طبقات الشعراء لابن سلام الذي تقدم ذكره كتاب طبقات الصحابة لابن سعد المعروف بكاتب الواقدي

ابن سعد صاحب الطبقات

توفي سنة ٢٣٠ هـ

هو ابو عبدالله محمد بن سعد بن منيع الزهري . كان من الفضلاء النبلاء كثير العلم صادقاً ثقة . صحب الواقدي وكتب له فعرف به . ولم يذكر له صاحب الفهرست الا كتاب اخبار النبي لم يصل الينا . ولكننا عرفنا كتاباً ينسب اليه اسمه طبقات الصحابة والتابعين او كتاب الطبقات الكبير يدخل في بضعة عشر مجلداً طبع في ليدن سنة ١٣٢٠ — ١٣٢٥ هـ وهو كتاب نفيس جزيل الفائدة اشترك في الوقوف على طبعه وتصحيحه المستشرقون سخاو وهوروفتش وليبرت وسترستين و. وكلمن . ويقسم الى عدة اقسام في ثمانية اجزاء : الجزء الاول في السيرة النبوية (١٦١ صفحة) والثاني في المغازي (١٣٧ صفحة) والثالث في تراجم البدريين من الصحابة (٤٥٦ صفحة) والرابع في تراجم الانصار والمهاجرين ممن لم يشهد بدراً واسلموا قبل فتح مكة (٢٨٤ صفحة) والخامس تراجم اهل المدينة من التابعين ومن كان منهم ومن الصحابة في مكة والطائف واليمن واليمامة والبحرين (٤١٢ صفحة) والسادس تراجم الصحابة من الكوفيين (٢٩١ صفحة) والسابع عن الصحابة البصريين (لم يطبع بعد) والثامن تراجم الصحابة من النساء (٣٦٥ صفحة) . فصفحات الكتاب كله نيف والف صفحة كبيرة غير التعاليق والفهارس ونحوها وهي نحو الف صفحة اخرى . والطبقات تحتوي على سيرة النبي ومغازية وتراجم نحو ٣٠٠٠ من الصحابة والتابعين . وروايتها في صدرها متسلسلة من ابن سعد الى عدة رواة آخرهم شرف الدين بن محمد عبد المؤمن بن خلف بن ابي الحسين الدمياطي . واسانيد ابن سعد في كل ترجمة على حدة . واكثر روايته عن محمد بن عمر بن واقد (الواقدي) ومحمد بن اسحق وهشام الكلبي وعبد الملك بن هشام . وفي الكتاب فوائد كثيرة عن تاريخ الجاهلية وآدابها ومنه نسخ خطية في مكاتب لندن وغوطا وبرلين والاستانة وغيرها

وترجمة ابن سعد في ابن خلكان ٥٠٧ ج١ والفهرست ٩٩

الانساب وكتابها

ونعدُّ الانساب من قبيل التاريخ دعا الى وضعها حاجة الناس الى العطاء على الانساب حسب ديوان عمر وقد ذكرنا في الجزء الاول ماكان منها في الجاهلية (صفحة ١٧١) وفي العصر الاموي (صفحة ٢٣١) وقد نبغ من علماء النسب في العصر العباسي الاول الذي نحن في صدده جماعة اشهرهم :

١ — هشام الكلبي

المتوفى سنة ٢٠٦ هـ

هو ابو المنذر هشام بن محمد بن السائب بن بشر الكلبي . نشأ في الكوفة وكان نسابة عالماً باخبار العرب وايامها ومثالبها ووقائعها . اخذ عن ابيه محمد بن السايب . وكان محمد هذا من علماء الكوفة بالتفسير والاخبار وايام الناس معدوداً بين المفسرين والنسابين توفي بالكوفة سنة ١٤٦ هـ ولم يخلف الا كتاباً في تفسير القرآن . اما هشام فخلف نحو مئة كتاب ذكرها صاحب الفهرست مفصلاً صفحة (٩٦ — ٩٨) وقسمها الى ابواب بعضها في الاحلاف والبعض الآخر في المآثر والبيوتات والمنافرات والموؤدات وبعضها في اخبار الاوائل . وبعضها في ما قارب الاسلام من امر الجاهلية . وغيرها في اخبار الاسلام واخبار البلدان واخبار الشعر وايام العرب وفي الاخبار والاسمار والانساب . واهم كتبه في الانساب كتاب النسب الكبير ويحتوي على انساب اهم قبائل العرب من العدنانية والقحطانية فضلاً عن الانساب المفردة لاشهر القبائل على حدة مما يضيق المقام عن وصفه ولا فائدة منه لان هذه الكتب ضاعت منذ ازمان ولم يبق منها الا الروايات المنقولة في كتب النسب ونحوها منسوبة اليه وقطع محفوظة في بعض المكاتب منها :

١ جزء من كتاب النسب الكبير اوجمهرة الانساب منه نسخ خطية في مكاتب باريس والاسكوريال واوكسفورد ولندن وغيرها

٢ نسب خول الخيل في الجاهلية والاسلام : منه نسخ في غوطا والاسكوريال وفينا

٣ كتاب الاصنام : أو كتاب تنكيس الاصنام نقل معظمه ياقوت في معجم البلدان وهو يشير هناك الى مأخذه ومنه نسخة في جملة كتب زكي باشا في ٢٩ ورقة

وتجد ترجمة هشام الكلبي في ابن خلكان ١٩٥ ج ٢ وطبقات الادباء ١١٦ والفهرست ٩٥

ومن النسابين في هذا العصر ٢ : الهيثم بن عدي الكوفي المتوفى سنة ٢٠٧ هـ ذكر له صاحب الفهرست عشرات من الكتب ٣ : المدائني المتوفى سنة ٢٢٥ ذكر له ايضاً كثيراً من المؤلفات تزيد على ما ذكره لهشام الكلبي ٤ : ابن عبدة ٥ : علان الشعوبي وغيرهم . ولو جمعت كتبهم في النسب وغيره لزادت على بضع مئات لم يصلنا منها غير ما

يرد ذكره عرضاً منقولاً عنهم في كتب الادب أو التاريخ او الفتوح كالطبري والبلاذري وياقوت وابي الفرج صاحب الاغاني وغيرهم

السيرة النبوية

وقد يسمونها « المغازي » وذكروا اسماء كثيرين اشتغلوا بجمعها في اواخر القرن الاول وفي النصف الاول من القرن الثاني للهجرة . لم يصح منها الا كتاب المغازي لابن مسلم الزهري المتوفى سنة ١٢٤ وقد ضاع . وكتاب المغازي لموسى بن عقبة المتوفى سنة ١٤١ هـ وفي مكتبة برلين نسخة بهذا الاسم جمعها يوسف بن محمد بن عمر تشتمل على الغزوات النبوية ومنها قطع منتخبة طبعت في اوربا سنة ١٩٠٤

سيرة ابن هشام

واما سيرة النبي كاملة فاقدم ما وصل الينا منها سيرة محمد بن اسحق رواية عبد الملك بن هشام . وقد اتفقوا على صحتها وفيها ايضاً نسب النبي وكثير من اخبار الجاهلية وانسابهم وعاداتهم واديانهم ونحوها . ويرى الناقد فيها كثيراً من القصائد يغلب على الظن انها دخيلة . وذكر صاحب الفهرست انهم كانوا يعملون الاشعار ويأتون بها الى ابن اسحق ويسألونه ان يدخلها في كتابه في السيرة فيفعل . اما السيرة او المغازي فهي اقدم المصادر التي بين ايدينا واوثقها

عبد الملك بن هشام توفي سنة ٢١٣

وقد قدمنا ان السيرة المذكورة هي رواية ابن هشام وهو ابو محمد عبد الملك بن هشام بن ايوب الحميري المعافري كان مشهوراً بعلم النسب والنحو اصله من البصرة واقام في مصر وألف كتباً في الانساب ضاعت وتوفي بمصر سنة ٢١٣ هـ وهو الذي روى سيرة النبي من المغازي والسير لابن اسحق وهذبها ولخصها وهي الموجودة في ايدي الناس. وترجمته في ابن خلكان ٢٩٠ ج ١

محمد بن اسحق توفي سنة ١٥١ هـ

اما ابن اسحق صاحب السيرة الاصلي فهو ابو بكر محمد بن اسحق بن يسار المطلبي بالولاء المدني بالمقام . كان جده يسار مولى قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف . سباه خالد بن الوليد في عين التمر . وكان ابن اسحق ثبتاً في الحديث والمغازي

فسمع عن اكثر العلماء . اتى الى المنصور وهو في الحيرة فكتب له المغازي فسمع منه اهل الكوفة بذلك السبب وتوفي ببغداد سنة ١٥١ هـ ومن كتبه في المغازي اخذ عبد الملك بن هشام السيرة التي نحن في صددها . وترجمته في ابن خلكان ٤٨٣ ج ١

وقد طبعت السيرة مراراً اضبطها طبعة غوتنجن سنة ١٨٦٠ بعناية ووستنفيلد المستشرق الالماني في مجلدين مضبوطة بالشكل اللازم . والحقها بجزء ثالث فيه تعاليق وملاحظات وفهارس . وفي صدره ترجمة ابن اسحق نقلاً عن ابن قتيبة وابن خلكان وابن النجار . ونقل عن كتاب عيون الاثر لابن سيد الناس اليعفري من اهل القرن الثامن للهجرة ما قيل في ابن اسحق ومناقبه وما قيل من الطعن فيه والرد على الطعن وغير ذلك من الفوائد الكثيرة . وقد طبعت السيرة ايضاً في بولاق في ثلاثة اجزاء سنة ١٢٩٥ . ومنها نسخ خطية في اكثر مكاتب اوربا . وترجمها وايل المستشرق الى الالمانية ونشرت الترجمة في ستتجارت سنة ١٨٦٤

واما النسخة الاصلية رواية ابن اسحق فالمظنون ان منها نسخة في مكتبة كوبرلي بالاستانة . ووقفنا على كتاب خاص بتراجم الرجال الذين روى محمد بن اسحق عنهم طبع في ليدن سنة ١٨٩٠

الخلاصة

وبالجملة لم يبق اديب من ادباء ذلك العصر الا واتى في كتبه على شيء من التاريخ كما فعل الاصمعي واصحابه . وكذلك المترجمون فانهم كتبوا كثيراً من الحوادث وذهبت كتبهم . ولبيان ذلك راجع مقدمة مروج الذهب للمسعودي فتجد اسماء عشرات من خيرة المؤلفين الذين استعان بهم المسعودي في تأليف كتابه واكثر مؤلفيها من ابناء العصر العباسي الاول لم يبق من مؤلفاتهم شيء الى اليوم . ولعلنا نقف على شيء منها بالبحث كما اتفق للدكتور كيلر الالماني منذ عامين فانه عثر على الجزء السادس من كتاب تاريخ بغداد لاحمد بن ابي طاهر المعروف بطيفور المتوفى سنة ٢٨٠ هـ وسنعود اليه .. وكما وقفنا على طبقات ابن سلام الجمحي بعد ان ظل المستشرقون دهراً يأسفون لضياعها والفوا في ذلك الكتب والرسائل

نظرة عامة

في العصر العباسي الاول

انقضى العصر العباسي الاول وهو فاتحة العصور العباسية . وفيه نضج النحو ووضع علم العروض وظهر ائمة الفقه ووضعوا اساس المذاهب الاربعة الباقية الى الآن . وتكاثر الادباء والشعراء وتميز الشعر بالحضارة وتبدلت طريقته وتلطف اسلوبه وتولدت فيه ابواب جديدة

وفيه دخل اللغة العربية طائفة من العلوم القديمة نعني علوم اليونان والفرس والهند وغيرهم . وظهرت المؤلفات فيها فضلاً عن الترجمات

وكان اكثر اشتغال ادباء البصرة والكوفة في اللغة العربية وجمع الفاظها واخبار اصحابها وامثالهم واشعارهم وانسابهم . وفيه وضعت السيرة النبوية وكتب المغازي والفتوح . واكثر المشتغلين في هذه النهضة الموالي واهل الذمة وبعض العرب

وهناك علوم اخرى ستولد او تنشأ في الاعصر الآتية . وبعض العلوم التي ولدت في هذا العصر ستنضج في ما يلي . وسيأتي الكلام على كل شيء في مكانه

ومما يستلفت الانتباه من اخبار هذا العصر كثرة ما وضع فيه من كتب الادب واللغة والنحو والنسب ومجاميع الاشعار والاخبار والامثال مما يعدُّ بالمئات او الالوف ولم يبقَ منها الا بضع عشرات . وقد تقرأ لاحدهم مئات من اسماء الكتب التي الفها ثم لا تجد منها الا كتاباً او بضعة كتب كما رأيت في اخبار المدائني وهشام الكلبي وابي عبيدة والاصمعي وغيرهم وبعضهم لم يبق من آثارهم شيء

على ان هذا العصر احسن حظاً من العصر الاموي الذي سبقه. وستكون الاعصر الآتية احسن حظاً منه

العصر العباسي الثاني

او المئة الثانية من الدولة العباسية

من سنة ٢٣٢ — ٣٣٤ هـ

تاريخه

يبدأ هذا العصر بخلافة المتوكل على الله العباسي سنة ٢٣٢ هـ وينتهي بظهور الدولة البويهية سنة ٣٣٤ هـ وقد يسمى العصر التركي لتسلط الاتراك فيه على امور الدولة تمييزاً له عن العصر الماضي وهو فارسي لتغلب العنصر الفارسي فيه . واما الاتراك فاول من استكثر منهم وقدمهم في الدولة المعتصم [1] وبدأ استبدادهم في ايام المتوكل على الله لانه كان يكره الشيعة العلوية وهم من الفرس فاستبد فيهم وزاد في رعاية الاتراك لينصروه عليهم فزاد طمعهم في الدولة . ثم اغراهم ابنه المنتصر (او هم اغروه) على قتله فقتلوه وكان ذلك اول جرأتهم على الخلفاء . وولوا المنتصر بعده ولم تطل مدة حكمه اكثر من بضعة اشهر فمات وضميره يخزه . وتولى بعده المستعين بالله سنة ٢٤٨ هـ ثم المعتز بالله سنة ٢٥١ هـ وقد استفحل امر الاتراك استفحالاً عظيماً — ومما يحكى عن استبدادهم في الخلفاء انه لما تولى المعتز قعد خواصه واحضروا المنجمين وقالوا لهم « انظروا كم يعيش الخليفة وكم يبقى في الخلافة » وكان في المجلس بعض الظرفاء فقال « انا اعرف من هؤلاء بمقدار عمره وخلافته » فقالوا له « فكم تقول انه يعيش وكم يملك » قال « مهما اراد الاتراك » فلم يبق في المجلس الاّ من ضحك [2]

وقد قتلوا المعتز هذا شرَّ قتلة فانهم جروه برجله الى باب الحجرة وضربوه بالدبابيس وخرقوا قميصه واقاموه في الشمس بالدار فكان يرفع رجلاً ويضع اخرى لشدة الحر وبعضهم يلطمه بيده [3]. والمستكفي سملوا عينيه ثم حبسوه حتى مات في الحبس [4] . وبلغ من فقر القاهر بالله انهم حبسوه وهو ملتف بقطن جبة وفي رجله

(١) راجع تفصيل ذلك في تاريخ التمدن الاسلامي صفحة ١٥٥ ج ٤ (٢) الفخري ٢٢٠
(٣) ابن الاثير ٧٧ ج ٧ (٤) ابن الاثير ١٧٧ ج ٨

قبقاب خشب — فلا غرو اذا اصبح الخلفاء آلة في ايدي الاتراك . واذا تنازع هؤلاء على السلطة كان الخليفة مع الغالب . وبعد ان كان القواد يحلفون للخليفة بالطاعة صار الخليفة يحلف لهم

نفوذ الخدم في هذا العصر

وفي هذا العصر عظم نفوذ الخدم في الدولة العباسية ولم يكن لهم شأن قبله . وسبب ذلك ان الاتراك لما استبدوا وصاروا يولون الخلفاء ويعزلونهم كان في جملة ما استعانوا به على الاستبداد بهم ان يحجروا عليهم قبل الخلافة ويحبسوهم في القصور ليزيدوهم ضعفاً . وكان الخلفاء من الجهة الاخرى يميلون الى حبس اولادهم واقاربهم خوفاً من تواطئهم مع بعض الاتراك على خلعهم او قتلهم . ولا عشير لهم في اثناء الحجر الا الخدم والخصيان فالفوا اخلاقهم . وتحققوا بالاختبار ان حياتهم تتوقف بالاكثر على امانة اولئك الخدم لما آنسوه من غيرتهم عليهم وخصوصاً الخصيان اذ لا عصبية فيهم تمنعهم من التفاني في خدمة اسيادهم ولا مطمع لهم بالملك لاولادهم واهلهم . فاصبح ولاة العهد اذا افضت الخلافة اليهم بالغوا في تقريب الخدم بالعطايا والاكرام التماساً لحمايتهم اذا اراد الاتراك الفتك بهم . فعمدو الى الاستكثار من الخدم وكانوا يقدمونهم ويكرمونهم ويستشيرونهم في امورهم

واستكثروا منهم حتى الفوا منهم الفرق . واول من استكثر منهم ورفع منزلتهم المقتدر بالله فقد تولى سنة ٢٩٥ هـ وعنده من الخدم والخصيان ١١٠٠٠ خادم من الروم والسودان وكثير من المال والجوهر فتمكن من الحكم ٢٥ سنة . وكان يقدم الخدم ويستعين بهم وقد ولاهم قيادة الجند وغيرها . وفي ايامه نبغ مؤنس الخادم فقدمه وكان يستشيره في اموره فتصرف مؤنس في مصالح الدولة كما يشاء وتولى رئاسة الجيش وامارة الامراء وبيوت الاموال واستبد في كل شيء لكنه على الاجمال خدم الخليفة المقتدر خدماً ذات بال . ثم كانت بينهما وحشة تكررت حتى ادت الى حروب انتهت بقتل المقتدر

فتكاثر الفساد بسبب ذلك وعمت الرشوة والمصادرة والفتك فاصبح الناس يخافون على اموالهم وارواحهم لانها طوع ارادة الخليفة او الوزير أو القائد او تابعة لهواهم ومطامعهم . وكانت المصادرة متبادلة بين الخليفة ووزرائه وقواده [1] ناهيك بالجاسوسية وسوء الاحكام . فآل ذلك الى طمع العمال والولاة باعمالهم فاخذوا يستقلون فتشعبت

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ١٦٧ ج ٤

المملكة العباسية الى امارات وممالك . وانقضى العصر الذي نحن في صدده بدخول الديلم بغداد في ايام المستكفي سنة ٣٣٤ هـ وانشأوا هناك دولة عرفت بدول آل بويه وبها يبدأ العصر العباسي الثالث

فالفساد الذي تقدم ذكره اثر في آداب اللغة ولا سيما في الاداب التي هي من آثار النفس او اعمالها كالشعر والخطابة والانشاء وقل النابغون فيها كما سترى . وفيه قيدت الافكار بمطاردة المتوكل للمعتزلة والشيعة فضعفت الحرية وعمد الناس الى التستر بافكارهم خوفاً على حياتهم خلافاً لما كانوا عليه في اواخر العصر الماضي

مميزات هذا العصر

ويمتاز العصر العباسي الثاني بالنظر الى آداب اللغة بامور تمت فيه وهي :

١ ان فيه استقر الخط العربي على القاعدة التي وصلت الينا وقد وضعها أو ضبطها ابن مقلة المتوفى سنة ٣٢٨ هـ

٢ فيه ظهر اثر الانقلاب الادبي في الفاظ اللغة العربية فتنوعت معاني بعضها حتى خرجت عما وضعت له في المعاجم وشق ذلك على ادباء اللغة فوضعوا المقالات أو الكتب في انتقاد ذلك واصلاحه . ولكنه قلما افاد لان ذلك التنوع حدث بطبيعة العمران . وممن انتقده ابن قتيبة في كتابه ادب الكاتب وسنبين ذلك في مكانه — وراجع كتابنا تاريخ اللغة العربية صفحة ٣٧ هـ

٣ وفي هذا العصر ترجمت التوراة الى اللغة العربية ترجمة لا تزال باقية الى الآن . ويغلب على الظن انها ترجمت كلها أو بعضها الى اللغة العربية قبل الاسلام وشاعت بين ادباء العرب وضاعت في صدر الاسلام . ثم ترجمت ترجمة أخرى في زمن المأمون على يد احمد بن عبدالله بن سلام [1] ورأينا بعض ادباء ذلك العصر ينقلون عنها فصولاً من اخبار الخليقة [2] وربما ترجمها سواه ايضاً ولم يبق من تلك الترجمات شيء الى الان . واقدم ما وصل الينا من ذلك ترجمة سعيد بن يعقوب الفيومي ويقال له سعديا

سعيد الفيومي وترجمة التوراة

ولد سعيد هذا في الفيوم نحو سنة ٢٨٢ هـ في ولاية خمارويه بن احمد بن طولون على مصر وكان اسرائيلياً من الطائفة الربانية وكان بين هذه الطائفة وطائفة القرائين مناظرة وجدال وكان سعيد من كبار رجال الدين والعلم فيهم فكتب كتباً كثيرة جدلية

(١) الفهرست ٢٢ (٢) كتاب المعارف ٤

في العبرانية واخيراً ترجم كتب موسى الخمسة وسفري اشعيا وايوب من الاصل العبراني للتوراة الى العربية توسيعاً لدائرة احزابه الربانيين . وقد طبعت الاسفار الخمسة من ترجمته في الاستانة بالاحرف العبرانية سنة ١٥٤٦ مع ترجمات أخرى وعرفت هذه الطبعة باسم «تتراغلوت» . ثم ظهرت في طبعة البوليغلوت بباريس بعد قرن . وطبعت ترجمته لاشعيا في جينا سنة ١٧٩١ واما سفر ايوب فمنه نسخة خطية في مكتبة اوكسفورد وقد طبعت على حدة مع ترجمة فرنساوية بعناية دير نبورج بباريس سنة ١٨٩٣

الشعر والشعراء

في العصر العباسي الثاني

مميزات الشعر في هذا العصر

١ ظهرت فيه شكوى الشعراء من ذهاب دولة الشعر وانقضاء العصر الذي كان الشعر يثير فيه النفوس ويستنهض الهمم بذهاب الخلفاء والامراء الذين كانوا يعرفون قدر الشعر ويقدمون اصحابه بالسخاء . وقد عبر ابن الرومي عن ذلك (وهو من اهل ذلك العصر) بقوله :

ذهب الذين تهزُّهم مداحهم هزَّ الكماة عوالي المران
كانوا اذا امتدحوا رأوا مافيهم مالأريحيـة منهم بمكان [1]

٢ كثر فيه ذكر المعاني الفلسفية وتعابيرها لتفشي علوم الاقدمين بين المسلمين على اثر ترجمة الكتب في العصر الماضي وفي هذا . وظهر جماعة من الشعراء عدوا بين الفلاسفة لتغلب العلوم الطبيعية على نفوسهم . على ان الاراء الفلسفية ظهرت ناضجة في شعراء العصر العباسي الثالث الآتي ذكره

٣ ظهر فيه البديع ولم يكن منه قبلاً الا نذر يسير . على ان البديع قديم في العربية حتى في النثر فضلاً عن الشعر . لان هذه اللغة تمتاز بقبولها للاستعارات والكنايات [2] . ولكن المشهور ان اول من فتق البديع بشار بن برد وابن هرمة ثم اتبعهما مقتدياً بهما كلثوم بن عمرو العتابي ومنصور النمري ومسلم بن الوليد وابو نواس

(١) يتيمة الدهر ٩ ج ١ (٢) البيان ١٧٥ ج ٢

واتبع هؤلاء ابو تمام والبحتري . ثم ابن المعتز فانتهى البديع اليه وختم به [1] فانه الطف اصحابه شعراً واكثرهم بديعاً وهو من شعراء العصر العباسي الثاني

٤ نبغت طبقة من الكتاب انتقدوا الشعر وروايته وكانوا ينقلونه في العصر السابق بلا تمحيص فصاروا في هذا العصر ينظرون فيه ويتدبرون معانيه واساليبه بعين النقد . ولاسيما بعد اطلاعهم على ترجمة كتاب ارسطو في نقد الشعر الذي نقله ابو بشر من السريانية الى العربية . واكثر الذين اشتغلوا في ذلك من الادباء . وسيأتي ذكرهم في باب الادب . اما النقد التاريخي فلم يجرأوا عليه في هذا العصر لاضطرار المؤرخين الى مصانعة رجال الدولة الا ما كان من الطعن في اعداء الخلفاء والامراء

٥ وفيه تقدم الشعراء خطوة اخرى في الزهريات والتغزل بها كقول ابن المعتز يصف قضيباً من الريحان :

قضيبٌ من الريحان شابه لونهُ اذا ما بدا للعين لون الزمردِ
وشبهته لما تأملت حسنه عذاراً تدلى في عوارض امردِ

وقول البحتري :

ورقٌ تُغني على خضرٍ مهدلة تسمو بها وتمسُّ الارض احيانا
تخال طائرها نشوان من طرب والغصن من هزّه عطفيه نشوانا

اشهر شعراء هذا العصر

قد رايت كثرة الشعراء في عصر بني امية للاغراض السياسية التي اقتضاها مسلك الامويين في السياسة بين العصبيات والاحزاب مع تغلب البداوة على نفوسهم . ورأيت كثرة الشعراء في العصر العباسي الاول بانتقال الدولة من البداوة الى الحضارة مع رغبة الخلفاء ورجال الدولة في الشعر وسائر فنون الادب — وهو الباعث الاقوى على ظهور قرائح الشعراء في كل عصر

اما في العصر العباسي الثاني الذي نحن في صدده فقد ضعفت تلك الاسباب واشتغل الخلفاء بانفسهم ورجالهم كما رأيت فلم ينبغ من فحول الشعراء فيه الا الذين قويت شاعريتهم . وهم نفر لا يتجاوزون عدد اصابع اليدين ولشعرهم صبغة تلائم احوال ذلك العصر وهم :

(١) العمدة ٨٥ ج ١

١ — ابن الرُّومي

توفي سنة ٢٨٣ هـ

هو ابوالحسن علي بن العباس بن جريج او جورجيس ويعرف بابن الرومي نسبة الى اصلة وهو من موالي بني العباس . اشتهر بالتوليد في الشعر لانه اتى بكثير من المعاني لم يسبق اليها . ومن مميزاته انه لايترك المعنى حتى يستوفيه ويمثله للقارىء تمثيلاً . ولد في بغداد سنة ٢٢١ هـ وتوفي سنة ٢٨٣ هـ وكان شديد الهجاء جريئاً فيه حتى مات بسببه لانه هجا القاسم بن عبيد الله وزير المعتضد فدس اليه ابن فراش فاطعمه خشكنانجه مسمومة وهو في مجلسه فلما احس بالسم نهض فقال له الوزير « الي اين » فقال « الى الموضع الذي بعثتني اليه » فقال له « سلم على والدي » فقال « ما طريقي على النار » واتى منزله اقام فيه اياماً ومات . ومن بديع شعره في المديح قوله :

المنعمون وما منوا على احدٍ يوم العطاء ولو منوا لما مانوا
كم ضنَّ بالمال أقوامٌ وعندهم وفرٌ واعطى العطايا وهو يدّان

وله ايضاً وقال ما سبقني احد الى هذا المعنى :

أراؤكم ووجوهكم وسيوفكم في الحادثات اذا دجونَ نجومُ
منها معالم للهدى ومصابح تجلو الدجى والاخريات رجوم

ومن معانيه البديعة قوله :

واذا امرؤٌ مدح امرأً لنواله وأطال فيه فقد أراد هجاءهُ
لو لم يقدّر فيه بُعد المستقى عند الورود لما أطال رشاءه

وكذلك قوله في ذم الخضاب وهو مما لم يسبق اليه :

اذا دام للمرء السواد واخلقت شبيبته ظن السواد خضابا
فكيف يظن الشيخ ان خضابه يظنُّ سواداً او يخال شبابا

وله في بعض الرؤساء وقد سأله حاجة فقضاها له وكان لا يتوقع منه خيراً :

سألتك في أمرٍ فجدت ببذله على انني ما خلت انك تفعلُ
والزمتني بالبذل شكراً وانه علي من الحرمان ادهى واعضلُ
لئن سرني ما نلت منك فانه لقد ساءني اذ انت ممن يؤمل

ومن نظمه في الحكم :

ارى فضل مال المرء داءً لعرضه كما ان فضل الزاد داءٌ لجسمه
فليس لداء العرض شيء كبذله وليس لداء الجسم شيء كحسمه

ومن بديع معانيه :

دهرٌ علا قدر الوضيع به وترى الشريف يحطه شرفه
كالبحر يرسب فيه لؤلؤه سفلاً وتعلو فوقه جيفه

ويمتاز ابن الرومي بتفضيله المعنى على اللفظ كالمتنبي فيطلب صحة المعنى ولا يبالي حيث وقع من هجنة اللفظ وقبحه وخشونته [1] . ومع ذلك فانك تجد في نظمه سهولة ومتانة

وكان شعره غير مرتب رواه عنه المتنبي ثم جمعه ابو بكر الصولي ورتبه على الحروف . وجمعه ابو الطيب وراق بن عبدوس وزاد في جميع النسخ نحو الف بيت . منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية في نحو ٤٠٠ ورقة صفحاتها مزدوجة كبيرة بخط قديم . كتبت فيها الابيات في نهرين كل نهر في شطرين . واكثر شعره في علي بن يحيى بن ابي منصور والحسن بن عبيد الله بن سليمان وابي القاسم التوزي الشطرنجي والمعتضد والقاسم بن عبيد الله وابن المدبر وغيرهم ممن عاصروه . وله اهاج شديدة ومدائح بليغة وقد ابدع في وصف الاخلاق والعواطف وفي العتاب وله مراثٍ مؤثرة بعضها في ابنه وامه . وله قصائد طويلة بعضها يزيد على ٣٠٠ بيت اكثرها في المدح . ومن هذا الديوان نسخة في مكتبة الاسكوريال واخرى في مكتبة طوب قبووفي تورعثمانية بالاستانة . ومن الغريب ان هذا الديوان النفيس لم ينشر بعد

واخبار ابن الرومي في ابن خلكان ٣٥٠ ج١ والفهرست ١٦٥

٢ — البُحتُري

توفي سنة ٢٨٤ هـ

هو ابو عبادة الوليد بن عبيد الطائي ولد بمنبج من اعمال الشام وتخرج بها . ثم خرج الى العراق ومدح جماعة من الخلفاء اولهم المتوكل على الله وخلقاً كثيراً من الاكابر والرؤساء . واقام في بغداد دهراً طويلاً ثم عاد الى الشام . وله اشعار كثيرة يذكر فيها حلب وكان يتغزل بها . وقد ادرك ابا تمام بحمص وعرض عليه شعره في جملة من كان يأتيه لهذه الغرض . فلما سمع ابو تمام قوله اقبل عليه وترك سائر الناس فلما تفرقوا قال له « انت اشعر من انشدني » واوصى به اهل معرة النعمان فصار اليهم فاكرموه ووظفوا له ٤٠٠٠ درهم . واشتهر بعد ذلك حتى صار من الطبقة الاولى

(١) العمدة ٨٢ ج ١

ويشبهون شعره بسلاسل الذهب لتناسبه . وصار بعضهم يفضله على ابي تمام . وسئل هو مرة «من اشعر انت ام ابو تمام » فقال « جيده خير من جيدي ورديئي خير من رديئه » وسئل ابو العلاء المعري أي الثلاثة اشعر ابو تمام ام البحتري ام المتنبي فقال « المتنبي وابو تمام حكيمان وانما الشاعر البحتري » على انه امتاز بقوة التصور فانه كان يصور اخلاق الممدوح تصويراً لم يسبقه احد الى مثله . ومن احاسن شعره في المتوكل قصيدة مطلعها :

اخفي هوىً لك في الضلوع واظهر ... وألام في كمد عليك وأعذر

ويقول منها :

بالبر صمتَ وأنت افضل صائم ... وبسنة الله الرضية تفطر
فانم بيوم الفطر عيناً انه ... يوم اغر من الزمان مشهر
اظهرت عز الملك فيه بجحفل ... لجب يحاط الدين فيه وينصر
خلنا الجبال تسير فيه وقد غدت ... عدداً يسير بها العديد الأكثر
فالخيل تصهل والفوارس تدعي ... والبيض تلمع والاسنة تزهر
والارض خاشعة تميد بثقلها ... والجو معتكر الجوانب اغبر
والشمس طالعة توقد في الضحى ... طوراً ويطفيها العجاج الأكدر
حتى طلعت بنور وجهك فانجلى ... ذاك الدجى وانجاب ذاك العثير
فافتن فيك الناظرون فاصبع ... يومى اليك بها وعينٌ تنظر
يجدون رؤيتك التي فازوا بها ... من انعم الله التي لا تكفر
ذكروا بطلعتك النبي فهللوا ... لما طلعت من الصفوف وكبروا
حتى انتهيت الى المصلى لابساً ... نور الهدى يبدو عليك ويظهر
ومشيت مشية خاشع متواضع ... لله لا يزهى ولا يتكبر
فلو ان مشتاقاً تكلف فوق ما ... في وسعه لمشى اليك المنبر

ظل البحتري في العراق في خدمة المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان وله الحرمة التامة حتى قتلا فرجع الى منبج . وقد تحدى ابا تمام في البديع ويعده اماماً له ويقدمه على نفسه كما رايت . ثم صارت له طريقة في الجزالة والعذوبة والفصاحة والسلاسة خاصة به تحداها معاصروه ومن جاء بعده من الشعراء وعرفت بطريقة اهل الشام . وكان الصاحب بن عباد يعجب بها ويحرض على حفظ اشعار اصحابها ويستملي الطارئين عليه من تلك البلاد ما يحفظونه منها حتى كتب دفتراً ضخم الحجم عليها كان لا يفارق

مجلسه ولا يملأ احد منه عينه غيره . وصار ما جمعه فيه على طرف لسانه وفي سن قلمه فطوراً يحاضر به في مخاطباته ومحاوراته وتارة يحله او يورده في مراسلاته كما هو

وكان البحتري بخيلاً وسخ الثوب ومن ابغض الناس انشاداً يتشادق ويتزاور في مشيه مرة جانباً ومرة القهقرى يهزُّ رأسه مرة وكتفه اخرى ويشير بكمه . ويقف عند كل بيت ويقول « احسنت والله ما لكم لا تقولون احسنت » فضجر المتوكل منه

وما زال شعر البحتري غير مرتب حتى جمعه ابو بكر الصولي ورتبه على الحروف . وجمعه ايضاً علي بن حمزة الاصبهاني ورتبه على الانواع . وقد طبع في الاستانة سنة ١٣٠٠ وفي بيروت سنة ١٩١١ مضبوطاً بالشكل الكامل في جزئين كبيرين . اكثره في مدح المتوكل والمعتز والمستعين والمعتمد ورجال دولتهم . وتكاد لا تخلو قصيدة من استهلال بالغزل

حماسة البحتري

وللبحتري حماسة مثل حماسة ابي تمام طبعت في بيروت سنة ١٩١٠ بعناية الاب شيخو وقد ذيلها بالفهارس . وهي تمتاز على حماسة ابي تمام من اوجه كثيرة : منها كثرة الابواب لان حماسة ابي تمام مؤلفة من عشرة ابواب وحماسة البحتري من ١٧٤ باباً تتضمن معظم المعاني الشعرية . وقد رواها عن نحو ٦٠٠ شاعر اكثرهم من الجاهليين والمخضرمين . وتمتاز على الخصوص بخلوها مما تنبو عنه الاسماع من الالفاظ البذيئة حتى الغزل والنسيب فقد تحاشاهما . كأن البحتري جمعها لشبيبة هذه الايام . واطلعنا في المكتبة الخديوية على نسخة من الحماسة المذكورة منقولة بالفوتوغراف في ٤٠٠ صفحة عن نسخة خطية محفوظة في مكتبة ليدن

وللبحتري ايضاً كتاب معاني الشعر . والف الحسن بن بشر الآمدي المتوفى سنة ٣٧١ كتاباً انتقاديا في الموازنة بين ابي تمام والبحتري تعصب فيه على ابي تمام وجدّ في طمس محاسنه وتزيين مرذول البحتري . طبع في الاستانه سنة ١٢٨٧ هـ

واخبار البحتري في ابن خلكان ١٧٥ ج ٢ والاغاني ١٦٧ ج ١٨ والفهرست ١٦٥

٤ - ابن المُعتَزّ
توفي سنة ٢٩٦ هـ

هو ابو العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل من ابناء الخلفاء العباسيين . تحزب له جماعة من الجند الاتراك على العادة الجارية في ذلك العهد وخلعوا المقتدر سنة ٢٩٦ وبايعوا لابن المعتز وسموه المرتضي بالله اقام يوماً وليلة . ثم تحزب اصحاب المقتدر

وتراجعوا وحاربوا اعوان ابن المعتز وشتتوهم واعادوا المقتدر الى دسته . واختفى ابن المعتز في بيت ابن الجصاص التاجر الجوهري الشهير يومئذ . فاخذه المقتدر وسلمه الى مؤنس الخادم فقتله ودفعه الى اهله ملفوفاً في كساء . وكان ابن المعتز منحرفاً عن العلويين وله فيهم قصيدة بائية يطعن عليهم فيها ويجعل للعباسيين الفضل عليهم بالخلافة مطلعها :

الا من لعينٍ وتسكابها تشكي القذاة وتشكا بها

الى ان يقول :

ونحن ورثنا ثياب النبي فلمْ تجذبون باهدابها
لكم رحمٌ يا بني بنته ولكن ارى العمَّ اولى بها
به نصر اللهُ اهل الحجاز وابرأها بعد اوصابها

وعارضه صفى الدين الحلي بقصيدة من وزنها وقافيتها مطلعها :

الا قل لشرِّ عباد الاله وطاغي قريش وكذابها

ومن شعره قصيدة تاريخية من نوع الشعر القصصي مدح بها الخليفة المعتضد .

ومزيته على الخصوص بما في شعره من انواع البديع كقوله في وصف مليح :

وجاءني في قميص الليل مستتراً يستعجل الخطو من خوف ومن حذر
فقمت افرش خدي في الطريق له ذلاً واسحب اذيالي على الأثر
ولاح ضوء هلالٍ كاد يفضحنا مثل القلامة قد قدت من الظفر

ومن قوله وقد ذكره ابن خلكان :

ومقرطق يسعى الى الندماء بعقيقة في درة بيضاء
والبدر في افق السماء كدرهم ملقى على ديباجة زرقاء
كم ليلة قد سرني بمبيته عندي بلا خوف من الرقباء

ومن تشابيهه قوله :

خليلي قد طاب الشراب المورَّدُ وقد عدت بعد النسك والعود احمدُ
فهاتا عقاراً في قميص زجاجة كياقوتة في درة تتوقد
يصوغ عليها الماء شباك فضة له حلق بيض تحلُّ وتعقدُ
وقتنيَ من نار الجحيم بنفسها وذلك من احسانها ليس يجحد

وكان ابن المعتز شاعراً مطبوعاً مقتدراً على الشعر قريب المأخذ سهل اللفظ جيد القريحة ومن مزاياه الابداع المعاني . وكان ايضاً من الادباء والعلماء تثقف على

المبرد وثعلب وغيرهما . واشتغل بالعلم والادب فالف فيهما بضعة عشر مؤلفاً وصلنا منها :

١ كتاب الادب : منه نسخة خطية في المتحف البريطاني
٢ كتاب مختصر طبقات الشعراء : في مكتبة الاسكوريال
٣ كتاب البديع : وهو اهم كتبه بالنظر الى اختصاصه في هذا الفن . منه نسخة خطية في مكتبة الاسكوريال
٤ كتاب اشعار الملوك : منه نسخة في مكتبة المستشرق اهلوارت

وباسمه في مكتبة باريس « كتاب الشراب » شعر ونثر . وفي مكتبة برلين كتاب فصول التماثيل في تباشير السرور ولم يذكره له مؤرخوه . وعني لانغ الالماني بترجمة بعض شعره وتاريخه الى الالمانية وطبعه في المجلة الالمانية الشرقية سنة ١٨٨٦ وفعل ذلك ايضاً لوث وطبعه في ليبسك سنة ١٨٨٢

وقد جمعت اشعاره في ديوان مرتب على الانواع كالفخر والغزل وغيرهما . وكل منها مرتب على الابجدية . منه نسخ خطية في مكاتب باريس والقاهرة وغيرها وطبع بمصر سنة ١٨٩١ وله قصائد متفرقة في مكاتب برلين وغوطا

وتجد اخباره في ابن خلكان ٢٥٨ ج ١ وطبقات الادباء ٢٩٩ وفوات الوفيات ٢٤١ ج ١ والاغاني ١٤٠ ج ٩ والفهرست ١١٦

٥ — البسَّامي البغدادي

توفي سنة ٣٠٢ هـ

هو ابوالحسن علي بن محمد بن نصر بن منصور ويعرف بابن بسام ايضاً . وهو غير ابن بسام الشاعر التبريزي المتوفى سنة ٥٤٢ هـ وأما البسامي فامه بنت حمدون النديم . وكان شاعراً هجاء لم يسلم من لسانه امير ولا وزير ولا صغير ولا كبير . وقد هجا اباه واخوته وسائر اهل بيته فمن ذلك قوله في ابيه :

هبكَ عمرت عمر عشرين نسراً أترى انني اموت وتبقى
فلئن عشتُ بعد موتك يوماً لاشقنَّ جيب مالك شقاً

وقال في هدم المتوكل قبر الحسين :

تالله ان كانت امية قد اتت قتل ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد اتاه بنو ابيه بمثله هذا لعمرك قبره مهدوما

اسفوا على ان لا يكونوا شاركوا في قتله فتتبعوه رميا

وليس له ديوان معروف . وله مؤلفات في مناقضات الشعراء واخبار الاحوص وعمر بن ابي ربيعة لم يصلنا خبرها

واخباره في ابن خلكان ٣٥٢ ج ١ والفهرست ١٥٠ وفوات الوفيات ٨٣ ج ٢

٦ — الخبز أرزّي

توفي سنة ٣١٧ هـ

هو ابو القاسم نصر بن احمد من اهل البصرة وكان امياً لا يقرأ ولا يكتب وكان يخبز خبز الارز بمربد البصرة ومنه اسمه . لكنه كان مطبوعاً على الشعر وكان ينشد اشعاره المقصورة على الغزل والناس يزدحمون عليه لسماع شعره ويعجبون من حاله . ثم ذاع خبره وتناقل الناس اشعاره . فمن غزله قوله :

خليليّ هل ابصرتما او سمعتما باكرم من مولى تمشى الى عبدِ
اتى زائراً من غير وعد وقال لي اجلك عن تعليق قلبك بالوجد
فما زال نجم الوصل بيني وبينه يدور بافلاك السعادة والسعد
فطوراً على تقبيل نرجس ناظر وطورا على تعضيض تفاحة الخد

وله ايضاً :

رأيت الهلال ووجه الحبيب فكانا هلالين عند النظر
فلم ادر من حيرتي فيهما هلال الدجى من هلال البشر
ولولا التورد في الوجنتين وما راعني من سواد الشعر
لكنت اظن الهلال الحبيب وكنت اظن الحبيبَ القمر

وذكر له ابن خلكان كثيراً من الاخبار وامثلة من الشعر في ترجمته ١٥٣ ج ٢ وفي يتيمة الدهر ١٣٢ ج ٢

٧ — ابن العلاف

توفي سنة ٣١٨ هـ

اسمه ابو بكر الحسن بن علي كان ضريراً من اهل النهروان جيد الشعر واشتهر بقصيدة رثى بها هرًّا والمقصود بالرثاء غلامٌ كان له قتله علي بن الحسين . والقصيدة من احسن شعره مطلعها :

يا هرُّ فارقتنا ولم تعدِ وكنت عندي بمنزل الولدِ

فكيف ننفك عن هواك وقد كنت لنا عدةً من العدد
تطرد عنا الاذى وتحرسنا بالغيب من حية ومن جرد
وتخرج الفأر من مكامنها ما بين مفتوحها الى السدد
يلقاك في البيت منهم مددٌ وانت تلقاهم بلا مدد

وهي طويلة نشر ابن خلكان اكثرها في صفحة ١٣٨ ج ١ والدميري ٣٣٧ ج ٢

ومن نوابغ شعراء هذا العصر فضل جارية المتوكل العباسي المتوفاة سنة ٢٦٠ هـ وكانت تهاجي الشعراء ويجتمع عندها الادباء ولها في الخلفاء والملوك مدائح وكانت في اول امرها تتشيع وتتعصب لاهل مذهبها وتقضي حوائجهم بجاهها عند الملوك . وعشقت سعيد بن حميد وكان منحرفاً عن اهل البيت فانتقلت الى مذهبه . ولها اشعار نفيسة منها امثلة في فوات الوفيات ١٢٦ ج ٢ والاغاني ١١٤ ج ٢١

الادب والادباء

في العصر العباسي الثاني

خطا الادب في هذا العصر خطوة اخرى نحو النشوء والتفرع فبدأت علومه بالاستقلال بعضها عن بعض . وكانت في العصر الماضي مختلطة يدرس الاديب النحو واللغة والاخبار والامثال معاً . وقل من تفرغ لواحد منها — الا النحو فانه استقل في ذلك العصر كما رأيت . وظلت سائر علوم الادب مختلطة . ففي هذا العصر اخذ علم اللغة بالاستقلال وظهر علماء اشتغلوا بتعريف الالفاظ واشتقاقها ومعانيها وترتيبها على الابجدية تمهيداً لوضع المعاجم التي لم تظهر ناضجة الا في العصر العباسي الثالث

فالادب هنا ينقسم الى ثلاثة اقسام : (١) الادب كما هو ويدخل فيه الاخبار والامثال والاشعار وغيرها (٢) النحو (٣) اللغة فنتكلم عن كل منها على حدة

وقبل التقدم الى ذلك لا بدَّ لنا من التنبيه الى امرين مهمين في تاريخ آداب اللغة :

الاول ان الاغراض السياسية التي ذكرناها في صدر العصر العباسي الاول من تفضيل اهل الكوفة على اهل البصرة واثارة المنافسة بين البلدين ضعفت في هذا العصر وفرغ البصريون والكوفيون من الغرض الذي احيا ذينك البلدين لقربهما من البادية وسطاً بين الحضارة والبداوة . واستبحر عمران بغداد وغلبت الحضارة على نفوس المسلمين

فاخذالادباء وطلاب العلم في الانتقال الى بغداد وخصوصاً بعد ان سطا صاحب الزنج على البصرة واخربها . والامر الثاني ان نقل العلوم الى اللغة العربية اكسبها ميلاً الى تأليف الكتب وغيرها . على مثال ما شاهدوه هناك من الكتب الجامعة لمواضيع مختلفة والتوسع في الموضوع الواحد . فالكتب التي جاء ذكرها لاصحاب العصر الاول اوفاها ما كتب في الفقه والسيرة النبوية والطبقات والفتوح والنحو . اما في هذا العصر فعمدوا الى التأليف في سائر المواضيع العلمية والادبية والفلسفية والتاريخية وغيرها . وان لم ينضج التأليف على الاجمال الا في العصر الآتي

مميزات الادب

يمتاز الادب في هذا العصر باشياء اهمها :

١ انه كان في العصر الماضي قاصراً على النقل بلا تصرف وانما كان همُّ الاديب ان يروي ما سمعه بالاسناد الى الراوي او سرد ما عاينه كما كان يفعل حماد والاصمعي وابو عبيدة فأصبح يتدبر تلك المرويات ويبني عليها او يستنتج منها حكمة او عظة كما فعل الجاحظ وابن قتيبة وغيرهما . والسبب في ذلك اتساع اختبارهم وتعودهم النظر والتدبر بما اطلعوا عليه من كتب الادب التي نقلت الى العربية من الفارسية والهندية وكتب المنطق وتحليل القياس ونحوهما عن اليونانية (١)

٢ ان ما المَّ بالامة من تغير الحال لفساد الحكومة وتوالي النكبات على الخلفاء حوَّل همَّ المفكرين الى نشر الحكم واخبار الزهد والزهاد واقوال الحكماء وسير رجال العدل والحزم التي يترتب عليها العظة والاعتبار مع الحث على الاقتداء بهم لرد الناس عن غيهم وتعزية المصابين والمظلومين فاخذوا يجمعون ذلك في كتب الادب

٣ اخذوا يجمعون شتات اخبار العرب على اختلاف مواضيعها وما خذها في كتاب واحد او بضعة كتب وترتيبها في ابواب مبنية على الحكمة المستفادة منها للاسباب التي قدمناها . كما في الموشى والعقد الفريد

٤ تغيرت وجهة الادب في نظر الادباء فقد كان الغرض منه بالاكثر طلب الرزق في دور الخلفاء بما كان لهؤلاء من الرغبة في الاطلاع على اخبار العرب واشعارها وامثالها . فاصبح في هذا العصر صناعة علمية في الانشاء والتأليف وقل المقتصرون عليها منهم . وانصرفت القرائح بالاكثر الى الاشتغال في النحو واللغة ولم

(١) راجع تاريخ التمدن الاسلامي ١٥٢ ج ٣ وبعدها

ينقطع للاشتغال بالادب بالمعنى الذي قدمناه الا قليلون . وقد اخترنا بضعة منهم غلب عليهم الاشتغال بالادب مع اشتغالهم بفنون اخرى من التاريخ او السياسة او الشعر وهذه تراجمهم حسب سني الوفاة :

ادباء العصر العباسي الثاني

١ – الجاحظ

توفي سنة ٢٥٥ هـ

هو ابو عثمان عمر بن بحر بن محبوب الكناني الليثي بالولاء من اهل البصرة ويعرف بالجاحظ لجحوظ عينيه . واشتهر بقبح خلقته وكان جده اسود اللون جمَّالاً لعمرو بن قلع الكناني . وبلغ الجاحظ من الذكاء وجودة القريحة وقوة العارضة والتفكير ما جعله من كبار ائمة الادب . نشأ في البصرة وهي آهلة بالادباء والنحاة واصحاب اللغة ونبغ في كل ذلك . وبلغ خبره الى المتوكل وكان عازماً على اختيار من يؤدب ولده فاستقدمه اليه في سرّ من رأى . فلما رآه استبشع منظره فامر له بعشرة آلاف درهم وصرفه . وله اخبار كثيرة تتعلق بقبح منظره . واصيب في اواخر ايامه بالفالج النصفي فكان يطلي نصفه الايمن بالصندل والكافور لشدة حرارته والنصف الآخر لو قرض بالمقاريض ما احس به من شدة برده في اصطلاحهم . وكان قد اشتهر وذاع صيته في العالم الاسلامي فتقاطر الناس لمشاهدته والسماع منه فلا يمرُّ اديب او عالم بالبصرة الا طلب ان يرى الجاحظ ويكلمه . وكان اذا طلب احد ان يراه يقول « وما تصنع بشقّ مائل ولعاب سائل ولون حائل » وتوفي بالبصرة سنة ٢٥٥

وهو امام الادباء في العصر العباسي الثاني وله اساليب ومذاهب وآراء في الادب واللغة خاصة به واشتهر بطريقة في الانشاء تنسَبُ اليه تحداه بها الناس وعرفت باسمه. فهو قدوة المنشئين وامامهم في هذا العصر كما كان ابن المقفع امامهم في العصر الاول — وسنعود الى ذلك

الجاحظية

وكان الجاحظ من فضلاء المعتزلة جماعة المفكرين في ذلك العهد تلقى العلم على ابي سحق ابراهيم بن سيار البلخي المعروف بالنظام المتكلم المشهور وكان علم الكلام قد نشأ على اثر نقل الفلسفة والتبحر فيها . وطالع الجاحظ كثيراً من كتب الفلاسفة

وانفرد عن سائر المعتزلة بمسائل تابعه بها جماعة عرفوا بالجاحظية . ومن مذهبه ان المعارف كلها ضرورية وليس فيها شيء من افعال العباد وانما هي طبيعية وليس للعباد كسب سوى الارادة . وان العباد لا يخلدون في النار بل يعبرون من طبيعتها . وان الله لا يدخل احداً النار وانما النار تجذب اهلها بنفسها وطبيعتها وان القرآن المنزل من قبيل الاجساد ويمكن ان يصير مرة رجلاً ومرة حيواناً . وان الله لا يريد المعاصي وانه لا يرى . وان الله لا يريد بمعنى انه لا يغلط ولا يصح في حقه السهو فقط . وانه يستحيل العدم على الجواهر من الاجسام وانما الاعراض تتبدل والجوهر باقٍ . ونحو ذلك (١)

مؤلفاته

خلف الجاحظ مؤلفات عديدة طبع كثير منها ونشر هاك اهمها :

١ كتاب البيان والتبيين : (ويقال التبين والتبيان) في الادب والانشاء والخطابة وابحاث في البيان والخطابة والخطباء والسجع والشعر والشعراء والنساك والزهاد وامثلة من خطب النبي والخلفاء . وفي اللحن واللحانين واحاديث ونوادر وغير ذلك وهو اصدق مثال للانشاء في اواسط القرن الثالث للهجرة . وقد طبع بمصر سنة ١٣١٣ وغيرها في مجلدين

٢ كتاب الحيوان : هو اقدم كتاب في علم الحيوان بالعربية . ويختلف عن كتب الحيوان المعروفة بانه يشتمل على وصف طبائع الحيوانات من حيث علاقتها بالناس . ويتخلل ذلك فوائد ادبية واجتماعية وتاريخية . وقد طبع بمصر سنة ١٩٠٦ في ٤ مجلدات

٣ كتاب المحاسن والاضداد والعجائب والغرائب : في اللغة طبعه المستشرق فان فلوتن في ليدن سنة ١٨٩٧ في ٤٠٠ صفحة ثم طبع بمصر سنة ١٩٠٦

٤ كتاب اخلاق الملوك : في الادب منه نسخة خطية بمكتبة ايا صوفيا

٥ « تنبيه الملوك والمكائد : « « « « كوبرلي

٦ « البخلاء : في الادب طبع غير مرة في اوربا ومصر

٧ « سحر البيان : في كوبرلي

٨ « فضائل الاتراك : في ايا صوفيا وطبع بمصر مضبوطاً بالشكل سنة ١٨٩٨

٩ « سلوة الحريف في المناظرة بين الربيع والخريف : طبع بالاستانة سنة

(١) الشهرستاني ٤٠ ج ١

١٣٠٢ وفي مصر في ٤٤ صفحة

١٠ كتاب العرافة والزجر والفراسة : على مذاهب الفرس خط في مكتبة ليدن

١١ المختار من كلام الجاحظ : وحكم علي : بمكتبة برلين

١٢ رسالة في بني امية : في المكتبة الخديوية

١٣ ثلاث رسائل : طبعت في ليدن . و١١ رسالة طبعت بمصر

١٤ كتاب طبقات المغنين : ذكرته مجلة المنتقد (مجلد ٢ ج ٨)

١٥ كتاب التاج : في جملة كتب زكي باشا تحت الطبع بمصر

وترجمة الجاحظ في ابن خلكان ٣٨٨ ج ١ وطبقات الادباء ٢٥٤

٢ — السُّكَّري

توفي سنة ٢٧٥ هـ

هو ابو سعيد الحسن بن الحسين بن عبيد الله بن عبد الرحمن بن العلاء السكري النحوي . وقد ذكرناه بين الرواة والادباء لاشتغاله بجمع الاشعار وكان راوية البصريين وهو الذي جمع اهم ما بين ايدينا من اشعار الجاهليين وصدر الاسلام الى ايامه من القبائل والافراد . فمن الافراد الذين عمل السكري اشعارهم اي جمعها في دواوين امرؤ القيس وزهير والنابغة والحطيئة ولبيد ودريد بن الصمة وعمرو بن معدي كرب والاعشى والمهلهل ومتمم بن نويرة واعشى باهلة وبشر بن ابي حازم والمتلمس والمسيب وحميد بن ثور وحميد الارقط وعدي بن زيد وعدي بن الرقاع وغيرهم مما يطول بنا بسطه . وقد ذكرهم ابن النديم في الفهرست مطولاً (صفحة ١٥٧) وذكر بجانب كل شاعر من عمل شعره غير السكري ايضاً . ومن القبائل التي جمع السكري اشعارها بنو ذهل وبنو شيبان وبنو ابي ربيعة وبنو يربوع وغيرها كثير

فدواوين الشعراء الافراد لا يزال بين ايدينا منها جانب ذكرناه في مواضعه وان لم يذكر في صدور الدواوين من جمعها . ومما ينسب الى السكري شرح ديوان امرئ القيس . وقد جاء ذكر بعض دواوين الافراد التي جمعها السكري في كتب الادب عرضاً . اما اشعار القبائل فلم يبق منها الا ديوان الهذليين وقد وصل الينا مقتضباً مع شرح قليل . ومنه نسخة خطية في مكتبتي باريس وليدن . وقد طبع القسم الاول منه في لندن سنة ١٨٥٤ في نحو ٣٠٠ صفحة كبيرة تحتوي على اشعار نحو ثلاثين شاعراً من الهذليين واخبارهم وعنوان هذا الجزء « كتاب شرح اشعار الهذليين صنعه ابو

سعيد الحسن بن الحسين السكري رواية ابي الحسن علي بن عيسى بن علي النحوي عن ابي بكر احمد بن محمد الحلواني عنه » وفي صدر هذه الطبعة مقدمة انكليزية عن تاريخ هذا الكتاب والمفضليات والحماسة . وهناك كتاب لما بقي من اشعار الهذليين غير ما جمعه السكري طبع في برلين سنة ١٨٨٤

وللسكري ـ ٢ : كتاب اخبار اللصوص : فيه اخبار بعض لصوص الاعراب نشرت قطعة منه في ليدن سنة ١٨٥٩ وله ٣ : شرح ديوان جران العود النميري منه نسخة خطية بالمكتبة الخديوية وله ٤ : كتاب النبات ضاع . وترجمة السكري في طبقات الادباء ٢٧٤ ومعجم الادباء ٦٢ ج ٣ والفهرست ٧٨ و١٥٧ و١٥٩

٣ — ابن قُتَيْبَة

توفي سنة ٢٧٦ هـ

هو ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِينَوري . ولد في الكوفة سنة ٢١٣ وتثقف على اهلها وسكن بغداد وتولى قضاء الدينور فنسب اليها . وكان عالماً في اللغة والنحو والشرع متفنناً بالعلوم صادق في ما يرويه مستقل الفكر جريئاً في قول الحق . وهو اول من تجرأ على النقد الادبي فألف في اكثر فنون الادب المعروفة . والباقي من مؤلفاته الى اليوم حسن وشائع وبعضها من امهات كتب التاريخ والادب وهاك ما وصل الينا خبره منها :

١ عيون الاخبار : في عشرة كتب ١ كتاب السلطان ٢ كتاب الحرب ٣ كتاب السؤدد ٤ كتاب الطبائع والاخلاق ٥ كتاب العلم باخبار العلم والعلماء ٦ كتاب الزهد ٧ كتاب الاخوان ٨ كتاب الحوائج ٩ كتاب الطعام ١٠ كتاب النساء . طبع في ويمار سنة ١٨٩٨ بعناية بروكلمن وفي مصر سنة ١٩٠٧ في مجلدين كل مجلد يدخل في مئة صفحة . ومنه نسخ خطية في مكاتب بطرسبرج والاستانة وهو اول كتاب في نوعه من امهات كتب الادب

٢ كتاب المعارف : هو من قبيل كتب التاريخ العام ومن اقدمها . فيه خلاصة تاريخ الخلق والانبياء وانساب العرب وسيرة النبي ومغازيه واخبار الصحابة والتابعين والقراء ورواة الشعر وصناعات الاشراف واهل العاهات ونوادر الحوادث والاديان العرفي واخبار ملوك العرب والعجم وقد طبع في غوتنجن بعناية ووستنفيلد سنة ١٨٥٠ وفي مصر سنة ١٣٠٠

٣ كتاب الشعر والشعراء : ويسميه بعضهم طبقات الشعراء او كتاب الشعراء واخبار الشعراء وكلها واحد . وهو يحتوي على تراجم « المشهورين من الشعراء الذين يعرفهم جل اهل الادب والذين يقع الاحتجاج باشعارهم في الغريب وفي النحو وفي كتاب الله » ويدخل في ذلك اخبار اشهر شعراء الجاهلية وصدر الاسلام الى ايام المؤلف وامثلة من اشعارهم وفيه نظرٌ وانتقاد . وقد طبع في ليدن بعناية دي غويه سنة ١٩٠٤ وفي مصر سنة ١٩٠٥

٤ ادب الكاتب : يبحث في ما يحتاج اليه الاديب في صناعة الكتابة من الاداب والعلوم واصلاح ما كان يقع فيه الكتّاب بايامه من الخطأ او الوهم في معاني الالفاظ او الاشتقاقات والتراكيب مما نحن في حاجة اليه حتى اليوم . وقد قسم ذلك الى ابواب في اقامة الهجاء وتقويم اللسان والابنية . وقد لخص هذا الكتاب وشرح غير مرة ومنه نسخ خطية في المتحف البريطاني ومكاتب فينا وبطرسبرج وقد طبع في ليبسك سنة ١٨٧٧ مع خلاصة انكليزية لسيرول وطبع ايضاً في مصر مراراً . وله شروح عديدة اشهرها شرح البطليوسي المتوفى سنة ٥٣٩ هـ طبع في بيروت سنة ١٩٠١ ويعرف بالاقتضاب

٥ الامامة والسياسة : هو تاريخ الخلافة وشروطها بالنظر الى طلابها من وفاة النبي الى عهد الامين والمأمون . طبع بمصر سنة ١٩٠٠ ومنه نسخ خطية في مكاتب باريس ولندن ومصر

٦ كتاب الشراب او الاشربة : في اختلاف العلماء في ما يحل من الاشربة أو يحرم . منه نسخة خطية في لندن وفي المكتبة الخديوية وطبع بمصر سنة ١٩٠٧

٧ كتاب التسوية بين العرب والعجم وتفضيل العرب : هو ضد الشعوبية نقل منه صاحب العقد الفريد فصلاً في صفحة ٧١ ج ٢ ونشرت له مجلة المقتبس رسالة في الرد على الشعوبية (مجلد ٤)

٨ اختلاف تأويل الحديث : منه نسخ خطية في مكتبتي برلين وليدن

٩ كتاب مشكل القرآن : « « « « ليدن وكوبرلي

١٠ المشتبه من الحديث والقرآن : منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية

١١ كتاب المسائل والجوابات : اكثره في الحديث منه نسخة في مكتبة غوطا

وقد ذكر صاحب الفهرست كتباً اخرى لابن قتيبة اهمها كتاب « معاني الشعر الكبير » في ١٢ كتاباً . وفي مكتبة ايا صوفيا بالاستانة نسخة من كتاب اسمه

« الشعر الكبير » لابن قتيبة لعله هو او بعضه . وكتاب « عيون الشعر » في عشرة كتب وغير ذلك من كتب النحو والادب والحديث واللغة . ووقف الاب شيخو على كتاب ينسب الى ابن قتيبة لم يذكره صاحب الفهرست ولا غيره نعني كتاب « الرحل والمنزل » وجده في مكتبة الظاهر بدمشق ونشره في السنة ١١ من المشرق . وهو من قبيل مفردات اللغة التي ذكرناها للاصمعي وابى عبيدة . وفي كتب الشنقيطي بالمكتبة الخديوية نسخة من كتاب خطي اسمه « كتاب العرب وعلومها » لابن قتيبة

وترجمة ابن قتيبة في ابن خلكان ٢٥١ ج١ وطبقات الادباء ٢٧٢ والفهرست ٧٧

٤ — ابن ابي الدُّنيا

توفي سنة ٢٨١ هـ

هو ابو بكر عبيد الله بن محمد بن عبيد مولى قريش كان يؤدب المكتفي بالله . وله علم بالاخبار وذكر له الفهرست مؤلفات كثيرة في الادب والاخبار لم يصلنا منها الاَّ :

١ الفرج بعد الشدة : مجموع اخبار اتفقت لاناس اصابهم فيها بعد الشدة فرج . منه نسخ في برلين وليدن وطبع بمصر سنة ١٩٠٦ نحا فيه منحى المدائني المتوفى سنة ٢٢٥ اول من الف في هذا الموضوع . ثم تحداها سواها حتى انتهى ذلك الى القاضي التنوخي المتوفى سنة ٣٨٤ هـ فالف كتابه الفرج بعد الشدة طبع بمصر سنة ١٩٠٤ في مجلدين وفي مقدمته تاريخ التأليف في هذا الموضوع

٢ مكارم الاخلاق : و٣ ذم الملاهي : منهما نسختان خطيتان في برلين

٤ فضائل عشرذي الحجة : في ليدن

٥ كتاب من عاش بعد الموت : في منشن

٧ اليقين : في كوبرلي بالاستانة ٨ الشكر : في نور عثمانية

٩ قرى الضيف : في مكتبة لاندبرج

وترجمة ابن ابي الدنيا في فوات الوفيات ٢٣٦ ج ١ والفهرست ١٨٥

٥ — قُدامَة بن جعفر

المتوفى سنة ٣١٠ هـ

هو قدامة بن جعفر بن قدامة الكاتب البغدادي كان ابوه نصرانياً واسلم في ايام المكتفي (سنة ٢٨٩–٢٩٥) وتولى منصباً كبيراً في الدولة العباسية . وكان اديباً شاعراً الف كتباً كثيرة ذكرها صاحب الفهرست (صفحة ١٣٠) لم يصلنا منها الا :

١ كتاب نقد الشعر : وهو اول كتاب مستقل في هذا الموضوع وسنعود اليه . طبع في الاستانة سنة ١٣٠١

٢ كتاب نقد النثر : ويعرف بكتاب البيان منه نسخة خطية في الاسكوريال

٣ كتاب الخراج : سيأتي ذكره في الكلام على الجغرافية

٦ — الوشّاء

في اواخر القرن الثالث

هو ابو الطيب محمد بن احمد بن اسحق الاعرابي الوشاء احد الادباء الظرفاء في اواخر القرن الثالث للهجرة . غلب عليه تصنيف كتب الاشعار والاخبار ذكر له صاحب الفهرست نحو ٢٠ كتاباً في النحو والادب لم يصلنا منها الاَّ كتابان :

١ كتاب الموشى : وهو فريد في بابه يمثل آداب ذلك العصر ويتخلله كثير من المواعظ والحث على المصادقة والاخلاص والتعفف . وفيه وصف الازياء التي كانت شائعة يومئذ على اختلاف الطبقات . وما اختير من الالفاظ للمكاتبات . وفيه فصول ضافية في ما كانوا يكتبونه من الاشعار على الثياب والاعلام والعصائب والزنانير والمناديل والستور والوسائد حتى النعال وعلى المجالس وآنية الشراب والعيدان . فهو فريد ببابه ومنه نسخة خطية في ليدن وقد طبع فيها سنة ١٨٨٧ وفي مصر سنة ١٣٢٤ وسموه كتاب الظرف والظرفاء

٢ كتاب تفريج المهج وسبب الوصول الى الفرج : منه نسخة خطية مختصرة في مكتبة برلين . وتجد اخبار الوشاء في الفهرست ٨٥ وطبقات الادباء ٣٧٤

٧ — ابن عَبد ربّهِ

توفي سنة ٣٢٨ هـ

هو ابو عمر احمد بن محمد عبد ربه القرطبي صاحب العقد الفريد . اصله من موالي بني امية في الاندلس توفي سنة ٣٢٨ (وقيل ٣٤٨) وكان من العلماء المكثرين من المحفوظات والاطلاع على اخبار الناس . وكان شاعراً مطبوعاً . وانما اشتهر بكتابه العقد الفريد . وفي شعره ميل الى الشعر القصصي اي سرد القصة شعراً وهو قليل في العربية . له فيه ارجوزة قص فيها تاريخ عبد الرحمن الناصر صاحب الاندلس حسب السنين وكان معاصراً له . وهي منشورة في الجزء الثاني من العقد الفريد

العقد الفريد : اما العقد الفريد فانه من اجل كتب الادب واحواها او هو كالخزانة حوت خلاصة علوم ذلك العصر حتى الطب والموسيقى فضلاً عن الاخبار والانساب واللغة والامثال والشعر والعروض وقواعده . في ثلاثة مجلدات تزيد صفحاتها على الف صفحة كبيرة وهو مقسوم حسب المواضيع . وقد تأنق صاحبه في تقسيمه وتسمية ابوابه فسماها باسماء الحجارة الكريمة تطبيقاً لاسم الكتاب « العقد الفريد » ويشتمل الجزء الاول على السلطان والحروب والاجواد والاصفاد والوفود والعلم والادب والامثال والمواعظ . والثاني في التعازي والمراثي والنسب وفضائل العرب وكلام الاعراب والاجوبة والخطب والتوقيعات واخبار الكتبة . والثالث في اخبار زياد والحجاج والطالبيين والبرامكة وايام العرب ووقائعها وفضائل الشعر وعلم الالحان والنساء والمتنبئين والممردين والبخلاء وطبائع الانسان وفي الطعام والشراب

وفي بعض هذه الابواب فصول تاريخية لا تجد مثلها في كتب التاريخ . فاخبار زياد والحجاج والطالبيين فيها حقائق يعز العثور عليها في كتاب آخر . وناهيك بايام العرب واعاريض الشعر وما هنالك من اخبار الخوارج والازارقة فضلاً عن كثير من الاقوال المأثورة عن عظماء الملوك نقلاً عن كتب ضاعت اصولها . فالعقد الفريد خزانة فوائد وهو من امهات كتب الادب الثقة . ويؤخذ من مطالعته انه حوى خلاصة ما في الكتب السالفة يومئذ للاصمعي وابي عبيدة والجاحظ وابن قتيبة وابن الكلبي وغيرهم غير القرآن والحديث والتوراة والانجيل . ولم يقتصر في ما جمعه على ما عرفه العرب بل نقل عن الكتب التي ترجمت الى العربية في ذلك الزمن عن اليونانية والهندية والفارسية وهو يشير الى ذلك في كلامه . وقد طبع العقد الفريد مراراً في ثلاثة مجلدات وهو شائع . ومنه نسخ خطية في اكثر مكاتب اوربا . وليس له سواه

وترجمة ابن عبد ربه في ابن خلكان ٣٢ ج ١ ومعجم الادباء ٦٧ ج ٢ ويتيمة الدهر ٣٦٠ و٤١٢ ج ١

٨ – ابو بكر الصولي

المتوفى سنة ٣٣٥ هـ

هو محمد بن يحيى الصولي ويعرف بالشطرنجي ويتصل نسبه بملوك جرجان . كان عالماً بفنون الادب حسن المعرفة باداب الملوك حاذقاً بتصنيف الكتب والعب اهل زمانه في الشطرنج . وكان نديماً لجماعة من الخلفاء وجمع اشعاراً كثيرين كما فعل السكري

باشعار القدماء وقد اشرنا الى شيء من ذلك في اماكنه كديوان ابن المعتز وديوان ابي تمام وابي نواس والبحتري . والف في اخبار الخلفاء واشعارهم كتاباً سماه « الاوراق في اخبار آل العباس واشعارهم » قال ابن النديم «انه لم يتمه والذي خرج منه اخبار الخلفاء واشعار اولاد الخلفاء من السفاح الى ايام المعتز » . ولكن في المكتبة الخديوية نسخة بهذا الاسم للصولي هي من قبيل اخبار الشعراء رتب اسماءهم على احرف الهجاء واكثره في اخبار ابان اللاحقي شاعر البرامكة وابنائه الشعراء كمحمد بن ابان وابان بن حمدان بن ابان وغيرهما . واخبار اشجع بن عمرو السلمي واشعاره مرتبة في ابواب واحمد بن يوسف وزير المأمون وآله . وابن صبيح كاتب دولة بني العباس وتوقيعات احمد المذكور وكلامه فضلاً عن اشعاره . وجاء في آخر الكتاب انه شرع بترجمة اسحق بن ابراهيم الموصلي وتوفي قبل ان يتمها . وذلك يختلف عما ذكره ابن النديم

وله كتب اخرى هامة ذكرها كشف الظنون ولم نقف عليها . واخباره في طبقات الادباء ٣٤٣ والفهرست ١٥٠ و ١٥٦

ادباء آخرون

ومن الادباء والرواة في هذا العصر أيضاً ابو العيناء المتوفى سنة ٢٨٢ هـ وجحظة البرمكي (٣٢٦ هـ) وابو بكر بن مروان الدينوري المالكي المتوفى سنة ٣١٠ له كتاب المجالسة وفيه اخبار وآداب منه نسخة في باريس . وابراهيم بن ابى عون الكاتب توفي سنة ٣٢٢ وله كتاب لب اللباب في جوابات ذوي الالباب منه نسخة في برلين . وابو الازهر بن مزيد النحوي (٣٢٥) له اخبار عقلاء المجانين في الاسكوريال . (ولابي القاسم الينسابوري المتوفى سنة ٤٠٦ كتاب بهذا الاسم في مكتبة برلين) وابو بكر الخرائطي السامري المتوفى سنة ٣٢٧ له كتاب اعتلال القلوب في المكتبة الخديوية ومكارم الاخلاق في ليدن

الانشاء

في العصر العباسي الثاني

رأيت ما كان من اسلوب الانشاء في صدر الاسلام من البلاغة والايجاز حتى انتهى في العصر الاموي الى عبد الحميد الكاتب فاطال الرسائل وادخل التحميدات في فصول الكتب . فلما كان العصر العباسي الاول نبغ ابن المقفع . وهو امام المنشئين في ذلك العصر كما يظهر في ترجمة كليلة ودمنة وهو انشاء مرسل بلا تسجيع ولا تقطيع

اسلوب ابن المقفع

لكنه كان اذا اراد التأنق فى الانشاء في معرض الخطابة او التهديد او التنبيه عمد الى السجع ونوَّع عبارته تنويعاً خاصاً كما فعل فى كتبه الاخرى ولا سيما اليتيمة والادب الصغير . فمن ذلك قوله فى اليتيمة :

« اذا كان سلطانك عند جدة دولة . فرأيت امراً استقام بغير رأي . واعواناً جزوا بغير نبل . وعملاً انجح بغير حزم فلا يغرنك ذلك ولا تستنم اليه فان الامر الجديد مما تكون له مهابة في انفس اقوام وحلاوة في انفس آخرين »

وقد يتفنن في تقطيعه كقوله : « وجدنا الناس قبلنا كانوا اعظم اجساداً واوفر مع اجسادهم احلاماً . واشد قوة واحسن بقوتهم للامور اتقاناً . واطول اعماراً وافضل باعمارهم للاشياء اختباراً »

وفي كل حال لابد من التمييز بين انشاء الكتب وانشاء الرسائل اوالمقالات الادبية ونحوها . فانشاء الكتب لا يزال مرسلاً بلا سجع او تقطيع مثل كتاب كليلة ودمنة . واما الرسائل او المقالات الادبية او الفصول التي يصدرون بها الكتب فهي من قبيل الخطب . فالكاتب يتأنق بها ويبذل جهده في تنميقها كما فعل ابن المقفع في كتابة الدرة اليتيمة التي اتينا بالمثالين المذكورين منها ـ فالتنويع الذي يصيب الانشاء بتوالي الاعصر انما يقع على هذا الانشاء في الغالب وما يصدق عليه يصدق على الخطب

اسلوب الجاحظ

فلما دخل العصر العباسي الثاني نبغت طبقة من الكتاب المنشئين لايشقُّ لهم غبار إمامهم الجاحظ وضع اسلوباً في الانشاء تحدوه فيه . وذلك انه جعل الجملة قطعاً صغيرة كالشعر لكن بدون وزن ولاقافية . اوهو سجعٌ لاتشترط فيه القافية كقوله « جنبك الله الشبهة . وعصمك من الحيرة . وجعل بينك وبين المعرفة سبباً وبين الصدق نسباً . وحبب اليك التثبت . وزين في عينك الانصاف . واذاقك حلاوة التقوى . واشعر قلبك عز

الحق . واودع صدرك برد اليقين وطرد عنك ذل اليأس . . الخ »

وقد ادخل الدعاء حشواً معترضاً يوجه الى المخاطب بصيغة المفرد كقوله :

« وليس حفظك الله مضرة سلاطة اللسان عند المنازعة . وسقطات الخطل يوم اطالة الخطبة . باعظم مما يحدث عن العي من اختلال الحجة . وعن الحصر من فوات درك الحاجة . والناس لا يعيرون الخرس . ولا يلومون من استولى على بيانه العجز . وهم يذمون الحصر ويؤنبون العي . . الخ »

وهذا الاسلوب في الانشاء ينسب الى الجاحظ وقد توخاه معاصروه فنسجوا على منواله كابن قتيبة والمبرد وابن ثوابة وغيرهم . ومن أمثلة ذلك قول حمزة الاصفهاني جامع ديوان ابي نواس فانه من أهل العصر الثاني واسلوبه كاسلوب الجاحظ ـ قال في مقدمة الديوان المذكور :

« سألتني ابقاك الله وأعلى قدرك وبلغك اقصى املك . وزادك من افضل ما خولك . واحسن ما منحك . ولا اعدمك جميل ما عودك . ان اصرف لك عنايتي الى عمل مجموع من شعر ابي نواس . يشتمل على كل اشعاره . وجل اخباره . وقد اسعفتك ايدك الله بطلبتك واجبتك الى ملتمسك .. الخ »

وهم يرون النزوع الى هذا التكرار اكثر ابلاغاً للمعنى واشد تأثيراً في النفس حتى رأيناهم ينتقدون ما كان شائعاً من الايجاز في صدر الاسلام كقول يزيد لما كتب الى مروان حين بلغه تلكؤه في بيعته « أما بعد فاني اراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى فاعتمد على أيتهما شئت » قال ابن قتيبة في ادب الكاتب « ان هذا لو قيل الآن لم يأت بالتأثير المطلوب . والصواب أن يطيل ويكرر ويعيد ويبدىء ويحذر وينذر .. »

ولا يؤخذ من ذلك ان تكون اساليب الكتّاب في ذلك العصر واحدة من كل وجه فان ذلك غير طبيعي . والطبيعي أن يكون لكل كاتب اسلوب يعرف به . ولكن ابناء العصر الواحد تتشابه اساليبهم ويغلب ان يكون احدهم مقداماً يسيرون على خطواته فيقلدونه في اسلوبه كل منهم جهد طاقته . والجاحظ في هذا العصر امام اهل الادب وقدوة المنشئين

كساد البضاعة وفساد العقيدة

وأصاب صناعة الادب في هذا العصر كسادٌ كما اصاب الشعر للاسباب التي قدمناها من فساد الدولة واشتغال الملوك والامراء عن التنشيط . وانصراف الناس الى الفلسفة والطبيعيات والمنطق من العلوم الحادثة عندهم . وشيوع الشعوبية واحتقار العرب

والطعن على كفاءتهم وعلومهم . فاصبح الادباء يشكون كساد بضاعة الادب وفساد عقيدة الناس بالفلسفة وتقاعد الادباء عن اتقان صناعة الانشاء

قال ابن قتيبة في ادب الكاتب « رأيت كثيراً من كتاب زماننا كسائر اهله . قد استطابوا الدعة . واستوطأوا مركب العجز . وأعفوا انفسهم من كد النظر وقلوبهم من تعب الفكر . حين نالوا الدرك بغير سبب . وبلغوا البغية بغير آلة . ولعمري كان ذاك . فاين همة النفس واين الانفة من مجانسة البهائم . وأي موقف اخزى لصاحبه من موقف رجل من الكتاب اصطفاه بعض الخلفاء لنفسه . وارتضاه لسره فقرأ عليه يوماً كتاباً ـ وفي الكتاب (ومطرنا مطراً كثر عنه الكلأ) فقال له الخليفة ممتحناً (وما الكلأ) فتردد في الجواب وتعثر لسانه ثم قال (لا ادري) فقال له (سل عنه) ومن مقام آخر في مثل حاله قرأ على بعض الخلفاء كتاباً ذكر فيه (حاضر طي) فصحفه تصحيفاً أضحك منه الحاضرين »

ذلك ما بعث ابن قتيبة على وضع كتابه المشار اليه وذكر الشروط اللازمة لطالب هذه الصناعة . ولا سيما سعة الاطلاع في العلوم الاسلامية والادبية فضلاً عن اللغوية كاقامة الهجاء وتقويم اللسان وضبط الابنية

ومن انتقاده فساد عقيدة الادباء في عصره قوله :

« رأيت اكثر اهل زماننا هذا عن سبيل الادب ناكبين . ومن اسمه متطيرين ولاهله كارهين . اما الناشىء منهم فراغب عن التعليم . والشادي تارك للازدياد . والمتأدب في عنفوان الشباب ناسٍ او متناس ليدخل في جملة المجدودين ويخرج عن جملة المحدودين . فالعلماء مغمورون وبكثرة الجهل مقموعون . حين خوى نجم الخير وكسدت سوق البر . وبارت بضائع اهله . وصار العلم عاراً على صاحبه . والفضل نقصاً . واموال الملوك وقفاً على النفوس . والجاه الذي هو زكاة الشرف . يباع بيع الخلق . وآضت المروآت في زخارف النجد وتشييد البنيان . ولذات النفوس في اصطفاق المزاهر . ومعاطاة الندمان . ونبذت الصنائع وجهل قدر المعروف . وماتت الخواطر . وسقطت همم النفوس . وزهد في لسان الصدق وعقد الملكوت . فابعد غايات كاتبنا في كتابته . ان يكون حسن الخط . قويم الحروف . واعلى منازل اديبنا ان يقول من الشعر ابياتاً في مدح قينة او وصف كاس . وارفع درجات لطيفنا . ان يطالع شيئاً من تقويم الكواكب . وينظر في شيء من القضاء وحدّ المنطق . ثم يعترض على كتاب الله بالطعن وهو لا يعرف معناه . وعلى حديث رسول الله صلى

الله عليه وسلم بالتكذيب وهو لا يدري من نقله .. الخ »

وتكاثر دعاة الانشاء في ذلك العصر عن غير معرفة وتوهموا انه يحلو بالاكثار من اللفظ الغريب فانحى عليهم ابن قتيبة باللائمة . واتى مثلاً على ذلك بقول يحيى بن يعمر لرجل خاصمته امرأته فقال له « ان سألتك ثمن شكرها وشبرك انشأت تطلها وتضهلها » وكقول عيسى بن عمر ويوسف بن عمر بن هبيرة يضربه بالسياط « والله ان كانت الا اثياباً في أسيفاط قبضها عشاروك » قال ابن قتيبة « فهذا واشباهه كان يستثقل والادب غض . والزمان زمان . واهله يتحلون فيه بالفصاحة . ويتنافسون في العلم . ويرونه تلو المقدار في درك ما يطلبون وباوغ ما يؤملون . فكيف به اليوم مع انقلاب الحال ؟ »

والمشهور ان عمدة كتب الادب والانشاء ادب الكاتب لابن قتيبة والكامل للمبرد والبيان والتبيين للجاحظ والنوادر لابي علي القالي . ونزيد عليها العقد الفريد لابن عبد ربه والاغاني لابي الفرج الاصفهاني . واذا اريد الانشاء خاصة فكليلة ودمنة وسائر كتب ابن المقفع . وكلها مطبوع

ذلك كان شأن الانشاء في العصر العباسي الثاني واكثر ادبائه من المنشئين . وسيخطو خطوة أخرى في العصر الآتي

النحو والنحاة

في العصر العباسي الثاني

قد تقدم ان ادباء هذا العصر يجوز عدّهم من النحاة لانهم اشتغلوا في النحو وانما جعلنا اكثرهم من الادباء واللغويين لانهم اكتفوا من النحو بكتاب سيبويه ولم يتصدوا لتأليف كتاب يقوم مقامه . فانصرفت قرائحهم الى ما دعت اليه المدنية من الاشتغال في الادب واللغة واصبح تأليفهم في النحو من قبيل الكماليات . وان كان قد الف بعضهم فيه بين مختصر فيه او في بعض ابوابه او تعليقاً على كتاب سيبويه — فان اصحاب هذه المختصرات او التعليقات وغيرهم من الادباء صرفوا عنايتهم الى الادب واللغة

على ان بعضهم غلب عليه الاشتغال في النحو فنتكلم عنهم في هذا الباب ونذكر ما وصل الينا من مؤلفاتهم وهم :

اشهر النحاة في هذا العصر

١ — ابو عثمان المازِني

توفي سنة ٢٤٩ هـ

هو ابو عثمان بكر بن محمد بن بقية المازني من اهل البصرة . أخذ عن ابي عبيدة والاصمعي واليه انتهى النحو في عصره فكان هو شيخ اهله . وله مؤلفات كثيرة في النحو والعروض لم يصلنا منها شيء . وهو الذي امتنع عن تعليم الذمي كتاب سيبويه مع ما بذله لهُ من المال لئلا يمكّنه مما حواه من الآيات . وقد عاصر الواثق بالله والمتوكل على الله وجالسهما ونال جوائزهما ومن جملتها جائزة على اعراب « اظلوم ان مصابكم رجلاً * اهدى السلام تحية ظلم » في حديث طويل . وكان المازني معاصراً لابي عمر الجرمي المتوفى سنة ٢٢٥ هـ وهما عمدة النحو في البصرة يومئذ . والمازني اول من دون علم التصريف وكان قبل ذلك مندرجاً في علم النحو

وترجمته في ابن خلكان ٩٢ ج ١ ومعجم الادباء ٣٨٠ ج ٢ وطبقات الادباء ٢٤٢

٢ — ابو العباس ثَعْلَب

توفي سنة ٢٩١ هـ

هو ابو العباس احمد بن زيد بن سيار النحوي مولى بني شيبان ويعرف بثعلب ولد سنة ٢٠٠ هـ وتلقى العلم على ابن الاعرابي . وكان حجة مشهوراً بالحفظ وصدق اللهجة والمعرفة بالعربية ورواية الشعر القديم . فضلاً عن النحو واللغة . وكان امام الكوفيين والبصريين في زمانه اقام في بغداد وتوفي فيها سنة ٢٩١ هـ والف في اكثر فنون الادب نحو ٢٢ كتاباً ذهب معظمها واليك ما وصل الينا خبره منها :

١ كتاب الفصيح : ويعرف بفصيح ثعلب اختار فيه الفصيح من كلام العرب مما يجري في كلام الناس طبع ليبسك سنة ١٨٧٦ في نحو ٧٠ صفحة . وقد الف انتقاداً عليه ابو القاسم علي بن حمزة البصري سماه كتاب التنبيه على ما في الفصيح من الغلط . منه نسخة خطية في الاسكوريال . وللشيخ ابي سهل الهروي شرح على الفصيح سماه التلويح في شرح الفصيح طبع بمصر سنة ١٢٨٩ ومعه ذيل على الفصيح لموفق الدين البغدادي المتوفى سنة ٦٢٩ وشرحه ايضاً ابو العباس الترمذي شرحاً سماه شرح غريب

الفصيح منه نسخة خطية في مكتبة نور عثمانية بالاستانة . وقد كتب الزجاج نقداً عليه منه نسخة في كتب الشنقيطي بالمكتبة الخديوية

٢ كتاب قواعد الشعر : جاء في اوله ان قواعد الشعر اربع امرٌ ونهيٌ وخبر واستخبارٌ واتى بامثلة عليها من اقوال الشعراء الفحول . منه نسخة خطية في الفاتيكان وقد طبع في ليدن سنة ١٨٩٠ في ٤٢ صفحة

٣ شرح ديوان زهير : منه نسخة خطية في مكتبة الاسكوريال

٤ « « الاعشى : في تلك المكتبة ايضاً

٥ كتاب الامالي : ذكره صاحب المزهر وخزانة الادب. منه نسخة خطية في مكتبة برلين . وفي المكتبة الخديوية نسخة منه باسم مجالس ثعلب في ١٣٢ ورقة

اخباره في ابن خلكان ٣٠ ج ١ وطبقات الادباء ٢٩٣ ومعجم الادباء ١٣٣ ج ٢ والفهرست ٧٤

٣ — ابو اسحق الزَّجَّاج

توفي سنة ٣١١ هـ

هو ابو اسحق ابراهيم بن السري بن سهل الزجاج. سمي بذلك لانه كان يخرط الزجاج . تلقى العلم على المبرد وكان يدفع له الاجرة بمشقة لقلة ذات يده . ثم طلب بعضهم معلماً من المبرد فدلهم عليه وصار مؤدباً للقاسم بن عبيد الله بن سليمان فكان ذلك سبب غناه . وله مؤلفات كثيرة هاك ما بقي منها :

١ كتاب سر النحو : منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية بخط قديم جدًّا تشتمل على باب ما ينصرف وما لا ينصرف . وفي آخره ما نصه « قرأه علي ابو جعفر احمد بن محمد بن مسمار في صفر سنة ٣٥١ الخ .. » ولم يرد ذكر هذا الكتاب بين مؤلفات الزجاج في الفهرست

٢ كتاب الابانة والتفهيم عن معنى بسم الله الرحمن الرحيم : منه نسخة في غوطا

٣ « خلق الانسان في اللغة : وفيه اسماء اعضاء الانسان ومنه نسخ خطية في المتحف البريطاني وفي المكتبة الخديوية

٤ كتاب معاني القرآن : منه نسخ في نور عثمانية بالاستانة وفي المكتبة الخديوية

وتجد اخبار الزجاج في ابن خلكان ١١ ج ١ ومعجم الادباء ٤٧ ج ١ وطبقات الادباء ٣٠٨ والفهرست ٦٠

٤ — ابن الأَنْبَاري

توفي سنة ٣٢٨ هـ

هو ابو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الانباري من اهل الأنبار . وهو غير كمال الدين الانباري المتوفى سنة ٥٧٧ هـ . كان ابوه ابو محمد الانباري من اهل الاخبار والنحو فتلقى ابنه العلم عنه وعن ثعلب . وكان يضرب به المثل بسرعة الخاطر وحضور البديهة . وكان قوي الذاكرة يملي علمه مما حفظه في ناحية وابوه في ناحية اخرى من المسجد في بغداد . وكان ابن الانباري يحفظ ٣٠٠٠٠٠ بيت شعر وشاهد في القرآن . وقيل كان يحفظ ١٢٠ تفسيراً للقرآن باسانيدها وذلك من غرائب الحفظ . والف في النحو واللغة والادب والقرآن والحديث . وكان يطيل التأليف فمن كتبه كتاب غريب الحديث قالوا انه ٤٥٠٠٠ ورقة وشرح الكافي ١٠٠٠ ورقة وقس عليهما . واليك ما وصلنا من كتبه :

١ كتاب الاضداد فى النحو : طبع في ليدن سنة ١٨٨١ وفي مصر سنة ١٩٠٧

٢ » الزاهر : في معاني كلمات الناس . منه نسخة خطية في مكتبة كوبرلي بالاستانة وسيأتي ذكره في كلامنا عن الزاهر للزجاجي

٣ شرح المفضليات : منه نسخ خطية في ايا صوفيا وبني جامع والمكتبة الخديوية

٤ كتاب الايضاح في الوقف والابتداء : منه نسخة فى المتحف البريطاني وكوبرلي

٥ كتاب الهاءات في كتاب الله : منه نسخة في باريس

وترجمته في ابن خلكان ٥٠٣ ج ١ والفهرست ٧٥

٥ — ابن وَلاَّد

توفي سنة ٣٣٢ هـ

هو من تلاميذ الزجَّاج واسمه ابوالعباس احمد بن محمد بن ولاَّد من اهل مصر . وقد توفي فيها . وخلف كتاباً فى النحو اسمه المقصور والممدود منه نسخ خطية في برلين وباريس وقد طبع بمصر سنة ١٩٠٨ وهو جزيل الفائدة مرتب على حروف الهجاء

٦ — ابو جعفر النحَّاس

توفي سنة ٣٣٨ هـ

هو احمد بن محمد بن اسماعيل النحاس من تلاميذ الزجاج . وقد يسمى الصفار . وهو غير ابن النحاس النحوي المتوفى سنة ٦٩٨ هـ . اصله من مصر ورحل الى بغداد

فاخذ عن المبرد والاخفش والزجاج وغيرهم ثم عاد الى مصر فاقام بها حتى مات . وكان صاحب فضل كثير وعلم واسع وخلف مؤلفات كثيرة فى اللغة والادب والقرآن لم يصلنا منها الا :

١ شرح المعلقات السبع : منها نسخة خطية في المكتبة الخديوية

٢ كتاب اعراب القرآن : منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية بخط جميل في ٢٧٧ ورقة كبيرة الحجم

٣ كتاب معاني القرآن : منه الجزء الأول فيها ايضاً

٤ ناسخ القرآن ومنسوخه : في المتحف البريطاني

وتجد ترجمة النحاس في معجم الادباء ٧٢ ج ٢ وابن خلكان ٢٩ ج ١ وطبقات الادباء ٣٦٣

٧ — ابو القَاسِم الزَّجَّاجي

توفي سنة ٣٣٩ هـ

هو عبدالرحمن بن اسحق الزجاجي من افاضل النحاة من اهل نهاوند . اخذ عن الزجاج فنسب اليه . وتولى التعليم في دمشق وطبرية ومات فيها ولم يذكر له الفهرست الا كتاباً فى القوافي لم نقف عليه . وقد وصل الينا مما ينسب اليه :

١ كتاب الجمل في النحو : هو اهم مؤلفاته منه نسخ خطية في اكثر مكاتب أوربا . وله شروح منها شرح ابن العريف منه نسخة في المكتبة الخديوية . وقد شرحه البطليوسي وانتقده هو وغيره . ومنها شرح لابن الضائع منه نسخة في المكتبة الخديوية قديمة الخط

٢ الزاهر : جمع فيه الفاظ الزاهر للانباري المتقدم ذكره والفاخر للمفضل ابن سلمة الآتي ذكره مع تنقيح وتهذيب . منه نسخة خطية بالمكتبة الخديوية في ١٧٩ ورقة

٣ الامالي في اللغة : طبع بمصر سنة ١٣٢٤

وترجمته في ابن خلكان ٢٧٨ ج ١ وطبقات الادباء ٣٧٩ والفهرست ٨٠

وهناك طائفة من النحاة نبغوا في هذا العصر اغضينا عن تراجمهم لانهم لم يصلنا من كتبهم ما يستحق الذكر كابن الحائل وابي عمرو الزاهد والحامض واليزيدي وابن السراج ونفطويه والمنذري والاخفش الاصغر وابن المرزبان وعمر الجرمي وغيرهم

مذاهب البصريين والكوفيين

في النحو

وفي هذا العصر وما بعده احتدم الجدال بين البصريين والكوفيين في قواعد النحو واختلفوا في كثير من احكامه وشروطه . وقد الف في ذلك الاختلاف كثيرون اشهرهم كمال الدين الانباري المتوفى سنة ٥٧٧ هـ الف كتاباً في « الانصاف في مسائل الخلاف » وابو البقاء العكبري الف كتاب « التبيين في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين » وقد لخص جلال الدين السيوطي ذلك عن هذين الكتابين في الجزء الثاني من كتابه الاشباه والنظائر . وهو مطبوع في حيدر اباد الهند سنة ١٣١٧ هـ في اربعة مجلدات . وبلغ ما جمعه من مسائل الخلاف فيه مئة مسئلة ومسألتين — هذه امثلة منها :

عند البصريين	عند الكوفيين
الاسم مشتق من السمو	الاسم مشتق من الوسم
الاسماء الستة معربة في مكان واحد	معربة في مكانين
الفعل مشتق من المصدر	المصدر مشتق من الفعل
الاسم المنتهي بتاء التأنيث كطلحة لايجمع بالواو والنون	يجمع
فعل الامر مبني	معرب
المبتدا مرتفع بالابتداء	المبتدا يرفعه الخبر
الخبر اذا كان اسماً مختصاً لايتضمن ضميراً	يتضمن
يجوز تقديم الخبر على المبتدا	لا يجوز
لايقام مقام الفاعل الظرف والمجرور مع وجود المنقول	يقام
نعم وبؤس فعلان مبنيان	اسمان
لا يبنى فعل التعجب من الالوان	يبنى من السواد والبياض
يجوز تقديم خبر ليس عليها	لا يجوز
لا يجوز دخول نون التوكيد على خبر لكن	يجوز
لا يجوز تقديم الاستثناء في اول الكلام	يجوز
يقال قبضت الخمسة عشر درهماً ولا يقال الخمسة العشر درهماً	يجوز

اللغة واللغويون

في العصر العباسي الثاني

وقد يُعدُّ لغويو هذا العصر ايضاً من النحاة او الادباء لكننا افردناهم لاشتغالهم على الاكثر في اللغة . نعني الالفاظ من قبيل المعاجم او ما هو في سبيلها . ويقال بالاجمال ان المعاجم اللغوية لم تنضج الا في العصر الاتي . على ان علماء هذا العصر مهدوا السبيل لذلك اكثر ممن تقدمهم من اهل العصور السابقة . فالف بعضهم كتباً تشبه المعاجم كما سترى في تراجمهم وآثارهم وهم :

١ — ابو عمرو الهروي

توفي سنة ٢٥٥ هـ

هو ابو عمرو شمر بن حمدوية الهروي كان ثقة عالماً حافظاً للغريب راوية للاشعار والاخبار . ولم يصلنا من كتبه شيء وانما ذكرناه لانه الف معجماً في اللغة بدا فيه بحرف الجيم على ترتيب الخليل لم يسبقه احد الى مثله . ولكنه ضاع ولم يبق الا خبره وقد ذكره صاحب طبقات الادباء (صفحة ٢٦٠) في ترجمة المؤلف

٢ — ابو حاتم السِجِسْتاني

توفي سنة ٢٥٥ هـ

هو ابو حاتم سهل بن محمد السجستاني كان عالماً باللغة والشعر . اخذ عن ابي زيد وابي عبيدة والاصمعي ولم يكن حاذقاً في النحو لكنه كان كثير التأليف للكتب . ذكر له صاحب الفهرست ٣٢ مؤلفاً اكثرها في اللغة من باب المعاني المجتمعة في اصل مشترك تدخل في باب واحد ككتاب الحشرات وكتاب خلق الانسان وكتب الوحوش والسيوف والابل والجراد والكرم ونحوها . وليست هي من قبيل وصف هذه الموجودات الطبيعي اوالطبي او الزراعي وانما يراد بها الوجهة اللغوية لتمييز المسميات باسمائها — واليك ما وصل الينا من كتبه :

١ كتاب المعمرين : هو من كتب التاريخ فيه تراجم الذين عمروا من الرجال في الجاهلية مع طرف مما قالوه في منتهى اعمارهم . وبلغ عددهم مئة وعشرة رجال في

جلتهم طائفة من الشعراء كعبيد بن الابرص ولبيد وعمرو بن قميئة وجماعة من السادة والفرسان كاكثم بن صيفي وعامر بن الظرب ودريد بن الصمة وزهير بن جناب وغيرهم . والكتاب رواية ابي روق الهمداني . لم يذكره صاحب الفهرست بين مؤلفات السجستاني . طبع في ليدن سنة ١٨٩٩ بعناية المستشرق غولتزير في ٢٨١ صفحة منها ١٠٣ صفحات للاصل والباقي للمقدمة والتعاليق . وطبع ايضاً بمصر سنة ١٩٠٥

٢ كتاب النخلة : طبع في بالرمو بايطاليا سنة ١٨٣٧ وفي رومية سنة ١٨٩١ ومنه نسخة خطية في المكتبة الخديوية

وتجد ترجمة ابي حاتم السجستاني في طبقات الادباء ٢٥١ والفهرست ٥٨ وابن خلكان ٢١٨ ج ١

٣ — ابو العباس المُبَرِّد

توفي سنة ٢٨٥ هـ

هو ابو العباس محمد بن يزيد بن عبد الاكبر الثمالي نسبة الى ثمالة قبيلة من الازد ويعرف بالمبرد ولد سنة ٢١٠ هـ في البصرة وانتقل الى بغداد وكان شيخ اهل النحو والعربية . واليه انتهى علمهما بعد طبقة عمر الجرمي وابي عثمان المازني . واخذ النحو عنهما وعن غيرهما

وكان قوي الذاكرة كثير الحفظ معاصراً لثعلب المتقدم ذكره . وجرت بينهما منازعات ومعارضات . وبهما ختم تاريخ الادباء [1] وكان المبرّد يحب الاجتماع بثعلب وهذا يكره ذلك لان المبرد كان حسن العبارة فصيح اللسان وثعلب مذهبه مذهب المعلمين فاذا اجتمعا في محفل حُكم للمبرّد . وكان المبرد كثير الامالي يملي علمه على الطلبة او على من يدوّنه — ومنها سميت الامالي . وقد ذكره صاحب الفهرست ٤٤ مؤلفاً في الادب واللغة والنحو والعروض والبلاغة والقرآن وغير ذلك وهاك ما وصلنا منها :

١ الكامل : هو كتاب في الادب وصفهُ المبرد بقوله « هذا كتاب الفناء يجمع ضروباً من الاداب بين منثور ومنظوم وشعر ومثل سائر وموعظة بالغة واختيار خطبة شريفة ورسالة بليغة . والنية ان يفسر كل ما يقع فيه من كلام غريب او

(١) ابن خلكان ٤٩٠ ج ١

معنى مغلق » فهو يعدُّ من كتب اللغة الممهدة للمعاجم . وفيه كثير من الفوائد التاريخية . اهمها فصل في الخوارج يحوي حقائق هامة من تاريخ بني امية . وقد طبع الكامل في ليبسك سنة ١٨٦٤ وفي الاستانة سنة ١٢٨٦ هـ وفي مصر سنة ١٣٠٨

٢ كتاب المقتضب : عليه شرح لسعد الله الفارقي المتوفى سنة ٣٩١ هـ منه نسخة خطية في مكتبة الاسكوريال

٣ كتاب التعازي والمراثي : منه نسخة خطية في الاسكوريال

٤ رسالة في الجواب على سؤال وجهه اليه الواثق بشأن الشعر والنثر . منه نسخة خطية في مكتبة مونيخ واخرى في برلين

وترجمته في ابن خلكان ٤٩٥ ج ١ وطبقات الادباء ٢٧٩ والفهرست ٥٩

٤ — المُفَضَّل بن سَلَمَة

في اواخر القرن الثالث

هو ابو طالب المفضل بن سلمة بن عاصم اللغوي . وكثيراً ما يقع الالتباس بينه وبين المفضل بن محمد الضبي الاديب المتقدم ذكره . ولعل السبب في ذلك ما يجدونه في ترجمة ابنه محمد في ابن خلكان اذ زاد في نسبه هناك لفظ « الضبي » ونظن ذلك سهواً من ابن خلكان أو من النساخ . لان نسبه في الفهرست وفي طبقات الادباء ليس فيه لفظ « الضبي » ويؤيد ذلك ان ابن خلكان لم يترجم المفضل الضبي الاديب . ووقع في ما نقله ابن خلكان من ترجمة المفضل بن سلمة تشويشٌ في اسماء مؤلفاته فجاء اسم كتاب الفاخر « المفاخر » وكتاب البارع « التاريخ » وهو خطأ في النسخ اوالطبع . والمفضل بن سلمة من لغوي العصر العباسي الثاني على مذهب اهل الكوفة . وقد استدرك على الخليل وخطأه في كتابه . وذكره صاحب الفهرست نحو عشرين مؤلفاً لم يصلنا منها الا :

١ كتاب الفاخر : في اللغة وموضوعه معاني ما يجري على السنة العامة في امثالهم ومحاوراتهم من كلام العرب وهم لا يدرون معناه . فيأتي بالمثل ويشرحه نحو ما في كتاب مجمع الامثال للميداني . منه نسخة في كتب الشنقيطي بالمكتبة الخديوية في ١٤٦ صفحة كبيرة . ونسخة أخرى من جملة كتب زكي باشا في ١٣٥ ورقة

٢ كتاب العود والملاهي : في آلات الطرب وهل تعاطيها يخالف التقوى . وهو يرى انه جائز واتى بالادلة على ذلك . منها نسخة في جملة كتب زكي باشا

وترجمة المفضل في الفهرست ٧٣ وطبقات الادباء ٢٦٥ وابن خلكان ٤٦٠ ج ١

٥ - ابن دُرَيد

توفي سنة ٣٢١ هـ

هو ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدي . ولد في البصرة سنة ٢٢٣ ونشأ وتعلم فيها . واخذ النحو عن السجستاني والرياشي وابن اخي الاصمعي . وانتقل عند ظهور الزنج الى عمان اقام فيها ١٢ سنة وعاد الى البصرة . ثم رحل الى نواحي فارس وصحب ابني ميكال وهما يومئذ على عمالة فارس والف لهما كتاب الجمهرة الآتي ذكره . فقلداه الديوان وكانت تصدر كتب فارس عن رأيه ولا ينفذ امرٌ الا بعد توقيعه . ثم انتقل الى بغداد سنة ٣٠٨ هـ بعد عزل ابني ميكال عن فارس . فاجرى عليه الخليفة المقتدر خمسين ديناراً في الشهر الى وفاته سنة ٣٢١

وقد نبغ ابن دريد في اللغة وكان من اكابرها مقدماً بها وبالانساب والاشعار . وكان شاعراً كثير الشعر وله المقصورة المشهورة التي مدح بها الشاه ابن ميكال وولديه مطلعها :

اما ترى رأسيَ حاكى لونه طرة صبح تحت اذيال الدجى
واشتعل المبيضُّ في مسوده مثل اشتعال النار في جزل الغضى

عدد ابياتها ٢٢٩ بيتاً وفيها كثير من آداب العرب واخبارهم وحكمهم وامثالهم

وعارضه بها جماعة من الشعراء وشرحها كثيرون . وله قصائد اخرى وانما اخترنا وضعه بين علماء اللغة لان اكثر كتبه فيها حتى قالوا انه قام مقام الخليل بن احمد فيها واورد اشياء منها لم توجد في كتب المتقدمين . وقد ذكر له صاحب الفهرست ١٩ مؤلفاً هاك ما بلغنا خبره منها :

١ المقصورة : او كتاب المقصور والممدود قد تقدم ذكرها . طبعت مع ترجمة وشرح باللاتينية في فرانكيري سنة ١٧٧٣ وفي هردوفيكي سنة ١٧٨٦ وفي غيرهما . ومنها نسخ خطية وشروح في معظم مكاتب اوربا اهمها شرح ابن خالويه المتوفى سنة ٣٧٠ هـ وابن هشام اللخمي السبتي . وفي المكتبة الخديوية شرح المقصورة خطاً للسيد عبد القادر بن مكرم المتوفى سنة ١٠٣٣ هـ واسمها الآيات المقصورات . وفي مكاتب اوربا وغيرها نسخ خطية من اشعاره الاخرى

٢ الجمهرة في اللغة : وهي اهم مؤلفاته بالنظر الى اللغة لانها معجم مرتب على احرف الهجاء اتبع في ترتيبه ترتيب كتاب العين للخليل . فبدا بالثنائي ثم

الثلاثي فالرباعي فلحق الرباعي فالخماسي والسداسي وملحقاتهما . وجمع الالفاظ النادرة في باب مفرد . ورتب كل طائفة من تلك الالفاظ على ابجدية الخليل . وطريقة التفتيش فيه غير مألوفة عندنا فانه يأتي في باب الثلاثي مثلاً في فصل العين بالاحرف الثلاثة التي اولها عين مثل « ع ل ن » ويأتي بمعانيها على اختلاف وضع احرفها . فيقول « علن الامر يعلنه علناً ... واللعن اصله الابعاد .. والنعل معروف .. ونعل الفرس ما اصاب الارض من حافره الخ » . وقد سماه الجمهرة لانه اختار فيه الجمهور من كلام العرب . ومنها نسخ خطية في مكاتب لندن وباريس وكوبرلي وبني جامع ونور عثمانية وايا صوفيا بالاستانة . ونسخة ناقصة في المكتبة الخديوية

٣ كتاب الاشتقاق : في اسماء القبائل والعمائر وافخاذها وبطونها وساداتها وشعرائها وفرسانها على شكل المعاجم . وفيه فوائد لغوية . طبع في غوتنجن سنة ١٨٥٤

٤ كتاب صفة السرج واللجام : طبع في ليدن سنة ١٨٥٩

٥ « كتاب الملاحن : طبع في هيدلبرج سنة ١٨٨٢ وفي مصر قريباً

٦ « المجتبى : فيه اقوال النبي موجود في المتحف البريطاني وا كسفورد

٧ « السحاب والغيث واخبار الرواد : طبع في ليدن مع كتاب السرج واللجام

واخباره في ابن خلكان ٤٩٧ ج ١ وطبقات الادباء ٣٢٢ والفهرست ٦١

٦ — عبد الرحمن الهمذاني

توفي سنة ٣٢٧ هـ

هو عبد الرحمن بن عيسى بن حماد الهمذاني كان اماماً في اللغة والنحو وكاتباً لبكر بن عبد العزيز بن ابي دلف العجلي . له مؤلفات جزيلة الفائدة لم يصلنا منها الا :

كتاب الالفاظ الكتابية : وهو مما يستعان به في تمييق العبارة وضبط معناها لاحتوائه على مترادفات من الجمل الفصيحة كل منها مجموع في باب خاص من قبيل فقه اللغة ولكنه سابق له . وقد طبع الكتاب في بيروت سنة ١٨٨٥ وفي غيرها

ومن كتب اللغة في هذا العصر كتاب المنجد لابي الحسن الهنائي المعروف بكراع في اوائل القرن الرابع للهجرة رتبه على ستة ابواب في اعضاء البدن واصناف الحيوان والطيور والسلاح والارض منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية . وكتاب المنضد له ايضاً مرتب على الهجاء في المتحف البريطاني

التاريخ والمؤرخون

في العصر العباسي الثاني

قد رايت في كلامنا عن التاريخ في العصر الماضي ان الحاجة دعت يومئذ الى وضع السيرة النبوية والانساب واخبار الفتوح والطبقات وذكرنا اشهر من الف فيها. ويمتاز هذا العصر بكتابة التاريخ العام الشامل لاخبار القدماء والمحدثين مما لم يتعرض له اهل العصر الماضي. وانما عمد اهل هذا العصر الى التأليف فيه بعد ان اطلعوا على ما نقل من نوعه الى العربية من كتب الفرس [1] وبعد اتساع معارف القوم على اثر ترجمة كتب العلم القديمة عن اهم الامم. وقد تقررت احكام الشرع فلم تبق حاجة الى الخوض في الفتوح واسبابها فاقتصروا على تلخيص اخباها وتبويبها وتحقيقها وضبطها. وضعفت العصبية العربية لتسلط الاتراك وغيرهم واستقرت الانساب. فلم تبق حاجة الى الخوض في النسب وعلومه. وشاعت عصبية الوطن بعد ذهاب عصبية النسب على اثر المنافسات بين البصرة والكوفة وبغداد والشام فاتجهت الافكار الى تأليف الكتب الخاصة في احوال المدن واحوال الامم

وهناك ضرب من التاريخ تخلّف عن علم الادب او تفرع عنه نعني اخبار العرب وايامهم واشعارهم وشعرائهم وسائر احوالهم. فهذه كانت داخلة في علم الادب لعلاقتها باللغة والشعر. فلما اتسعت معارف الناس وتولدت العلوم اللسانية بالتفرع عن الادب كما تقدم كان من جملة فروعه ما تخلف عن الاخبار التي كانوا يأتون بها لاثبات معنى كلمة او تعبير او شعر او نحو ذلك. وتوسعوا فيه فصار تاريخاً لكنه قاصر على اخبار العرب وبلادهم. وكتاب هذا التاريخ يجوز ادخالهم في جملة علماء الادب كالاصمعي وابي عبيدة وانما جعلناهم في جملة المؤرخين لبيان عمل ناموس الارتقاء في التفرع والتنوع

فالمؤرخون في هذا العصر ينقسمون الى اربعة اقسام ١ مؤرخو الفتوح ٢ اخبار العرب واحوالهم وشعرائهم والانساب والطبقات وغيرها ٣ تاريخ البلدان والامم اي تاريخ كل بلد او امة على حدة — او التاريخ الخاص ٤ التاريخ العام واليك اشهر من الف في كل قسم من هذه الاقسام على هذا الترتيب حسب سنة الوفاة:

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ١٥٦ ج ٣

اولاً — مؤرخو الفتوح

في هذا العصر ختم تاريخ الفتح الاسلامي لذهاب الحاجة اليه بالفراغ من الفتوح الا ما كتبوه في فتح بعض المدن او الممالك بعدئذ كفتح بيت المقدس ونحوه او نقل ما مضى. وهاك اشهر مؤرخي الفتوح فيه:

١ — ابن عبد الحكم

توفي سنة ٢٥٧ هـ

هو آخر من دون الفتوح الاسلامية الخاصة في صدر الاسلام. واسمه عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم من اهل مصر. كان ابوه المتوفى سنة ٢١٤ فقيهاً من اصحاب مالك وافضت اليه رئاسة المالكية وكان غنياً وجيهاً. وفي ايامه اتى الامام الشافعي الى مصر فدفع اليه الف دينار واخذ له من ابن عسامة التاجر. الف دينار ومن رجلين اخرين الف دينار. وكان لعبد الله هذا ولدان محمد صحب الامام الشافعي. والاخر عبد الرحمن الذي نحن في صدده وله مؤلف واحد كبير اسمه « فتوح مصر والمغرب والاندلس » منه نسخة خطية في مكتبة باريس. وقد نشرت منه قطعة عن فتح افريقة طبعت في غوتنجن سنة ١٨٥٦ وقطعة اخرى عن فتح الاندلس طبعت في لندن سنة ١٨٥٨ مع ترجمة انكليزية. وهو تحت الطبع كله الآن بادارة لجنة تذكار جيب الانكليزية في لندن. واخباره في ابن خلكان ٢٤٨ ج ١

٢ — البَلاذُري

توفي سنة ٢٧٩ هـ

اسمه ابو جعفر احمد بن يحيى بن جابر البلاذري. وهو خاتمة مؤرخي الفتح ولد في اواخر القرن الثاني للهجرة ونشأ في بغداد وتقرب من المتوكل والمستعين والمعتز. وعهد اليه هذا بتثقيف ابنه عبد الله الشاعر المشهور. وكان شاعراً وكاتباً ومترجماً ينقل من الفارسية الى العربية. ومن شعره بيتان مدح بهما المستعين هما:

ولو ان برد المصطفى اذ حويته ... يظنُّ لظنِّ البرد انك صاحبُهْ
وقال وقد اعطيته فلبسته ... نعم هذه اعطافه ومناكبه

وذكر صاحب الفهرست انه وسوس في آخر ايامه فأخذ الى البيمارستان لانه شرب تمر البلاذر على غير معرفة ومنه اسمه . ومات على الاغلب سنة ٢٧٩ اول ايام المعتضد وله مؤلفات اهمها :

١ فتوح البلدان : هو اشهر كتبه ويظهر انه مختصر من كتاب اطول منه كان قد اخذ في تأليفه وسماه « كتاب البلدان الكبير » لم يتمه فاكتفى بهذا المختصر . وهو يدخل في ٥٠٠ صفحة ذكر فيها اخبار الفتوح الاسلامية من ايام النبي الى آخرها بلداً بلداً لم يفرط في شيء منها مع التحقيق اللازم واعتدال الخطة . وضمنه فضلاً عن الفتوح ابحاثاً عمرانية او سياسية يندر العثور عليها في كتب التاريخ كاحكام الخراج أوالعطاء وامر الخاتم والنقود والخط ونحو ذلك . وقد طبع الكتاب في ليدن سنة ١٨٧٠ بعناية المستشرق دي غويه . ونشرته في مصر شركة طبع الكتب العربية سنة ١٩٠١ وهو اجمع كتب الفتوح واصحها

٢ انساب الاشراف : ويسمى ايضاً الاخبار والانساب وهو مطول في ٢٠ مجلداً لم يتم . وكان ضائعاً فعثر المستشرق الالماني اهلوارت في مكتبة شيفر المستشرق على الجزء الحادي عشر من كتاب في التاريخ ليس عليه اسمٌ فرجح انه من اجزاء كتاب البلاذري الذي نحن في صدده . فطبعه في غريزوالد سنة ١٨٨٣ على الحجر بخطه في ٤٥٠ صفحة . وفيه كثيرمن اخبار بني امية في زمن عبد الملك والوليد . ويدخل في ذلك تفاصيل وقائع مصعب بن الزبير واخيه عبد الله واخبار الخوارج

وترجمة البلاذري في الفهرست ١١٣ وفي صدر طبعة فتوح البلدان

ثانياً — مؤرخو جزيرة العرب

يدخل في هذا الباب من انصرف من الرواة والادباء الى التاريخ فكتب فيه. والغالب في هؤلاء ان يكون ما يكتبونه قاصراً على اخبار العرب وايامهم وقبائلهم وسائر احوالهم ويدخل في ذلك ايضاً انساب العرب . لان الانساب بعد ذهاب دولة العرب وتغيروجه العطاء على القبائل لم يبق لها شان سياسي حيوي . وبعد ان كان ثبوت نسب الرجل في قبيلة يدرُّ عليه المال اصبح قاصراً على التفاخر بالاجداد . فصارت الكتابة فيه من قبيل العلم ولم ينقطع له كاتب كما حدث في اوائل الدولة فاصبح من جملة اخبار العرب . ويدخل في هذا الباب ايضاً اخبار القبائل وحروبها وايامها وتراجم المشاهير من الشعراء والنحاة او ما يتألف من ذلك كالطبقات ونحوها وهاك أشهرهم :

١ — محمد بن حبيب

توفي سنة ٢٤٥ هـ

هو ابو جعفر محمد بن حبيب بن امية مولى بني العباس . كان من علماء بغداد بالانساب والاخبار واللغة والشعر والقبائل . روى عن ابن الاعرابي وقطرب وابي عبيده وكان مؤدّباً . وقد الف كتباً كثيرة ذكر منها ابن النديم ٣٣ كتاباً في الامثال والقبائل والانساب والتاريخ واللغة وهاك ما بلغنا خبره منها :

١ كتاب القبائل والايام الكبير : هو اهم كتبه الفه للفتح بن خاقان وقد رآه ابن النديم صاحب الفهرست وقال في وصفه « رايت النسخة بعينها عند ابي القاسم ابن ابي الخطاب بن الفرات في طلحي نيف وعشرين جزءاً وكانت تنقص تدل على انها نحو من اربعين جزءاً في كل جزء ٢٠٠ ورقة واكثر . ولهذه النسخة فهرست لما يحتوي عليه من القبائل والايام بخط التستري بن علي الوراق في طلحي نحو ١٥ ورقة » لكن هذا الكتاب فقد وانما ذكرناه لاهميته لعل احداً يعرف وجود شيء منه في بعض المكاتب

٢ مختلف القبائل ومؤتلفها : او المؤتلف والمختلف في النسب . الغرض منه بيان اسماء القبائل المتشابهة لفظاً المختلفة نسباً وضبط لفظها جيداً . وهو جزيل الفائدة مع صغره . طبعه ووستنفيلد في غوتنجن سنة ١٨٥٠

٣ كتاب من نسب الى امه من الشعراء : لم يذكره صاحب الفهرست بهذا الاسم . منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية رواية عثمان بن جني

٤ كتاب المحبر : وهو يشتمل على خلاصات تاريخية عن النبي والصحابة والخلفاء منه نسخة خطية في المتحف البريطاني

٤ كتاب المغتالين : منه نسخة خطية في جملة كتب زكي باشا . ويسمى ايضاً كتاب من قتل غيلة . وترجمة محمد بن حبيب في الفهرست ١٠٦

٢ — الزُّبَيْر بن بَكَّار

توفي سنة ٢٥٦ هـ

هو ابو عبد الله الزبير بن بكار ويتصل نسبه بعبد الله بن الزبير بن العوام . كان من إعيان العلماء في المدينة ولد سنة ١٧٢ هـ وتولى القضاء في مكة ودخل بغداد مراراً

اخرها سنة ٢٥٣ هـ وتوفي في مكة وهو قاض عليها سنة ٢٥٦ هـ وكان شاعراً اديباً جليل القدر . بعث المتوكل في طلبه لتأديب ولده وامر له بعشرة الاف درهم وعشرة تخوت وعشرة ابغل يحمل عليها رحله الى سر من رأى

ذكر له صاحب الفهرست ٣٣ مؤلفاً في النسب والوفود والنوادر واخبار الشعراء ونحو ذلك — واليك ما وصل الينا منها :

١ كتاب نسب قريش واخبارهم : منه نسخة خطية في مكتبة اكسفورد (بودليان) وفي كوبرلي بالاستانة

٢ الموفقيات : هي قطع تاريخية الفها لتلميذه الموفق بن المتوكل في ١٩ جزءاً لم يصلنا منها الا اربعة اجزاء من ١٦ ـ ١٩ طبعها ووستنفيلد في غوتنجن سنة ١٨٧٨

وترجمة ابن بكار في ابن خلكان ١٨٩ ج ١ والفهرست ١١٠

٣ — عمر بن شبّة

توفي سنة ٢٦٢ هـ

هو ابو زيد عمر بن شبة ويقال له ابن ريطة النُميري لانه كان مولى لبني نمير ولد سنة ١٧٣ هـ ونشأ في البصرة شاعراً اخباريًا راوية صادق اللهجة . وتوفي في سرّ من راي سنة ٢٦٢ هـ وقد الف كتباً كثيرة ذكر منها صاحب الفهرست ٢٢ كتاباً في وصف البصرة والكوفة ومكة وامرائها وغير ذلك ضاعت كلها الا كتاباً وقفنا عليه في المكتبة الخديوية خطأً اسمه « الجمهرة » ينسب اليه ولم يذكر في مؤلفاته بهذا الاسم . وهو يشتمل على اخبار العرب العرباء وشيء من ايامهم واشعارهم وحروبهم قبل الاسلام مع الفرس والروم واليمن واكثر روايته عن ابن نافع وابن اسحق . وهو من قبيل القصص التاوبخية . وسنفرد فصلاً خاصاً بهذا الموضوع في ما يلي من هذا الكتاب

وترجمة ابن شبة في ابن خلكان ٢٧٨ ج ١ والفهرست ١١٢

ويدخل في هذا النوع من التاريخ كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة . وسائر تراجم الشعراء لابن السكري وكتاب المعمرين للسجستاني وقد ذكرت في اماكنها

ثالثاً — التواريخ الخاصة

في العصر العباسي الثاني

ونريد بها تواريخ البلدان والامم والقبائل والطوائف كل منها على حدة كتاريخ دمشق وتاريخ بغداد او قريش او القبط او الروم او نحو ذلك . والتأليف فيها قديم عند العرب حتى قبل الاسلام . فقد ذكر المسعودي ان عدي بن زيد العبادي الف في تاريخ الروم واقتبس المسعودي منه . وقد الف بعضهم في ايام بني امية والف غيرهم في هذا العصر لكن اكثر ما الفوه ضاع كتاريخ مرو لابن سيار وتاريخ البصرة والكوفة لابن شبة وتاريخ واسط لاسلم بن سهل وتاريخ اصفهان ليحيى بن منده وغيرها

وهاك اشهر من وصل الينا شيء من تواريخهم الخاصة الى آخر هذا العصر :

١ — الازرقي

اسمه ابو الوليد محمد بن عبد الله بن احمد الازرقي : له كتاب اخبار ايام مكة . عني بطبعه ووستنفيلد في ليبسك سنة ١٨٥٨ في جملة مجموعة مؤلفة من اربعة اجزاء سماها اخبار مكة استغرق طبعها ٣ سنوات (١٨٥٨ ـ ١٨٦١) اهم ما فيها كتاب الازرقي المذكور . ومقتبسات من تاريخ مكة لمحمد الفاكهي . ومن شفاء الغرام لتقي الدين الفاسي . ومن كتاب الاعلام باعلام بيت الله الحرام للنهرواني وغيرهم . وهي احسن مجموعة في اخبار مكة الى القرن السادس للهجرة

وترجمة الازرقي في الفهرست ١١٢

٢ — ابن طَيفُور

توفي سنة ٢٨٠ هـ

هو ابو الفضل احمد بن ابي طاهر واسم ابي طاهر طيفور اصله من ابناء خراسان من اولاد الدولة . ولد في بغداد وكان مؤدب كتاب عامياً ثم اشتغل بالتأليف واشتهر به ونبغ نبوغاً عظيماً . ذكر له صاحب الفهرست خمسين كتاباً لم يبق منها الا النذر اليسير اهمها :

١ تاريخ بغداد : هو اقدم ما وقفنا عليه من تاريخها . ولكن لم يصلنا منه الا الجزء السادس استخرجه الدكتور كيلر الالماني من مخطوطات لندن وطبعه على الحجر

في ليبسك سنة ١٩٠٨ وعلق عليه الملاحظات مع ترجمة المانية . ويحتوي على تاريخ المأمون من شخوصه الى بغداد سنة ٢٠٤ هـ الى وفاته

٢ كتاب المنثور والمنظوم : هو اختيارات من احسن ما نظم او نُثر في العربية الى عصره في بضعة عشر جزءاً . راينا منها ثلاثة اجزاء في المكتبة الخديوية (١١و١٢و١٣) كل منها نحو الف صفحة كبيرة . ومنها بضعة اجزاء في لندن

٣ بلاغات النساء : طبع في مصر ١٩٠٧

وتجد ترجمة ابن طيفور في معجم الادباء ١٥٢ ج ١ والفهرست ١٤٦

اما الكتب الخاصة بتواريخ الامم فان ابا الحسن المدائني المتوفى سنة ٢٢٥ الف كتباً جمة ذكر ابن النديم عشرات منها وقد ضاعت كما ضاع سواها من امثالها

وكذلك سير الافراد مثل سيرة ابن طولون وابنه خمارويه ليوسف ابن الداية المتوفي سنة ٣٣٤ هـ منه شذرات اقتبسها من أرّخ مصر بعده كابن سعيد وغيره

رابعاً — التاريخ العام

في العصر العباسي الثاني

يمتاز هذا العصر عما تقدمه من العصور بظهور التاريخ العام ناضجاً فيه . وكانت التواريخ قبله في مواضيع متفرقة لاغراض مختلفة . فلما اطلع المسلمون على تواريخ الامم الاخرى احبوا ان ينسجوا على منوالها . وزادت في اثناء ذلك علائق المسلمين بسواهم . فاصبح همهم النظر في التاريخ على الاجمال . فاخذوا يؤلفون التواريخ العامة التي تبدا بالخليقة وتفرق الامم ثم تواريخ تلك الامم . واهم ما وصلنا منها في هذا العصر خمسة كتب لخمسة من المؤرخين — اليك تراجمهم حسب سني وفاتهم مع وصف كتبهم :

١ — اليَعقُوبي

توفي سنة ٢٧٨ هـ

هو احمد بن ابي يعقوب بن واضح المعروف باليعقوبي وجدُّه من موالي المنصور . وكان رحالة يحب الاسفار . ساح في بلاد الاسلام شرقاً وغرباً . فكان سنة ٢٦٠ هـ في ارمينية ورحل الى الهند وعاد الى مصر وبلاد المغرب . والف في سياحاته هذه كتاباً سماه كتاب البلدان وهو اقدم كتاب عربي وصل الينا في هذا الموضوع . لم تذكر

السنة التي توفي فيها اليعقوبي ولكن يؤخذ من سياق كتبه انه توفي بعد سنة ٢٧٨

وله في التاريخ كتاب يعرف بتاريخ اليعقوبي نشره المستشرق هوتسما في ليدن سنة ١٨٨٣ في مجلدين : الاول في التاريخ القديم على العموم من آدم فما بعده الى ظهور الاسلام . وتدخل فيه اخبار الاسرائيليين والسريان والهنود واليونان والرومان والفرس والنوبة والبجة والزنج والحميريين والغساسنة والمناذرة . والثاني في تاريخ الاسلام وينتهي في زمن المعتمد على الله سنة ٢٥٩ هـ وقد رتبه حسب الخلفاء . ومن مزاياه فضلاً عن قدمه ان مؤلفه شيعيٌّ فيأتي باشياء عن العباسيين يتحاشى سواه ذكرها . وللمستشرقين ابحاث انتقادية في هذا الكتاب

وسنأتي على ذكر كتاب البلدان في باب الجغرافية

٢ — أَبو حَنِيفَة الدِّينَوْري

توفي سنة ٢٨٢ هـ

هو احمد بن داود من اهل الدينور . اخذ علمه عن البصريين والكوفيين واكثر اخذه عن ابن السكيت . وكان متفنناً في علوم كثيرة منها النحو واللغة والهندسة والحساب وعلوم الهند . فهو يعدُّ من النحاة او اللغويين ايضاً ولكننا جعلناه من المؤرخين لان اهم ما وصلنا من كتبه كتاب « الاخبار الطوال » في التاريخ العام يشتمل على نحو ما اشتمل عليه كتاب اليعقوبي . لكنه اختصر في التاريخ القديم . ويمتاز بتوسعه في تاريخ بني امية وخصوصاً اخبار علي ومعاوية والخوارج والازارقة . وينتهي التاريخ المذكور بوفاة المعتصم سنة ٢٢٧ هـ وقد طبع في ليدن سنة ١٨٨٨ في ٤٠٠ صفحة بعناية المستشرق جرجيس

وله مؤلفات عديدة ضاعت وفي جملتها كتاب في النبات من حيث اللغة لم نقف عليه . ولكن منه قطعاً في كتاب التنبيهات على اغلاط النحاة ونقل عنه المخصص

وترجمة ابي حنيفة الدينوري في معجم الادباء ١٢٣ ج ١ والفهرست ٧٨

٣ — ابن جَرِير الطَّبَري

توفي سنة ٣١٠ هـ

هو ابو جعفر محمد بن جرير الطبري علامة وقته وامام عصره . ولد في آمل بطبرستان سنة ٢٢٤ هـ ورحل في طلب العلم فجاء بغداد ثم شخص الى مصر والشام والعراق حتى استوعب العلوم . ثم استقر في بغداد يقرئ الحديث والفقه حتى مات

سنة ٣١٠ هـ ودفن هناك . كان على مذهب الامام الشافعي ثم اختار لنفسه مذهباً في الفقه تبعه فيه جماعة من العلماء وضعوا فيه الكتب . منهم علي بن عبد العزيز الدولابي ومحمد بن احمد بن ابي الثلج وابن العراد وابو الحسن احمد بن يحيى المنجم وابو بكر ابن كامل وغيرهم . وكل منهم الف كتباً في بسط مذهب ابن جرير الطبري ودافع عنه ورد على مخالفيه

واشتهر الطبري بقوة عارضته وفصاحة لهجته وبصبره على العمل . حتى قالوا انهُ قضى اربعين سنة يكتب كل يوم ٤٠ صفحة . ولا يخلو ذلك من مبالغة لكنه يشير الى كثرة عمله فان كتابيه اللذين اشتهر بهما نعني التاريخ والتفسير ذكروا ان كلاً منهما كان في اول الامر ٣٠٠٠٠ ورقة اي ٦٠٠٠٠ صفحة ثم اشار عليه تلامذته باختصارهما فصارا الى ما هما عليه . وقد الف التفسير قبل التاريخ . وكلٌ منهما مرجع الكتاب في موضوعه لانه استوفى الكلام فيهما . وكان ثقة يحكم بقولهِ ويرجع الى رأيه لسعة علمه في القرآن وعلومه وباخبار الناس وايامهم . وكان حرَّ الفكر صريح القول اذا اعتقد امراً جاهر به لا يخشى في الحق لومة لائم . فكثر اخصامه من العامة ومن يتزلفون اليهم او يرتزقون بمراضاتهم ولاسيما الحنابلة لانه الف كتاباً ذكر فيه اختلاف الفقهاء ولم يذكر فيه ابن حنبل . فقيل له في ذلك فقال « لم يكن فقيهاً وانما كان محدثاً » فعظم ذلك على الحنابلة وكانوا لا يحصون عدداً في بغداد فتقموا عليه واتهموه بالالحاد وشاركهم اكثر العامة — ولو سئلوا عن معنى الالحاد ما عرفوه . وهو لا يهمه ذلك لزهده وقناعته بما كان يرد عليه من قرية خلفها ابوه في طبرستان . فلما توفي في شوال سنة ٣١٠ هـ دفن ليلاً في داره لان العامة اجتمعت ومنعت دفنه نهاراً والف كتباً ذكر منها صاحب الفهرست بضعة عشر مؤلفاً هذا ما بقي منها :

١ كتاب اخبار الرسل والملوك : ويعرف بتاريخ الطبري وهو تاريخ عام يبدأ بالخليقة وينتهي سنة ٣٠٢ هـ يدخل في عدة مجلدات صفحاتها نحو ٧٥٠٠ صفحة . وقد طبع في ليدن بعناية المستشرق دي غويه . استغرق طبعه بضع عشرة سنة من ١٨٧٩ — ١٨٩٢ في ٢٣ جزءاً . وطبع بمصر سنة ١٩٠٦ في ١٣ مجلداً . وقد اتبع في اخباره الاسناد الى رواتها بالتسلسل لزيادة التحقيق على عادتهم في ذلك العهد . وهو عمدة المؤرخين ومرجعهم في التحقيق حتى الآن . وتغالى القوم في اقتناء هذا الكتاب حتى كان منه في خزانة العزيز الفاطمي صاحب مصر ٢٠ نسخة منها واحدة بخط المؤلف . وكان في دار العلم بمصر ١٢٠ نسخة منه . ولم يكن يتأتى اقتناؤه الا

للملوك واهل الثروة . ولما اظلم الشرق في الاجيال الوسطى وخيم الجهل احرقت المكاتب فضاعت نسخه . فلما ارادوا طبعه في ليدن لم يجدوا منه نسخة كاملة في مكان واحد فاضطروا الى جمعها من عدة اماكن . وقد ترجم هذا الكتاب الى الفارسية البلعمي . وترجمه عن ترجمة البلعمي زوتنبرج الى الفرنساوية وطبعت الترجمة في سنة ١٨٧٤ في ٤ مجلدات . وترجم ايضاً بعضه الى اللغة اللاتينية وطبع في غريزوالد سنة ١٨٦٣ وترجم الى التركية وطبع في الاستانة سنة ١٢٦٠ هـ

وقد عني غير واحد بكتابة ذيل للتاريخ المذكور — منهم عريب بن سعد الكاتب القرطبي الف ذيلاً على الطبري ينتهي الى سنة ٣٦٥ هـ طبع مع تاريخ الطبري في ليدن . ومحمد بن عبد الملك الهمذاني المتوفى سنة ٥٢١ هـ تمم حوادث التاريخ الى سنة ٤٨٧ سماه تكملة تاريخ الطبري ومنه نسخة خطية في مكتبة باريس

٢ التفسير الكبير : سيأتي ذكره في باب التفسير

٣ تهذيب الآثار في الحديث : لم يتمه ويوجد بعضه في مكتبة كوبرلي

٤ اختلاف الفقهاء : يبحث في ما اختلف فيه الفقهاء الاربعة في بعض الاحكام كالبيع والاعتاق والايجار والزرع والكفالة وما يتفرع عن ذلك طبع بمصر سنة ١٣٢٠

وترجمة الطبري في ابن خلكان ٤٥٦ ج١ وابن الاثير ٤٩ ج٨ والفهرست ٢٣٤

٤ — ابو زيد البَلْخي

توفي سنة ٣٢٢ هـ

هو احمد بن سهل ولد في بلخ ونشأ في العراق وادرك الكندي الفيلسوف واخذ عنه ثم عاد الى بلاده فخدم امراءها . وكان مطلعاً على العلوم القديمة ولذلك اتخذ في مولفاته طريقة الفلاسفة من النقد والنظر . وكان ذلك سبباً في غضب الوجهاء عليه وبعد ان كانوا يدرُّون عليه الاعطية قطعوها عنه ونسبوه الى الالحاد شأنهم في كل من يتظاهر بحرية الفكر والقول . ولابي زيد عشرات من المولفات في مواضيع مختلفة ذكرها صاحب الفهرست (صفحة ١٣٨) ضاعت كلها . وقد وصلنا ما لم يذكره الفهرست بل رواه صاحب كشف الظنون او غيره وهو :

١ كتاب البدء والتاريخ : يمتاز عما تقدمه من كتب التاريخ العام انه اوسعها جميعاً في اخبار الخليقة وقصص الانبياء واخبار الامم القديمة . وفيه تواريخ الخلفاء الى ايامه . وقد عني بترجمته الى الفرنساوية الاستاذ هيوار المستشرق الفرنساوي

وطبع الاصل والترجمة في شالون سنة ١٩١٠

٢ صور الاقاليم : هو من قبيل الجغرافية وسنذكره بين جغرافي العصر العباسي الثالث لانه قدوتهم في رسم الخرائط

وترجمة ابي زيد البلخي في معجم الادباء ١٤١ ج ١ والفهرست ١٣٨

٥ — ابن البِطْرِيق

المتوفى سنة ٣٢٨ هـ

هو افتيخوس سعيد بن البطريق ولد سنة ٢٦٣ في الفسطاط واشتهر بالطب كما اشتهر بالتاريخ . وخلف من الاثار عدة مؤلفات وصلنا منها كتاب « نظم الجوهر » في التاريخ الفه لاخيه عيسى في معرفة التواريخ من عهد آدم الى سني الهجرة وينتهي الى سنة ٣٢١ هـ من الدولة العباسية . وهي السنة التي صار فيها المؤلف بطريركاً على مدينة الاسكندرية على مذهب الملكية . وقد طبع كتابه هذه في اكسفورد سنة ١٦٥٩ مع ترجمة لاتينية لادوار بوكوك المستشرق في مجلدين صفحاتهما نحو ١١٠٠ صفحة . وطبعت قطع منه في بطرسبرج سنة ١٨٨٣ . وفيه كثير من اخبار النصارى واعيادهم وذكر البطاركة واحوالهم ومدة حياتهم وما جرى لهم . وقد ذيل هذا الكتاب يحيى ابن سعيد بن يحيى الانطاكي بكتاب سماه « تاريخ الذيل » طبعه روزن المستشرق الروسي في بطرسبرج سنة ١٨٨٣ مع ترجمة وتعاليق في اللغة الروسية اضعاف الاصل العربي — فجاء الكتاب المطبوع في نيف وخمسمائة صفحة منها ٧٠ فقط للاصل العربي

وترجمة سعيد بن البطريق في طبقات الاطباء ٨٦ ج ٢

وليست هذه كل كتب التاريخ الهامة التي الفت في هذا العصر . فان مئات منها ضاعت واكثرها في اخبار الخلفاء والوزراء والنسب واخبار المدن والدول والملوك وغير ذلك . ففي مقدمة مروج الذهب اسماء نحو مئة منها استعان بها المسعودي في تأليف ذلك الكتاب . وهو لم يذكر الا الكتب التي اشتهر مؤلفوها . وقد ضاع معظمها وفي ما ضاع منها كتب هامة ككتاب التاريخ واخبار الامويين ومناقبهم وذكر فضائلهم وغيره من تواريخ الامويين . فان اخبار هذه الدولة ضاعت في ايام بني العباس تزلفاً من الكتاب لاهل الدولة . وبعض الكتب التي ذكرها المسعودي فاتت صاحب الفهرست وقليل منها لا يزال باقياً الى الآن كتاريخ اليعقوبي والطبري

الجغرافية والجغرافيون

في العصر العباسي الثاني

اسباب وضع الجغرافيه عند العرب

نشأ علم الجغرافية في هذا العصر بعد نقل علوم القدماء الى العربية وفي جملتها كتاب بطليموس وعليه معولهم في تقويم البلدان . على ان المسلمين بداوا بوضع الجغرافيا قبل اطلاعهم على ذلك الكتاب لاسباب غير التي دعت اليونان الى وضعها وهي :

اولاً : الحج لان المسلمين على اختلاف بلادهم يحجون الى مكة والحج فريضة على كل مسلم . والقدوم الى مكة يفتقر الى معرفة الطرق والمنازل

ثانياً : كان المسلمون يرحلون في طلب العلم الى سائر الامصار الاسلامية والرحلة تستلزم معرفة الاماكن والمناطق

ثالثاً : ابحاثهم في تحقيق اسباب الفتح لضرب الخراج والجزية واجتناء المقاطعات وهذه ايضاً تفتقر الى تعرف البلاد وطرقها . فاضطر العرب الى التأليف في البلدان قبل هذا العصر . واول من فعل ذلك رواة الادب واصحاب الاخبار

فلما ترجمت الجغرافية الى العربية واطلع العرب عليها أخذوا في تأليف الكتب على مثالها وتوسعوا في ذلك وزادوا عليه ما عرفوه من قبل . ولم يكتفوا بالنقل والسماع ولكنهم ركبوا البحار وجابوا الاقطار شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً وكتبوا ما شاهدوه او تحققوه وصححوا كثيراً من مغالط بطليموس . على ان علم الجغرافية عند العرب لم ينضج الا في القرن الرابع للهجرة فتهافت الناس على التأليف فيه

ولكن علماء القرن الثالث (او العصر العباسي الثاني) الذي نحن في صدده مهدوا السبيل للتأليف فيه من عند انفسهم لكثرة اسفارهم في سبيل الرحلة او لاشتغالهم في احصاء خراج المملكة وفي تعيين طرق البريد مما يقتضي معرفة الاماكن وابعادها وجهاتها ويعدُّ ذلك من قبيل الجغرافية

وبين ما الفوه في هذا الموضوع ما هو عام شامل للمملكة الاسلامية وغيرها ونسميه « الجغرافية العامة » ومنه ما يختص ببقعة من الارض وندعوه « الجغرافية الخاصة » . واليك اقدم من الف في كليهما :

مؤلفو الجغرافية العامة

١ — ابن خُرداذبه

في اواسط القرن الثالث للهجرة

هو ابو القاسم عبيد الله بن احمد بن خرداذبه . كان خرداذبه مجوسياً واسلم على يد البرامكة. وتولى حفيده ابو القاسم البريد والخبر بنواحي الجبل بفارس ونادم المعتمد وخصّ به . والف كتباً في ادب السماع واللهو والملاهي والشراب وجهرة انساب الفرس والطبيخ وغيرها ولم يصلنا الا :

كتاب المسالك والممالك : ضمنه احصاء جباية المملكة العباسية في اواسط القرن الثالث وقد نشرنا ذلك الاحصاء في تاريخ التمدن الاسلامي (ص ٦٢ ج ٢) وهو احصاء رسمي عن الجباية والطرق والمسافات . وطبع الكتاب في ليدن سنة ١٣٠٦ هـ بعناية المستشرق دي غويه مع ترجمة فرنساوية . وفيه فوائد كثيرة تاريخية فضلاً عن تقاسيم المملكة وطول المسافات بين البلاد

وترجمته في الفهرست ١٤٩

٢ — قُدامة بن جعفر

وقد تقدم ذكره بين الادباء (صفحة ١٧٢) له كتاب الخراج وصنعة الكتابة لم يصلنا منه الا نحو مئة صفحة في ديوان البريد والسكك والطرق الى نواحي المشرق والمغرب والمسافات بين البلاد فضلاً عن مقادير الجباية لسنة ٢٢٥ هـ طبعت في ليدن مع ترجمة فرنساوية . وقد نشرناها ايضاً في تاريخ التمدن الاسلامي (ص ٥٧ ج ٢)

٣ — كتاب البلدان لليعقوبي

قد تقدم ذكر اليعقوبي بين المؤرخين (صفحة ١٩٦) . اما كتاب البلدان فقد جمع فيه ما عرفه بنفسه من احوال البلدان في عصره لانه عانى الاسفار من صغره . وكان كلما رأى رجلاً من تلك البلدان بالمشرق والمغرب سأله عن وطنه ومصره واحوال اهله واجناسهم واكلهم وشربهم ولباسهم والابعاد بين البلاد ومبالغ الخراج واخبار الفتح ويدون ما وصل اليه حتى الف كتاب البلدان . فهو من امهات الكتب لانه غير منقول عن كتاب آخر . وقد افاض المؤلف على الخصوص في وصف بغداد كما

كانت في ايامه ووصف سامرّا وتاريخها . ثم ذكر بلاد المشرق وهي في اصطلاحهم بلاد فارس شرقي العراق الى تركستان . وانتقل الى بلاد العرب فالشام فالمغرب الى الاندلس . والكتاب طبع في ليدن سنة ١٨٦١ م بعناية المستشرق جونبول . وطبع ايضاً في جملة « المكتبة الجغرافية » . والمكتبة المذكورة تشتمل على ما صدر من كتب الجغرافية العربية الى اواخر القرن الرابع في ثمانية مجلدات وهي :

١ المسالك والممالك لابن خرداذبه وكتاب الخراج لقدامة ٢ كتاب البلدان لابن الفقيه ٣ كتاب الاعلاق النفيسة لابن رسته وكتاب البلدان لليعقوبي ٤ مسالك الممالك للاصطخري ٥ المسالك والممالك لابن حوقل ٦ احسن التقاسيم للمقدسي ٧ كتاب التنبيه والاشراف للمسعودي ٨ فهرس ابجدي عمومي

طبعت كلها في ليدن بعناية المستشرق دي غويه . وقد ذكرنا بعضها ويأتي ذكر الباقي في اماكنه

٤ — ابن الفقيه

هو ابو عبدالله احمد بن محمد بن اسحق بن ابراهيم الهمذاني ويعرف بابن الفقيه احد اهل الادب في اواخر القرن الثالث للهجرة ولا يعرف من امره اكثر من ذلك . ذكروا له عدة كتب وصلنا منها « كتاب البلدان » الفه بعد موت المعتضد (سنة ٢٧٩ هـ) وصف به الارضين والبحار في الصين والهند وبلاد العرب ومصر وبلاد المغرب والبربر والشام وفلسطين وما بين النهرين وبلاد الروم وافاض في وصف البصرة والكوفة اما بغداد فلم يرد ذكرها فيه الا عرضاً . ويقول ابن النديم « انه اخذه من كتب الناس وسلخ كتاب الجيهاني » والجيهاني هذا وزير صاحب خراسان كان له كتاب المسالك والممالك ضاع وقام كتاب البلدان لابن الفقيه مقامه . وقد طبع هذا الكتاب سنة ١٨٨٥ في جملة المكتبة الجغرافية

وتجد ترجمة ابن الفقيه في الفهرست ١٥٤ ومعجم الادباء ٦٣ ج ٢

٥ — ابن رُسته

هو ابو علي احمد بن عمر بن رسته . له كتاب اسمه الاعلاق النفيسة كتبه سنة ٢٩٠ هـ في اصبهان وهو كالموسوعة منها سبعة مجلدات في تقويم البلدان عثروا على نسخة خطية منها في المتحف البريطاني . وقد طبع مجلد منها في جملة « المكتبة الجغرافية » . وهو يبحث في عجائب السموات ومركز الارض منها وحجم الارض.

ثم يصفها فيبدأ بمكة والمدينة ويصف البحار والانهار والاقاليم السبعة وخصوصاً ايران وما يليها . وفيه فصل في الاوائل الذين احدثوا الاشياء واقتدى بهم سواهم وآخر في المتشابهين في احوال شتى والمشتركين في كنية واحدة والمشهورين من ذوي العاهات . ولهذا الكتاب ترجمة المانية طبعت سنة ١٩٠٥

مؤلفو الجغرافية الخاصة

١ — ابن الحائك

توفي سنة ٣٣٤ هـ

هو ابو محمد الحسن بن احمد بن يعقوب بن يوسف بن داود الهمداني من قبيلة همدان باليمن المعروف بابن الحائك المتوفى سنة ٣٣٤ بسجن صنعاء . وخلف عدة مؤلفات فى الفلك والطبيعيات والجغرافية وغيرها وصلنا منها :

١ صفة جزيرة العرب خاصة : فيها فوائد هامّة عن وصف جزيرة العرب وجبالها ومساكنها ومدنها ولغاتها وزراعتها ومعادنها وآثارها مما يعز العثور عليه في سواها . وقد نشر هذا الكتاب المستشرق هنري مولر في ليدن سنة ١٨٨٤ مع ملحق للشروح والتعاليق

٢ كتاب الاكليل : ولابن الحائك هذا كتاب جزيل الفائدة في وصف اليمن واثارها اسمه « الاكليل » في انساب حمير وملوكها يدخل في عدة اجزاء يشتمل على عشرة فنون في جملتها ابحاث في القرانات وعلم الطبيعة واحكام النجوم واراء الاوائل وغير ذلك لم يقف الباحثون الا على جزء نشره المستشرق مولر المذكور مع ترجمة المانية وتعاليق .وقد اقتبسنا كثيراً منه في كتابنا « العرب قبل الاسلام » لانه يصف قصور اليمن ومحافدها في صنعاء ومأرب مما شاهده بنفسه في مكان السد وكيفية توزع المياه

وترجمة ابن الحائك في اخبار الحكماء لابن القفطي ١١٣ ومعجم الادباء ٩ ج ٣

٢ — ابن فضْلان

هو احمد بن فضلان مولى محمد بن سليمان انفذه المقتدر العباسي سنة ٣٠٩ هـ الى ملك الصقالبة بمهمة . فكتب رحلة عرفت باسمه ذكر فيها ما شاهده منذ انفصل من بغداد الى ان عاد اليها وفيها وصف البلغار وعاداتهم وغير ذلك . وهي مطبوعة في بطرسبرج سنة ١٨٢٣ مع ترجمة روسية . ونشرها ياقوت في معجم البلدان في مادة بلغار

٣ — سلسلة تواريخ

هو كتاب جزيل الفائدة . ليس هو تاريخاً كما يؤخذ من اسمه وانما هو رحلة او رحلات في الهند والصين واقصى الشرق لغير واحد من تجار العرب في القرن الثالث للهجرة . احدهم يدعى سليمان سافر بنفسه الى الهند والصين ووصف ما شاهده وعلمه من احوال التجارة وبعض اصنافها . والاخر ابو زيد حسن من اهل سيراف اكثر ما ذكره منقول عن تجار آخرين من العرب ارتادوا الشرق الاقصى حتى بلغوا الصين . وقد التقى ابو زيد هذا بالمسعودي المؤرخ وتبادلا الاخبار كما يظهر مما ذكره في مروج الذهب عن بحر الهند وعجائبه بالمقابلة على ما في هذه الرحلة

وبالجملة ان هذا الكتاب يبين ما بلغ اليه العرب في تجاراتهم واسفارهم في القرن الثالث للهجرة . وهو مطبوع في باريس سنة ١٨٤٥ مع ترجمة فرنساوية ومقدمة انتقادية لرينو المستشرق الفرنساوي

٤ — بُزُرك بن شهريار

صاحب عجائب الهند

هذا ايضاً كتاب هام لانه يشتمل على ما كان يعرفه العرب في القرن الثالث للهجرة واوائل الرابع من بلاد الشرق الاقصى بين شواطىء بلاد العرب والهند والزنج الى الصين . ومؤلفه بزرك بن شهريار فارسي لكنه كتب تلك العجائب بالعربية ـ لغة الادب والسياسة والدين عندهم في اوائل القرن الرابع للهجرة . نقلاً عما سمعه من جوّاب البحار واكثرهم من السيرافيين الذين كانوا ينقلون التجارة بين شواطىء البحر المحيط . وقد نسب كل قول الى قائله وسماه باسمه وعين السنة التي حدثه بها أو روى وقوع الخبر فيها . ويتخلل رواياته مبالغات بعيدة الحدوث في نظر اهل هذا الزمان . لكنه يروي ما سمعه على علاته وفي جملة ذلك اسماك وطيور هائلة الحجم تخالف ما عرفناه من احكام التاريخ الطبيعي . ولا يطعن ذلك بما يحويه الكتاب من الحقائق لان اهل ذلك العصر معذورون في تصديق ما يسمعونه من المبالغات . ولم يكن ذلك خاصاً بالعرب او الشرقيين بل هو يتناول سائر الامم . وعند الافرنج من اخبار اجيالهم الوسطى ما لا يقل غرابة عن خرافات الف ليلة وليلة . وسنعود الى ذلك في مكان آخر

اما كتاب عجائب الهند الذي نحن في صدده فنه نسخة خطية في مكتبة ايا صوفيا قديمة جداً وعنها نقلت نسخة طبعت في ليدن سنة ١٨٨٦ بعناية المستشرق فان درليت مع ترجمة فرنساوية لمارسل دفيك . وفي هذه الطبعة اربع صور ملونة منقولة عن مسودات مقامات الحريري في مكتبة المستشرق شيفر تمثل اسفار العرب في البحار لذلك العهد — وهذه صورة سفينة منها

ش ١٠: سفينة عربية جلس ربانها على دكة الى اليسار ليدير الشراع بالامراس وفي وسطها مقعد مرتفع يجلس عليه الديدبان

العلوم الاسلامية الشرعية

في العصر العباسي الثاني

قد رأيت ان الفقه توطدت قواعده في العصر الماضي والعلوم الدخيلة لا تزال في اول نقلها ولم تتمكن من نفوس الناس . اما في هذا العصر فكانت قد انتشرت الفلسفة والطبيعيات والمنطق فغيرت كثيراً من الاراء وتولدت مذاهب في الفقه لم تكن من قبل وتفرع مذهب الاعتزال ونشأ علم الكلام او التوحيد واليك تاريخ ذلك

علم الكلام او التوحيد

هو حادث بعد الفقه وسبب وضعه انه ورد في القرآن وصف الاله بالتنزيه المطلق الظاهر الدلالة من غير تأويل . وقد فسرها صاحب الشريعة الاسلامية والصحابة والتابعون على ظاهرها . وورد في القرآن ايضاً آيات اخرى توهم التشبيه مرة في الذات ومرة في الصفات ورأى الاولون ذلك الخلاف فغلب في معتقدهم تفضيل التنزيه لكثرة ادلته ووضوح دلالتها وتابعهم الاكثرون . غير ان جماعة اتبعوا ما تشابه من الايات وتوغلوا في التشبيه في الذات فاعتقدوا في الله صفات الآدميين كاليد والقدم والوجه عملاً بظواهر وردت في بعض الآيات فوقعوا في التجسيم الصريح وخالفوا التنزيه المطلق . واخذوا يكتبون ويقولون اقوالاً كثيرة مخالفة لرأي الجمهور . فنهض اهل السنة وهم التابعون لاقوال الصحابة وجاؤا بالادلة العقلية على هذه العقائد دفعاً لتلك البدع وهو علم الكلام او التوحيد . وفي اثناء ذلك نقلت كتب اليونان الى العربية فاحبها المسلمون وعكفوا على مطالعتها فانتشرت فلسفة اليونان في الاسلام واقبلت المعتزلة والقرامطة والجهمية وغيرهم عليها واكثروا من النظر فيها فتوسعوا في ما ارادوه منها من تقوية الحجة والجدال فيما كانوا فيه . فازداد كلٌّ منهم تمسكاً بمذهبه وعظمت الفتنة بسبب ذلك وانتشرت تلك المذاهب بين المسلمين انتشاراً عظيماً وهي الى ذلك العهد مذاهب القدرية والجهمية والمعتزلة والكرامية والخوارج والرافضة والقرامطة والباطنية

وما زالت الحال كذلك الى ان ظهر ابو الحسن علي بن اسماعيل الاشعري فسلك طريقاً وسطاً بين النفي الذي هو مذهب الاعتزال وبين الاثبات الذي هو مذهب اهل التجسيم . فمال اليه جماعة وعولوا على رايه لما فيه من التسوية بين سائر الاراء ووافقه جماعة كبيرة من نخبة علماء تلك الاعصر وهم الاشعرية مما يطول بنا الكلام فيه

علماء الكلام

اقدم من الف في علم الكلام الامام ابو حنيفة فان كتابه الفقه الاكبر يعد من هذا القبيل وقد تقدم ذكره في كلامنا عن مؤلفاته في الفقه صفحة ١٣٩

٢ ابو حذيفة واصل بن عطاء الغزال المتوفى سنة ١٨١ هـ وكان من الائمة البلغاء المتكلمين وكان يلثغ بالراء لكنه كان لبراعته واقتداره يخلص كلامه من الراء فلا يفطن لذلك احد . ترجمته في ابن خلكان ١٢٧ ج ٢

٣ ابو الهذيل محمد بن الهذيل العلاف المتوفى سنة ٢٣٥ هـ وكان شيخ البصريين في الاعتزال وكان حسن الجدال قوي الحجة كثير الاستعمال للادلة . ومما يروى عنه من هذا القبيل انه لقي صالح بن عبد القدوس وقد مات له ولد وهو شديد الجزع عليه فقال له ابو الهذيل « لا اعرف لجزعك عليه وجهاً اذا كان الانسان عندك كالزرع » قال صالح « يا ابا الهذيل انما اجزع عليه لانه لم يقرا كتاب الشكوك » فقال له « كتاب الشكوك ما هو يا صالح » قال « هو كتاب قد وضعته من قرأه يشك فيما كان حتى يتوهم انه لم يكن ويشك فيما لم يكن حتى يتوهم انه قد كان » فقال ابو الهذيل « فشك انت في موت ابنك واعمل على انه لم يمت وان كان قد مات وشك ايضاً في قراءته كتاب الشكوك وان كان لم يقرأه » . ترجمته في ابن خلكان ٤٨٠ ج ١

٤ ابو علي محمد بن الوهاب الجبائي : توفي سنة ٣٠٣ هـ وكان امام المتكلمين في عصره اخذ علم الكلام عن ابي يوسف يعقوب بن عبد الله الشحام البصري رئيس المعتزلة بالبصرة وله مقالات في مذاهب العلماء . ترجمته في ابن خلكان ٤٨٠ ج ١

٥ ابو حسن الاشعري : توفي ببغداد سنة ٣٣٣ هـ سمع زكريا الساجي وابا خليفة الجمحي وسهل بن نوح ومحمد بن يعقوب المقري وعبد الرحمن بن خلف الضبي المصري . وروى عنهم في تفسيره كثيراً وتلمذ لزوج امه ابي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي واقتدى برأيه في الاعتزال عدة سنين حتى صار من ائمة المعتزلة . ثم رجع عن القول بخلق القرآن وغيره من اراء المعتزلة وصعد يوم الجمعة بجامع البصرة كرسياً ونادى باعلى صوته « من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني اعرّفه بنفسي انا فلان بن فلان كنت اقول بخلق القرآن وان الله لا يرى بالابصار وان افعال الشر انا افعلها وانا تائب مقلع معتقد الرد على المعتزلة مبين لفضائحهم ومعايبهم » واخذ من حينئذ في الرد عليهم وسلك بعض طريق ابي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن كلاب

القطان وبنى على قواعده وصنف خمسة وخمسين تصنيفاً منها كتاب اللمع وكتاب الموجز وكتاب ايضاح البرهان وكتاب التبيين على اصول الدين وكتاب الشرح والتفصيل وكتاب الابانة وكتاب تفسير القرآن يقال انه في سبعين مجلداً وغيرها واكثرها ضاع . وكانت غلته من ضيعة وقفها بلال بن ابي بردة على عقبه وكانت نفقته في السنة سبعة عشر درهماً . وكانت فيه دعابة ومزح كثير . قال مسعود ابن شيبة في كتاب التعليم كان حنفي المذهب معتزليّ الكلام لانه كان ربيب ابي عليّ الجبائي وهو الذي رباه وعلمه الكلام . وذكر الخطيب انه كان يجلس ايام الجمعات في حلقة ابي اسحق المروزي الفقيه في جامع المنصور وقال ابو بكر بن الصيرفي « كان المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم حتى اظهر الله تعالى الاشعري فجزهم في اقماع السماسم »

العقيدة الاشعرية

وجملة عقيدته « ان الله تعالى عالم بعلم قادر بقدرة حي بحياة مريد بارادة متكلم بكلام سميع بسمع بصير ببصر وان صفاته ازلية قائمة بذاته تعالى لا يقال هي هو ولا هي غيره ولا لا هي هو ولا غيره . وعلمه واحد يتعلق بجميع المعلومات وقدرته واحدة تتعلق بجميع ما يصح وجوده وارادته واحدة تتعلق بجميع ما يقبل الاختصاص وكلامه واحد هو امر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد . وهذه الوجوه راجعة الى اعتبارات في كلامه لا الى نفس الكلام والالفاظ المنزلة على لسان الملائكة الى الانبياء دلالات على الكلام الازليّ فالمدلول وهو القرآن المقروء قديم أزلي والدلالة وهي العبارات وهي القراءة مخلوقة محدثة »

وترجمته في ابن خلكان ٣٢٦ ج ١ والمقريزي ٣٥٩ ج ٢

وهناك طائفة من المتكلمين اغضينا عن ذكرهم على ان بعضهم سيأتي ذكره في الابواب الاخرى

الحديث

في العصر العباسي الثاني

اصحاب الكتب الستة

في هذا العصر نضج علم الحديث ووضعت فيه الكتب الستة المشهورة وهي عمدة المحدثين . واصحابها ثقة حتى الان وهاك تراجمهم حسب سني الوفاة :

١ — البخاري

توفي سنة ٢٦٥ ﻫ

هو ابو عبد الله محمد بن ابي الحسن اسماعيل البخاري ولد في بخارا سنة ١٩٤ ﻫ وتوفي في بغداد سنة ٢٥٦ ﻫ كان مغرماً في طلب الحديث فرحل لسماعه الى كثير من الامصار والمدن وشهد له معاصروه بعلم الرواية والدراية وهوصاحب كتاب « جامع الصحيح » المشهور بصحيح البخاري اول الكتب الستة في الحديث وافضلها على المذهب المختار وفي شهرته غنى عن وصفه . طبع على الحجر بمصرسنة ١٢٧٩ ﻫ وطبع بالحروف بمصرمراراً . وله شروح كثيرة بعضها مطبوع منها شرح العيني طبع بمصر في ١١مجلداً وفي المكتبة الخديوية نسخ كثيرة منه مكتوبة بخطوط مختلفة في ازمنة مختلفة .

وللبخاري كتاب خلق افعال العباد مطبوع في دهلي بالهند سنة ١٣٠٦ مع كتاب العلم للذهبي . وله كتاب الادب خط في كتب الشنقيطي

وترجمة البخاري في ابن خلكان ٤٥٥ ج ١ والفهرست ٢٣٠

٢ — مسلم القشيري

توفي سنة ٢٦١ ﻫ

هو الامام ابو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري . توفي سنة ٢٦١ ﻫ في نيسابور وكان من الائمة الحفاظ واعلام المحدثين رحل الى الحجاز والشام ومصر لاستماع الحديث والف فيه كتاباً سماه « الجامع الصحيح » منه نسخ عديدة خطية في المكتبة الخديوية . وقد طبع في الهند سنة ١٢٦٥ وفي مصر في تسعة اجزاء

وترجمة القشيري في ابن خلكان ٩١ ج ٢ والفهرست ٢٣١

٣ — ابن ماجه

توفي سنة ٢٧٣ ﻫ

هو محمد بن يزيد بن ماجه القزويني المتوفى سنة ٢٧٣ ﻫ كان اماماً في الحديث عارفاً بعلومه ارتحل في طلبه الى البصرة والكوفة وبغداد ومكة والشام ومصر والف فيه كتاب « السنن » منه في المكتبة الخديوية بضع نسخ خطية كتبت في ازمنة مختلفة . وطبع في دهلي على الحجر ١٢٨٢ وبمصرسنة ١٣١٣ ويعرف بسنن ابن ماجه

وترجمته في ابن خلكان ٤٨٤ ج ١

٤ — ابو داود

توفي سنة ٢٧٥ﻫ

هوابو داود سليمان بن الاشعث الازدي السجستاني المتوفى في البصرة سنة ٢٧٥ ﻫ وكان احد حفاظ الحديث الف كتاباً في الحديث سماه « السنن » وتعرف بسنن الامام ابي داود . طبع في مصر سنة ١٢٨٠ ﻫ وفي لكناو الهند سنة ١٨٨٨ مع فهرس ابجدي . وفي غيرهما . وترجمته في ابن خلكان ٢١٤ ج ١

٥ — الترمذي

توفي سنة ٢٧٩ ﻫ

هو الحافظ ابو عيسى محمد بن عيسى الضحاك الترمذي الضرير له كتاب « الجامع الصحيح » منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية وقد طبع بمصر سنة ١٢٩٢ ﻫ وله شروح كثيرة . وترجمة الترمذي في ابن خلكان ٤٨٤ ج ١

٦ — النسائي

توفي سنة ٣٠٣ ﻫ

هوابو عبد الرحمن احمد بن علي النسائي . توفي بمكة سنة ٣٠٣ ﻫ وهو صاحب كتاب السنن المعروف باسمه طبع بمصر في مجلدين سنة ١٣١٢ وغيرها

وترجمته في ابن خلكان ٢١ ج ١

وهناك كتب حديث ظهرت نحو ذلك الزمن لا بأس بها . منها سنن الدارمي عبد الله بن عبد الرحمن المتوفى سنة ٢٥٥ ﻫ طبع في كنبور الهند سنة ١٢٩٣

التفسير

التفسير الكبير للطبري

ونضج في هذ العصر ايضاً علم التفسير فظهر فيه التفسير الكبير لابي جعفر بن جرير الطبري ويسمى جامع البيان في تفسير القرآن جمع فيه اقوال الصحابة والتابعين . ويمتاز بان صاحبه يبين فيه ترجيح بعض الاقوال على البعض . طبع بمصر سنة ١٩٠٤ في ٣١ جزءاً وهو من اجل التفاسير وله قيمة خصوصية لسبقه سواه . وفيه كثير من الفوائد التاريخية والادبية واللغوية فضلاً عن التفسير . وقد ترجمنا الطبري في باب التاريخ

العلوم الدخيلة

في العصر العباسي الثاني

اولاً — الفلسفة والرياضيات

قد رأيت ان المشتغلين في نقل العلم بالعصر العباسي الاول كان اكثرهم من غير المسلمين . فلما صارت تلك العلوم في العربية اشتغل بها المسلمون ونبغ منهم الفلاسفة والاطباء والرياضيون وغيرهم . واقدم من اشتهر من الفلاسفة المسلمين في هذا العصر واكبرهم واسبقهم يعقوب بن اسحق الكندي يليه الفارابي :

١ — يعقوب الكندي

في اواسط القرن الثالث

هوابو يوسف يعقوب بن اسحق الكندي ويتصل نسبه بملوك كندة فهو عربي بحت ولذلك سموه فيلسوف العرب . وكان معاصراً للمأمون والمعتصم الى المتوكل وله عندهم منزلة سامية . وقدبرع فيالطب والفلسفة والحساب والمنطق والالحان والهندسة وطبائع الاعداد وعلم النجوم — نبغ وليس في المسلمين فيلسوف غيره . وحذا في تآليفه حذو ارسطو وله ترجمات عديدة نقلها لنفسه . وكان يعد من حذاق التراجمة ولم يذكر بينهم لانه لم يرتزق بالترجمة . وقد الف الكندي في معظم العلوم الدخيلة كتباً كثيرة ذكرها صاحب الفهرست واليك عددها باعتبار العلوم : —

في الفلسفة	٢٢	كتاباً	في الطبيعيات الخ	٣٤ كتاباً
« الحساب	١١	«	« الكريات	٨ كتب
« النجوم	١٩	«	« المنطق	٩ «
« الهندسة	٢٣	«	« الموسيقى	٧ «
« الفلكيات	١٦	«	« الاحكام	١٠ «
« الطب	٢٢	«	« النفس	٥ «
« الجدل	١٧	«	« الابعاد	٨ «
« السياسة	١٢	«	« تقدمة المعرفة	٥ «
« الاحداث	١٤	«	المجموع كله	٢٣١ كتاباً

ويؤخذ من مراجعة اسماء هذه الكتب ان الرجل كان كثير التضلع في العلوم حتى انتقد اصحابها . واكثر هذه الكتب ضاع ولم يبق منها الا : ١ كتاب في الاهيات ارسطو ٢ رسالة في الموسيقى وكلاهما موجودان في مكتبة برلين ٣ رسالة في معرفة قوى الادوية المركبة في مكتبة منشن ولها ترجمة لاتينية مطبوعة ٤ في المد والجزر ٥ علة اللون اللازوردي الذي يرى في الجو في جهة السماء وكلاهما في اكسفورد ٦ ذات الشعبتين آلة فلكية في ليدن ٧ اختيارات الايام في ليدن ٨ مقالة تحاويل السنين في الاسكوريال . وغيرها

وترجمة الكندي في الفهرست ٢٥٥ واخبار الحكماء لابن القفطي ٢٤٠ وطبقات الاطباء ٢٠٦ ج ١

٢— ابو نصر الفارابي

توفي سنة ٣٣٩ هـ

ويلي الكندي ابو نصر الفارابي واسمه محمد بن طرخان . اصله من فاراب لكنه فارسي المنتسب نشأ في الشام واشتغل فيها . وكان فيلسوفاً كاملاً درس كل ما درسه الكندي من العلوم وفاقه في كثير منها وخصوصاً في المنطق وتعمق في الفلسفة والتحليل وانحاء التعاليم وافاد وجوه الانتفاع بها . والف كتباً في مواضيع لم يسبقه احد اليها ككتابه في احصاء العلوم الاتي ذكره وكتاب « السياسة المدنية » وهو من قبيل الاقتصاد السياسي الذي يزعم اهل التمدن الحديث انه من مخترعاتهم وقد كتب فيه الفارابي منذ الف سنة . ثم كتب فيه غيرهما كما ستراه مفصلاً في ما يلي . وبرع الفارابي خصوصاً في فن الموسيقى حتى اصبح لا يضاهيه فيه احد واخترع القانون كما سيأتي في باب الموسيقى . واصلح ما بقي من الترجمات غير مصلح ولخصها — اوعز اليه بذلك منصور بن نوح الساماني فاجاب وسمى كتابه « التعليم الثاني » ولذلك سموه « المعلم الثاني »[1]

ومن مؤلفاته الباقية الى الآن نحو ١٢ كتاباً في المنطق متفرقة في مكاتب اوربا بعضها منقول الى اللاتينية او العبرانية اكثرها في الاسكوريال . وبعض الترجمات اللاتينية مطبوع في البندقية وغيرها . وثمانية مؤلفات في السياسة والادب منها :

(١) كشف الظنون ٤٤٨ ج ١

١ كتاب مبادي اراء اهل المدينة الفاضلة طبعها ديتريشي في ليدن سنة ١٨٩٥

٢ كتاب احصاء العلوم والتعريف باغراضها المتقدم ذكره وهو من قبيل موسوعات العلم لانه يشتمل على عدة علوم منه نسخة خطية في الاسكوريال وله ترجمة عبرانية وأخرى لاتينية . وبهذا الكتاب عدّ الفارابي من مؤسسي الموسوعات العربية وسنعود الى ذلك . وكتاب السياسة المدنية نشره الاب شيخو في بيروت سنة ١٩٠٢

وله ٩ كتب في الرياضيات والنجوم والكمياء والموسيقى متفرقة في مكاتب اوربا والاستانة مع ترجماتها العبرانية او اللاتينية

و٩ كتب أخرى في مواضيع مختلفة . ومثلها على ارسطو في ابحاث مفيدة . وقد وصف هذه البقايا وذكر اماكن وجودها بروكلمن في كتابه [1] فليراجعها من شاء وترجمته في ابن خلكان ٧٦ج ٢ وطبقات الاطباء ١٣٤ج٢ واخبار الحكماء ١٨٢

٣ــ ابن ابي الربيع وسلوك المالك

واطلعنا على كتاب في السياسة اسمه سلوك المالك في تدبير الممالك تأليف «شهاب الدين احمد بن محمد بن ابي الربيع» . وقد جاء في اوله انه الف للخليفة المعتصم بالله العباسي (المتوفى سنة ٢٢٧) فاذا صح ذلك كان مؤلف هذا الكتاب اقدم من الكندي والفارابي . ولكن موضوع الكتاب واسلوبه يدلاّن على انه وضع بعد ذلك التاريخ لانه مرتب على شكل المشجر في اسلوب يدل على وضوح الافكار في ذهن مؤلفه مما لا يتأتى الا بعد نضج العلم نضجاً تاماً . وزد على ذلك ان اسم شهاب الدين من الاسماء التي لم تكن معروفة في زمن المعتصم وانما هو مما طرأ على الاسلام بعد رسوخ الاتراك في الدولة . وفي كتاب الفهرست مئات من اسماء المؤلفين ليس فيهم واحد اسمه شهاب الدين . والفهرست كتب سنة ٣٧٧ هـ أي بعد وفاة المعتصم بقرن ونصف . وهذا تاريخ ابن الاثير لم يرد فيه اسم شهاب الدين قبل انقضاء القرن الخامس للهجرة . فلا يعقل ان يتفرد رجل بهذا الاسم في اول القرن الثالث ــ ولكل عصر اسماء والقاب تابعة لاحوال اجتماعية خاصة به . ولعل الخطأ وقع في تحريف اسم الخليفة الذي وضع الكتاب له فكان «المستعصم» (توفي سنة ٦٥٦هـ) فقرىء «المعتصم» وكثيراً ما يتفق ذلك في قراءة الخطوط . ثم ان الفهرست لم يذكر هذا الكتاب ولا مؤلفه وانما ذكره كشف الظنون بدون اسم المؤلف

(١) Gesch. des Ar. Lit. I. 211

اما الكتاب فانه جزيل الفائدة يبحث في السياسة والاجتماع والفلسفة والطبيعيات والرياضيات والموسيقى . وهو مقسوم الى اربعة فصول ١ مقدمة الكتاب ٢ احكام الاخلاق واقسامها ٣ اصناف السيرة العقلية وانتظامها ٤ اقسام السياسات واحكامها . وكل من هذه الفصول مقسوم الى ابواب ترتبت فيها الافكار او الاحكام بشكل جداول او مشجرات بغاية الدقة . وقد طبع هذا الكتاب في القاهرة سنة ١٢٨٦ على الحجر في ١٥٢ صفحة كبيرة ليمكن تصوير تلك المشجرات . وهذا مثال منه

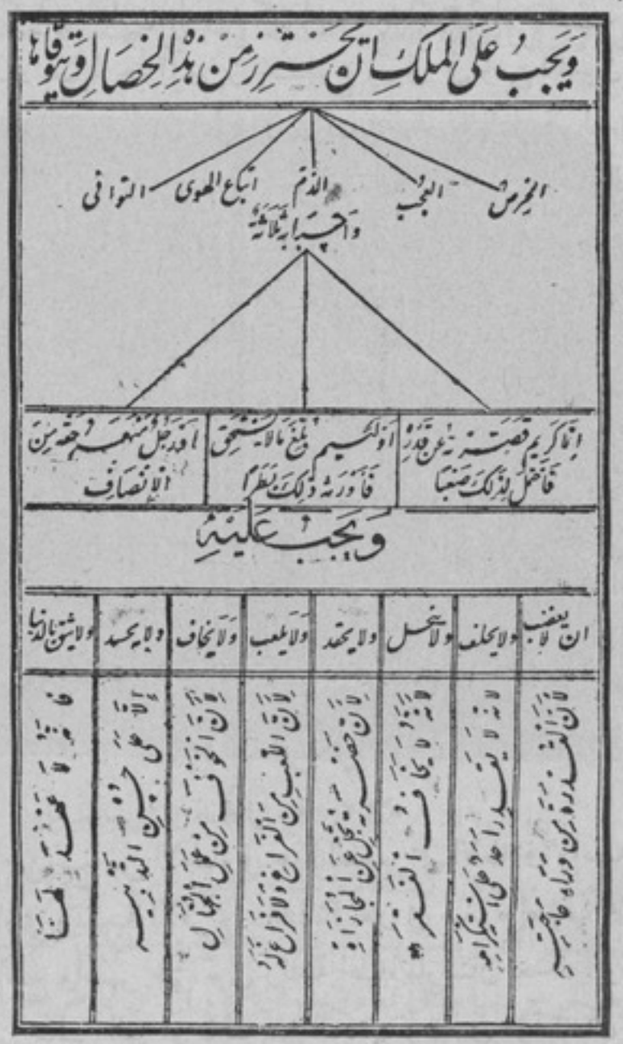

ش ١١ : صفحة من كتاب سلوك المالك

ثانياً – الطب والاطباء

ونبغ في هذا العصر ايضاً طائفة من الاطباء المسلمين وغيرهم هاك اشهرهم حسب سني الوفاة :

١ – ابن ماسويه

توفي سنة ٢٤٣ هـ

هو ابو زكريا يوحنا بن ماسويه كان ابوه صيدلياً في مارستان جندي سابور وتثقف في بغداد بعناية جبرائيل بن بختيشوع وترقى فى زمن المأمون والواثق . وله مترجمات حسنة ومؤلفات لم يبق منها الا ١ كتاب نوادر الطب في ليدن والاسكوريال وغوطا وله ترجمة لاتينية وشروح ٢ جواهر الطب ٣ كتاب ماء الشعير في مكتبة جزائر الغرب ٤ الادوية السهلة في اكسفورد وغيرها . وقد نشرنا رسمه مع المترجمين

وترجمة ابن ماسويه في اخبار الحكماء ٢٤٨ والفهرست ٢٩٥ وطبقات الاطباء ١٧٥ ج ١

٢ – ابن سهل

هو سابور بن سهل صاحب مارستان جندي سابور توفي سنة ٢٥٥ هـ وله كتاب الاقراباذين الكبير كان معوّل الصيادلة في اثناء التمدن الاسلامي . منه نسخة خطية في منشن

وترجمته في طبقات الاطباء ١٦١ ج ١ وتراجم الحكماء ١٤٠

٣ – ابو بكر الرازي

توفي سنة ٣٢٠ هـ

هو اشهر من نبغ من الاطباء في هذا العصر على الاطلاق واسمه ابو بكر محمد ابن زكريا الرازي ويسميه الافرنج Razès كان في صغره يضرب على العود وتلقى العلم على كبر وافلح واشتهر حتى تولى رئاسة اطباء مارستان بغداد . وظهرت مواهبه بما كان يعقده من مجالس العلم او يؤلفه من الكتب وجمع في مؤلفاته كل ما كان معروفاً من العلوم الطبية في عصره ومن امثالهم « ان الطب كان معدوماً فأحياه جالينوس وكان متفرقاً فجمعه الرازي وكان ناقصاً فكمله ابن سينا »

وكان الرازي يجلس في مجلسه ودونه التلاميذ دونهم تلاميذهم ودونهم تلاميذ

آخرون . فكان يجيء الرجل فيصف ما يجد لاول من يلقاه فان كان عندهم علم والا تعداهم الى غيرهم فان اصابوا والاّ تكلم الرازي . وكان كبير الراس مسفطه جليل الطلعة يتهيب الناس مجلسه لولا رطوبة كانت في عينيه . وكان كريماً متفضلاً رؤوفاً بالمرضى دقيق الملاحظة صحيح النظر ويروون عن ذكائه واصابته نوادر كثيرة لا محل لها هنا

وكان اكثر مقام الرازي في الري وغيرها من بلاد العجم وخدم بصناعته الاكابر من ملوكها وامرائها وصنف بعض كتبه لهم ككتاب المنصوري الذه للامير منصور من آل سامان وكتاب الملوكي لعلي ابن صاحب طبرستان وسنعود اليها

وكان الرازي مولعاً بالعلوم الحكمية وله فيها مصنفات نفيسة وخصوصاً علم

ش١٢: ابو بكر الرازي في معمله يشتغل بالكيمياء

الكيمياء وما يتعلق بها وله اكتشافات كيماوية اهمها زيت الزاج (الحامض الكبريتيك) والكحول استحضر الاول باستقطار كبريتات الحديد واسمها في العربية الزاج الاخضر فلما استقطرها خرج منها سائل سماه زيت الزاج . ولا تزال طريقة الرازي من طرق استحضار هذا الحامض الى اليوم . اما الكحول فاستحضره باستقطار مواد نشوية وسكرية مختمرة . والف الرازي في الكيمياء كتباً كثيرة ولم يكن يعتقد ما يعتقده اهل زمانه من امكان تحويل المعادن الى ذهب وانما كان يؤلف في هذا الفن على اعتقاد

اهله التماساً للمال . لكن ذلك ألحق به الاذى لان منصور الساماني المذكور طالبه باستخراج الذهب على الصفة التي ذكرها في كتابه فلم يستطع فغضب عليه وامر ان يضرب بالكتاب على رأسه حتى يتقطع ثم جهزه وسيره الى بغداد . فكان ذلك الضرب سبباً في نزول الماء على عينيه . وجاءه قداح يقدحهما وهي عملية الكتركتا الآن فسأله الرازي «كم طبقة للعين» فقال «لا اعلم» فقال «لايقدح عينيّ من لا يعلم ذلك» ثم قال «قد نظرت الدنيا حتى مللت منها فلا حاجة بي الى عينين»

توفي سنة ٣٢٠ وقيل ٣١٠ وقيل ٣٦٤ هـ

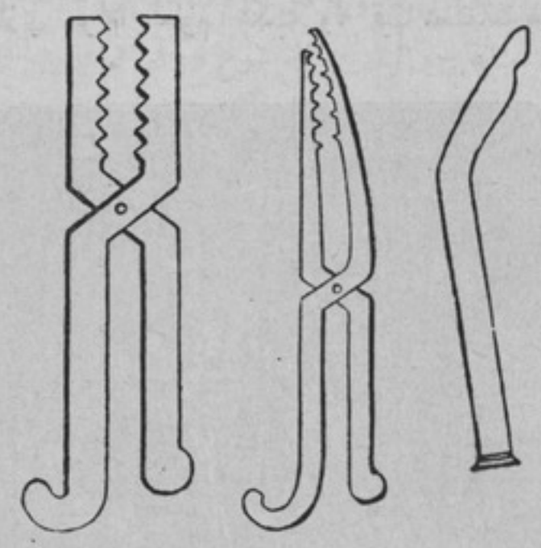

ش ١٣ : آلات قلع الاسنان في ذلك العصر

وخلف الرازي اكثر من مئتي مؤلف لا يزال باقياً منها الى الان بضعة وعشرون مؤلفاً يطول بنا وصفها وانما نذكر اهمها وهي :

١ كتاب الحاوي : وهو اجل كتبه واعظمها في صناعة الطب جمع فيه ماوجده متفرقاً من ذكر الامراض ومداواتها في كتب الطب للمتقدمين ومن اتى بعدهم الى زمانه ونسب كل قول الى قائله . ومن هذا الكتاب نسخة خطية في المتحف البريطاني واخرى في مكتبة مونيخ وفي مكاتب اوكسفورد والاسكوريال . وقد نقل الى اللاتينية نقله فراغوت وطبع مرتين وقد اختصره غير واحد

٢ كتاب الطب المنصوري : وقد ذكرنا سبب تأليفه . ومنه نسخة في المكتبة الاهليه بباريس وفي مكاتب اوكسفورد ودرسدن واسكوريال وغيرها . وقد نقله الى اللغة اللاتينية الكريموني وطبع فيها

٣ كتاب الجدري والحصبة : وهو اول من وصف هذين الدائين حق الوصف وقد ترجم كتابه الى اللاتينية وغيرها ونشر فيها كلها

٤ كتاب الفصول في الطب : ويقال له المرشد نقل الى العبرانية ويوجد في ليدن ونقل الى اللاتينية وطبع فيها وقد وصفه المشرق صفحة ٥٤٢ سنة ٤

٥ كتاب الكافي : ترجم الى العبرانية وهو موجود في مكتبة اوكسفورد

٦ كتاب برء الساعة : يوجد في برلين وغيرها ونشره الدكتور كيك في مجلة المشرق صفحة ٣٩٥ سنة ٦

٧ كتاب الطب الملوكي : يوجد خطاً في مكتبة ليدن

وقد ترجمنا الرازي ووصفنا كتبه الباقية في الهلال ٣٩٧ سنة ١٨ وتجد ترجمته ايضاً في ابن خلكان ٦٨ ج ٢ وطبقات الاطباء ٣٠٩ ج ١ والفهرست ٢٩٩ واخبار الحكماء لابن القفطي ١٧٨

ثالثاً — الزراعة

ومن العلوم التي نضجت في هذا العصر وبقيت كتبها الى اليوم واستفاد منها اهل الاجيال المتأخرة علم الزراعة او الفلاحة . وهو في الاصل منقول عن الكلدانية نقله احمد بن علي بن قيس الكلداني المعروف بابن وحشية سنة ٢٩١ هـ في كتاب سماه «الفلاحة النبطية» أملاه سنة ٣١٨ هـ على علي بن محمد بن الزيات وجعله في خمسة اجزاء منها نسخ خطية في برلين وليدن واكسفورد والمتحف البريطاني وباريس والجزائر والمكتبة الخديوية . ومنه مختصر الفلاحة للزيتوني وطبعت في بطرسبورج سنة ١٨٥٩ وله كتب في النجامة منها نسخ في مكاتب اوربا لا فائدة من ذكرها

ولقسطا بن لوقا الطبيب النصراني البعلبكي المتوفى سنة ٣١١ هـ كتاب الفلاحة اليونانية نقله عن السريانية وقد طبع في مصر سنة ١٢٩٣

العصر العباسي الثالث

او المئة الثالثة من الدولة العباسية

من سنة ٣٣٤ هـ الى سنة ٤٤٧ هـ

يبدأ هذا العصر باستقرار الدولة البويهية سنة ٣٣٤هـ وينتهي بدخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧ وقد قلنا في كلامنا عن العصر العباسي الاول انه عصر الاسلام الذهبي ونعني انه عصرها الذهبي من حيث منعة الدولة واتساع السلطان وفيه نقلت العلوم القديمة الى العربية . وأما عصر الاسلام الذهبي للعلم خاصة فهو العصر الذي نحن في صدده او المئة الثالثة للدولة العباسية . لان فيه نضجت العلوم على اختلاف مواضيعها وتم نموها وظهرت الكتب الوافية في اكثرها . ولا سيما في اللغة وعلومها وفي التاريخ والجغرافية والادب والطب والفلسفة ولذلك اسباب اجتماعية طبيعية سيأتي بيانها . ونقدم الكلام في مدائن العلم الاسلامية

تنقل العلم في المدائن الاسلامية

رأيت في ما تقدم ان العلوم الاسلامية نشأ معظمها في البصرة والكوفة ثم تحولت الى بغداد بعد استبحار عمرانها في العصر العباسي الثاني . فاصبحت بغداد في ذلك العصر كعبة العلم وحج العلماء كما كانت رومية في ابان التمدن الروماني . حتى اذا تولى المعتصم واستكثر من الاتراك وظهرت منهم الاساءة لاهل بغداد نفر الناس وتباعدت القلوب . ولكن المعتصم كان على مذهب اخيه المأمون في الاعتزال واكرام الشيعة فظلت بغداد على نحو ما كانت عليه في ايام المأمون . وكان الواثق يتشبه بالمأمون في حركاته وسكناته . وكان يعقد المجالس مثله للمباحثة بين الفقهاء والمتكلمين في انواع العلوم العقلية والسمعية في جميع الفروع

فلما توفي الواثق سنة ٢٣٣ هـ خلفه اخوه جعفر المتوكل وكان شديد الانحراف عن الشيعة والمعتزلة حتى امر بهدم قبر الحسين بن علي وما حوله من المنازل ومنع الناس من اتيانه . وكان كثير الاستهزاء بعلي يجالس من اشتهر ببغضه . وخالف ما كان عليه المأمون والمعتصم والواثق من الاعتقاد . فابطل القول بخلق القرآن ونهى

عن الجدل والمناظرة في الآراء وعاقب عليه . وامر بالرجوع الى التقليد ونصر السنة والجماعة وامر الشيوخ والمحدثين بالتحديث . فانحط علم الكلام بعد ان بلغ رونقهُ في ايام الرشيد وخلفائه فاخذ في التقهقر في ايام المتوكل لانهُ كان شديد الوطأة على اصحاب الرأي واصحاب الفلسفة وسائر العلوم الدخيلة . واخذ منذ تولى الخلافة في مناواتهم فاهلك جماعة من العلماء وحط مراتبهم وعادى العلم واهله . ولاقى اهل الذمة منه الشدائد بتغيير زيهم وتذليلهم واهانتهم . ومن اشهر حوادث نقمته على خدمة العلم انه غضب على بختيشوع الطبيب وقبض ماله ونفاه الى البحرين وقتل ابن السكيت النحوي كما تقدم . وسخط على عمر بن مصرح الراجحي وكان من علية الكتاب واخذ منه مالاً وجواهر وامر ان يصفع في كل يوم

ومات المتوكل مقتولاً سنة ٢٤٧ هـ قتلهُ رجالهُ فاضطربت احوال الخلافة واستفحل شأن الاتراك . ففترت قلوب طلبة العلم واكثرهم من الفرس والعرب فتفرقوا من بغداد رويداً رويداً الى انحاء المملكة الاسلامية شرقاً وغرباً ولذلك كان اكثر من ظهر من العلماء بعد نضج العلم في القرن الرابع للهجرة فما بعده نبغوا خارج بغداد وفيهم الاطباء والفلاسفة والمنجمون والمهندسون والمتكلمون واصحاب المنطق والفقهاء واللغويون والمحدثون والمؤرخون وغيرهم

فكان مركز الطب والطبيعيات والفلسفة عند ظهور الاسلام في الاسكندية ثم انتقل في ايام عمر بن عبدالعزيز في آخر القرن الأول للهجرة الى انطاكية . والعلوم الاسلامية انتقلت من البصرة والكوفة الى بغداد . وانضمت اليها العلوم الدخيلة فاصبحت بغداد ام المدائن في العلم والادب والفلسفة والطب وسائر العلوم العقلية والنقلية . فلما اضطربت احوال الخلافة في ايام المتوكل ثم نشأت الدول الجديدة في انحاء المملكة الاسلامية بالتفرع والتشعب على مقتضى ناموس الارتقاء تفرق العلماء واصبح للعلم مراكز كثيرة قد يتفاضل بعضها على بعض . وتدرَّج الانتقال من بغداد شرقاً الى العراق العجمي فخراسان فما وراء النهر . وغرباً الى الشام ومصر فالمغرب فالاندلس

فاقبل العصر العباسي الثالث وقد نبغ المفكرون والمشتغلون في العلم والادب من الشعراء والادباء والمنشئين والمؤرخين والجغرافيين واللغويين والفلاسفة في مدائن كثيرة من المملكة الاسلامية من اقصى تركستان في الشرق الى اقصى الاندلس في الغرب . ويدخل في ذلك ما وراء النهر وافغانستان وطبرستان وخوارزم وفارس وما

بين النهرين والمغرب والاندلس ومصر والشام وغيرها

وزاد انتساب العلماء الى مواطنهم فكثرت اسماء البخاري والنيسابوري والرازي والبغدادي والاندلسي . بعد ان كان اكثر انتسابهم الى اصولهم كالحميري والمازني والقرشي والفارسي ونحوها . او الى صنائعهم كالنحاس والزجاج

اسباب النهضة في هذا العصر

حدث في العصر العباسي الاول نهضة علمية عقبها في العصر العباسي الثاني فتور على اثر البحران السياسي الذي اخذ من نفوس رجال الدولة حتى اشتغلوا بانفسهم عن تنشيط العلم . فكانت المئة الثانية من الدولة العباسية فترة تم فيها تكون اغراس العلم فاقبلت المئة الثالثة وقد ظهرت ثماره ناضجة وهي النهضة الثانية في الدولة العباسية . والفاعل الرئيسي في هذه النهضة ناموس النشوء الطبيعي ونصرة رجال الدولة

ناموس النشوء والارتقاء

يقضي ناموس النشوء والارتقاء على الاحياء وما يتعلق بهم بالنمو والتفرع في آجال معينة ــ فالعلوم الاسلامية ولدا كثرها في البصرة والكوفة ونمت في بغداد . فلما تم نموها وادركت رشدها كانت الدولة قد بلغت دور التفرع فظهرت ثمار ذلك النمو في فروع تلك الدولة او من تغلب عليها من الدول الخارجية . وتعددت الدول التي اقتسمت الساطة على المملكة العباسية مع بقاء الخلفاء العباسيين في العراق . وقد فصلنا ذلك في الجزء الرابع من تاريخ التمدن الاسلامي . فنكتفي هنا بالدول التي تعاونت على النهضة العلمية في ذلك العصر وهي :

اسم الدولة	مقرها	مدة حكمها	جنس مؤسسها
المروانية	الاندلس	من سنة ١٣٨ — ٤٢٢	عربي
السامانية	وراء للنهر	« ٢٦١ — ٣٨٩	فارسي
الزيارية	جرجان	« ٣١٦ — ٤٣٤	«
الحمدانية	بين النهرين وحلب	« ٣١٧ — ٣٩٤	عربي
البويهية	العراق وفارس وغيرهما	« ٣٢٠ — ٤٤٧	فارسي
الغزنوية	افغانستان والهند	« ٣٥١ — ٥٨٢	تركي
الفاطمية	مصر	« ٣٥٧ — ٥٦٧	عربي

رغبة الامراء في العلم

فهذه الدول تعاصرت في العصر العباسي الثالث وكان لها تأثير عظيم في احياء العلوم بمن نبغ بين ملوكها او امرائها أو وزرائها من محبي العلم الآخذين بناصر العلماء — والناس على دين ملوكهم — واذا اراد الله بالناس خيراً جعل العلم في ملوكهم والملك في علمائهم . لان العلم لايورق ولا يثمر الا في ظل ملك او امير يتعهده ويأخذ بأيدي اصحابه

لذلك زها الادب في زمن عبد الملك بالعصر الاموي وفي زمن الرشيد والمأمون في العصر العباسي الاول . ولمثل هذا السبب ظهرت ثماره ناضجة في العصر الذي نحن شأنه . وهو في هذا العصر اكثر ثمراً واصح نتاجاً لان العاملين على تعهده تكاثروا . وبعد ان كان نصيره الخليفة او وزيره او بعض عماله في بلد واحد اصبح نصراؤه في هذا العصر عدة ملوك وامراء ووزراء في اشهر مدائن العالم الاسلامي . وقد تعاونت على استثماره قرائح العرب والفرس والترك والديلم والروم وغيرهم ممن تعرب او انخرط في الاسلام من امم الشرق والغرب . واخذ الناس يتسابقون في خدمة العلم كما يتسابق ملوكهم في نصرة العلماء . وهاك اشهر انصار العلم في ذلك العصر من الملوك او الامراء او الوزراء في الدول التي تقدم ذكرها :

الدول التي ساعدت على هذه النهضة

١ — الدولة البويهية في العراق وفارس

رجال هذه الدولة وانصارها الديلم من الجيلان وراء خراسان . ولكن ملوكها آل بويه من الفرس ويرتفع نسبهم الى ملوك الفرس القدماء وانما سموا ديلم لانهم سكنوا بلاد الديلم وهم من الشيعة العلوية . وكان العلويون يسعون في نشر دعوتهم هناك من ايام الرشيد وآخر من نجح في ذلك الحسن بن علي الاطروش من نسل الحسين . فدعا الديلم الى مذهبه في اواخر القرن الثالث فاجابوه

وجدّ آل بويه الاقرب الذي اسس هذه الدولة اسمه بويه ولقبه ابو شجاع كان له ثلاثة اولاد هم : علي ويلقب عماد الدولة . وحسن ويلقب ركن الدولة . واحمد ويلقب معز الدولة . وكان بويه رقيق الحال فانتظم اولاده بالجندية لانها كانت يومئذ

باباً من ابواب الرزق الواسعة . وكان عماد الدولة في خدمة مرداويج مؤسس الدولة الزيارية فارتقى عنده حتى ولاه الكرج ثم اتسعت احواله فكتب الى الخليفة العباسي وهو يومئذ الراضي بالله المتوفى سنة ٣٢٩ هـ ان يقاطعه على اعمال فارس بمال يحمله الى دار الخلافة على جاري عادتهم مع الدولة العباسية في ذلك العهد . فاجابه الراضي وبعث اليه بالخلعة . واخوه حسن ركن الدولة تملك خوارزم . وجاء الاخوان واتحدا مع اخيهما الثالث معز الدولة في شيراز وساروا غرباً حتى اتوا بغداد في ايام المستكفي سنة ٣٣٤ هـ فرحب بهم وخلع عليهم ولقبهم الالقاب المذكورة . وجعل معز الدولة امير الامراء . فاستبدوا في المملكة واستولوا على الخلافة وعزلوا الخلفاء وولوهم فرفعوا منار الشيعة واحيوا معالمها واضعفوا نفوذ الاتراك والخلافة العباسية لا تزال في بغداد . ولما افضت امارة الامراء الى عضد الدولة لقب بالملك وهو اول من خوطب بهذا اللقب في الاسلام

وامتدت سلطة البويهيين على العراق وفارس وخراسان الى سنة ٤٤٧ هـ وكانوا يحبون العلم والادب ولا يستوزرون أو يستكتبون الا العلماء والشعراء والكتاب . فكان اشهر ادباء ذلك العصر من وزرائهم او عمالهم او قضاتهم او كتابهم كابن العميد والصاحب بن عباد وسابور بن اردشير المهلبي . فضلاً عن الادباء من العمال والقضاة وكتاب الدولة

على ان ملوك آل بويه انفسهم اشتهر منهم غير واحد في الادب والشعر اشهرهم في ذلك عضد الدولة المتوفى سنة ٣٧٢ هـ كان اوسعهم سلطاناً واقواهم سطوة . وكان مشاركاً في عدة فنون من الادب فقرب اليه العلماء والكتاب واحسن وفادتهم واستحثهم على الاشتغال بالعلم وتأليف الكتب فألف له ابو اسحق الصابي كتاباً في اخبار آل بويه سماه التاجي والف له ابو علي الفارسي كتاب الايضاح والتكملة في النحو . وقصده فحول الشعراء في عصره كالمتنبي والسلامي وغيرهما وكان مجلسه لا يخلو من الادباء والعلماء يباسطهم ويباحثهم . ومن شغفه بالشعر تمنى ان يكون المصلوب بدل ابن بقية الوزير لتقال فيه قصيدة محمد بن عمران الانباري التي مطلعها :

علوٌّ في الحياة وفي الممات لعمرك تلك احدى المعجزات[1]

وكان هو نفسه ينظم الشعر الحسن وقد ذكر صاحب يتيمة الدهر (ج ٢) امثلة من نظمه . ومن نكاته الادبية ان افتكين التركي صاحب دمشق كتب اليه « ان الشام

(١) ابن خلكان ٦٣ ج ٢

قد صفا وصار في يدي وزال عنه حكم صاحب مصر وان قوّيتني بالاموال والعدد حاربت القوم في مستقرهم » فكتب عضد الدولة جوابه كلمات متشابهة في الخط لا تقرا الا بعد الشكل والنقط والضبط وهي « غرّك عزّك فصار قصار ذلك دلك فاخش فاحش فعلك فعلّك بهذا تهدا » والبيمارستان في بغداد ينسب اليه

وكان عز الدولة ابو منصور بختيار بن معز الدولة شاعراً (سنة ٣٥٦ — ٣٦٧) وكذلك تاج الدولة بن عضد الدولة وهو آدب آل بويه واشعرهم واكرمهم . وكان يلي الاهواز فادركته حرفة الادب فادت الى نكبته . وكذلك ابو العباس خسرو ابن فيروز بن ركن الدولة . وتجد امثلة من اشعارهم في الجزء الثاني من يتيمة الدهر للثعالبي مؤرخ أدباء ذلك العصر

على ان تأثيرهم في هذه النهضة يتوقف بالاكثر على اخذهم بناصر الادباء والعلماء وكانوا شديدي الرغبة في ذلك . فركن الدولة بن بويه في الري وهمذان واصبهان (سنة ٣٢٠—٣٦٦) استوزر ابن العميد الكاتب العالم المشهور . وكان ابن العميد مقصداً للشعراء والادباء واهل العلم كما سترى . وبهاء الدولة بن عضد الدولة في العراق والاهواز (سنة ٣٧٩ — ٤٠٣) استوزر سابور بن اردشير فانشأ هذا الوزير في كرخ بغداد خزانة كتب وقفها على افادة الناس — قال ياقوت « لم يكن في الدنيا احسن كتب منها كانت كلها بخطوط الائمة المعتبرة واصولهم المحررة » وكان سابور ايضاً شاعراً

ومعز الدولة بن بويه (سنة ٣٢٠ — ٣٥٦) استوزر الحسن المهلبي المتوفى سنة ٣٥٢ هـ وكان المهلبي شاعراً اديباً وهو صاحب الابيات المشهورة التي اولها :

ألا موتٌ يباعُ فاشتريهِ فهذا العيش ما لا خير فيهِ

قاله وهو في اشد الضيق قبل الوزارة

واكثر وزراء هذه الدولة تأثيراً في هذه النهضة الصاحب بن عباد وزير مؤيد الدولة بن ركن الدولة ثم وزر لفخر الدولة اخيه . وكان شاعراً عالماً كاتباً وسنترجمه على حدة . وكان يجتمع عنده من الشعراء ما لم يجتمع عند غيره . وكان عظيم المنزلة عند فخر الدولة لا يُردُّ له طلب — فكم يكون تأثيره في احياء معالم الادب ؟ وكان له عشرات من اهل العلم والادب يقيمون عنده وعشرات يفدون عليه . وبالجملة فان البويهيين كانوا يختارون وزراءهم وعمالهم حتى كتابهم من الادباء ويتعاونون على نصرة الادب

٢ – الدولة السامانية في تركستان

رأس هذه الدولة سامان من اشراف بلخ انشأ اعقابه دولة عظيمة في خراسان وتركستان . وزهت في ايامهم بخارا فكانت مجتمع الادباء والعلماء والشعراء . واشتهرت نيسابور وفيها انشئت اقدم المدارس الاسلامية [1] وتوالى في الدولة السامانية عشرة ملوك من سنة ٢٦١ — ٣٨٩ اشتهر غير واحد منهم بنصرة العلم . فمنهم منصور بن نوح (سنة ٣٥٠ — ٣٦٦) كان محبًّا للعلم والعلماء فاستوزر البلعمي العالم الفارسي فترجم له تاريخ الطبري الى اللغة الفارسية كما تقدم في ترجمة الطبري

وخلفه ابنه نوح بن منصور (سنة ٣٦٦ — ٣٨٧) من محبي العلم واهله . كان مجلسه مجتمع الشعراء وهو اول من اقترح نظم الشاهنامة (الياذة الفرس) في الفارسية اقترح ذلك على شاعره الدقيقي فنظم له بعضها ثم قتل فاتمها الفردوسي بعده باشارة السلطان محمود الغزنوي كما سيجيء . وكان نوح رغاباً في استخدام رجال العلم . فلما سمع بشهرة الصاحب بن عباد وزير البويهيين كتب اليه سرًّا يستدعيه الى بخارا ليفوض اليه وزارته وتدبير امر مملكته . فاعتذر الصاحب عن ذلك بانه يحتاج لنقل كتبه الى ٤٠٠ جمل ـ ولعل له عذراً آخر كتمه . وكان نوح هذا شديد الحرص على الكتب راغباً في اقتنائها فجمع مكتبة كبيرة حوت اهم المؤلفات في كل علم من الادب والشعر والتاريخ والطب والفلسفة . ذكرها ابن سينا في حديثه عن صبوته . وقال انه استفاد منها وان منها كتباً نادرة الوجود

ومن ابناء الدولة السامانية منصور السامانى لم يحكم لكنه كان يحب العلماء فالف له ابو بكر الرازي كتاب المنصوري في الطب كما تقدم . وبالجملة كانت بخارا مثابة المجد وكعبة الملك ومجتمع افراد الزمان من الادباء والعلماء والفضلاء

٣ — الدولة الزيارية في طبرستان

كان مقرُّ هذه الدولة في جرجان بطبرستان اول ملوكها مرداويج بن زيار تولى الملك سنة ٣١٦ هـ واشهرهم بنصرة العلماء شمس المعالي قابوس بن وشمكير (سنة ٣٦٦ — ٤٠٣) وكان شاعراً اديباً كاتباً من ابلغ كتاب العربية وله معرفة بالفلسفة والنجوم والنجامة . وقد الف في العربية رسالة في الاسطرلاب اطنب ابو اسحق

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ٢٠٠ ج ٣

الصابي في مدحها . ومن شعره الابيات المشهورة التي مطلعها .

قل للذي بصروف الدهر عيَّرنا هل حارب الدهر الا من له خطرُ
اما ترى البحر تعلو فوقه جيفٌ وتستقرُّ باقصى قعره الدررُ
وفي السماء نجومٌ ما لها عددٌ وليس يكسف الا الشمس والقمرُ

وذكر له صاحب يتيمة الدهر امثلة من الانشاء البليغ وكان يراسل الصاحب بن عباد . ووزيره ابو العباس الغائمي يراسل ابا نصر العتبي مؤرخ السلطان محمود الغزنوي

٤ – الدولة الغزنوية بافغانستان والهند

ش ١٤ : السلطان محمود الغزنوي

مقرها غزنة وملوكها من الاتراك اولهم ألبتجين تولى سنة ٣٥١ هـ لكن اشهرهم واعظمهم السلطان محمود (سنة ٣٨٨ — ٤٢١) صاحب الفتوح العظيمة في الهند وناشر الاسلام فيها وكان يلقب بيمين الدولة . فتح بخارا وخلف الدولة السامانية فيها سنة ٣٨٩ هـ وغلب على الزياريين وغيرهم . وامتدت سلطته على افغانستان وتركستان وخراسان وطبرستان وسجستان وكشمير وشمالي الهند . وورث ما كان هنالك من اسباب الادب والعلم . واصبح مجلسه آهلاً بالشعراء كما كانت العادة عند ملوك ذلك العصر . فاقترح عليهم اتمام الشاهنامة التي بدأ بنظمها الدقيقي كما تقدم . فاتمها الفردوسي وقد نظم معظمها — ولذلك فهي تنسب اليه

وكان محمود لا يسمع بعالم او شاعر الا استقدمه اليه . فعلم ان في مجلس مأمون ابن مأمون امير خوارزم جماعة من رجال العلم والفلاسفة في جملتهم ابن سينا الطبيب والبيروني الرياضي المؤرخ وابو سهل المسيحي الفيلسوف وابو الحسن الخمار الطبيب

وابو نصر العرّاق الرياضي وغيرهم . فتاقت نفسه الى احرازهم في مجلسه فكتب الى مأمون كتاباً ارسله مع بعض خاصته خلاصته : « علمت ان في مجلسك جماعة من العلماء المبرزين مثل فلان وفلان فارسلهم اليّ ليتشرفوا بمجلسي ونستفيد من علمهم » فلم يكن للامير ان يرد الطلب لكنه كان حريصاً على اولئك الاعلام فجمعهم وتلا عليهم الكتاب واعتذر انه لا يقوى على رد طلبه . فقبل البيروني والخمّار والعرّاق بالذهاب طمعاً بسخاء السلطان . وفر ابن سينا والمسيحي في حديث طويل لا محل له هنا (١) وانما اردنا بيان رغبة السلطان محمود بتقريب العلماء . وان لم تكن رغبته لمجرد حب العلم . فان استدناء اهل العلم والادب واكرامهم كان في نظر اهل ذلك العصر من اسباب الابهة وادلة الحضارة

٥ — الدولة الحمدانية في حلب والموصل

هي دولة عربية من قبيلة تغلب بجوار الموصل . جدها حمدان كان له شأن كبير باخبار تلك الديار . واستولى ابنه محمد بن حمدان على ماردين فاخرجه منها الخليفة المعتضد . وتولى اخوه ابو الهيجاء بن حمدان اميراً على الموصل وما يليها سنة ٢٩٢ هـ واشتد ساعده . وزادت قوة الحمدانيين في ذلك الحين وصاروا دولة حكم منها اربعة امراء في الموصل وخمسة في حلب حتى خرجت الموصل منهم الى البويهيين سنة ٣٨٠ واستولى الفاطميون على حلب سنة ٣٩٤

اشهرهم في نصرة العلم والادب سيف الدولة ابو الحسن علي صاحب حلب (من سنة ٣٣٣ — ٣٥٦) ممدوح المتنبي . وكان سيف الدولة اديباً شاعراً نقاداً للشعر يحب جيده ويطرب لسماعه . وفي شعره صبغة التشبيهات الملوكية كقوله :

وساقٍ صبيح للصبوح دعوته فقام وفي اجفانه سنة الغمضِ
يطوف بكاسات العقار كانجم فمن بين منقضٍّ علينا ومنفضّ
وقد نشرت ايدي الجنوب مطارفاً على الجوّ دكناً والحواشي على الارض
يطرّزها قوس السحاب باصفرٍ على احمر في اخضرٍ تحت مبيض
كاذيال خودٍ اقبلت في غلائل مصبغة والبعض اقصر من بعض

وفي يتيمة الدهر طائفة حسنة من شعره واخباره (٨ ج ١) وكان يقرب الشعراء واهل الادب حتى قيل انه لم يجتمع بباب احد من الملوك بعد الخلفاء ما

(١) Browne; Lit. Hist. of Persia II. 96

اجتمع ببابه من شيوخ الشعر . وكان يجالس الشعراء وينتقد اشعارهم نقداً يدلّ على شاعرية وعلم ويبذل لهم الجوائز السنية . واخباره مع المتنبي مشهورة وكذلك مع السري الرفاء والنامي والببغاء والواواء وتلك الطبقة

واشتهر من آل حمدان غير واحد من الشعراء اشعرهم ابو فراس الحمداني الشهير وسيأتي ذكره . ومنهم ابو زهير وابو وائل وغيرهما . كما اشتهر منصور واحمد ابنا كيغلغ من امراء الشام

٦ — الدولة المروانية بالاندلس

وكانت الاندلس في هذا العصر في ابان مجدها في ظل عبد الرحمن الناصر (سنة ٣٠٠ — ٣٥٠) وابنه الحكم (٣٥٠ — ٣٦٦) وهما اشهر من ان نبين حبهما العلم والعلماء . وفي غصن الاندلس الرطيب عشرات من الشعراء كانوا يحضرون مجالسهما فضلاً عن علماء الفقه والادب

وكان الحكم بن الناصر مولعاً باقتناء الكتب فجمع منها ما لم يجمعه احد من الملوك قبله . وانشأ في قرطبة مكتبة جمع اليها الكتب من انحاء العالم . كان يبعث في شرائها رجالاً من التجار ومعهم الاموال ويحرضهم على البذل في سبيلها لينافس بني العباس في اقتناء الكتب وتقريب الكتاب . وكان ابو الفرج الاصفهاني صاحب الاغاني معاصراً له وهو اموي مثله فبذل له الف دينار ذهب على ان يرسل اليه كتاب الاغاني قبل اخراجه الى بني العباس . وفعل نحو ذلك مع القاضي ابي بكر الابهري المالكي في شرحه لمختصر ابن عبد الحكم وغيره . فاجتمع له من الكتب ما لم يسبق له مثيل في الاسلام . فجعلوها في قاعات خاصة من قصر قرطبة اقاموا عليها خازناً ومشرفاً ووضعوا لها الفهارس لكل موضوع على حدة . وذكروا ان فهارس الدواوين وحدها ٤٤ فهرساً في كل فهرس عشرون ورقة (١) فاذا قدرنا للصفحة ٢٥ اسماً فقط كان مجموع عدد الدواوين ٤٤٠٠٠ كتاب فكيف بسائر الكتب . ولا نظننا نبالغ اذا سلمنا مع ابن خلدون والمقري ان مجموع ما حوته تلك المكتبة ٤٠٠٠٠٠ مجلد . ونبغ غير واحد من المروانية في الشعر

ونبغ من ملوك الطوائف بعدهم جماعة احبوا الادب ونصروا اهله منهم اسماعيل ابن ذي النون المتوفى سنة ٤٣٥ هـ وكان عالماً بالادب

(١) ابن خلدون ١٤٦ ج ٤

٧ – الدولة الفاطمية بمصر

استولى الفاطميون على مصر سنة ٣٥٧ هـ في اواسط العصر الذي نحن في صدده ونبغ منهم خليفتان نشطا العلم واهله هما العزيز بالله (سنة ٣٦٥ — ٣٨٦) والحاكم بامر الله (سنة ٣٨٦ ـ ٤١١) فانشأا خزائن الكتب فيها مئات الالوف من المجلدات في العلوم على اختلاف مواضيعها ـ انفقوا في ذلك الاموال الطائلة . وقد وصفنا خزانة العزيز بالله وما فيها من انواع الكتب وعنايته بتعهدها والانفاق عليها في تاريخ التمدن الاسلامي ج ٣ ووصفنا ايضاً مكتبة الحاكم التي سماها دار الحكمة او دار العلم وما اباحه من المناظرة بين المترددين اليها ومقدار ما فيها من الكتب والتسهيل على الناس للمطالعة والنسخ . ولم يكن اشتغالهم قاصراً على خدمة علوم الادب والفقه ولكنهم خدموا علم النجوم بالمراصد التي انشأوها كالرصد الحاكمي (المرصد) الذي بناه الحاكم على جبل المقطم ما زال عمدة الراصدين حتى بنى نصير الدين الطوسي مرصده في مراغة بتركستان سنة ٦٥٧ هـ ونبغ من الاسرة الفاطمية غير واحد من الشعراء

الوجهاء والعلم

فرغبة السلاطين والملوك في العلم حببه الى سائر الوجهاء واهل الدولة فاشتهرت غير اسرة من بيوتات الشرف بالانتماء الى العلم منهم آل الميكالي في خراسان واصلهم من فارس لكنهم تعربوا واغرموا باداب العرب فنبغ منهم الشعراء والادباء كابي الفضل الميكالي وابي محمد الميكالي وغيرهما . وآل المأموني من نسل الخليفة المأمون . وآل الواثقي من نسل الواثق وكلاهما في بخارا . وبالجملة فقد كانت العلوم رائجة واصحابها في عز وثروة يؤلفون الكتب للملوك او الامراء او الوزراء وينالون عليها الجوائز السنية . وربما الف الواحد منهم كتاباً للملك البويهي وكتاباً للسامانى وآخر للغزنوي كما فعل ابو منصور الثعالبي فانه الف كتابه لطائف المعارف للصاحب بن عباد . والمبهج والتمثل والمحاضرة لشمس المعالي قابوس بن وشمكير . وسحر البلاغة وفقه اللغة لابي الفضل الميكالي . والنهاية في الكناية ونثر النظم واللطائف والظرائف للمأمون صاحب خوارزم وقس على ذلك . فلاعجب اذا كثر المؤلفون وتعددت المؤلفات وحدث تغيير في اكثر ابواب العلم كما ستراه في مكانه

وقد رايت مما تقدم ان اكثر الدول المعاصرة من غير العرب كالسامانية والزيارية

والغزنوية والبويهية واكثرها فارسية الاصل وكان الفرس قد اخذوا في اعادة مجدهم قبل الاسلام بعد ان دانوا للعرب نحو ثلاثة قرون فانشأوا الدول وهم فرس في بلاد فارسية واخذوا في احياء آداب اسلافهم فنبغ فيهم الشعراء ونظموا الشاهنامة وغيرها — ومع ذلك لم يروا بدًّا من التعويل على اللغة العربية وجعلها لغة العلم والسياسة والادب والدين

مزايا هذا العصر

١ — نضج العلوم وكثرة المكاتب

يمتاز هذا العصر بنضج العلم على الاجمال وفيه تكونت المعاجم اللغوية واستقر الانشاء على اسلوب اصبح قاعدة يتحداها اهل العصور التالية بما يعبر عنه الافرنج بقولهم (كلاسيك) ونضجت الفلسفة وتألفت جمعية اخوان الصفا واستقرت قواعد الطبيعيات والطب كما ظهرت في رسائل اخوان الصفا وفي جملتها آراؤهم في اصل الموجودات وتدرجها في الخلق من البسائط الى المركبات نحو ما يقول اليوم اصحاب النشؤ والارتقاء . واتسع خيال الشعراء وظهر الشعر الفلسفي المبني على المشاهدة والاختبار والتفكير في الحكمة بالوجود . وتمَّ تكون الانتقاد الشعري او الادبي واستقرت ابواب الشعر على حال . وظهرت الروايات والقصص الخيالية . ونما فن التاريخ والجغرافيا وتفرع منها علم معرفة الاوائل . وظهر كتاب الفهرست لابن النديم وهو اهم مصادر تاريخ اداب اللغة الى ذلك العهد

وامتاز هذا العصر بكثرة المكاتب الكبرى في مصر والعراق والاندلس وغيرها تشتمل المكتبة منها على مئات الالوف من المجلدات وفتحت ابوابها لطلاب العلم والمطالعين كمكتبة العزيز الفاطمي التي تقدم ذكرها كانت تحتوي على نحو مليون من كتب الفقه والنحو واللغة والحديث والتاريخ والنجامة والروحانيات وسائر العلوم القديمة . ودار الحكمة او دار العلم للحاكم بامر الله وكانت ابوابها مفتوحة للطلاب كالمدرسة الكبرى للمطالعة والنسخ — نحو ما يراد بدار الكتب الخديوية الان . ومكتبة الحكم بن الناصر في قرطبة . وقس على ذلك مكتبة سابور بن اردشير في بغداد ومكاتب فارس وما وراء النهر وغيرها

٢ — ظهور الموسوعات

وفيه اخذت الموسوعات (دوائر المعارف) في الظهور بعد ان وضع اساسها الفارابي كما تقدم . على ان من كتب الادب ما يعدُّ من قبيل الموسوعات لتعدد مواضيعه ككتاب العقد الفريد الذي ذكرناه . واقرب منه الى هذا النوع من المؤلفات كتاب «مفاتيح العلوم» لابي عبد الله محمد بن احمد بن يوسف الخوارزمي المتوفى سنة ٣٨٧ هـ الفه لابي الحسن عبيدالله بن احمد العتبي وقسمه الى مقالتين :

الاولى تشتمل على ٥٢ فصلاً تجتمع في ستة ابواب وهي : ١ الفقه ٢ الكلام ٣ النحو ٤ الكتابة ٥ الشعر والعروض ٦ الاخبار

والمقالة الثانية ٤١ فصلاً في تسعة ابواب : ١ الفلسفة ٢ المنطق ٣ الطب ٤ علم العدد ٥ الهندسة ٦ النجوم ٧ الموسيقى ٨ الخيال ٩ الكيمياء . وقد طبع هذا الكتاب في ليدن سنة ١٨٩٥ بعناية المستشرق فان فلوتن في نيف وثلاثمائة صفحة . وهو عبارة عن مدخل للعلوم والفنون جامع لاوائلها فيحتوي على الموضوعات والمصطلحات العلمية فهو اشبه بكتاب حدود العلوم وتعريفها ولذلك سماه مفاتيحها لكنه جزيل الفائدة . وقد الف العرب كثيراً من الموسوعات بعد هذا العصر سيأتي الكلام عليها في مكانه

٣ — تعدد العلوم

وتعددت فروع العلم حتى زادت على ثلثمائة علم قسمها صاحب مفتاح السعادة الى ستة ابواب : ١ العلوم الخطية تسعة علوم ٢ العلوم المتعلقة بالالفاظ او العلوم اللسانية والتاريخ وغيرها ٤٤ علماً ٣ العلوم الباحثة عما في الاذهان من المنقولات خمسة ٤ العلوم المتعلقة بالاعيان ويدخل فيها الطبيعيات والرياضيات والطب والتاريخ الطبيعي والفراسة وهي ١٢٢ علماً ٥ العلوم الحكمية العلمية ثمانية علوم ٦ العلوم الشرعية كعلوم القراءة والتفسير والحديث واصول الدين ويزيد عددها جميعاً على نيف ومائة علم . ولولا ضيق المقام لاتينا باسمائها وفي كل علم من هذه العلوم مؤلفون ومؤلفات تعدُّ بالمئات والالوف ضاع اكثرها وعلينا ان نذكر ما بقي منها

٤ — التدبير المنزلي

وبين هذه العلوم فروع لم يتصل الى مثلها اهل التمدن الحديث الا بعد ان نضج تمدنهم في القرن الماضي . وقد عرفها العرب والفوا فيها منذ الف سنة او نحوها . كعلم

« تدبير المنزل » وهو عندهم فرع من الحكمة العملية وحدُّه « معرفة اعتدال الاحوال المشتركة بين الانسان وزوجته واولاده وخدامه . وطريق علاج الامور الخارجة عن الاعتدال» وموضوعه «احوال الاشخاص المذكورة من حيث الانتظام» وحاصله « انتظام احوال الانسان في منزله ليتمكن من رعاية الحقوق الواجبة بينه وبينهم » ومن المؤلفات في هذا الموضوع كتاب تدبير المنزل لبروسن ذكره صاحب الفهرست وقد ضاع . ومن الكتب المنزلية التي تدخل في راحة العائلة وقد ظهر كثير منها في العصر العباسي الاول والثاني فضلاً الثالث كتب الطبخ . منها « كتاب الطبخ » لابراهيم بن المهدي وغيره لابن ماسوية ولابراهيم بن العباس الصولي ولعلي بن يحيى المنجم ولاحمد بن الطبيب ولجحظة والرازي وغيرهم قد ضاعت . ويظهر من اسماء مؤلفيها انها كانت مبنية على العلم . ومنها كتب العطريات واشباهها وهي كثيرة وتدخل في باب تدبير المنزل

٥ — كتب السياسة

وألفوا ايضاً في السياسة وهي من فروع الحكمة العملية تحدوا بها ما نقلوه عن ارسطو . والسياسة عندهم ضروب منها السياسة الشرعية والمدنية . وقد الف في السياسة على اجمالها ابو زيد البلخي المؤرخ الجغرافي المتقدم ذكره كتابين الكبير والصغير . والف في السياسة المدنية ابو نصر الفارابي الفيلسوف كما تقدم . ومن هذا القبيل كتاب سياسة الملك للماوردي المتوفى سنة ٤٥٠ هـ ومن الكتب الهامة في هذا المرضوع كتاب « سياسة المالك في تدبير الممالك » لابن ابي الربيع جاء في مقدمته انه الفه للمعتصم العباسي (المتوفى سنة ٢٢٧ هـ) وقد ذكرنا في محل آخر من هذا الكتاب (صفحة ٢١٤) انه متأخر عن ذلك التاريخ لاسباب بيناها هناك ووصفنا الكتاب . وهو جليل جدًّا لم يغادر بحثاً من ابحاث العمران والسياسة والاخلاق الا طرقه ورتبه واوضح مسائله بشكل المشجرات حتى الطب والفلسفة . ومن هذا القبيل كتاب «سراج الملوك» للطرطوشي و« نهج السلوك في سياسة الملوك » للشيخ عبد الرحمن ابن عبد الله قدمه لصلاح الدين الايوبي وقد طبع بمصر سنة ١٣٢٦

٦ — الاقتصاد السياسي

واشتغلوا ايضاً في علم الاقتصاد السياسي وهو من العلوم التي يعدها اهل زماننا من محدثات هذا التمدن لكنه قديم في آداب لغتنا لا يتجاوز تاريخه العصر الذي نحن في صدده بل هو اقدم من ذلك . فان جماعة الفوا في المواضيع التجارية الاقتصادية في

العصر العباسي الثاني لكن مواضيعهم كانت خاصة في صنف او بضعة اصناف . ككتاب « الجواهر واصنافها » لمحمد بن شاذان الجوهري الفه للمعتضد المتوفى سنة ٢٧٩ هـ وكتاب « اجناس الرقيق » لرجل من اهل مصر. وكتاب «مزاجات الجواهر وعمل الفولاذ » ونحوها مما يتوسم فيه فن الاقتصاد السياسي وان لم نقف على شيء من تلك الكتب لانها ضاعت . لكننا عثرنا على كتاب شامل في هذا الموضوع نعني به كتاب « الاشارة الى محاسن التجارة » للشيخ ابي الفضل جعفر بن علي الدمشقي لا يعرف زمن وفاته لكن يظهر من بعض القرائن ان تأليفه لا يتجاوز العصر العباسي الثالث والكتاب نفيس يبحث في معرفة جيد الاعراض ورديئها وغشوش المدلسين . وفصول في حقيقة المال وانواعه واستثماره والكشف عن رديئه وفاسده من الاحجار الكريمة والافاويه والانسجة والابسطة والمحصولات الموسمية والاقوات كالزيت والدقيق وفي الدواب كالخيل والبغال والماشية . وفي الكتاب فصول في حصول الاموال واكتسابها بالمغالبة اوالاحتيال . ووصايا نافعة للتجار على اختلاف طبقاتهم . والكتاب مطبوع بمصر سنة ١٣١٨

٧ — علم العمران وغيره

ومن ابحاثهم ايضاً علم العمران والمشهور انه من ثمار التمدن الحديث ولكنه ولد في زمن العباسيين ونضج بعدهم . وان لم تظهر فيه مؤلفات مستقلة قبل مقدمة ابن خلدون . فان في كتاب سياسة الملك المتقدم ذكره فصولاً كثيرة من قبيل العمران غير ما في كتب الادب والسياسة من هذا القبيل . وفي كل حال فان الفضل فيه للعرب بما كتبه ابن خلدون وهو استاذ العالم في هذا العلم . وسيأتي الكلام على ذلك في مكانه

وناهيك بعلوم الحرب وضروبها فانهم الفوا فيها من اوائل دولتهم . وذكر صاحب الفهرست كتاباً للهرثمي الشعراني الفه للمأمون سماه كتاب « الحيل » جعله مقالتين الاولى ٣ اجزاء والثانية ٣٦ فصلاً كلها في الحروب وآلاته . وذكر كتاباً قبله لعبد الجبار بن عدي الفه للمنصور في آداب الحروب وصورة العسكر وغيرها كثير لكن اكثرها ضاع . وسنأتي على تفاصيل اخرى عند الكلام على كل علم في بابه

الشعر والشعراء

في العصر العباسي الثالث

ان ما قدمناه عن احوال الدول والامم في هذا العصر ظهر تأثيره في الشعر اكثر مما في سائر الآداب . لان الشعر مرآة احوال الامة كما تبين لك مما بسطناه عن احواله في العصور التي تقدم ذكرها . كان الشعر في الجاهلية ديوان العرب ومعرض آدابهم واخلاقهم يمثلون به الشجاعة والفروسية والضيافة والانفة والوفاء لا يتكلفون ولا يبالغون . فصاروا في ايام بني امية واكثر نظمهم في السياسة وظهر التشبيب بكثرة الجواري والسراري وكثر الهجو لاختلاف الاحزاب مع المحافظة على صبغته البدوية . فلما استبحر عمران العباسيين واوى الناس الى القصور وسرحوا في الحدائق وشربوا الخمر واقتنوا الغلمان ظهر اثر ذلك في اشعارهم . ثم زادوا على ذلك شكوى الزمان في العصر العباسي الثاني لاشتغال الخلفاء والوزراء عن الشعر والشعراء . ونحن الآن في عصر تسابق فيه ولاة الامر الى تقديم اهل الادب . فلا غرو اذا تعدد الشعراء وكثرت مدائحهم وطالت قصائدهم وتفرعت اساليبهم

مزايا الشعر في هذا العصر

١ — حل القيود القديمة

ان اطلاع اهل الادب على الكتب الفلسفية والطبيعية والمنطقية بعد ترجمتها عودت عقولهم على النظار الصحيح والتقرب من الحقيقة . فخطوا خطوة اخرى في تبديل مذهب الشعر وطرقه . واما هذه الطريقة المتنبي والمعري . وقد رايت ان شعراء العصر العباسي الاول انتقدوا طرق الجاهليين لكنهم ظلوا يحدونهم في كثير منها وهم يرسفون بالقيود التي وضعوها للنظم من حيث اللفظ والمعنى . فتملص المتنبي والمعري من تلك القيود وقالا الشعر كما توحيه القريحة فنظما في فلسفة الوجود والحكمة في الخلق من عند انفسهم ولا سيما المعري . والشعر الحقيقي هو التعبير عن الشعور بتلك الحكمة او تصوير الجمال الطبيعي باعم معانيه وهو ما يعنيه الافرنج بالشعر ولكن لادباء العرب نظراً آخر فيه من حيث الديباجة واللفظ والكناية والمجاز وسنعود الى ذلك

٢ — مقتبسات الفلسفة والتاريخ والطب والفقه

على ان العرب في هذا العصر زاد اقتباسهم للافكار الفلسفية واطلعوا على تاريخ اليونان فصاروا يتمثلون بابطالهم كقول المتنبي :

من مبلغ الاعراب اني بعدهم شاهدت رسطاليس والاسكندرا
وسمعت بطليموس دارس كتبه متملكاً متبدياً متحضرا
ولقيت كل الفاضلين كانما رد الاله نفوسهم والاعصرا

وقول الفتح البستي من المعاني الطبية :

وقد يلبس المرء خز الثيا ب ومن دونها حالة مضنيه
كمن يكتسي خده حمرة وعلته ورمٌ في الريه

وقوله : ان الجهول تضرني اخلاقه ضرر السعال بمن به استسقاء

وقوله وفيه شيء من علم النجوم :

قد غضَّ من املي اني ارى عملي اقوى من المشتري في اول الحمل
وانني زاحلٌ عما احاوله كانني استدرُّ الحظ من زحل

ودخل الشعر العربي كثير من حكم القدماء وامثالهم في اليونانية اما اقتباساً كما في اشعار المتنبي او نقلاً وتعريباً . واكثر ذلك منقول عن الفرس وهذه امثلة مما نقله ابو الفضل السكري :

من مثل الفُرس ذوي الابصار الثوب رهنٌ في يد القصار
ان البعير يبغض الخشاشا لكنه في انفه ما عاشا
نال الحمار بالسقوط في الوحل ما كان يهوى ونجا من العمل
نحن على الشرط القديم المشترط لا الزقُّ منشقٌّ ولا العير سقط

وتكاثرت فيه المعاني الفقهية والصوفية لظهور التصوف وشيوعه واشتغال كثيرين من اصحابه في الشعر كقول بعضهم :

من سرَّه ان يرى الفردوس عاجلة فلينظر اليوم فى بنيان ايواني
او سره ان يرى رضوان عن كثب بملء عينيه فلينظر الى الباني

٣ — ابواب عديدة

وتولدت فيه ابواب جديدة اقتضاها التبسط في الحضارة والتوسع في اسباب الرخاء فبعد ان كان الشعر الجاهلي اكثره في الحماسة والفخر والرثاء والمدح زاد عليه

الامويون التشبيب والهجو . وزاد العباسيون في العصر الاول الخمريات والتغزل بالغلمان . وزادوا في هذا العصر (الثالث) ابواباً تلائم احوال الاجتماع والمدنية اهمها الاخوانيات والعتاب وشكوى الدهر والزهد والمداعبات والسلطانيات والمجاوبات والمقارضات وصار النظم في الزهر بابا قائماً بنفسه . وبعض هذه الابواب كان منه امثلة في الاعصر الماضية لكنها اصبحت في هذا العصر ابواباً مستقلة . وهي تدل على تلطف اخلاق الامة وتوسع علاقاتها وارتقاء اذواقها

فيراد بالاخوانيات مثلاً ما ينظم في الاخوان او الاصدقاء من اسباب التقارب كقول بعضهم :

واخ اذا ما شط عني رحله ادنى اليَّ على النوى معروفه
كالكرم لم يمنعه بُعد عريشه من ان يقرب للجناة قطوفه

والمداعبات كقوله :

ابا جعفر هل فضضت الصدفْ وهل اذا رميت اصبت الهدف
وهل جئت ليلاً بلا حشمة لطول السرى سدفاً في سدف

والدهريات او شكوى الدهر كقوله :

يا دهر ما اقساك يا دهرُ لم يحظَ فيك بطائل حرُّ
اما اللئام فانت صاحبهم ولهم لديك العطف والنصرُ
يبقى اللئيم مدى الحياة فلا يرتاع منه لحادث صدرُ

وقس على ذلك . وترى امثلة كثيرة من هذه الابواب في يتيمة الدهر للثعالبي

٤ — المبالغة

غالى اهل هذا العصر في المبالغة الشعرية الى ما لم يسبقهم اليه اهل الاعصر الماضيه حتى خرجوا عن الممكنات الى المستحيلات كقول المتنبي :

وضاقت الارض حتى صار هاربهم اذا راى غير شيء ظنه رجلا
. فبعده والى ذا اليوم لو ركضت بالخيل في لهوات الطفل ما سعلا

ومثله قوله في وصف الضعف :

كفى بجسمي نحولاً انني رجل لولا مخاطبتي اياك لم ترني

وناهيك بالمبالغة في المدح فانهم تجاوزوا فيه المعقول والمشروع . واما المداحين في هذا العصر المتنبيان ابو الطيب وابن هاني . ومن مبالغات ابي الطيب في المدح قصيدته السنية التي مطلعها :

هذي برزت لنا فهجت رسيسا ثم انثنيت وما شفيت نسيسا

الى ان يقول :

لو كان ذو القرنين اعمل رايه لما اتى الظلمات صرن شموسا
اوكان صادف راس عازر سيفه في يوم معركة لاعيا عيسى
او كان لجُّ البحر مثل يمينه ما انشقَّ حتى جاز فيه موسى
او كان للنيران ضوء جبينه عُبدت فصار العالمون مجوسا
لما سمعت به سمعت بواحد ورايته فرايت منه خميسا
ولحظت انمله فسلن مواهباً ولمست منصله فسال نفوسا
يا من نلوذ من الزمان بظله حقا ونطرد باسمه ابليسا

ونحو ذلك قوله :

واعجب منك كيف قدرت تنشا وقد اعطيت في المهد الكمالا
واقسم لو صلحت يمين شيء لما صلح العباد له شمالا

وقوله :

بمن اضرب الامثال ام من اقيسه اليك واهل الدهر دونك والدهرُ

اما ابن هاني متنبي الغرب فيكفي مثالاً لمبالغاته القصيدة التي مدح بها المعز لدين الله الفاطمي ومنها قوله :

ماشئتَ لا ما شاءت الاقدارُ فاحكم فانت الواحد القهارُ
وكانما انت النبيُّ محمدٌ وكانما انصارك الانصارُ
انت الذي كانت تبشرنا به في كتبها الاحبار والاخبار

٥ — طول القصائد

وطالت القصائد في هذا العصر عما كانت عليه قبلاً حتى كثرت فيها ذوات المئات من الابيات كقصيدة ابن عبد ربه وقصائد الواساني . ومع ذلك فان العرب لم يدركوا شأو الامم الاخرى في الاطالة كما فعل اليونان بالالياذة والاذويسة والفرس في الشاهنامة وهو الشعر المعروف بالايبوبة وتعد ابيات الواحدة بعشرات الالوف . على انهم ذكروا لابي الرجاء محمد بن احمد بن الربيع الاسواني المتوفى سنة ٣٣٥ هـ قصيدة ابياتها تعد بالالوف ضمنها اخبار العالم وقصص الانبياء ومختصر المزني . ويعد من هذا القبيل نظم كليلة ودمنة ونحوها مما ضاع . ولكن ذلك منقولٌ ليس فيه تفكير اي لم ينظمه الشاعر من بنات افكاره . ولا يكون ذلك الا في نظم القصص الخيالية او نحوها

٦ — الوصف الشعري

واجاد اهل هذا العصر في الوصف الشعري وتوسعوا فيه . والوصف قديم في الشعر العربي لكنه اتسع وطال بزيادة العمارة وصار له في هذا العصر بابٌ خاص . واول من اجاده منهم شعراء الاندلس لمخالطتهم الافرنج والشعر الوصفي عند هؤلاء بابٌ من ابواب الشعر الكبرى . فصار شعراء العرب يصفون المناظر الطبيعية والابنية الجميلة وسائر ظواهر المدنية حتى الادوات كالاسطرلاب ونحوه

على ان تاريخ الوصف الشعري يتصل بالجاهلية فكان العرب في الجاهلية وصدر الاسلام يصفون الخيل والمعارك ونحوها . واحسن قصائد الوصف عندهم قصيدة بشر بن عوانة التي وصف بها مقتل الاسد ومطلعها :

افاطم لو شهدت ببطن خبت وقد لاقى الهزبرُ اخاك بشرا

الى آخرها . وهي بديعة ومنشورة في جملة مقامات بديع الزمان الهمذاني

وتقدم الشعر الوصفي بعد الاسلام رويداً رويداً مع تقدم المدنية واتساع الخيال وتكاثر المعاني بتكاثر فروع العلم والاختلاط بالامم الاخرى في العصر العباسي الاول فالثاني حتى بلغ احسنه في العصر الثالث هذا . وابرع وصاف العصر الثاني البحتري واحسن قصائده في الوصف قصيدة يصف بها بركة بناها المتوكل على الله مطلعها :

يامن راى البركة الحسناء رؤيتها والآ نسات اذا لاحت مغانيها

حتى يقول :

تنصبُّ فيها وفود الماء معجلة كالخيل خارجة من حبل مجريها
كأنما الفضة البيضاء سائلة من السبائك تجري فى مجاريها
اذا علتها الصبا ابدت لها حبكاً مثل الجواشن مصقولاً حواشيها
فحاجبُ الشمس احياناً يضاحكها وريق الغيث احياناً يباكيها
اذا النجوم تراءت في جوانبها ليلاً حسبت سماءً ركبت فيها

وقصيدة وصف بها القصر الكامل للمعتز بالله قال فيها :

وكأن حيطان الزجاج بجوه لجج يمجن على جنوب سواحلِ
وكأن تفويف الرخام اذ التقى تأليفه بالمنظر المتقابلِ
حُبك الغمام رصفن بين مغيرٍ ومسيَّرٍ ومقارب ومشا كلِ

لكن شعراء العصر الثالث زادوا توسعاً في الوصف ودقة في التعبير . وممن اجاد

فيه المتنبي وابن هاني والمأموني . ولهذا الاخير قصيدة في وصف قصر بناه الصاحب بن عباد قال فيها :

فهنيئاً منها بدار حوت منـ ـك جبالا من الحلوم رجاحا
ذات صدرٍ كرحب صدرك قد زا دعلى ظن آمليك انفساحا

ثم اتى على وصف الدار وصفاً يطابق ما يتخيل للداخل اليها . فيتدرج من الفناء فالبهو فالصحن الخ

دع عنك وصف المتنبي لمواقع الحروب او ما يحتاج الى فخامة اللفظ والمعنى كقصيدته التي يصف بها وقعة حرب لسيف الدولة مع البطريق . ومن احسن شعره الوصفي قوله يصف مشية الاسد :

يطأ البرى مترفقاً من تيهه فكأنه آسٍ يجسُّ عليلا
ويردُّ غفرته الى يافوخه حتى تصير لرأسه اكليلا
وتظنه مما تزجر نفسه عنها بشدة غيظه مشغولا
قصرت مخافته الخطى فكانما ركب الكميُّ جواده مشكولا

لكن شعراء العرب قلما اشتغلوا بوصف الحوادث الطويلة او التواريخ كما فعل اليونان والفرس قديماً او كما يفعل ادباء الافرنج الآن في تأليف الروايات الوصفية للاخلاق والعادات . وسنفرد فصلاً خاصاً بهذا الموضوع

٧ — زيادة ابحره واوزانه

تولدت في الشعر ابحر جديدة لم تكن فيه من قبل اهمها الموشحات ينظمونها اسماطاً اسماطاً واغصاناً اغصاناً يكثرون منها ومن اعاريضها المختلفة ويسمون المتعدد منها بيتاً واحداً . ويلتزمون قوافي تلك الاغصان واوزانها متتالياً فيما بعد الى اخر القطعة واكثر ما تنتهي عندهم الى سبعة ابيات . ويشتمل كل بيت على اغصان عددها بحسب الاغراض والمذاهب . وينسبون فيها ويمدحون كما يفعل في القصائد

وهي من مخترعات الاندلسيين واول من نظمها منهم مقدم بن معافر الفريري من شعراء الامير عبد الله بن محمد المرواني في اواخر القرن الثالث للهجرة . واخذ عنه ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد . ولم تقع هذه البدعة موقعاً حسناً عند المحافظين على القديم فكسدت حيناً حتى نبغ عبادة القزاز شاعر المعتصم بن صمادح صاحب المرية (توفي سنة ٤٤٣ هـ) [1] فاجاد وجاء بعده ابن ارفع راس شاعر المأمون بن ذي

(١) ابن خلدون ٥١٩ ج ١

النون صاحب طليطلة (توفي سنة ٤٦٧ هـ) . وذكر صاحب فوات الوفيات « ان اول من نظم عقود الموشحات واقام عمادها عبادة بن عبد الله بن ماء السماء الشاعر الاندلسي المتوفى سنة ٤٢٢ هـ رأس الشعراء في الدولة العامرية وكانت صناعة التوشيح قد ظهرت واخذ الشعراء ينتهجونها فقام عبادة وقوم ميلها وسنادها فكانها لم تسمع بالاندلس الا منه ولا اخذت الا عنه . واشتهر بها اشتهاراً غلب على ذاته وذهب بكثير من حسناته . واول من صنع اوزان هذه الموشحات محمد بن محمود المقبري الضرير . وقيل ان ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد اول من سبق الى هذا النوع من الموشحات ثم نشأ يوسف بن هرون الرمادي ثم نشأ عبادة هذا فاحدث التصفير وذلك انه اعتمد على مواضع الوقف في المراكز »

وفي كل حال فان الموشحات نضجت في العصر الثالث الذي نحن في صدده

وناهيك بما ادخله الجوهري صاحب الصحاح على عروض الشعر في هذا العصر

وفيه ايضاً نضج نقد الشعر بظهور كتاب العمدة لابن رشيق ولنقد الشعر تاريخ يستحسن ايراده هنا :

تاريخ نقد الشعر العربي

يقسم النقد الادبي او انتقاد المؤلفات الى اقسام اهمها ثلاثة ١ نقد الشعر ٢ نقد الانشاء ٣ نقد التاريخ . والمشهور ان العرب من اقل الامم نقداً وتمحيصاً . ويصح ذلك من حيث التاريخ والتراجم او اعمال الناس واحوال الاجتماع لاسباب سنبينها في مايلي من هذا الكتاب . واما في ما خلا ذلك فهم من اكثر الامم ميلاً الى النقد او التمحيص وانما يظهر منهم ذلك عند الحاجة اليه او اذا تيسر لهم الخوض فيه . اما من حيث فنون الادب فبدأوا بنقد الشعر ثم الانشاء واخيراً التاريخ . وسنفرد لكل منها فصلاً خاصاً في المكان الملائم . وهذا مكان الكلام عن نقد الشعر . وينقسم النظر في الشعر الى اقسام من حيث عروضه ووزنه وقوافيه ولغته ومعانيه واسلوبه والمقصود النظر فيه من حيث معناه (الخيال الشعري) وطريقته أو مذهب صاحبه في النظم

ونقد الشعر من حيث معناه قديم في تاريخ الادب يتصل بصدر الاسلام . فقد رايت ما كان يجري من المشاحنات والمناظرات في العصر الاموي بشأن من هو اشعر الشعراء حتى كثيراً ما كان الجدال يفضي الى الخصام . وقد فصلنا ذلك في الجزء الاول من هذا الكتاب . وهم طبعاً كانوا ينظرون في قول كل شاعر نظر الناقد ليبينوا فضله

على سواه . ولم يقتصر التصدي للنقد على الادباء اوالشعراء بل كان يتناول كل ذي المام بالشعر . وحيثما اجتمع الادباء تذاكروا الشعر وانتقدوه وكانت مجالس سُكينة بنت الحسين في المدينة اشبه شيء بمجالس الانتقاد الادبي في ارقى الامم المتمدنة اليوم . ثم ظهرت طبقة اخرى من نقاد الشعر لما اخذ الرواة في جمعه في العصر العباسي الاول فكانت مجالسهم واندیتهم للمفاكهة او المذاكرة لا تخلو من النقد

اما الطريقة او المذهب ونعني الخطة التي كانوا يتوخونها في النظم مثل تحديهم شعراء الجاهلية من حيث ذكر الاطلال والبكاء عليها والتغزل بحيوانات البادية واحوالها كما كان يفعل الجاهليون فاول من انتقدها شعراء العصر العباسي الاول وقد اشرنا الى ذلك صفحة ٤٢ — وانما هي ابيات قالوها عرضاً

اما التأليف في نقد الشعر من هذا الوجه وغيره فاول من اقدم عليه مما وصلنا خبره محمد بن سلام الجمحي المتوفى سنة ٢٣٢ في كتابه طبقات الشعراء وقد وصفناه في صفحة ١٠٨ من هذا الجزء . فانه صدَّر ذلك الكتاب بمقدمة فيها نقدٌ جميل قال في جملته « ان محمد بن اسحق افسد الشعر بما نسبه من الاشعار الى بعض الصحابة في السيرة النبوية » . وبحث في شيء من هذا القبيل ابن ابي الخطاب القرشي في مقدمة جمهرة اشعار العرب . وتجد شيئاً من ذلك ايضاً في كتاب قواعد الشعر لثعلب المتقدم ذكره . اما ادباء العصر العباسي الثاني كابن قتيبة والجاحظ وابن عبد ربه وامثالهم فقد توسعوا فيه لان ما الفوه من كتب الادب لا يخلو من النقد الشعري

على ان اكثرهم نقداً وتمحيصاً ابن قتيبة (المتوفى سنة ٢٧٦ هـ) في كتابه الشعر والشعراء وقد صرح بذلك في مقدمة الكتاب المذكور بقوله :

« ولم اسلك في ما ذكرته من شعر كل شاعر مختاراً له سبيل من قلد اواستحسن باستحسان غيره ولا نظرت الى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه والى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره . بل نظرت بعين العدل الى الفريقين واعطيت كلاً حظه ووفرت عليه حقه . فاني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ويضعه في متخيره ويرذل الشعر الرصين ولا عيب له عنده الا انه قيل في زمانه أو انه راى قائله . ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ولا خصَّ به قوماً دون قوم بل جعل ذلك مشتركاً مقسوماً بين عباده في كل دهر . وجعل كل قديم حديثاً في عصره وكل شرف خارجية (كذا) في اوله . فقد كان جرير والفرزدق والاخطل وامثالهم يعدون محدثين وكان ابو عمر بن العلاء يقول (لقد كثر هذا

المحدَث وحسن حتى لقد هممت بروايته) ثم صار هؤلاء قدماء عندنا ببعد العهد منهم كذلك يكون من بعدهم لمن بعدنا كالخريمي والعتابي والحسن بن هانىء واشباههم . فكل من اتى بحسن من قول أو فعل ذكرناه له واتينا به عليه ولم يضعه عندنا تأخر قائله او فاعله ولا حداثة سنه كما ان الرديء اذا ورد علينا للمتقدم او الشريف لم يرفعه عندنا شرف صاحبه ولاتقدمه »

وقد انتقد ابن قتيبة الانشاء في صدر كتابه ادب الكاتب كما تقدم

ثم جاء قدامة بن جعفر المتوفى سنة ٣١٠ هـ فافرد لذلك كتاباً خاصاً سماه « نقد الشعر » تقدم ذكره (صفحة ١٧٢) وهو اول من فعل ذلك فبين حد الشعروشروط نظمه من حيث اللفظ والمعنى وائتلافهما في ابواب النظم المعروفة في عصره وشروط المجاز والتشبيه وغيره . لكنه اختصر في ذلك ولم يوف الموضوع حقه شأن كل من يبدا بعمل جديد فترك اتمامه لادباء العصر العباسي الثالث الذي نحن في صدده

فجاء بعده حسين بن بشر الامدي المتوفى سنة ٣٧١ هـ (ترجمته في معجم الادباء ٥٤ ج ٣) فوضع كتابه في الموازنة بين ابي تمام والبحتري وقد ذكرناه في ترجمة البحتري (صفحة ١٦١) وهو من قبيل النقد الخاص لانه محصور بين شاعرين معينين لكنه يشتمل على قواعد عامة

وكذلك فعل علي بن عبد العزيز الجرجاني الشاعر الكاتب المتوفى سنة ٣٩٢ هـ في كتابه الوساطة بين المتنبي وخصومه ردًّا على كتاب الفه الصاحب بن عباد في مساوىء المتنبي . فكتاب الوساطة مع كونه خصوصياً بين المتنبي وخصومه لكنه يتضمن ابحاثاً في الشعر على العموم والشعراء على اختلاف الاعصر الى ايامه [1] . وفي كتاب مفاتيح العلوم لابي عبد الله الخوارزمي المتقدم ذكره (صفحة ٢٣٢) باب في الشعر والعروض لا يخلو من النقد . ومثله كتاب ذم الخطأ في الشعر لابن فارس اللغوي الآتي ذكره

ويعدُّ من قبيل النقد الشعري ايضاً كتاب يتيمة الدهر للثعالبي . فانه ذكر فيه محاسن الشعراء وامثلة من اقوالهم مع الملاحظة والانتقاد في اربعة مجلدات كبيرة وسنذكره في ترجمة الثعالبي

ونشأ في اثناء ذلك علم خاص يبحث في احوال الكلمات الشعرية سموه علم قرض الشعر لا من حيث الوزن والقافية بل من حيث حسن الالفاظ وقبحها للشعر والجواز

(١) تجد ترجمة علي بن عبد العزيز في يتيمة الدهر ٢٣٨ ج ٣

والامتناع ومعائب التركيب كما عاب الصاحب ابا تمام بقوله :

كريم اذا امدحه امدحه والورى معي واذا ما لمته لمته وحدي

حيث قابل المدح باللوم والتكرار في لفظ امدحه ولمته . ويعد من قبل النقد الشعري ايضاً رسالة الغفران لابي العلاء المعري لان المتكلم فيها زعم انه جال في الجنة وقابل الشعراء وانتقدهم وسيأتي ذكرها في ترجمة ابي العلاء

كتاب العمدة

على ان ذلك كله من قبيل المقدمات التمهيدية في سبيل نقد الشعر . ولم يختم العصر العباسي الثالث حتى ظهر كتاب العمدة لابن رشيق جمع فيه احسن ما قاله الذين سبقوه في النقد وغيره ليكون العمدة في محاسن الشعر وآدابه . وقد استخرج النتائج الانتقادية على ما رآه قال « وعولت في اكثره على قريحة نفسي ونتيجة خاطري خوف التكرار الا ما تعلق بالخبر وضبط الرواية » وسنذكره في ترجمة ابن رشيق

ونظراً لعظم وقع هذا الكتاب في النفوس تصدى معاصروه لنقده ومعارضته وقد وصلنا من ذلك « رسائل الانتقاد » لابي عبد الله محمد بن ابي سعيد بن احمد بن شرف الجذامي القيرواني الشاعر الاديب المتوفى سنة ٤٦٠ هـ عارض بها كتاب العمدة . وهو معاصر لابن رشيق وزميله . وقد تأنق في رسائله فسجعها وزينها بالتشابيه والكنايات يقلد بها المقامات في الخطاب والجواب . وضمنها انتقاداً على الشعراء الجاهليين فمابعدهم وشتان بينه وبين ابن رشيق . وقد نشرت رسائله المشار اليها في مجلة المقتبس (سنة ٦)

وذكر صاحب كشف الظنون كتباً في نقد الشعر لابي عبدالله محمد بن يوسف الكفرطابي المتوفى سنة ٥٠٣ هـ ولغيره لم نقف عليها

الشعراء

في العصر العباسي الثالث

كان الفرزدق وجرير والاخطل وغيرهم من شعراء بني امية يعدون في ذلك العصر محدثين فاصبحوا يعدون في العصر العباسي الاول قدماء وصار ابو نواس والعتابي واشباههم محدثين ثم صار هؤلاء قدماء او مولدين في العصر الذي نحن في صدده وصار هل هذا العصر محدثين . ونحن اليوم نعدُّ هؤلاء جميعاً قدماء

مميزات شعراء هذا العصر

ويمتاز الشعراء في هذا العصر عما في سواه قبله بامور اهمها :

١ انهم ظهروا وتكاثروا في اطراف المملكة الاسلامية ايضاً بعد ان تفرق الادباء من بغداد كما تقدم . فبعد ان كان اكثرهم في الشام والعراق نبغت طائفة منهم في خراسان وتركستان وطبرستان والاهواز ومصر والمغرب والاندلس وسائر الانحاء وان ظلت الافضلية لشعراء الشام والعراق لاسباب ذكرناها في غير هذا المكان

٢ ظهرت فيهم طبقة من الوزراء والقضاة والامراء وسائر وجوه الدولة واصحاب الثروة والوجاهة

٣ تعاطى الشعر كثيرون من الفقهاء والعلماء والمنشئين والفلاسفة والاطباء

٤ زاد عدد الشعراء فيه على عددهم في كل عصر قبله لشيوع العلم واتساع دائرة المملكة الاسلامية . ولا يتسع المقام لتراجمهم فنأتي باشهرهم حسب سني الوفاة :

اشهر شعراء هذا العصر

١ – ابو الطيّب المُتنبّي

توفي سنة ٣٥٤ هـ

هو ابو الطيب احمد بن الحسين بن عبد الصمد الجعفي الكندي . وبنو جعفى بطن من سعد العشيرة من القحطانية فهو عريق بالعروبة . ولد في الكوفة سنة ٣٠٣ في محلة تسمى كندة فنسب اليها وليس هو من كندة القبيلة المعروفة . وكان ابوه من العامة يسقي الناس ويسمونه « عبدان السقاء » لكن ابا الطيب نشأ على طلب العلم والادب وكان قوي الحافظة مطبوعاً على الشعر . فلما ترعرع حمله ابوه الى الشام يتنقل به من باديتها الى حاضرتها . واخذ العلم من اصحابه فمهر اولاً باللغة فحفظ غريبها وحوشيها واشعار الجاهلية وغيرهم واشتهر بالفصاحة والبلاغة . وكان مفطوراً على كبر النفس وبعد الهمة فلم يقنع بما يتمناه سواه من الشهرة بالشعر او الادب فطلب السيادة بالفتح فدعا الى بيعته قوماً من مريديه من ابناء سنه فبايعوه . وحين كاد يتم امر دعوته وصل خبره الى والي البلدة فقبض عليه وحبسه . وفي هذا الحبس نظم قصيدة استعطف بها الوالي على اطلاقه مطلعها :

أيا خدَّد الله ورد الخدود وقدّ قدود الحسان القدود

الى ان قال :

دعوتك لما براني البلى واوهن رجليَ ثقل الحديد
وقد كان مشيهما في النعال فقد صار مشيهما في القيود
وكنت من الناس في محفلٍ فها انا في محفل من قرود
تعجل فيّ وجوب الحدود وحديَ قبل وجوب السجود

اي انما تجب الحدود على البالغ وانا صبيٌّ لم تجب علي الصلوات بعد فاطلقه

ولما فرغت يده من الفتح طلب ما هو ابعد منه فزعم انه نبيٌّ اعتماداً على بلاغة اسلوبه فخرج الى بني كلب اقام فيهم وادعى انه علوي ثم ادعى النبوة . وقال انه اظهر دعوته هذه اولاً في باديه سماوة ونواحيها واخذ يتلو عليهم كلاماً زعم انه قرآن انزل عليه فكانوا يحكون له سوراً كثيرة اورد ابو علي بن حامد جزءا من سورة قال انها ضاعت وبقي اولها في حفظه وهو « والنجم السيار والفلك الدوار والليل والنهار ان الكافر لفي اخطار امض على سننك واقف اثر من قبلك من المرسلين فان الله قامع بك زيغ من الحد في دينه وضل عن سبيله » فلما شاع امره بين الناس خرج عليه لؤلؤ امير حمص من قبل الاخشيدية فقاتله واسر من كان معه من بني كلب وكلاب وغيرهم من قبائل العرب وحبسه في السجن دهراً طويلاً حتى كاد يتلف فسئل في امره فاستتابه وكتب عليه وثيقة واشهد عليه فيها ببطلان ما ادعاه ورجوعه الى الاسلام واطلقه . فكان المتنبي كلما ذكر له قرآنه بعد ذلك انكره وحاول التنصل من تبعته

فقنع بعد فشله هذا بالشهرة الادبيـة . فنال منها ما لم ينله سواه فراجت سوق شعره بما اصابه من رغبة الملوك والامراء فيه فنظم القصائد في اغراض مختلفة وفاق معاصريه على الاطلاق . فتسابق الملوك الى استدنائه بالجوائز ففعل . وبدأ بسيف الدولة ابن حمدان فقدم عليه سنة ٣٣٧ هـ ومجلسه حافل بفحول الشعراء . فاحرز المتنبي قصب السبق بقصائد سار بذكرها الركبان . وكان في جملة من يحضر مجلس سيف الدولة ابن خالويه النحوي فوقع بينه وبين المتنبي كلام ادى الى نفور فوثب ابن خالويه على المتنبي فضرب وجهه بمفتاح كان معه فشجه . ولم ير المتنبي من سيف الدولة دفاعاً عنه فغضب وخرج الى مصر . واراد الانتقام لنفسه فتقرب من كافور الاخشيدي سنة ٣٤٦ هـ لما يعلم من عداوته لبني حمدان وامتدحه وامتدح انوجور بن الاخشيد فاكرماه حتى صار يقف بين يدي كافور وفي رجليه خفان وفي وسطه سيف ومنطقة ويركب

بحاجبين من مماليكه وهما بالسيوف والمناطق . فلما راى كافور منه سموّه بنفسه وتعاليه بشعره خافه وقال « يا قوم من ادعى النبوة بعد محمد (صلعم) الا يدعي الملك مع كافور فحسبكم » فاغضبه فخرج ابو الطيب من مصر فاتى بغداد ثم ذهب قاصداً بلاد فارس وامتدح عضد الدولة بن بويه الديلمي فاجزل عطاءه

ثم رجع من فارس قاصداً بغداد ومعه ابنه محسد وغلامه مفلح حتى اذا كان بالقرب من النعمانية في موضع يقال له الصافية في الجانب الغربي من سواد بغداد عند دير العاقول بينهما مسافة ميلين عرض له فاتك بن ابي الجهل الاسدي في عدة من اصحابه فاقتتلا . فاحس المتنبي بالضعف فعمد الى الفرار فقال له غلامه مفلح « لا يتحدث الناس عنك بالفرار وانت القائل :

فالخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم »

فكرّ راجعاً حتى قتل سنة ٣٥٤ هـ

اما شعره ففي الدرجة الاولى من المتانة والبلاغة وهو مشهور بضخامة المعاني ومتانة المباني. ولم يدع باباً من ابواب الشعر الا طرقه واجاد فيه وخصوصاً الحكم والحماسة والمديح والفخر والعتاب . وحوى شعره من الفلسفة والحكمة ما جرى على السنة الناس مجرى الامثال . واقتبس كثيرون من المنشئين معانيه وحلوا شعرها الى نثر ادخلوه في نثرهم كما فعل الصاحب بن عباد[1] او نظموه لانفسهم كما فعل ابو بكر الخوارزمي وغيره . ولم نأت بامثلة من نظمه لكثرته ولاشتهار ديوانه وشيوعه

مضى على شعره نحو الف سنة ولا يزال موضوع مناقشات اهل الادب وكثيراً ما اشتغلوا في تفسير اشعاره وحل مشكلها وعويصها والفت الكتب في ذكر جيده ورديئه وتكلم الافاضل في الوساطة بينه وبين خصومه والافصاح عن ابكار كلامه وتفرقوا فرقاً في مدحه والقدح فيه والتعصب له او عليه. وذلك دليل على وفور فضله وتقدمه على اقرانه — والكامل من عدت سقطاته والسعيد من حسبت هفواته

وممن درس شعر المتنبي وبين حسنه وقبيحه ونقده ابو منصور الثعالبي في الجزء الاول من يتمة الدهر. فانه بين حسناته وسيئاته مفصلاً مع سائر اخباره في نحو مئة صفحة ولم يبق شاعر او اديب جاء بعد المتنبي الا انتقده . ويرى ابن رشيق ان ابا الطيب كان يأتي بالمستغرب ليبين معرفته. وانه كان في طبعه غلظ وفي عتابه شدة وانه كثير التحامل ظاهر الكبرياء والانفة

(١) يتيمة الدهر ٨٧ ج ١

وقال ابو العلاء المعري « ابو تمام والمتنبي حكيمان وانما الشاعر البحتري » وكان شيوخ الشعر في ايام ابن خلدون لا يرون المتنبي والمعري من الشعراء لانهم لم يجريا على اساليب العرب . وابو سعيد محمد بن احمد العبيدي الف كتاباً سماه الابانة عن سرقات المتنبي لفظاً ومعنى » ذكر فيه نحو ٢٥٠ بيتاً من اشعار المتنبي واورد ما يقابلها من نظم المتقدمين كالبحتري وابي تمام وابن الرومي وديك الجن وغيرهم من فحول الشعراء وزعم ان المتنبي سرقها وغير فيها واعادها لنفسه والكتاب مطبوع بمصر في ٨٨ صفحة . وابو علي محمد بن حسن الحاتمي بين ما توارد من المعاني بين ابي الطيب وارسطو ولم يتهم المتنبي بالسرقة بل قال « لما رايت ابا الطيب قد اتى في شعره على اغراض فلسفية ومعان منطقية اردت الموافقة بين ما توارد به في شعره مع ارسطو في حكمه لانه ان كان ذلك عن فحص ونظر فقد اغرق في درس العلوم وان يكن ذلك منه على سبيل الاتفاق فقد زاد على الفلاسفة في ذلك وهو في الحالين على غاية الفضل » ثم اورد بعض اقوال ارسطو وما يقابلها من اشعار المتنبي في نحو عشرين صفحة اطلعنا عليها في كتاب اسمه راشد سوريا مطبوع في بيروت سنة ١٨٦٨ . وانتقد المتنبي جماعة من المستشرقين ايضاً اشهرهم رايسكي ودي ساسي وبولين وبروكلمن وهمر ونيكلسن وغيرهم . وفي المقتطف صفحة ٣٦١ سنة ١٧ مقالة في المتنبي للسيد توفيق البكري

وقد جمع ديوان المتنبي ورتب على الحروف الابجدية . وشرحه كثيرون وطبع في الهند ومصر والشام وغيرها . ومن شروحه التي بقيت شرح ابن جني المتوفى سنة ٣٩٢ في ثلاثة مجلدات ذكره كشف الظنون ومنه نسخة خطية في مكتبة بطرسبورج واخرى في الاسكوريال . وعلق عليه ابن فورغا سنة ٤٣٧ كتاباً سماه التجني على ابن جني في الاسكوريال . وشرحه ابراهيم الافليلي المتوفى سنة ٤٤١ هـ ومنه نسخة في مكتبة برلين . وشرحه ابو العلاء المعري المتوفى سنة ٤٤٩ ومن شرحه نسخة في مكتبة منشن واخرى في المتحف البريطاني وفي بطرسبورج . وشرحه الواحدي المتوفى سنة ٤٦٨ وقد طبع في بمباي سنة ١٢٧١ وفي اوربا سنة ١٨٦١ . وشرحه التبريزي سنة (٥٠٢) ومنه نسخة في مكتبة باريس وشرحه العكبري (٦١٦) طبع في بولاق سنة ١٨٦٠ وفي مصر سنة ١٢٨٧ وبعدها . وفي مكاتب اوربا نسخ خطية من هذا الديوان ليس عليها اسماء شراحها . واحدث شروحه العرف الطيب في شرح ديوان ابي الطيب للشيخ اليازجي طبع في بيروت غير مرة . وهناك مختارات من ديوان المتنبي

يطول بنا ذكرها . منها كتاب الامثال السائرة في شعر المتنبي موجود في المكتبة الخديوية . والمنصف للسارق والمسروق وهو بحث في حقيقة المتنبي بالنظر الى ذلك منه نسخة خطية في برلين . والصبح المنبي عن حيثية المتنبي ليوسف البديعي المتوفى سنة ١٠٧٣ منه نسخ في اكثر مكاتب اوربا وفي المكتبة الخديوية وغيرها كثير . وقد عني الموسيو غرانجريه بنقل بعض اشعار المتنبي الى الفرنساوية وطبعت في المجلة الاسيوية (سنة ١٨٢٤) وكتب عنه اكثر المستشرقين مقالات انتقادية ولاسيما ديتريشي وهامر وجونبول وقد عني هذا بترجمة بعض اشعاره الى اللاتينية وطبعت سنة ١٨٤٠ .

وترجمة المتنبي في ابن خلكان ٣٦ ج ١ ويتيمة الدهر ٧٨ ج ١ وطبقات الادباء ٣٦٦

٢ — ابو فِراس الحَمْداني

توفي سنة ٣٥٧ هـ

هو ابو فراس الحرث بن ابي العلاء سعيد بن حمدان الحمداني ابن عم سيف الدولة . فهو شاعر امير وكان فارساً مغواراً وشاعراً بليغاً وشعره سائر بين الحسن والجودة والسهولة والجزالة والعذوبة والفخامة والحلاوة مع رواء الطبع وسمة الظرف وعزة الملك . ولم تجتمع هذه الخلال قبله الا في شعر عبد الله بن المعتز . وابو فراس يعدُّ اشعر منه عند اهل الصنعة ونقدة الكلام . وكان الصاحب بن عباد يقول « بدئ الشعر بملك وختم بملك » يعني امرأ القيس وابا فراس . وكان المتنبي يشهد له بالتقدم والتبريز ويتحامى جانبه فلا ينبري لمباراته ولا يجترىء على مجاراته لكنه لم يمدحه ومدح من دونه من آل حمدان تهيباً له واجلالاً لا اغفالاً واخلالاً . وكان سيف الدولة يعجب جداً بمحاسن ابي فراس ويميزه بالاكرام على سائر قومه ويستصحبه في غزواته ويستخلفه في اعماله

واشتهر ابو فراس في عدة معارك مع سيف الدولة حارب بها الروم فاسر في احداها وهو جريح في نخذه . فحمل الى القسطنطينية سجن فيها اربع سنين . ونظم وهو في السجن قصائد امتازت بالرقة والحنين الى الوطن وغير ذلك وعرفت بالقصائد الروميات . ثم اطلق سراحه وعاد الى وطنه . ولما مات سيف الدولة طمع هو بحمص فاعترضه ابو المعالي ابن سيف الدولة وجرت بينهما حرب انتهت بقتل ابي فراس سنة ٣٥٧ وهو في مقتبل العمر لم يتجاوز السابعة والثلاثين

وقد جمع شعره في ديوان طبع في بيروت سنة ١٨٧٣ وسنة ١٩٠٠ وافرد صاحب يتيمة الدهر فصلاً كبيراً لترجمة ابي فراس واشعاره (ج ١) وقد عني الموسيو دوفوراك في ترجمة بعض اشعاره الى الالمانية طبعت في ليدن سنة ١٨٩٥

ومن امثلة شعره قوله في الفخر :

الم ترنا اعزّ الناس جاراً ... وامنعهم وامرعهم جنابا
لنا الجبل المطلُّ على نزار ... حللنا المجد منه والهضابا
يفضلنا الانامُ ولا نحاشى ... ونوصف بالجميل ولا نحابى
وقد علمت ربيعة بل نزارٌ ... بانا الراس والناس الذنابى
ولما ان طغت سفهاء كعب ... فتحنا بيننا للحرب بابا
منحناها الحرائب غير انا ... اذا جارت منحناها الحرابا
ولما ثار سيف الدين ثرنا ... كما هيجتَ آساداً غضابا
اسنته اذا لاقى طعاناً ... صوارمه اذا لاقى ضرابا
دعانا والاسنة مشرعاتٌ ... فكنا عند دعوته الجوابا
صنائع فاق صانعها ففاقت ... وغرس طاب غارسه فطابا
وكنا كالسهام اذا اصابت ... مراميها فراميها اصابا

وقوله في العتاب :

قد كنت عدتيَ التي اسطو بها ... ويدي اذا اشتدَّ الزمان وساعدي
فرميت منك بغير ما املتهُ ... والمرء يشرق بالزلال البارد
فصبرت كالولد التقي لبره ... اغضى على الم لضرب الوالد

ومن اخوانياته قوله :

لم اواخذك بالجفاء لاني ... واثقٌ منك بالوداد الصريح
فجميل العدو غير جميل ... وقبيح الصديق غير قبيح

ومن باب الشكوى والعتاب قولهُ :

ايا قومنا لا تنشبوا الحرب بيننا ... ايا قومنا لا تقطعوا اليد باليد
فباليت داني الرحم منا ومنكم ... اذا لم يقرّب بيننا لم يبعد
عداوة ذي القربى اشد مضاضة ... على المرء من وقع الحسام المهند

وقوله :

اذا كان فضلي لا اسوّغ نفعه ... فافضل منه ان ارى غير فاضل

ومن اضيع الاشياء مهجة عاقل ... يحوز على حوبائها حكم جاهل

ومن النسيب قوله :

تبسَّم اذ تبسم عن اقاحٍ ... واسفر حين اسفر عن صباح
وانحفني براح من رضاب ... وراح من جنى خد وراح
فمن لألاء غرته صباحي ... ومن صهباء ريقته اصطباحي

ومن التشبيهات قولهُ :

مددنا علينا الليل والليل راضع ... الى ان تردى راسه بمشيب
بحالٍ تردُّ الحاسدين بغيظهم ... وتطرف عناً عين كل رقيب
الى ان بدا ضوء الصباح كانه ... مبادي نصول في عذار خضيب

ومن رومياته وقد شقت نخذه من نصل السهم قوله :

فلا تصفنَّ الحرب عندي فانها ... طعاميَ مذ بعت الصبا وشرابي
وقد عرفت وقع المسامير مهجتي ... وشقق عن زرق النصول اهابي

وترجمته في ابن خلكان ١٢٧ ج ١ ويتيمة الدهر ٢٢ ج ١

٣ — كُشاجِم

المتوفى نحو سنة ٣٦٠ ﻫ

هو ابو الفتح محمود بن الحسين بن شاهق هندي الاصل ويعرف بالسندي . اقام في الرملة فلقب بالرملي . وله ديوان رتب على حروف المعجم طبع في بيروت سنة ١٣١٣ ومن مؤلفاته « كتاب ادب النديم » وهو صغير يبحث في واجبات النديم وفضائله واخلاقه وماعليه عند التداعي للمنادمة والسماع والمحادثه ويتخلل ذلك اخبار واشعار طبع في مصر سنة ١٢٩٨ . وينسب اليه كتاب البيزرة في علم الصيد منه نسخة خطية في مكتبة غوطا . واخباره في الفهرست ١٣٩

٤ — السري الرفّاء

توفي سنة ٣٦٢ ﻫ

هو ابو الحسن السري بن احمد بن السري الكندي الرفاء . ولد في الموصل ونشأ فيها وكان يرفو ويطرز في دكان وهو ينظم الشعر حتى جاد شعره . فقصد سيف

الدولة ومدحه واقام عنده مدة . وانتقل بعد وفاته الى بغداد ومدح الوزير المهلبي وجماعة من رؤسائها . وكان بينه وبين الخالديين الشاعرين الموصليين معاداة فادعى عليهما سرقة شعره وشعر غيره . فكان ينسخ ديوان كشاجم المتقدم ذكره ويدخل فيه احسن ابيات الخالديين ليقول الناس انهما سرقاه منه وسيأتي ذكرهما

وكان السري شاعراً مطبوعاً يمتاز شعره بعذوبة الفاظه وكثرة الافتنان بالتشبيهات والاوصاف . ولم يكن يحسن من العلوم غير الشعر . وفي يتيمة الدهر طائفة حسنة من اشعاره وما ادخله في شعره من معاني الشعراء كالمتنبي وابن ابي حفصة وابي تمام وغيرهم وهو فصل طويل

ومن تشبيهاته في وصف الثلج قوله :

يا من اناملهُ كالعارض الساري ... وفعله ابداً عارٍ من العار
اما ترى الثلج قد خاطت انامله ... ثوباً يزرُّ على الدنيا بازرار
نارٌ ولكنها ليست بمبدية ... نوراً وماءٌ ولكن ليس بالجاري
والراح قد اعوزتنا في صبيحتنا ... بيعاً ولو وزن دينار بدينار
فامنن بما شئت من راح يكون لنا ... ناراً فانا بلا راح ولا نار

ومن قوله يذكر صناعته :

وكانت الابرة فيما مضى ... صائنة وجهي واشعاري
فاصبح الرزق بها ضيقاً ... كأنه من ثقبها جاري

ومن محاسن شعره في المديح من جملة قصيدة :

يلقى الندى برقيق وجه مسفر ... فاذا التقى الجمعان عاد صفيقا
رحب المنازل ما اقام فان سرى ... في جحفل ترك الفضاء مضيقا

ومن عذوبة لفظه قوله :

ويادير ها الشرقي لازال رائح ... يحلُّ عقود المزن فيك ومغتدي
عليلة انفاس الرياح كأنما ... يعل بماء الورد نرجسها الندي
يشق جيوب الورد في شجراتها ... نسيمٌ متى ينظر الى الماء يبرد

وللسري الرفاء ديوان منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية في نحو ٤٠٠ صفحة نقلت من المدينة المنورة اكثرها في مدح سيف الدولة والوزير المهلبي وبعض بني حمدان. وفيه اهاج في الخالديين وغيرهما وقصائد وصفية يصف بها صيد السمك وشبكته والنار وكلاب الصيد وبعض الابنية وغيرها . وفي وصفه رقة وسهولة . ومنه نسخ ايضاً

في مكاتب باريس وبرلين

وله كتاب المحب والمحبوب والمشموم والمشروب وهو اربعة اقسام في المحبين واشعارهم والاطياب والازهار واسماء الخمر منه نسخة خطية في فينا واخرى في ليدن وترجمته في يتيمة الدهر ٤٥٠ ج ١ وابن خلكان ٢٠١ ج ١ والفهرست ١٦٩

٥ — ابن هاني الاندلسي

توفي سنة ٣٦٣ هـ

هو أبو القاسم محمد بن هاني الازدي الاندلسي ويرجعون بنسبه الى آل المهلب بن ابي صفرة . كان ابوهُ هاني شاعراً في بعض قرى المهدية بافريقيا فانتقل الى الاندلس فولد له محمد سنة ٣٢٦ هـ في اشبيلية ونشأ بها وكان شاعراً مطبوعاً . تقرب من صاحب اشبيلية وحظي عنده وكان معاصراً لعبد الرحمن الناصر وابنه الحكم والاندلس في ابان زهوها وحضارتها . لكنهم كانوا يطاردون طلاب الفلسفة ويتهمونهم بالكفر وكان ابن هاني من طلابها فلما اشتهر امره بها نقم عليه الناس وساءت المقالة بحق صاحب اشبيلية بسببه واتهم بمذهبه فاشار عليه بالغيبة عن البلدة ريثما ينسى امره . فبرحها وعمره ٢٧ سنة الى بلاد المغرب والدولة الفاطمية في اثناء رغبتها في فتح مصر فلقي القائد جوهر ومدحه . حتى انتهى خبره الى المعز لدين الله الفاطمي فاستقدمه اليه . ثم انتقل المعز الى مصر بعد فتحها فاخذ ابن هاني يستعد للحاق به فتجهز ولحق به فوصل برقة فاضافه شخص من اهلها اقام عنده اياماً في مجلس انس . ويقال انه خرج من تلك الدار وهو سكران فنام في الطريق فوجد ميتاً وهو في السادسة والثلاثين من عمره فاسف المعز لوفاته وقال « هذا الرجل كنا نرجو ان نفاخر به شعراء المشرق »

ويمتاز شعر ابن هاني بالمبالغة الكثيرة في المديح والافراط الى حد الكفر . وفي الفاظه قعقعة وانين . ونظراً لما تقدم من اشتهاره بالكفر لم ينصفه المؤرخون ولا الشعراء . وكان ابو العلاء المعري اذا سمع شعر ابن هاني قال « لا اشبهه الا برحى تطحن قروناً » لاجل القعقعة التي في الفاظه . ويزعم انه لا طائل تحت تلك الالفاظ — وانما فعل المعري ذلك تعصباً للمتنبي

وفي كل حال فانه اشعر اهل الاندلس على الاطلاق . هو عندهم كالمتنبي في المشرق وكان معاصراً له . واكثر شعره في مدح المعز لدين الله الفاطمي قد تقدم مثال منه عند كلامنا عن المبالغة الشعرية . ومن قوله في وصف الخيل من قصيدة مدح بها المعز :

وصواهل لا الهضب يوم مغارها هضبٌ ولا البيد الحزون حزونُ
عرفتْ بساعة سبقها لا انها علقت بها يوم الرهان عيون
واجلُّ علم البرق فيها انها مرَّت بجانحتيه وهي ظنون
في الغيث شبهٌ من ندالك كانما مسحت على الانواء منك يمين

ولابن هاني ديوان مرتب على الابجدية منه نسخ خطية في اكثر مكاتب اوربا وطبع في بولاق سنة ١٢٧٤ وفي بيروت سنة ١٨٨٤ وترجمته في ابن خلكان ٤ ج ٢

٦ — الوأواء الدمشقي

توفي سنة ٣٩٠ هـ

هو ابو الفرج محمد بن احمد الغساني الدمشقي الملقب بالواواء . كان في بدء امره منادياً في دار البطيخ بدمشق ينادي على الفواكه وما زال يشعر حتى اجاد واشتهر . وكان شعره حسن التشبيه منسجم اللفظ عذب العبارة حسن الاشارة ولذلك شاع كثير من اشعاره على السنة الناس من ذلك قوله :

بالله ربكما عوجا على سكني وعاتباه لعل العتب يعطفهُ
وعرّضا بي وقولا في حديثكما ما بال عبدك بالهجران تتلفهُ
فان تبسَّم قولا عن ملاطفة ما ضرَّ لو بوصال منك تسعفه
وان بدا لكما من سيدي غضبٌ فغالطاه وقولا ليس نعرفه

وذكر له الثعالبي بعض القصيدة التي اشتهرت لابن زريق الآتي ذكره ومطلعها :

لا تعذليه فان العذل يولعه قد قلت حقا ولكن ليس يسمعه

وله من التشبيهات الابيات المشهورة :

قالت وقد فتكت فينا لواحظها لِمْ ذا ؟ اما لقتيل الحب من قود
واسبلت لؤلؤاً من نرجس وسقت وروداً وعضت على العناب بالبرد
انسانة لو بدت للشمس ما طلعت من بعد رؤيتها يوماً على احد
كانما بين غابات الجفون لها اسد الحمام على طرق الهوى رصدي

وله ديوان منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية في نحو ٦٥ صفحة نقل من المدينة المنورة اكثره مقاطيع في الخمر والغزل

وترجمته في فوات الوفيات ١٤٦ ج ٢ ويتيمة الدهر ٢٠٥ ج ١

٧ — السلَّامي

توفي سنة ٣٩٣ هـ

هو ابو الحسن محمد بن عبد الله من ولد الوليد بن الوليد بن المغيرة المخزومي اخي خالد بن الوليد . وسمي السلامي نسبة الى دار السلام . ولد في كرخ بغداد سنة ٣٣٦ هـ ورحل منها الى الموصل وهو صبي ينظم الشعر فلقي جماعة من مشائخ الشعراء منهم ابو عثمان الخالدي احد الخالديين وابو الفرج الببغاء وغيرهما . فاعجبوا ببراعته مع حداثته فاتهموه بان الشعر ليس له . ثم خبروه بتجربة — وذلك ان الخالدي كان في يده نارنجة القاها على برد تساقط في تلك الساعة وطلبوا اليه ان يصف ذلك المنظر فقال مرتجلاً :

لله در الخالدي الأوحد الندب الخطير
اهدى لماء المزن عند جموده نار السعير
حتى اذا صدر العتاب اليه عن حنق الصدور
بعثت اليه بعذره عن خاطري ايدي السرور
لا تعذلوه فانه اهدى الخدود الى الثغور

فاقتنعوا باقتداره وهو من اشعر اهل العراق ومدح آل حمدان . ونزل على الصاحب بن عباد باصفان ردحاً من الزمن ثم قصد عضد الدولة في شيراز فحمله الصاحب معززاً مكرماً . فاكرمه عضد الدولة وكان يقول « اذا رايت السلامي في مجلس ظننت ان عطارد قد نزل من الفلك اليَّ ووقف بين يدي »

ومن جملة مدحه اياه قوله :

اليك طوى عرض البسيطة جاعل قصارى المطايا ان يلوح لها القصرُ
فكنت وعزمي في الظلام وصارمي ثلاثة اشباه كما اجتمع النسر
وبشرت آمالي بملك هو الورى ودار هي الدنيا ويوم هو الدهر

ومن بديع شعره في مدح الصاحب :

تبسطنا على الآثام لما رأينا العفو من ثمر الذنوب

وفي يتيمة الدهر الجزء الثاني طائفة من احسن اشعاره . وتجد اخباره ايضاً في ابن خلكان ٥٢٤ ج ١

٨ — البَبَّغاء

توفي سنة ٣٩٨ هـ

هو ابو الفرج عبدالواحد بن نصر المخزومي اصله من نصيبين بالعراق . وهو ممن جمع بين الشعر والانشاء ولكن الشعر غلب عليه . وقد ذكر الثعالبي رسائل دارت بينه وبين ابي اسحق الصابي واشياء يطول شرحها . ولقب بالببغاء للثغة في لسانه . واتصل في ريعان شبابه بسيف الدولة في حلب ثم تنقل بعد وفاته الى الموصل وبغداد . ومن شعره ما يتغنى به واكثره في الغزل والخمر وفي الزهر فضلاً عن قصائد المديح . وفي اليتيمة امثلة من شعره يضيق عنها هذا المقام ومن تشبيهه قوله :

وكأنما نقشت حوافر خيله للناظرين اهلةً في الجلمدِ
وكأن طرف الشمس مطروف وقد جعل الغبار له مكان الاثمدِ

واكثر شعره جيد ومقاصده فيه جميلة

واخباره في ابن خلكان ٢٩٨ ج ١ ويتيمة الدهر ١٧٣ ج ١

٩ — النامي

توفي سنة ٣٩٩ هـ

هو ابو العباس احمد بن محمد الدارمي المصيصي المعروف بالنامي من خواص مداح سيف الدولة يأتي بالرتبة عندهُ بعد المتنبي

وكان اديباً عارفاً باللغة وقد اشتغل فيها بحلب وله وقائع مع المتنبي ومعارضات في الاناشيد . وقد عاش بعده دهراً حتى اربى على التسعين سنة من العمر ومن لطيف شعره قوله :

اتاني في قميص اللاذ يسعى عدوٌّ لي يلقب بالحبيبِ
وقد عبث الشراب بمقلتيه فصير خده كسنا اللهيب
فقلت له بما استحسنت هذا لقد اقبلت في زي عجيب
احمرة وجنتيك كستك هذا ام انت صبغته بدم القلوب
فقال الراح اهدت لي قميصاً كلون الشمس في شفق المغيب
فثوبي والمدام ولون خدّي قريب من قريب من قريب

واخباره في ابن خلكان ٣٨ ج ١

١٠ — ابن نباتة السعدي

توفي سنة ٤٠٥ هـ

هو ابو نصر عبد العزيز بن عمر من سعد من تميم . نشأ في بغداد وطاف البلاد ومدح الملوك والرؤساء من جملتهم سيف الدولة وابن العميد . وجرت بينه وبين هذا مفاوضة سيأتي ذكرها في ترجمة ابن العميد . ومدح عضد الدولة والوزير المهلبي وغيرهما . ويمتاز شعره بحسن السبك وجودة المعنى ومن قوله في سيف الدولة وقد اعطاه فرساً احمر محجلاً قصيدة قال منها في وصف الفرس :

فكانما لطم الصباح جبينه فاقتص منه فخاض في احشائه
متمهلاً والبرق من اسمائه متبرقعاً والحسن من اكفائه
ما كانت النيران يكمن حرُّها لو كان للنيران بعض ذكائه
لا تعلق الالحاظ في اعطافه الا اذا كفكفت من غلوائه
لا يكمل الطِرف المحاسن كلها حتى يكون الطرف من اسرائه

وهو غير ابن نباتة المصري المتوفى سنة ٧٦٨ هـ صاحب الديوان المشهور وسيأتي ذكره . وغير ابن نباتة الفارقي الخطيب المتوفى سنة ٣٧٤ هـ صاحب ديوان الخطب وقد طبعت خطبه بمصر مراراً وفي بيروت سنة ١٣١١ ولها شروح عديدة منها نسخ خطية في مكاتب اوربا . وترجمته في ابن خلكان ٢٨٣ ج ١

واما ابن نباتة السعدي فترجمته في ابن خلكان ٢٩٥ ج١ ويتيمة الدهر١٤٣ ج ١

١١ — الشريف الرضيّ

توفي سنة ٤٠٦ هـ

هو ابوالحسن محمد بن الطاهر وينتهي نسبه الى موسى الكاظم ومنه الى الحسين بن علي ولذلك لقب بالشريف الرضي الموسوي . ولد في بغداد سنة ٣٥٩ وبدا بقول الشعر وعمره بضع عشرة سنة وكان ابوه نقيب الاشراف الطالبيين فصارت النقابة اليه سنة ٣٨٨ وابوه حيٌّ . وكان عالماً بعلوم القرآن واللغة والنحو وله فيها المؤلفات النافعة وكان يقيم في سر من راي (سامرّا) . وقد اجمع الاكثرون على ان الشريف الرضي اشعر قريش لان شعراء قريش كان فيهم من يجيد القول الا ان شعره قليل . فاما مجيد مكثرٌ فليس الا الشريف الرضي . وتوفي في بغداد سنة ٤٠٦ هـ ودفن في الكرخ ورثاه الشعراء . وكان رفيع المنزلة لشرف نسبه ومنصبه وعلو كعبه في الشعر والادب . ومن

اجمل نظمه الدالّ على عظم نفسه وشاعريته قصيدة قالها في الخليفة القادر بالله العباسي في جلسة جلسها فاوصل اليها الحجيج وغيرهم سنة ٣٨٢ مطلعها :

لمن الحدوج تهزهنّ الانيق والركب يطفو في السراب ويغرق

وتخلص الى مدح الخليفة والافتخار بنسبه فقال :

وبرزتَ في برد النبي وللهدى نورٌ على اسرار وجهك مشرق
وكأن دارك جنةٌ حصباؤها الجـــاديُّ او انماطها الاستبرق
في موقف تغضي العيون جلالة فيه ويعثر بالكلام المنطق
والناس اما شاخصٌ متعجبٌ مما يرى او ناظر متشوّق
مالوا اليك محبةً فتجمعوا وراوا عليك مهابة فتفرقوا
عطفاً امير المؤمنين فاننا في دوحة العلياء لا نتفرّق
ما بيننا يوم الفخار تفاوتٌ ابداً كلانا في المعالي معرق
الا الخلافة ميزتك فانني انا عاطلٌ منها وانت مطوّق

ويمتاز الشريف الرضى ببراعته في الرثاء وله عدة مراثٍ اشهرها رثاؤه لابي اسحق الصابي بقصيدة مطلعها :

ارأيت من حملوا على الاعواد ارايت كيف خبا ضياء النادي

وقد اكبر الناس قوله في هذه القصيدة لان المرثي كان صابئيا

ومن قوله في الحكم :

كن في الانام بلا عينٍ ولا اذن او لا فعش ابد الايام مصدوراً
والناس اسدٌ تحامي عن فرائسها اما عقرتَ واما كنت معقوراً

وللشريف المذكور ديوان كبير رواية ابي حكيم الخيري مرتب على ابواب : (١) المديح (٢) الافتخار وشكوى الزمان (٣) المراثي (٤) النسيب والمشيب ووصف طيف الحبيب (٥) الفنون المختلفة . وكل باب مرتب على الابجدية ويليها زيادات . منه نسخ خطية في المكتبة الخديوية ومكاتب برلين ولندن والاسكوريال . وقد طبع في الهند في مجلد واحد كبير مرتب على المعجم سنة ١٣٠٦ هـ . وله مؤلفات في معاني القرآن لم تصلنا . وله كتاب انشراح الصدر في مختارات من الشعر منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية . وفي مكتبة الاسكوريال مما ينسب الى الشريف الرضي مجموعة اشعار عنوانها طيف الخيال

وتجد ترجمته في ابن خلكان ٢ ج ٢ ويتيمة الدهر ٨١ و ٢٩٨ جزء ٢

١٢ — صريع الدلاء

توفي سنة ٤١٢ هـ

هو ابو الحسن علي بن عبد الواحد ويعرف بصريع الدلاء وقتيل الغواني اشتهر بقصيدة مجونية مقصورة عارض بها مقصورة ابن دريد منها قوله :

من لم يرد ان تنتقب نعالهُ يحملها في كفه اذا مشى
ومن اراد ان يصون رجله فلبسه خير له من الحفا
من دخلت في عينه مسلة فاساله من ساعته عن العمى
من اكل الفحم تسود فمه وراح صحن خده مثل الدجا
من صفع الناس ولم يدعهم ان يصفعوه فعليهم اعتدى
من ناطح الكبش يفجر راسه وسال من مفرقه شبه الدما
من طبخ الديك ولا يذبحه طار من القدر الى حيث يشا

وترجمته في فوات الوفيات ٢٣٧ ج ٢

١٣ — مِهيار الدَّيلمي

توفي سنة ٤٢٨ هـ

هو ابو الحسن مهيار بن مرزويه الكاتب الفارسي الديلمي كان مجوسيًا واسلم على يد الشريف الرضي . وتخرج في الشعر على يده وقد وازن كثيراً من قصائده ويمتاز في شعره بجزالة القول ورقة الحاشية وطول النفس وقد طرق اكثر ابواب الشعر فمن قوله في القناعة :

يلحى على البخل الشحيح بماله افلا تكون بماء وجهك ابخلا
اكرم يديك عن السؤال فانما قدر الحياة اقل من ان تسألا
ولقد اضمُّ اليَّ فضل قناعتي وابيت مشتملاً بها متزملا
وأُري العدوَّ على الخصاصة شارة تصف الغنى فيخالني متمولا
واذا امرؤ افنى الليالى حسرة واماني افنيتهنَّ توكلا

ومن بديع مدائحه قوله من جملة قصيدة :

واذا راوك تفرقت ارواحهم فكانما عرفتك قبل الاعين
واذا اردت بان تقل كتيبة لاقيتها فتسم فيها واكتن

وله من جملة قصيدة ابيات تتضمن العتب وهي :

اذا صوَّر الاشفاق لي كيف انتمُ وكيف اذا ما عنَّ ذكري صبرتمُ
تنفست عن عتب فؤادي مفصح به ولساني للحفاظ يحمحمُ
وفى فيَّ ماءٌ من بقايا ودادكم كثيراً به من ماء وجهي أرقم
ارقت فما ضناً عليه وبينه وبين انسكاب ريثما اتكلم

وقد جمع شعره في ديوان يدخل في اربعة مجلدات كان مشهوراً في ايام ابن خلكان وذكر امثلة منه ولم نقف عليه . وترجمته في ابن خلكان ١٤٩ ج ٢

١٤ — ابو العَلاء المعَرّي

توفي سنة ٤٤٩ ﻫ

هو خاتمة شعراء العصر العباسي الثالث كما كان شبيههُ ابو الطيب المتنبي فاتحته — ونعم الفاتحة والخاتمة . وهو الشاعر الحكيم الفيلسوف احمد بن عبدالله بن سليمان بن محمد التنوخي . ولد في المعرة سنة ٣٦٣ ﻫ وكان ابوه من اهل الادب وتولى جده القضاء فيها . وكانت امه ايضاً من اسرة وجيهة يعرفون بآل سبيكة اشتهر منهم غير واحد بالوجاهة والادب . وكانت المعرة تحت سيطرة الدولة الحمدانية بحلب واميرها يومئذ سعد الدولة ابو المعالي

ولم يتم ابو العلاء الثالثة من عمره حتى اصابه الجدري فذهب بيسرى عينيه وغشى يمناهما بياض . فكفَّ بصره وهو طفلٌ وكان يقول لا « اعرف من الالوان الا الاحمر لاني البست في الجدري ثوباً مصبوغاً بالعصفر » لقنه ابوه النحو واللغة في حداثته ثم قرا على جماعة من اهل بلده . ولما ادرك العشرين من عمره عمد الى سائر علوم اللغة وآدابها فاكتسبها بالمطالعة والاجتهاد . وكان يقيم أناساً يقراون له كتبها واشعار العرب واخبارهم . وهو قوي الحافظة الى ما يفوق التصديق

وكان مطبوعاً على الشعر نظمه قبل ان يتم الحادية عشرة من عمره . ولم يمنعه العمى من مباراة ارباب القرائح في ما اشتغلوا به حتى في العابهم فقد كان يلعب الشطرنج والنرد ويجيد لعبهما لا يرى في العمى نقصاً . بل هو كان يقول « احمد الله على العمى كما يحمده غيري على البصر » . وكان يرتزق من وقف يحصل له منه ثلاثون ديناراً في العام ينفق نصفها على من يخدمه

ورحل في طلب العلم على عادتهم في ذلك العهد فاتى طرابلس واللاذقية وسواهما من بلاد الشام واخذ فلسفة اليونان عن الرهبان . ثم رحل الى بغداد سنة ٣٩٨ وشهرته

قد سبقته اليها فاستقبله علماؤها بالحفاوة . واطلع في اثناء اقامته هناك على فلسفة الهنود والفرس فضلاً عن سائر العلوم . حتى اذا نضج عقله وامعن النظر في الوجود راى الدنيا كما هي فزهد فيها وعزم على الاعتزال ليتسنى له التأمل والتفكير . فغادر بغداد سنة ٤٠٠ ﻫ واتى المعرة ولزم بيته وسمى نفسه « رهين المحبسين » واخذ بالتأليف والنظم وتدوين افكاره وآرائه ومحفوظه في الكتب . وانقطع عن اكل اللحوم من ذلك الحين واقتصر على النبات كما يفعل النباتيون اليوم — اقتبس ذلك من اراء البراهمة الهنود فذهب مذهبهم فيه رفقاً بالحيوان وتجافياً عن ايلامه . ولزم الصوم الدائم

قضى ابو العلاء في هذه العزلة بضعاً واربعين سنة واكله العدس وحلاوته التين . وهو يؤلف وينظم والناس يتوافدون اليه ليسمعوا اقواله واخباره . او يكاتبونه في استفهام او استفتاء ويأخذون عنه العلم مجاناً حتى توفاه الله سنة ٤٤٩

وكان معدوداً من اقطاب العلم والادب والشعر ويمتاز بأنه لم يتكسب بشعره

مؤلفاته

خلف مؤلفات في الشعر وفي الادب . اما اشعاره فاشهرها :

١ اللزوميات : وهو ديوان كبير طبع في بمباي سنة ١٣٠٣ ﻫ ثم في مصر سنة ١٨٩٥ في نحو ٩٠٠ صفحة . في صدرها مقدمة في الشعر وشروطه وقوافيه على اسلوب انتقادي يدل على رسوخ قدمه في اللغة والشعر . وذكر ما التزمه في نظم هذا الديوان من الشروط اهمها التزام حرفين في القافية وقد نظمه في اثناء عزلته وضمنه كثيراً من آرائه في الوجود والخليقة والنفس والدين . فكان له وقع عند اصحاب الفلسفة فقالوا « ان ابا العلاء اتى قبل عصره باجيال » وتمتاز اشعاره في عزلته بصبغة سوداوية تشف عن سوء ظنه في الحياة ويأسه من اسباب السعادة — لعل سببها اختلال عمل الهضم بتوالي الصوم والاقتصار على نوع او نوعين من الاطعمة . على ان اكثر اشعاره في الفلسفة والزهد والحكم والوصف ويندر فيها المدح او التشبيب . وقد نقل امين افندي ريحاني بعض رباعياته الى الانكليزية نشرت في اميركا منذ بضع سنين . وترجم بعض شعره ايضاً جورج سلمون الى اللغة الفرنساوية ونشرها في باريس سنة ١٩٠٤

٢ سقط الزند : وهو ديوان آخر نظمه قبل العزلة . طبع مراراً

٣ ضوء السقط : يقتصر على ما نظمه في الدرع طبع في بيروت سنة ١٨٩٤

اما الادب فله فيه مؤلفات عديدة ربما زادت على خمسين كتاباً اكثرها في اللغة والقوافي والنقد والفلسفة والمراسلات ضاع معظمها واليك ما بلغ الينا خبره منها :

٤ رسائل ابي العلاء : هي كثيرة لو جمعت كلها لبلغت ثمانمائة كراس وقد توخى فيها التسجيع والعبارة العالية والكلام الغريب نحو ما يفعلون في انشاء المقامات فلا تفهم بلا تفسير . وهي من قبيل الشعر المنثور في وصف الخلائق كالنمل والجراد والنسر والفيل والنحل والضفدع والفرس والضبع والحية ونحوها من الحيوانات . غير وصف الاماكن والمواقف والثياب والمآكل وغيرها مما يحسن تحديه لو لا ما فيه من اللفظ الغريب . ولكن معظمها ضاع وقد جمع اكثر ما بقي منها في كتاب طبع في بيروت سنة ١٨٩٤ مضبوطاً بالحركات . وطبع ايضا في اكسفورد سنة ١٨٩٨ بعناية الاستاذ مرجليوث المستشرق الانكليزي مع ترجمة انكليزية وتعاليق وشروح تاريخية وادبية مفيدة . وقد صدرها بمقدمة في ترجمة المؤلف بالانكليزية . وذيلها بما ذكره الذهبي من ترجمته وختمها بفهرس للاعلام

٥ رسالة الغفران : هي من جملة رسائله ولكننا افردناها بالكلام لانها طبعت على حدة ولها شأن خاص من حيث موضوعها . وهي فلسفية خيالية كتبها في عزلته وضمنها انتقاد شعراء الجاهلية والاسلام وادبائهم والرواة والنحاة على اسلوب روائي خيالي لم يسبقه اليه احد . فتخيل رجلاً صعد الى السماء ووصف ما شاهده هناك كما فعل دانتي شاعر الايطاليان في « الرواية الالهية » وما فعله ملتن الانكليزي في «ضياع الفردوس » لكن ابا العلاء سبقهما ببضعة قرون . لان دانتي توفي نحو سنة ٧٢٠ هـ وملتن نحو سنة ١٠٨٤ هـ وتوفي ابو العلاء سنة ٤٤٩ هـ فلا بدع اذا قلنا باقتباس هذا الفكر عنه . واقدمهما (دانتي) لم يظهر الا بعد احتكاك الافرنج بالمسلمين . والايطاليان اسبق الافرنج الى ذلك . وتقسم مواضيع رسالة الغفران الى قسمين ادبي لغوي ونوادر خيالية عن بعض الزنادقة ومستقلي الافكار والمتنبئين ونحوهم ممن توالى ظهورهم في اثناء التمدن الاسلامي . ويتخلل ذلك محاورات مع الشعراء الجاهليين يُسألون فيها عما غفر لهم به فيذكر كل منهم شعراً قاله او عملاً عمله فغفر له به . ومنها تسمية هذه الرسالة برسالة الغفران — كانه يعرض بما يرجوه من المغفرة لنفسه عما فرط منه احياناً من الابيات التي يعدها الناس كفرية . وقد طبعت هذه الرسالة بمصر سنة ١٩٠٦ ولخصناها في السنة ١٥ من الهلال من صفحة ٢٧٩

٦ ملقى السبيل : هي رسالة فلسفية نشرتها مجلة المقتبس سنة ٧ ج ١ عن اصل خطي قديم وجد في الاسكوريال بعناية ح . ح . عبد الوهاب التونسي . وهي على نسق رسائله الاخرى لكن اكثرها منظوم . وقد قابل الناشر بين آراء المعري فيها واراء

شوبنهور الفيلسوف الالماني من حيث الحياة ومصيرها وطبعها على حدة سنة ١٩١٢

٧ كتاب الايك والغصون ويعرف باسم الهمزة والردف : يبحث في الادب واخبار العرب يقارب مئة جزء ضاع منذ بضعة قرون . وانما ذكرناه لعل احداً يعثر على شيء منه اذ يظهر انه عظيم الاهمية فقد قال فيه الذهبي «حكى من وقف على المجلد الاول بعد المئة من كتاب الهمزة والردف فقال لا اعلم ما كان يعوزه بعد هذا المجلد »

وعني ابو العلاء بشرح كتب هامة او اختصارها مر ذكر بعضها . منها شرح الحماسة منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية في ٤٤٢ صفحة وهو شرح لغوي

وكان مشاركاً في كثير من علوم الاقدمين كالفلسفة والكيمياء والنجوم والمنطق ويظهر اثر ذلك في اشعاره واقواله . ولو اردنا الاتيان بامثلة منها لضاق بنا المقام ودواوينه شائعة فيزناه بخلو ترجمته من الامثلة الشعرية كما ميزنا المتنبي قبله . وقد تقدم ذكر شيء من شعره في كلامنا عن مزايا الشعر في هذا العصر وغيره . وسنأتي بأمثلة اخرى في امكنة اخرى

مناقبه ومنزلته

ويقال بالاجمال ان الشعر العربي دخل بعد المعري في طور جديد من حيث النظر في الطبيعة والتفكير في الخلق والحكمة الاجتماعية . فانتقل الشعر على يده من الخيال الى الحقيقة . واختلف الناس في مناقب ابي العلاء واخلاقه واعتقاده . وله فلسفة خاصة في الدين والطبيعة والخليقة . وهو اقرب من هذا القبيل الى مذهب اللاأدريين . ويعتقد التقمص وخلود المادة وان الفضاء لا نهاية له . وكان يقبح الزواج ويعد تخليف الاولاد جناية . وكان يرى ان المراة لا ينبغي لها ان تتعلم غير الغزل والنسج وخدمة المنزل . وكان من القائلين بالرفق بالحيوان فقضى النصف الاخير من عمره لم يذق لحماً . وله اقوال في هذا الموضوع سبق بها اصحاب الرفق بالحيوان اليوم عدة قرون . وعثر له الاستاذ مرجليوث على رسالة في هذا الموضوع جزيلة الفائدة نشرها في المجلة الاسيوية الانكليزية ولخصناها في الهلال سنة ١٥ ج ٤

وقد اتهمه بعضهم بالكفر وكانوا يتهمون به كل حر الضمير مستقل الفكر في تلك الايام . مع ان اعترافه بالخالق ووحدانيته ظاهرة في كثير من اشعاره لكنه لم يكن يرى الاعتقاد بالتسليم بل بالتفكير . وكانت حقيقة الدين عنده ان يعمل الانسان خيراً لا ان يكثر من الصلاة والصوم . ولذلك كان شديد الوطأة على الفقهاء الذين يتظاهرون بالدين للارتزاق . وقد فصلنا ذلك وايدناه بالامثلة من اشعاره واقواله في السنة الخامسة عشرة من الهلال من صفحة ١٩٥

وتجد ترجمته في السنة المذكورة من الهلال وفي ابن خلكان ٣٣ ج ١ وطبقات الادباء ٤٢٥ ومعجم الادباء ١٦٢ ج ١ وفي ذيل رسائله المطبوعة باكسفورد

سائر الشعراء

في العصر العباسي الثالث

وهناك طائفة كبيرة من الشعراء يضيق المقام عن ذكرهم لكثرتهم فمن احب الاطلاع على تراجمهم واخبارهم فعليه بكتاب يتيمة الدهر للثعالبي ودمية القصر للباخرزي ومعجم الادباء لياقوت الحموي وتاريخ ابن خلكان وسائر كتب التراجم . وانما نشير هنا الى بضعة شعراء امتاز كل منهم بضرب من الشعر وهم :

١٥ ابو الرقعمق كان مداحاً : ترجمته في يتيمة الدهر ٢٣٨ ج ١ وابن خلكان ٤٠ ج ١

١٦ الواساني كان هجاءاً : ترجمته في اليتيمة ٢٦١ ج ١

١٧ ابو عبد الله الحسن بن احمد بن الحجاج كان مجاناً : اليتيمة ٢١١ ج ٢

١٨ ابن سكرة الهاشمي من ولد علي بن المهدي بن المنصور الخليفة العباسي . جال في ميدان المجون والسخف ما اراد . وكانوا يشبهونه مع ابن الحجاج بجرير والفرزدق. ويربو ديوان ابن سكرة على ٥٠٠٠٠ بيت منها ١٠٠٠٠ بيت في جارية سوداء اسمها خمرة وكانت عرضة نوادره وملحه كطيلسان ابن حرب ولم تنف على ديوانه . ترجمته في اليتيمة ١٨٨ ج ٢ وابن خلكان ٥٢٦ ج ١

ابن زريق

١٩ ولا يصح الاغضاء عن ابي الحسن علي بن زريق الكاتب البغدادي صاحب القصيدة التي قالها في حال غمه ويأسه بعد ان قصد صاحب الاندلس ومدحه فلم يعطه الا عطاء قليلاً فاعتل غماً ومات . وذكروا ان صاحب الاندلس انما اراد ان يختبره فلما كان بعد ايام سأل عنه فتفقدوه في الخان الذي كان فيه فوجدوه ميتاً وعند راسه رقعة فيها القصيدة المشار اليها ومطلعها :

لا تعزليه فان العزل يولعه ... قد قلت حقاً ولكن ليس يسمعهُ

وهي منشورة في الكشكول وغيره من كتب الادب . ولها شروح وتخاميس وقد تقدم ان الثعالبي ذكر بعضها للواواء الدمشقي . وقد شرحها علي بن عبدالله العلوي وخمسها على بن ناصر الباعوني ومن الشرح والتخميس نسخة في برلين

الانشاء والترسل

في العصر العباسي الثالث

تمكنت الحضارة من اسلوب الترسل في هذا العصر — ونعني بالترسل انشاء المراسلات على الخصوص . ويريدون به « معرفة احوال الكاتب والمكتوب اليه من حيث الادب والمصطلحات الخاصة الملائمة لكل طائفة ». وهو الذي يتغير مع الاعصر كما بينا ذلك في كلامنا عن الانشاء في العصر الماضي . ويشتمل على المراسلات والخطب ومقدمات الكتب لان اساليبها متشابهة . اما انشاء الكتب اي عبارة المؤلفات التاريخية والعلمية التي يراد بها تقرير الحقائق بغير ارهاب اوتهديد اوتنبيه او تحريض فهذه قلما يعتورها تغيير لان تقرير الحقائق العلمية او التاريخية قلما تؤثر فيه الانفعالات النفسية فهو اقل مجاراة للاحوال الاجتماعية . ولذلك رايت عبارة البلغاء من المؤلفين متشابهة يندر الاختلاف فيها — الا في ما يختص بنفس الكاتب واسلوب تفكيره وموضوع كتابه . اذ ان لكل كاتب طريقة يعبرون عنها بالذوق ولكل فن مصطلحات خاصة تجعل للكتابة فيه نسقاً خاصاً . فعبارة الفقيه تختلف عن عبارة المؤرخ وهذه تختلف عن عبارة الحكيم او الرياضي . وقد يختلف اسلوب المؤلف الواحد باختلاف الموضوع الذي يكتب فيه . ولكنها ترجع كلها الى اسلوب خاص يختلف عن اسلوب الترسل

والكاتب في المواضيع العلمية لا يزال على اسلوب المؤلفين المتناسق المرسل حتى يقتضي الموضوع مخاطبة القارىء فينتقل الى اسلوب الترسل بالتسجيع أو نحوه حسب العصور . فاذا فرغ من الخطاب عاد الى الانشاء المرسل البسيط — الا طائفة من المؤلفين ارادوا زيادة التأنق في مؤلفاتهم فجعلوا عبارتها كلها مسجعة . وذلك نادر وسنعود الى الكلام فيه

اسلوب الترسل

لما كان المراد بالمراسلات والخطب التعبير عن العواطف والاميال وسائر الاحوال وهذه تختلف في الناس باختلاف آدابهم الاجتماعية واحوالهم الادبية وهي تتغير بتغير الاحوال — كان الترسل اكثر تعرضاً للتغيير في اسلوبه وعبارته وهو ما نريد بيانه هنا يغلب ان يكون لكل عصر امام في انشاء المراسلات يحتذاه معاصروه . كذلك كان

عبد الحميد وابن المقفع في العصر العباسي الاول والجاحظ في العصر الثاني . واما امام الانشاء في هذا العصر فهو ابن العميد لاسباب سنبينها في ترجمة حاله . وقد رايت ما اصاب هذا الانشاء في العصر الماضي على يد الجاحظ واصحابه من تقطيع العبارة وادخال الدعاء فيها بصيغة المخاطب بغير اشتراط السجع او التقفية . وعلمت ما يمتاز به هذا العصر من التوسع باسباب الحضارة والترف نعني ما صار اليه الادباء والمنشئون من التبسط في العيش عن سعة ورخاء . لا يخافون مزاحمة اوفقراً لتعدد مصادر الارتزاق في دور الامراء والوزراء والخلفاء . فاذا خافوا سبقاً في بلاط نزحوا الى سواه ـ والرخاء يدعو الى التأنق فتطرق ذلك الى انشائهم فصاروا يتأنقون فيه كما يتأنقون بلباسهم وطعامهم واثاثهم فاطالوا العبارة وتوسعوا في التنميق . ونبغ جماعة من اصحاب القرائح تساعدوا على ذلك حتى صار للانشاء في هذا العصر طريقة اتخذها اهل العصور التالية نموذجاً نسجوا على منواله . وهي الطريقة المدرسية في اصطلاح الافرنج (كلاسيك) وبعبارة اخرى ان الطريقة المدرسية للترسل العربي نضجت في هذا العصر كما نضج الانشاء الروماني في عصر شيشرون ثم اخذ في التقهقر . وهكذا اصاب الانشاء العربي بعد هذا العصر كما ستراه في مكانه . وللطريقة المدرسية في الانشاء العربي شروط هاك اهمها :

شروط الطريقة المدرسية في الانشاء العربي

١ السجع : اصبح التسجيع شرطاً من شروط الترسل وهو من ثمار التأنق لما يقتضيه من العناية في اتقانه . فالرسالة المسجعة يظهر التأنق فيها اكثر من غير المسجعة . وتدل من جهة اخرى على تفرغ صاحبها للتنميق ولايكون ذلك الا في الرخاء ـ والسجع اذا اتقنت صياغته اكسب المعنى قوة . وقد اتقنه بلغاء العصر الثالث فرغب الناس فيه وتسابقوا اليه . لكن بعض معاصريهم من ادعياء هذا الفن كلفوا به عن غير مقدرة عليه فجاء بارداً . ومما يروي من هذا القبيل وفيه فكاهة ان الخاقاني الوزير كان يحب السجع حتى استخدمه في التوقيع على كتب العمال فوقع مرة « الزم وفقك الله المنهاج واحذر عواقب الاعوجاج واحمل ما امكن من الدجاج ان شاء الله » فحمل العامل دجاجاً كثيراً على سبيل الهدية . فقال « هذا دجاج وفرته بركة السجع » وامران يباع ويورد ثمنه في الحساب فاورد منسوباً الى ثمن دجاج السجع

٢ الجناس والبديع : واكثروا من الجناس وهو من قبيل الترصيع للآنية او الوشي للثوب . لا يزيد الوشي الثوب نفعاً للابسه من حيث الغرض المراد منه كالدفء

والستر ولكنه يزيده جمالاً . والجناس اوالبديع لايزيد العبارة معنى لكنه يكسبها رونقاً ولا سيما مع السجع . فقول ابي بكر الخوارزمي في كتابه الى نائب الوزير ابن عباد « كتبت الى الاستاذ معاتباً مرة . ومستعتباً كرة . فما وجدت للعتاب اعتاباً . ولا قرات عن الكتاب جواباً . وليت شعري ما الذي منعه عن صلة لا تضره وتنفعني . وعن تواضع لايضعه ويرفعني » لوجعله مرسلاً بسيطاً لم يكن له ذلك الوقع في النفس

٣ كثر فيه الخيال الشعري حتى اصبح سجعهم كالشعر المنثور لكنه مقفى فلا يعوزه غير الوزن ليصير شعراً

٤ كثر تضمين مراسلاتهم الامثال او النكت الادبية او العبارات التاريخية او العلمية التي تحتاج الى شرح كقول ابن العميد في رسالة الى ابي العلاء السروي :

« واحمد الله على كل حال واسأله ان يعرفني فضل بركته ويلقيني الخير في باقي ايامه وخاتمته . وارغب اليه في ان يقرب على القمر دوره ويقصر سيره . ويخفف حركته ويعجل نهضته وينقص مسافة فلكه ودائرته . ويزيل بركة الطول من ساعاته . ويردّ عليّ غرة شوال فهي اسرُّ الغرر عندي واقرُّها لعيني . ويسمعني النعرة في قفا شهر رمضان . ويعرض عليّ هلاله اخفى من السرواظلم من الكفر . وانحف من مجنون بني عامر واضنى من قيس بن ذريح وابلى من اسير الهجر . ويسلط عليه الحور بعد الكور ويرسل على رقاقته التي يغشى العيون ضؤها ويحط من الاجسام نؤها كلفاً يغمرها وكسوفاً يسترها » الخ

٥ اكثروا فيه من الاستشهاد بالاشعار في اثناء مراسلاتهم وهو ترصيع جميل يزيد المعنى طلاوة ووضوحاً ويكسبه قوة على ابداء ما في خاطر الكاتب . وقد بالغ بعضهم في ذلك الترصيع حتى اصبح الشعر فيه اكثر من النثر . كقول الصاحب بن عباد يصف فصلاً من كتب ابن العميد قال : « فصلٌ رايته فصيح الاشارة لطيف العبارة

اذا اختصر المعنى فشربة حائم وان رام اسهاباً انى الفيض بالمدّ
فصلٌ قد نظرته فرايته جسماً معتدلاً وفهماً مشتعلا
ونفساً تفيض كفيض الغمام وظرفاً يناسب صفو المدام
فصل قدّ عمهم بنعمه وغمرهم بشيمه
وغزاهم بسوابغ من فضله جعلت جماجمهم بطائن نعله » الخ

وتفنن آخرون بجعل الترصيع شطراً شطراً كقول الهمذاني من رسالة الى الخوارزمي :

انا لقرب دار الاستاذ كما طرب الشنوان مالت به الخمرُ
ومن الارتياح للقائه كما انتفض العصفور بلله القطرُ
ومن الامتزاج بولائه كما التقت الصهباء والبارد العذب
ومن الابتهاج بزاره كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب

٦ صار للرسائل نمط خاص تراه ممثلاً في رسائل ابي بكر الخوارزمي وابي منصور الثعالبي وامثالهما من كتاب ذلك العصر . فالرسالة تبدأ غالباً بمخاطبة المرسل اليه بلقبه اونعته بعد الاشارة الى كتابه . ويتلو ذلك مخاطبته بصيغة الغائب كقولهم « ورد كتاب الامير يأمرني فيه بكذا وكذا الخ » وقولهم « قد حملتُ الى حضرة الشيخ ابياتاً عاتبته بها » وهو يريد الشيخ المخاطب . وقد يأتي اللقب مشفوعاً بالدعاء بصيغة الغائب ايضا كقول ابي بكر الخوارزمي في كتاب الى محمد بن ابراهيم صاحب الجيش وكان محبوساً وخرج من الحبس « كتبت ايد الله صاحب الجيش وقد خرجت من تلك الاهوال خروج المشرفي من الصقال الخ » وقد يجعلون الخطاب بصيغة المخاطب في بعض الاحوال

٧ تفرع الترسل الى ابواب عملاً بسنة النشوء كما تفرع الشعر. فصارت الرسائل تقسم الى رسائل التهنئة والتعزية والمديح والرثاء والى الاخوانيات والسلطانيات ونحو ذلك

٨ تمتاز مقدمات الكتب او خطبها بتقديم الحمدلة والصلاة على النبي وتختم بآية يحسن الختام بها كقولهم « وما توفيقي الا بالله عليه توكلت » او بالحسبلة ونحوها

٩ اختصاص كل طبقة من الوجهاء ورجال الدولة بنعوت خاصة بها . فان تفاوت رجال الدولة بالمنزلة والنفوذ اقتضى ان تتفاوت اساليب مخاطباتهم . واستقر ذلك على وجه معين في العصر العباسي الثالث . فاصبح عندهم لكل طبقة من رجال الدولة نعوت تفتتح بها مخاطباتهم وعبارات تُعنوَن بها كتبهم وادعية يدعون بها لهم . كقولهم في مخاطبة اولاد الخليفة في زمن المقتدر بالله « اطال الله بقاء الامير » ولمؤنس المظفر « اطال الله بقاءك واعزك واكرمك واتم نعمته واحسانه اليك » والعنوان « لابي الحسن اطال الله بقاءه » ولصاحب اليمين ونحوه « اكرمك الله ومد في عمرك واتم نعمته عليك وادامها لك » وقس عليه

١٠ صار الانشاء فنا له الفاظ خاصة سموها الالفاظ الكتابية لا يتجاوزونها الى سواها . وتولدت فيه مصطلحات خاصة لاساليبه وعباراته كالتسجيع والترصيع

والتضريس والتبديل والمكافأة والاستعارة والتتميم والتقسيم والارداف والتمثيل والمعاظلة والتكرير وغيرها . ولكل منها غرض في الانشاء

هذه اهم شروط الانشاء في العصر العباسي الثالث وقد سميناها الطريقة المدرسية لانها صارت مثالاً توخاه الكتاب في سائر العصور الاسلامية . وقد طرأ عليها تغيير اقتضاه حال الاجتماع سنذكره في مكانه

ومما لا بدَّ من التنبيه اليه ان ما يجري عليه الكتاب من تحدي القدماء في مذاهبهم وتقليد اساليبهم لاعتقادهم ان ملكة الانشاء انما ترسخ بمطالعة كتب القدماء واشعارهم بعث على تعدد الاساليب في العصر الواحد . فينبغ في العصر الثالث مثلاً كتاب يتحدون اسلوب الجاحظ وآخرون يقلدون اسلوب ابن المقفع او عبد الحميد او اسلوب صدر الاسلام . ويصدق ذلك على سائر العصور . ولكن يغلب في اهل العصر الواحد ان يخضعوا لما تقتضيه المجاري الاجتماعية فيكون لانشائهم صبغة خاصة به

المنشئون او المترسلون

في العصر العباسي الثالث

تكاثر المنشئون في هذا العصر مثل تكاثر الشعراء واشتهر بعضهم بالصناعتين جميعاً حتى لقد تتولاك الحيرة في جعل احدهم من الكتاب او من الشعراء . واشتهر من المترسلين في هذا العصر طائفة من الوزراء والكبراء ورجال الدولة شرفت بهم الصناعة وارتفعت قيمتها لانهم كانوا عمدتها ووجوه كتابها . بل هم اقوى اركان تلك النهضة في النظم والنثر وسائر اسباب العلم والادب واليك اشهرهم حسب سني الوفاة :

١ — ابن العميد

توفي سنة ٣٦٠ هـ

هو ابو الفضل محمد بن العميد والعميد لقب والده على عادة اهل خراسان في اجرائه مجرى التعظيم . وكان ابن العميد وزير ركن الدولة الحسن بن بويه والد عضد الدولة . تولى الوزارة سنة ٣٢٨ هـ وكان متوسعاً في الفلسفة والنجوم فضلاً عن الادب والترسل حتى سموه « الاستاذ » وكان يلقب لبراعته في الترسل بالجاحظ الثاني .

وقيل بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد . وكان الصاحب بن عباد من بعض اتباعه كما سيجيء . وعاد الصاحب مرة من بغداد فسأله ابن العميد عنها فقال « بغداد في البلاد كالاستاذ في العباد » يشير الى تفرده في العلم . وهو اسبق المنشئين الى اسلوب ذلك العصر وقد اجاد فيه فقلدوه ونسجوا على منواله وساعد على شيوع طريقته رفعة منزلته وعلو كعبه في العلم — وكثيراً ما رأينا الوجاهة من جملة اسباب الشهرة العلمية فهي لا تجعل الجاهل مشهوراً بالعلم لكنها تجعل قليل العلم ان يشتهر بكثرته . واخذ الصاحب بن عباد عن ابن العميد وكان الصاحب مركزاً يدور حوله ادباء ذلك العصر فساعد ذلك على نشر تلك الطريقة

ويدل على مناقب ابن العميد ويمثل منزلة الادباء في ذلك العصر حادثة جرت له مع ابن نباتة السعدي وقد مدحه بقصيدة فتأخرت صلته فشفعها باخرى واتبعها برقعة فلم يزده ابن العميد على الاهمال مع رقة حاله التي ورد عليها الى بابه . فتوصل الى ان دخل عليه يوماً وهو في مجلس حفل باعيان الدولة ومقدمي ارباب الديوان فوقف بين يديه واشار اليه بيده وقال « ايها الرئيس اني لزمتك لزوم الظل وذللت لك ذل النعل واكلت النوى المحرق انتظاراً لصلتك . والله ما بي من الحرمان ولكن شماتة الاعداء وهم قوم نصحوني فاغششتهم وصدقوني فاتهمتهم فبأي وجه القاهم وبأي حجة اقاومهم . ولم احصل من مديح بعد مديح ومن نثر بعد نظم الا على ندم مؤلم وبأس مسقم . فان كان للنجاح علامة فاين هي ؟ وما هي الا ان الذين نحسدهم على ما مدحوا به كانوا من طينتك وان الذين هجوا كانوا مثلك . فزاحم بمنكبك اعظمهم شأناً وانورهم شعاعاً وامدهم باعا واشرفهم بقاعاً »

فخار رشد ابن العميد ولم يدر ما يقول فاطرق ساعة ثم رفع راسه وقال « هذا وقت يضيق عن الاطالة منك في الاستزادة وعن الاطالة مني في المعذرة . واذا تواهبنا ما دفعنا اليه استأنفنا ما نتحامد عليه » فقال ابن نباتة « ايها الرئيس هذه نفثة مصدور منذ زمان وفضلة لسان قد خرس منذ دهر . والغنيُّ اذا مطل لئيم »

فاستشاط ابن العميد غضباً وقال « والله ما استوجبُ هذا العتب من احد من خلق الله تعالى ولست ولي نعمتي فاحتملك ولا صنيعتي فاغضي عليك وان بعض ما قررته في مسامعي ينغص مرة الحلم ويبدد شمل الصبر . هذا وما استقدمتك بكتاب ولا استدعيتك برسول ولا سألتك مدحي ولا كلفتك تقريضي » فقال ابن نباتة « صدقت ايها الرئيس ما استقدمتني بكتاب ولا استدعيتني برسول ولا سألتني مدحك

ولا كلفتني تقريضك ولكن جلستَ في صدر ديوانك بابهتك وقلتَ لا يخاطبني احد الا بالرئاسة ولا ينازعني خلق في احكام السياسة . فاني كاتب ركن الدولة وزعيم الاولياء والحضرة والقيم بمصالح المملكة . فكانك دعوتني بلسان الحال ولم تدعني بلسان المقال »

فثار ابن العميد مغضباً واسرع في صحن داره الى ان دخل حجرته وتقوض المجلس وماج الناس وسمع ابن نباته وهو في صحن الدار مارًّا يقول « والله ان سفَّ التراب والمشي على الجمر اهون من هذا . فلعن الله الادب اذا كان بائعه مهينا ومشتريه مما كساً فيه »

فلما سكن غيظ ابن العميد وثاب اليه حلمه التمسه من الغد ليعتذر اليه ويزيل آثار ما كان منه فكانما غاص في سمع الارض وبصرها ولم يقف على مكانه . فكانت حسرة في قلب ابن العميد الى ان مات . ونسب بعضهم هذه الحادثة الى شاعر آخر غير ابن نباتة

وكان ابن العميد يقرب اهل الادب والشعر فحام حوله طائفة منهم امتدحوه كالمتنبي وابن نباته والصاحب بن عباد وغيرهم . كانوا يجتمعون في مجلسه فيقترح عليهم النظم والمقارضة — وهي ان يقول احدهم شعراً او بيتاً في وصف شيء او حادثة فيتمه الاخر فالاخر

وكان ابن العميد شاعراً رقيقاً من احسن شعره قصيدة قالها منها :

قد ذبت غير حشاشة ودماء ما بين حرّ هوى وحر هواء

الى ان قال وفيه مبالغة :

لا تغتنم اغضاءتي فلعلها كالعين تغضيها على الاقذاء
واستبق بعض حشاشتي فلعلني يوماً اقيك بها من الاسواء
فلوان ما ابقيت من جسمي قذى في العين لم يمنع من الاغفاء

ومن قوله في الغزل :

ظلَّتْ تظللني من الشمس نفسٌ اعزُّ عليَّ من نفسي
فاقول واعجباً ومن عجبٍ شمسٌ تظللني من الشمس

وترى امثلة من ترسله ونظمه في يتيمة الدهر الجزء الثالث . ولم يصلنا منه رسائل مجموعة ولا شعر على حدة

واشتهر ابنه ابو الفتح ذو الكفايتين بعده بمثل شهرته

وتجد اخبار ابن العميد في ابن خلكان ٥٧ ج ٢ ويتيمة الدهر ٢ ج ٣

٢ — ابو بكر الخوارزمي

توفي سنة ٣٨٣ هـ

هو ابو بكر محمد بن العباس الخوارزمي الكاتب الشاعر . ويقال له ايضاً الطبرخزي لان اباه من خوارزم وامه من طبرستان . وهو ابن اخت محمد بن جرير الطبري صاحب التاريخ . وكان الخوارزمي اماماً في اللغة والنسب اقام بالشام مدة وسكن نواحي حلب . وكان يشار اليه في عصره وقصد الصاحب بن عباد وهو في ارجان وجالسه وباسطه . واشتهر بكثرة حفظه للاشعار . ويحكى انه لما جاء الى الصاحب استأذن عليه بدون ان يذكر اسمه فدخل عليه الحاجب واعلمه فقال الصاحب « قل له قد الزمت نفسي ان لا يدخل عليَّ من الادباء الا من يحفظ عشرين الف بيت من شعر العرب » فخرج اليه الحاجب واعلمه بذلك . فقال له ابو بكر « ارجع وقل له هذا القدر من شعر الرجال ام من شعر النساء » فدخل الحاجب فاعاد عليه . فقال « هذا يكون ابا بكر الخوارزمي » فاذن له في الدخول

لم يصل الينا من آثار ابي بكر الخوارزمي الا مجموعة رسائل تعرف باسمه وهي مطبوعة في مصر وفي الاستانة سنة ١٢٩٧ وفي بومباي سنة ١٣٠١ وغيرها ومنها نسخ خطية في برلين وفينا وليدن وكوبرلي . وفي الجزء الرابع من يتيمة الدهر امثلة كثيرة من نثره ونظمه . وفيه طائفة حسنة من المدائح والمراثي والاهاجي وطرق مختلفة . وهو غير محمد بن موسى الخوارزمي الفلكي الرياضي المعاصر للمأمون (ترجمته في ابن القفطي ١٨٧ والفهرست ٢٧٤) وغير ابي عبد الله محمد بن احمد الخوارزمي صاحب مفاتيح العلوم المتقدم ذكره صفحة ٢٣٢

اما ابو بكر هذا فترجمته في ابن خلكان ٥٢٣ ج ١ ويتيمة الدهر ١١٤ ج ٤

٣ — ابو اسحق الصابي

توفي سنة ٣٨٤ هـ

هو ابو اسحق ابراهيم بن هلال بن زهرون بن حبّون الحراني الصابي جدّ ابي الحسن هلال الصابي صاحب التاريخ . كان ابو اسحق كاتب الانشاء في بغداد عن الخليفة وعن عز الدولة بختيار بن معز الدولة بن بويه . وتقلد ديوان الرسائل سنة ٣٤٩ وكانت تصدر عنه مكاتبات الى عضد الدولة بن بويه بما يؤلمه فحقد عليه فلما قتل عز

الدولة وملك عضد الدولة بغداد اعتقله سنة ٣٦٧هـ وعزم على القائه تحت ايدي الفيلة فشفعوا فيه ثم اطلقه سنة ٣٧١ . وكان قد امره ان يصنف كتاباً في اخبار الدولة الديلمية فعمل كتاب « التاجي » فقيل لعضد الدولة ان صديقاً للصابي دخل عليه فرآه في شغل شاغل من التعليق والتسويد والتبييض فسأله عما يعمل فقال « اباطيل انمقها واكاذيب ألفقها » فهاج حقده عليه ولم يزل الصابي مبعداً في ايامه

وكان ابو اسحق على مذهب الصابئة ويدل على ذلك اسمه . وكان عزُّ الدولة يحرضه على الاسلام فلم يفعل لكنه كان يصوم رمضان مع المسلمين ويحفظ القرآن ويقتبس منه . وكانت له صداقة مع الشريف الرضي المتقدم ذكره . فلما توفي ابو اسحق رثاه بالقصيدة التي ذكرنا مطلعها وخبرها في ترجمة الشريف . وكان الصابي عالماً بالهندسة لكن غلبت عليه صناعة الانشاء . ومما بلغنا من انشائه :

١ منشئات الصابي : في المكتبة الخديوية نسخة خطية بهذا الاسم تدخل في ٤٥٤ صفحة تشتمل على مراسلات كتبها الصابي على لسان ولاة الامر في عصره من ملوك آل بويه والخلفاء وغيرهم . وهي كالمخابرات الرسمية في وصف الوقائع الحربية اوغيرها . منها رسالة كتبها الى ركن الدولة سنة ٣٦٤ هـ شرح فيها فتح بغداد وانهزام الاتراك منها ووصف الخلاف . ورسالة على لسان عز الدولة الى عضد الدولة جواب كتاب بفتح جبال القفص (بين فارس وكرمان) وقهر البلوص (جيل من الاكراد) ورسائل اخرى عن حروب بين البويهيين والحمدانيين وغيرهم . وكلها تشتمل على حقائق تاريخية رسمية تفسر بعض ما التبس من تاريخ ذلك العصر . وفيها صور عهود او تقليدات رسمية للولاة او العمال او القضاة صادرة من الخليفة . كالعهد الذي قلده الطائع لله العباسي ابا الحسن علي بن ركن الدولة على الصلاة واعمال الحرب يدخل في بضع عشرة صفحة . وفيه امور هامة عن احوال السياسة والادارة والاجتماع مما لايتيسر الوقوف عليه في كتب التاريخ . ونسخة عهد الى قاضي القضاة . وغيرها الى القواد اوالفقهاء اوامراء الحج . ومنشورات بعثت الى الاهلين اوالعمال اوالقرامطة . فضلاً عن رسائل خصوصية كتبها الصابي الى اصدقائه . وبالجملة ان هذه المنشئات خزانة ادب وتاريخ وسياسة وعبارتها بليغة متينة . بل هي من ابلغ ما كتب في ذلك العصر

٢ رسائل الصابي : تقسم الى ابواب في المراسلات والشفاعات والمعاتبات وما أنفذ الى العمال والمتصرفين والنواحي . وهي غير منشئاته المتقدم ذكرها وان كانت تشبهها في اكثر موادها فان فيها كثيراً من الرسائل الودية فضلاً عن المخابرات السياسية

والتقاليد الرسمية والمناشير ونحوها وفيها فوائد تاريخية واجتماعية هامة . منها نسخة خطية في ليدن وفي المكتبة الخديوية وجزء في باريس وطبع بعضها في بيروت

اما التاجي فلم يصلنا منه شيء

وتجد ترجمته في ابن خلكان ١٢ ج ١ ويتيمة الدهر ٢٣ ج ٢ ومعجم الادباء ٣٢٤ ج ١ والفهرست ١٣٤

٤ — الصَّاحب بن عبَّاد

توفي سنة ٣٨٥ هـ

هو ابو القاسم اسماعيل بن عباد بن العباس الطالقاني . وقد تقدمت الاشارة الى منزلته من الوجاهة وتأثيره في تلك الحركة الادبية وكان اديباً منشئاً وعالماً في اللغة وغيرها . اخذ عن احمد بن فارس اللغوي الآتي ذكره وعن ابن العميد . وهو اول من لقب بالصاحب من الوزراء لانه كان يصحب ابن العميد فقيل له صاحب ابن العميد . ثم اطلق عليه هذا اللقب لما تولى الوزارة وبقي علماً عليه . وسمي به كل من ولي الوزارة بعده . وقد وزر اولاً لمؤيد الدولة بن ركن الدولة بن بويه بعد ابن العميد . فلما توفي مؤيد الدولة تولى مكانه اخوه فخر الدولة فاقرَّ الصاحب على وزارته وكان مبجلاً عنده نافذ الامر . وكان مجلسه بؤرة الادباء والشعراء يمدحونه او يتناقشون او يتقارضون بين يديه . وذاعت شهرته في ذلك العصر حتى اصبح موضوع اعجاب القوم يتسابقون الى اطرائه ونظمت القصائد في مدحه . وكتب اليه نوح بن منصور الساماني يستقدمه اليه فاعتذر كما تقدم صفحة ٢٢٦ . وقد بلغ من رفعة القدر حتى انه لما توفي سنة ٣٨٥ هـ اغلقت له مدينة الري ابوابها واجتمع الناس على باب قصره ينتظرون جنازته . وحضر مخدومه فخر الدولة المذكور اولاً وسائر القواد وقد غيروا لباسهم . فلما خرج نعشه من الباب صاح الناس باجمعهم صيحة واحدة وقبلوا الارض . ومشى فخر الدولة امام الجنازة مع الناس وقعد للعزاء اياماً . ورثاه ابو سعيد الرستمي بقوله :

ابعد ابن عباد يهشُّ الى السرى ... اخو امل او يستماح جوادُ

ابى الله الا ان يموتا بموته ... فما لهما حتى المعاد معادُ

وكان شاعراً مترسلاً مع ولع شديد بالسجع حتى في الكلام فضلاً عن الكتابة . وقيل فيه « انه لو رأى سجعة تحل بموقعها عروة الملك ويضطرب بها حبل الدولة

لما هان عليه التخلي عنها » وكان يتثنى ويتلوى ويتهادى . وفي يتيمة الدهر امثلة من نظمه ونثره فضلاً عن معرفته اللغة فانه الف معجماً سماه المحيط سيأتي ذكره مع المعاجم . والف له ابن فارس كتاب الصاحبي الآتي ذكره . وساعده منصبه السياسي على الشهرة العلمية . ولهُ في الرسائل كتاب الكافي منه منتخبات خطية في مكتبة باريس . وقصيدتان من شعره في برلين . وله ديوان في مكتبة ايا صوفيا بالاستانة

وترجمته في ابن خلكان ٧٥ ج ١ وطبقات الادباء ٣٩٧ ويتيمة الدهر ٣١ ج ٣ ومعجم الادباء ٢٧٣ ج ٢ والفهرست ١٣٥ ويتيمة الدهر ١٥٧ ج ٤

٥ — بديع الزَّمان الهَمَذاني

توفي سنة ٣٩٨ هـ

هو ابو الفضل احمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد الهمذاني الحافظ المعروف ببديع الزمان كان يقيم في هراة بافغانستان . وكان شاعراً وكاتباً ولغويًا واشتهر على الخصوص بقوة الحافظة كان يسمع القصيدة التي لم يسمعها قط وهي اكثر من خمسين بيتاً فيحفظها كلها ويؤديها من اولها الى آخرها لا يخرم حرفاً ولا يخل معنى . وينظر في الاربعة والخمسة الاوراق من كتاب لم يعرفه نظرةً واحدة خفيفة ثم يتلوها عن ظهر قلبه

وكان سريع الخاطر قوي البديهة يقترح عليه نظم القصيدة او انشاء الرسالة فيفرغ منها في الوقت والساعة . وربما يكتب الكتاب المقترح عليه فيبتدئ بآخر سطر منه وهلم جرًّا الى الاول . وله من المؤلفات :

١ رسائل مجموعة في كتاب يعرف برسائل بديع الزمان طبعت في الاستانة سنة ١٢٩٨ وفي بيروت سنة ١٨٩٠

٢ ديوان شعر : منه نسخة خطية في مكتبة باريس وقد طبع بمصر سنة ١٣٢١هـ

٣ مقامات تعرف باسمه وهي اقدم كتاب وصل الينا في هذا الفن من فنون اللغة . وهو اول من وفاه حقه وجعله علماً . وقد اقتبس نسقه من استاذه ابن فارس اللغوي الآتي ذكره . وعنه اخذ الحريري نسق مقاماته . والمقامات حكايات قصيرة موضوعة على لسان رجل خيالي تنتهي بعبرة او موعظة او نكتة . والمراد بها في الاكثر التفنن بالانشاء وتضمينه الامثال والحكم . ولم يكن هذا كل المراد منها في زمن الهمذاني . وقد شبهها بعضهم بالدرام في اللغات الافرنجية . ومقامات الهمذاني تروى

على لسان رجل اسمه عيسى بن هشام . طبعت هذه المقامات في الاستانة سنة ١٢٩٨ ثم في بيروت مشروحة شرحاً مختصراً للشيخ محمد عبده سنة ١٨٨٩ وهو غير عبد الرحمن الهمذاني صاحب الالفاظ الكتابية المتقدم ذكره صفحة ١٨٩

وترجمة بديع الزمان في ابن خلكان ٣٩ ج ١ ومعجم الادباء ٩٤ ج ١ ويتيمة الدهر ١٦٧ ج ٤

٦ – ابو منصور الثعالبي

توفي سنة ٤٢٩ﻫ

هو ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل النيسابوري الثعالبي – قيل له ذلك لانه كان فراء بجلد الثعالب . وهو خاتمة مترسلي هذا العصر واهم ادبائه . ونعم الخاتمة لانه اكثرهم آثاراً واوسعهم مادة وهو الذي ترجمهم وذكر اخبارهم واقوالهم . وكان في العصر المشار اليه راعي تلعات العلم وجامع اشتات النثر والنظم ورأس المؤلفين وامام المصنفين . وهو مع ذلك شاعر مطبوع ومن نظمه في وصف الفرس قوله :

يا واهب الطرف الجواد كانما قد انعلوه بالرياح الاربع
لا شيء اسرع منه الا خاطري في وصف نائلك اللطيف الموقع
ولو انني انصفت في اكرامه لجلال مهديه الكريم الالمعي
اقضمته حبّ الفؤاد لحبه وجعلت مربطه سواد المدمع
وخلعت ثم قطعت غير مضيع برد الشباب لجله والبرقع

وله مؤلفات كثيرة اكثرها من قبيل الادب فنؤجل ذكرها الى ذلك الباب ونكتفي هنا بذكر كتابه في الانشاء . نعني كتاب رسائل الثعالبي طبع في الاستانة سنة ١٣٠١ وهو أربع رسائل منتخبة من كتب التمثل والمحاضرة والمبهج وسحر البلاغه والنهاية الآتي ذكرها بين كتبه الاخرى

منشئون آخرون

وهناك جماعة من المنشئين وبلغاء المترسلين لم يخلفوا آثاراً غير ما ذكره الثعالبي في اليتيمة او غيره ممن ترجموهم . وهذه اسماؤهم وبجانبها مكان وجود الامثلة من انشاء كل منهم وترجمة حاله :

٧	ابو الفتح البستي	في يتيمة الدهر	٢٠٤ ج ٤
٨	ابو الفضل الميكالي	» »	٢٤٧ ج ٤

٩	الخاتمي	في يتيمة الدهر	٢٧٣ ج ٢
١٠	الشابشتي	ابن خلكان	٣٣٨ ج ١
١١	التهامي الشاعر	» »	٣٥٧ ج ١
١٢	القسطلي	في اليتيمة	٤٣٨ ج ١

الادب والانشاء

عند الافرنج

ومما يحسن استطراده في هذا المقام ان علم الادب الذي يعنيه الافرنج بقولهم ليتراتور (Littérature) يفضي الى الاجادة في فني المنثور والمنظوم مثل علم الادب عند العرب . لكنه يشتمل ايضاً على روح انتقادية هي المراد الاصلي من علم الادب عندهم لا العبارة او الاسلوب . وانما يريدون تلك الروح التي ينتقد بها الكاتب او الشاعر ما يقع عليه نظره من الحوادث الطبيعية او ينتبه له من اماكن النقص في الامة او رجالها اوملوكها فينتقده او يصفه باسلوب انتقادي شعري يحرك العواطف ويقع من النفس موقعاً مؤثراً . وكتابهم انما يتفاضلون في اسلوب ذلك الانتقاد . وهو يشبه ما ورثوه من الروايات التمثيلية (الدرام) عن اسلافهم . لان المراد الاصلي منها تمثيل الفضائل للترغيب فيها وتمثيل الرذائل للتنفير منها . فالكاتب او الشاعر عندهم يكتب او ينظم او يمثل او يخطب والغرض الرئيسي عنده الانتقاد بما توحيه اليه قريحته من النظر في الوجود او المجتمع الانساني او احوال الناس من حيث الادب او السياسة او الاخلاق . بقطع النظر عما يرجوه من الكسب او الاسترضاء . وهذا نادر في أدباء العرب لانصراف قرائحهم في صدر دولتهم الى ارضاء الخلفاء او الامراء من مدح او هجاء على ما كانت تقتضيه الاحزاب السياسية . او يشبون بما يطرب الخليفة او الامير لان على رضاه يتوقف رزقهم

كان الغرض الاول من الادب العربي في الدولة الاموية وصدر الدولة العباسية خدمة مصلحة ولاة الامر في تأييد سيادتهم ونفوذهم او تسليتهم وتفريحهم . وكان اكثر الشعراء والادباء من الموالي طلاب الرزق . فلم تتوجه قرائحهم الى النقد الاجتماعي او السياسي او الفلسفي مما يقتضيه النظر في الخليقة او نظام الاجتماع او الدولة . لان ذلك لا يلائم اغراض اصحاب السيادة . ولاسيما بعد ان صار هؤلاء يطاردون الاحرار باسم

الزندقة اوالاعتزال او الفلسفة بعد عصر المأمون . فقامت تلك المطاردة سدًّا في سبيل حرية القول واستقلال الفكر . فاصبح الادباء لا يفكرون الا كما يشاء امراؤهم . واذا فكروا في غيره فلا يجسرون على قوله . واذا قالوه بادروا الى اخفائه فراراً من الاذى او سوء الاحدوثة او الاتهام بالمروق من الدين . ولذلك لم يصلنا من اقوال ادباء ذلك العصر الحرة الانتقادية الا النذر اليسير

ولعل اول من كسر قيود التقليد في هذا الشأن ابو العلاء المعري الشاعر الفيلسوف فنشر آراءه في انتقاد الهيأة الاجتماعية والتقاليد الدينية والاعتقادات الشائعة نظماً ونثراً . فوجه سهامه نحو رجال الدين لاحترافهم التقوى في سبيل الاستجداء او الاستئثار . ونظم في فلسفة الوجود وفلسفة الاجتماع فنقم عليه كثيرون واتهموه بالكفر ولم يعدُّوا قوله شعراً فسموه الحكيم وانكروا عليه الشاعرية . والحقيقة ان تلك هي الشاعرية بعينها . فسرت روحه في جسم المجتمع واخذ الادباء من العرب وغيرهم يتحدُّونه كما فعل عمر الخيام برباعياته

على ان اكثر ادباء العرب اقتصروا في انتقاداتهم الاجتماعية او الاخلاقية على نظم القصائد الحكمية يضمنونها الحكم والمواعظ ومحاسن الاخلاق . واكثر الكتب المؤلفة في السياسة ونحوها تتضمن النصائح للملوك وما ينبغي ان يكونوا عليه من الكمالات . وقد يؤلفون الكتاب باسم ملك ينصحونه به كما فعل الشيخ عبد الرحمن في كتاب السياسة الذي قدمه لصلاح الدين الايوبي المتقدم ذكره صفحة ٢٣٣

ولكن ذلك غير ما يريده أدباء الافرنج في عصرنا من النقد الادبي او الادب الانتقادي . فهم يريدون ما فعله شكسبير ودانتي وهوكو وروسو وفولتير وغيرهم ممن الف القصص للمطالعة او التمثيل او القصائد او المقالات في تصوير الحقائق وانتقادها واستخراج العبرة منها باسلوب شعري يؤثر في النفس . وقد يؤلف احدهم الرواية الكبيرة ينتقد بها عادة شائعة او نكتة توسمها في نظام الاجتماع او قوانين الحكومة . والعرب قلما فعلوا ذلك في النظم ولا في النثر . الا نحو ما يؤخذ من كتاب كليلة ودمنة وامثاله وهو تلميحيٌّ وليس هو عربي الاصل . وقد الفوا قصة عنتر مثلاً صوروا بها حالة الاجتماع في الجاهلية . وصوروا في الف ليلة وليلة حال الاجتماع في عصر الرخاء والحضارة لكنهم لم يضعوا ذلك في شكل انتقادي ولا نبهوا الى مكان العبرة فيه . وان كان القارىء يتأثر من المطالعة فيساق من نفسه الى استحسان بعض ما صور هناك من المناقب فيتحداها الا انه غير مقصود في التأليف

وهذا النقص ليس خاصًّا بالعرب بل هو يشمل اكثر الشرقيين . ولعل السبب فيه شدة احترامهم لرؤسائهم مع تأصل الحكم الاستبدادي في نفوسهم بتوالي الاجيال واضطرارهم للارتزاق من الرؤساء . وهم اصحاب قرائح انتقادية حصروها في المناظرات اللغوية والنحوية كما فعل البصريون والكوفيون . او في المجادلات الدينية ويراد بها غالباً خدمة مصلحة ولاة الامر في ما يرجع الى تأييد سيادة بعض الرؤساء دون سواه او تحقير اعدائهم من دعاة الخلافة او القائمين على الدولة . او في المهاجاة لنصرة الاحزاب بين السنة والشيعة او نحوها . اما انتقاد المبادي الاجتماعية او السياسية فانه قليل في ثمار قرائحهم

ولكن ليس من الانصاف ان نقيس حال ادبائنا في تلك الاعصر بحال ادباء الافرنج في هذا العصر . فان هؤلاء لم تظهر فيهم القرائح الحرة الا بعد حل قيود التقليد وقلب النظام الاجتماعي وتبديل الحال السياسي حتى صار للعامة شأن . وقد سفكت الدماء في سبيل الحرية الشخصية والحقوق الفردية فنشأت القرائح على حرية الفكر والقول

على ان تقاعد العرب عن ذلك النقد ليس من عجز في فطرتهم فانهم من اصفى الناس اذهاناً وادقهم نظراً وأأباهم للضيم . فلما حدث مثل ذلك الانقلاب فيهم عند ظهور الاسلام اظهروا شجاعة ادبية لا مثيل لها حتى كان الراعي يخاطب الخليفة بلا كلفة وينتقده بلا خوف . ولا يرى الخليفة غرابة في انتقاده

حتى في ابان التمدن الاسلامي اذا اتيح للشاعر ان يقول فكره عن جرأة في الرأي مع استغنائه عن اموال ولاة الامور لم يقصر عن مجاراة اكتب الافرنج اليوم في روح النقد والعبرة والفلسفة . فقول ابي العلاء المعري في انتقاد الحكومة ورجالها :

يكفيك حزناً ذهاب الصالحين معاً ... ونحن بعدهم في الارض قطانُ
ان العراق وان الشام مذ زمن ... صفران ما بهما للملك سلطان
ساس الانام شياطينٌ مسلطة ... في كل مصر من الوالين شيطان
من ليس يحفل خمص الناس كلهم ... ان بات يشرب خمراً وهو مبطان
تشابه النجر فالرومي منطقه ... كمنطق العرب والطائي مرطان
اما كلاب فاغنى من ثعالبهم ... كان ارماحهم في الحرب اشطان
متى يقوم امام يستقيد لنا ... فتعرف العدل اجبال وغيطان

لا يقلُّ قوة عما قاله فيكتور هوكو من قصيدة « الملوك » وهي من اشد قصائده وطأة قال منها يخاطب الملوك « اتظنون اننا نحبكم ! نحن الذين نشتغل في هذه الارض

ونستخرج ثروتها ونكدُّ ونجدُّ في حر الشمس وبرد الشتاء ولا ننال من اتعابنا غير الجوع والعطش . وانتم على سرر مرفوعة من العز والنعيم . وعلى جانب من التبذير والاسراف والفحش . نحن الخدم وانتم الملوك . نحن الغنم وانتم الذئاب . نحن الفريسة وانتم المفترسون . تبنون القصور من اموالنا واتعابنا وترتعون فيها وتلعبون ونحن نقاسي نزاع الموت على لقمة . لا شغل لكم الا الاكل والنوم والسكر والفحش والقتل والظلم »[1]

وقد تصور ابو العلاء الحكم الدستوري او الجمهوري منذ تسعمائة سنة فوصف الامة الذليلة بقوله :

ملَّ المقام فكم اعاشر امةً امرت بغير صلاحها امراؤها
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها فعدَوْا مصالحها وهم اجراؤها

وقد ظهر بعد المعري غير واحد من النقادين سيأتي ذكرهم في اماكنهم

الادب والادباء

في العصر العباسي الثالث

نضج الادب في هذا العصر وزاد استقلالاً عن سائر العلوم ومال بالاكثر الى النظر في الشعر والشعراء من شرح اوتلخيص اوانتقاد . ويمتاز على الخصوص بنقد الشعر بعد ان نضج وتعددت ابوابه ومواضيعه فتعود الادباء بعد شيوع المنطق والفلسفة وعلم الكلام النظر في الادب نظر الناقد الممحص بالمقابلة والموازنة — وان انكروا الفلسفة على اصحابها واتهموهم بالكفر. فان روح النقد والنظر الفلسفي دبَّت في عروقهم وهم لا يعلمون . فنبغ منهم نقاد الشعر كقدامة بن جعفر وابن رشيق . وفيهم من انتقد الرواية والاخبار كابي الفرج الاصبهاني صاحب الاغاني وعمر بن حمزة . ونظروا في فحول الشعراء فشرحوا اقوالهم في الجاهلية والاسلام كشروح الحماسة والمعلقات . وجمعوا اقوال الشعراء ومحصوها وجمعوا بينها كما فعل الثعالبي امام المؤلفين في ذلك العصر وانتقدوا آداب المجالسة ووضعوا للندماء شروطاً وغير ذلك كما سيظهر في تراجم الادباء — وهاك أشهرهم حسب سني الوفاة :

(١) تاريخ علم الادب عند الافرنج والعرب ٢٣١

١ — ابو الفرج الاصبهاني

توفي سنة ٣٥٦ هـ

قد يفهم من لقبه انه فارسي الاصل وهو عربيٌّ اموي يتصل نسبه بمروان بن الحكم من بني امية . وهو مع ذلك شيعيٌّ ويندر التشيع في بني امية . واسمه علي بن الحسين وكنيته ابو الفرج وانما لقب الاصبهاني لانه ولد في اصبهان . لكنه نشأ في بغداد وكان من اعيان ادبائها وافراد مصنفيها . وقد روى عن كثيرين وطالع كثيراً من الكتب وكان قوي الحافظة فوعى في ذاكرته الوفاً من الاشعار والاغاني والاخبار والآثار والاحاديث والانساب باسانيدها واسماء قائليها ورواتها . فضلاً عن توسعه في اللغة والنحو والسير والمغازي وعلوم الجوارح والبيطرة والطب والنجوم والاشربة وغير ذلك . وكان انقطاعه بالاكثر الى الوزير المهلبي المتقدم ذكره . وكان يلقى سواه من ملوك ذلك العصر وامرائه فيعرفون فضله ويجيزونه

ولم يقتصر من العلم على الحفظ والاختزان كما يفعل كثيرون . لكنه تدبر تلك المعارف واخرج منها كتباً نافعة اشهرها كتاب الاغاني وبه اشتهر . والف ايضاً كتاب القيان وكتاب الاماء الشواعر وكتاب الديارات وكتاب دعوة الاطباء وكتاب مجرد الاغاني وكتاب اخبار جحظة البرمكي ومقاتل الطالبيين وكتاب الحانات وآداب الغرباء . وحصل له ببلاد الاندلس كتب صنفها لبني امية ملوك الاندلس يوم ذاك وسيرها اليهم سرًّا . وجاءه الانعام منهم سرًّا فمن ذلك كتاب نسب بني عبد شمس وكتاب ايام العرب الف وسبعمائة يوم وكتاب التعديل والانتصاف في مآثر العرب ومثالبها وكتاب جمهرة النسب وكتاب جمهرة بني شيبان وكتاب نسب المهالبة وكتاب نسب بني تغلب ونسب بني كلاب وكتاب الغلمان المغنين وغيرها . وهي كثيرة لكن اكثرها ضاع بتوالي الاحن فنأتي على ذكر ما وصلنا خبره منها :

١ كتاب الاغاني : هو اشهر من ان يعرَّف وقد وقع الاتفاق على انه لم يعمل مثله في بابه . ويقال انه اشتغل في جمعه وتأليفه نحو خمسين سنة . وبلغ خبره الى الحكم ابن الناصر صاحب قرطبة وهو امويٌّ مثله فسأله ان يرسل الكتاب اليه قبل اخراجه لبني العباس وبذل له على ذلك الف دينار . ولما تمَّ تأليفه حمله الى سيف الدولة بن حمدان فاعطاه الف دينار واعتذر اليه . ولم يبق احد من امراء ذلك العصر

الا اقتناه ليستغني به عن سواه . وقد علمت ان الصاحب بن عباد كان اذا سافر حمل كتبه على عشرات من الجمال فلما اقتنى كتاب الاغاني استغنى به عنها

وهو اجزاء كثيرة وصل الينا منها ٢١ جزءاً في نحو ٤٠٠٠ صفحة . واسم الكتاب يدل على المراد بوضعه في الاصل نعني « الاغاني » فصدّره بمئة صوت كان الرشيد امر ابراهيم الموصلي مغنيه وغيره ان يختاروها له . ثم وقعت للواثق بعده فامر اسحق بن ابراهيم فاختار له منها ما راى انه افضل واضاف اليها اشياء اخرى . فسار ابو الفرج على هذه الخطة معوّلاً على ما اختاره غير هؤلاء ايضاً من اهل العلم بصناعة الغناء . وقد يعترض على وضع هذا الكتاب بين كتب الادب اذ يجدر به ان يكون بين كتب الموسيقى لكن اهميته قائمة بما فيه من الاخبار والاشعار . لان المؤلف اذا ذكر ابياتاً على لحن وعين نغمها ومن غناها استطرد الى ذكر ناظمها وترجمته والاحوال التي قيلت فيها من حرب او حب في الجاهلية او الاسلام . ومن غناها ومن شهد ذلك واسبابه واحواله فيورد تفاصيل ذلك بالدقة والاسناد . فاحتوى الكتاب على اخبار مئات من الشعراء والادباء والمغنين والعشاق والخلفاء والقواد . واكثر ايام العرب واخبار قبائلهم وانسابهم ووقائعهم وغزواتهم ومياههم . وفيه خيرة اشعار الجاهلية والاسلام ولا سيما ما كانوا يغنون به . وآداب القوم في طعامهم وشرابهم واجتماعهم وحروبهم وزواجهم وطلاقهم وسائر احوالهم

فاهمية هذا الكتاب متوقفة على ما حواه من تلك التراجم والاخبار ويكاد يكون منفرداً بها . ولولاه لضاع كثير من اخبار الجاهلية وصدر الاسلام وايام بني امية . وهو ثقة لتدقيقه وتمحيصه لانه لا يكتفي بالاسناد الى الرواة بل هو ينتقدهم ويبين اوجه الخطأ أو المناقضة بين رواياتهم ثم يرجع الى رأيه . وكان اشد وطأة في النقد على ابن خردادبه وابن الكلبي مما على سواهما . وفي مروياته كثير من الاخبار والحوادث تلقنها عن اناس عاصروه فحدثوه بما علموه فدونه وهو منفرد بتدوينه . واخذ عن كتب ضاعت

وقد طبع الاغاني بمصر في ٢٠ جزءاً سنة ١٢٨٥ هـ ثم عثروا على جزء في بعض خزائن الكتب باوربا فطبعوه في برونو سنة ١٨٨٨ فصارت ٢١ جزءاً وضع لها الاستاذ جويدي المستشرق الايطالي فهرساً ابجدياً مطولاً سنة ١٨٩٥ واعيد طبع الاغاني كاملاً بمصر في ٢١ جزءا سنة ١٣٢٢ مع فهرس ابجدي مبني على فهرس جويدي . وقد لخص الاغاني جمال الدين الحموي المتوفى سنة ٦٩٧هـ في كتاب منه نسخة خطية في المتحف البريطاني . وجرده الاب انطون صالحاني اليسوعي من الاسانيد والاغاني

وابقى الروايات على حدة في كتاب سموه «روايات الاغاني » وهو جزان الاول في الروايات الادبية والثاني في الروايات التاريخية طبع في بيروت سنة ١٨٨٨ و١٩٠٨

٢ كتاب الديارات : وصف فيه الاديار في العراق ومصر وغيرهما وفيه كثير من اخبار الشعراء واشعارهم في مجالس العباسيين وخصوصاً الرشيد الى المعتضد . منه نسخة في مكتبة برلين . وبعضهم يشك في نسبة هذا الكتاب اليه ويرى انه للشابشتي وترجمته في ابن خلكان ٣٣٤ ج ١ واليتيمة ٢٧٨ ج ٢

٢ – ابو علي التنوخي

توفي سنة ٣٨٤ هـ

هو ابو علي المحسّن بن علي التنوخي . ولد في البصرة وكان ابوه قاضياً وشاعراً واديباً (ترجمه الثعالبي في اليتيمة ١٠٥ ج ٢) وانتقل المحسّن الى بغداد وتلقى العلم عن الصولي وغيره ثم تعين قاضياً على قصر بابل وما يليه . وتنقل في مناصب اخرى واهم آثاره :

١ كتاب الفرج بعد الشدة : قد تقدم ذكره في كلامنا عن ابن ابي الدنيا (صفحة ١٧٢) وهو من كتب الادب المفيدة لما حواه من الحقائق التاريخية والاجتماعية

٢ كتاب المستجاد من افعال الاجواد : فيه حكايات واخلاق اكثرها عن الخلفاء العباسيين . في مكاتب غوطا واكسفورد والاسكوريال وبطرسبورج وايا صوفيا

٣ كتاب نشوان المحاضرة واخبار المذاكرة : مجموع اخبار تاريخية . في باريس وترجمة التنوخي في ابن خلكان ٤٤٥ ج ١ ويتيمة الدهر ١١٥ ج ٢

٣ – ابو هلال العسكري

توفي سنة ٣٩٥ هـ

هو ابو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري تلقى العلم في بغداد والبصرة واصبهان . وهو غير ابي احمد العسكري اللغوي الآتي ذكره وكلاهما اسمه الحسن بن عبد الله . فكثيراً ما يقع الالتباس بينهما وكانا متعاصرين . وابو هلال تلميذ ابي احمد وتوفي هذا سنة ٣٨٢ هـ اما ابو هلال فقد خلف كثيراً من الكتب هاك اهم ما بلغنا خبره منها :

١ كتاب جمهرة الامثال : طبع في بومباي سنة ١٣٠٦ وفي مصر على هامش امثال الميداني سنة ١٣١٠

٢ كتاب الصناعتين النظم والنثر : منه نسخة في باريس وكوبرلي وطبع في الاستانة سنة ١٣٢٠ وهو مفيد جدًّا في بابه

٣ ديوان المعاني : هو معجم لمعاني الشعر مرتب حسب المواضيع . قال مؤلفه في مقدمته انه جعله ١٢ باباً في ٥٠٠ ورقة ثم راى ذلك يكبر حجمه فجعل كل باب منها في كتاب . منه نسخة في المتحف البريطاني . وفي كتب الشنقيطي في المكتبة الخديوية كتاب خطي بهذا الاسم مؤلف من ١٧١ ورقة (٣٤٢ صفحة) يشتمل على الباب السابع وفيه وصف السحاب والمطر والبرق والرعد والمياه والرياض والنبات والنسيم وغيرها . والثامن في وصف الحرب والسلاح والتاسع في وصف الدواة والبلاغة . والعاشر في صفات الخيل والابل والفلوات والوحوش والطيور . والحادي عشر في الخضاب والعلل والموت والزهد والباقي معان متفرقة . وهو جزيل الفائدة لطلاب المعاني الشعرية

٤ كتاب المصون في الادب : في الاسكوريال

٥ روى ديوان ابي محجن : في ايا صوفيا

٦ كتاب الاوائل : اختصره السيوطي في كتاب الوسائل وهو اول من الف فيه

٧ التفضيل بين بلاغتي العرب والعجم : طبع بالاستانة

واخباره في معجم الادباء ١٣٥ ج ٣

٤ — ابو منصور الثعالبي

توفي سنة ٤٢٩ هـ

قد تقدم ذكره بين المنشئين واجلنا الكلام عن كتبه في غير الانشاء الى هنا . والثعالبي المذكور مدوّن اخبار العصر الذي نحن في صدده وخصوصاً الشعر والشعراء والادب والادباء . وله كتب كثيرة في مواضيع مختلفة هاك ما وصلنا منها :

١ يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر : تشتمل على اخبار شعراء المئة الرابعة للهجرة وهو العصر العباسي الثالث في اربعة مجلدات . قسم الكلام فيها الى ابواب باعتبار البلاد . فافرد باباً لشعراء الشام وماكان من احوال سيف الدولة ومحاسن الشعراء ولا سيما المتنبي وابو فراس استغرق الكلام عنهما ٢٠٠ صفحة . وباباً لشعراء مصر والمغرب . وآخر لشعراء الموصل وآخر عن آل بويه وشعرائهم وكتابهم وآخر عن شعراء البصرة فالعراق فبغداد فابن العميد والصاحب بن عباد

مفصلاً . ثم شعراء اصبهان والطارئين على الصاحب وشعراء الجبل وفارس والاهواز وجرجان . ثم محاسن الدولة السامانية ومن فيها من الشعراء . ففضلاء خوارزم وفصول لكل من ابي بكر الخوارزمي والهمذاني والبستي والميكالي وشعراء خراسان والطارئين على نيسابور وغير ذلك . والكتاب مطبوع في دمشق سنة ١٣٠٤ في ٤ مجلدات تحتوي على نحو ١٥٠٠ صفحة . ومنه نسخ خطية في اكثر مكاتب اوربا . وينتقد على مؤلفه انه جعل عبارته مسجعة وهي لا تليق بكتب التاريخ والاخبار . وانه اغفل الوفيات فيندر ان يذكر سنة الوفاة أو الولادة . وانما هو قاصر على الامثلة من الاشعار أو الانشاء واطرائها مع بعض الاخبار . والف ابو الحسن الباخرزي المتوفى سنة ٤٦٧ ذيلاً لليتيمة سماه دمية القصر وعصرة اهل العصر سيأتي ذكره

٢ لطائف المعارف : هو جزيل الفائدة في موضوعه لانه يشتمل على فوائد لا يتصل اليها الا بمطالعة الكتب الكثيرة . اولها باب الاوائل من كل شيء وفيه فوائد تاريخية هامة كقوله « اول من جلس على سرير من ملوك العرب جذيمة واول من كسا الكعبة الحرير نتيلة .. الخ » (٢) القاب الشعراء الذين لقبوا باشعارهم كالمرقش والممزق واسباب ذلك (٣) الالقاب الاسلامية للوجوه والاعيان (٤) كتاب المتقدمين (٥) في المتناسقين باحوال مختلفة (٦) في الغايات من طبقات الناس (٧) الاتفاق في الالقاب والكنى (٨) فنون شتى من المعارف النبوية والقرشية وصنائع الاشراف والملوك (٩) غرائب الاحوال وعجائب الاوقات واخيراً نموذج من خصائص البلدان . وهو مطبوع في ليدن في نحو ٢٠٠ صفحة سنة ١٨٦٧ بعناية المستشرق دي يونغ . وقد سبقه ابن قتيبة الى بعض هذه المواضيع في كتابه «المعارف»

٣ فقه اللغة : هو معجم معنوي جمعت فيه المعاني المتقاربة او المترابطة في باب واحد مع بيان الفرق بينها او تدرجها او تفرعها مما يفتقر الى درس طويل . وذكر في المقدمة اسماء اللغويين والرواة والنحاة الذين عوّل عليهم . وقد طبع في بيروت سنة ١٨٨٥ وفي مصر

٤ الاعجاز والايجاز : يشتمل على ابلغ ما قيل مع الايجاز طبع في بيروت سنة ١٨٩٧ وفي الاستانة في جملة رسائل اخرى

٥ خاص الخاص : وفيه خلاصة الخلاصة في الادب طبع بمصر

٦ نثر النظم او حل العقد : هو عبارة عن تحويل الشعر المنظوم الى شعر منثور طبع بمصر سنة ١٣١٧

٧ مكارم الاخلاق : فيه فصول في العقل والعلم والزهد وغيرها طبع في بيروت

٨ غرر اخبار ملوك الفرس : في التاريخ طبع في باريس

٩ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب : في الادب وفيه فوائد تاريخية على اسلوب خاص به لانه مقسوم الى فصول باعتبار اشياء مضافة الى اشياء أخرى يتمثل بها ويكثر استعمالها في النظم والنثر على السنة العامة والخاصة . كقولهم غراب نوح وذئب يوسف وعصا موسى وخاتم سليمان وبردة النبي ونحو ذلك وشرح كل منها . وهو كبير الحجم منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية وطبع بمصر سنة ١٣٢٦ في نحو ٦٠٠ صفحة

١٠ شمس الادب في استعمال العرب : جزآن الاول في اسرار اللغة والثاني في مجاري الفاظها ورسومها وما يتعلق بالنحو والاعراب منها . وقد يسمى سر الادب في مجاري لسان العرب . منه نسخة خطية في كل من مكتبتي برلين وليدن

١١ الكناية والتعريض : في البلاغة ويشتمل على ما يرد من الاوصاف بالكناية عن النساء والغلمان والطعام والمقابح والعاهات وغيرها . منه نسخ خطية في برلين وفينا والاسكوريال وفي المكتبة الخديوية

١٢ أجناس التجنيس : في الجناس . بمكتبة الاسكوريال

١٣ سحر البلاغة : في مكتبة برلين وفينا وباريس وكوبرلي وغيرها . وقد طبعت بالاستانة منتخبات منه في جملة رسائل اخرى

١٤ غرر البلاغة وطرف البراعة : في مكتبة برلين

١٥ اللطف واللطائف : مؤلف من ١٦ باباً . في الاسكوريال وفينا وفي المكتبة الخديوية من كتب الشنقيطي

١٦ من غاب عنه المطرب : وهو يشتمل على منتخبات من الشعر والحكم في الخط والبلاغة والربيع واوصاف الليالي والايام والغزل والخمريات والاخوانيات . منه نسخ خطية في برلين وباريس والمتحف البريطاني والاسكوريال وطبع في مجموعة التحفة البهية بالاستانة

١٧ برد الاكباد في الاعداد : هي مجموعة اخبار وملح عن النبي والصحابة وغيرهم مرتبة حسب الاعداد مما جاء فيه لفظ اثنين فثلاثة الى العشرة . ففي باب العدد ثلاثة مثلاً يقول «ثلاثة لايسلم منهن أحد الظن والطيرة والحسد» وقس عليه . طبع في الاستانة في جملة رسائل اخرى . ومنه نسخة خطية في المكتبة الخديوية

١٨ التوفيق للتلفيق : في برلين

١٩ النهاية في الكناية : في المتحف البريطاني والاسكوريال والمكتبة الخديوية وقد طبعت منتخبات منه في الاستانة

٢٠ مرآة المروءات واعمال الحسنات : في برلين

٢١ التمثل والمحاضرة : يحتوي على ما يحتاج اليه الاديب مما يتمثل به في الكتابة من اقوال الشعراء والمنشئين . موجود في المكتبة الخديوية وفى ليدن . وطبع منه منتخبات بالاستانة

٢٢ كتاب الغلمان : في برلين والاسكوريال . و٢٣ تحفة الوزراء : في مكتبة غوطا

٢٤ كنز الكتاب . فيه امثلة من اقوال ٢٥٠ شاعراً لاستعمال الكتاب . منه نسخ خطية في المكتبة الخديوية وفي فينا والاستانة

٢٥ احاسن المحاسن : في مكتبة باريس والمكتبة الخديوية

٢٦ احسن ما سمع : في كوبرلي بالاستانه وفي المكتبة الخديوية

٢٧ المبهج : فيه اخلاق ومواعظ وآداب وبلاغة في ٧٠ باباً منه نسخة خطية في برلين وباريس وكوبرلي والمكتبة الخديوية . وقد طبعت في الاستانة منتخبات منه

٢٨ اللطائف والظرائف : في مدح اشياء واضدادها . موجود في برلين والاسكوريال وليدن . وقد جمعه أبو النصر المقدسي مع المحاسن والاضداد للثعالبي هذا في كتاب سماه الظرائف واللطائف طبع على الحجر في مصر سنة ١٢٧٥

٢٩ يواقيت المواقيت : في مدح الشيء وذمه . في برلين وليدن

٣٠ لطائف الصحابة والتابعين : في مكتبة ليدن وطبع منه قطع في ليدن للتعليم

٣١ احاسن كلام النبي والصحابة والتابعين وملوك الجاهلية والاسلام والوزراء والكتاب والبلغا والحكماء . موجود في ليدن وباريس وطبع بعضه في ليدن سنة ١٨٤٤

٣٢ كتاب الشكوى والعتاب : و٣٣ المقصور والممدود : و٣٤ المتشابه : منها نسخ خطية في المكتبة الخديوية

٣٥ المنتحل : يحوي جيد الشعر للجاهليين والمخضرمين والمولدين الى ايامه . وهو منتخب من احاسن الاشعار لاحسن الشعراء طبع بمصر سنة ١٣٢١ مع تراجم الشعراء الواردة اسماؤهم فيه للشيخ ابي علي الازهري . وبعضهم ينسب المنتحل لابي الفضل الميكالي معاصر الثعالبي

٣٦ الجواهر الحسان في تفسير القرآن : في كتب الشنقيطي بالمكتبة الخديوية وترجمة الثعالبي في ابن خلكان ٢٩٠ ج ١ وطبقات الادباء ٤٣٦

٥ — الشريف المرتضى

توفي سنة ٤٣٦ هـ

هو من سلالة موسى الكاظم من أشراف العلويين وكان نقيب الطالبيين في بغداد. واسمهُ علي بن الطاهر وكان اماماً في علم الكلام والادب والشعر. وهو اخو الشريف الرضي الشاعر الذي تقدم ذكره. وله تصانيف فقهية على مذهب الشيعة وديوان شعر كبير لم يصل الينا. ومن تصانيفه:

١ كتاب نهج البلاغة: وهو يشتمل على خطب وأقوال تنسب الى الامام علي. والمشهور أن الشريف المرتضى جمع خطب علي وأقواله ودونها في ذلك الكتاب وهو من أهم كتب الادب بالنظر الى ما حواه من بلاغة الاسلوب والدقة في التعبير والحكم في الاقوال. وان كنا نرى كثيراً من تلك الخطب ليست لعلي بدليل اختلاف الاسلوب ومخالفة ما فيها من المعاني لعصره وغير ذلك مما لا محل لتفصيله. أما خطبه في المواقف التاريخية وكتبه الى قواده ورجاله فهي له. وقد طبع نهج البلاغة في بيروت وعليه شرح قليل للشيخ محمد عبده سنة ١٨٨٥ وطبع أيضاً بمصر. ولابن أبي الحديد شرح مطول في ٢٠ جزءاً طبع في طهران سنة ١٢٧١ في مجلدين كبيرين على الحجر. وفي آخره اضافات لم يذكرها جامعه. وقد تقدم الكلام عن نهج البلاغة في باب الخطابة بالجزء الاول من هذا الكتاب صفحة ١٩٥

٢ كتاب الدرر والغرر في المحاضرات: منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية وأخرى في برلين

٣ كتاب الشهاب: طبع في الاستانة

وترجمة المرتضى في ابن خلكان ٣٣٦ ج ١

٦ — ابن رَشيق القَيرواني

توفي سنة ٤٥٦ هـ

هو أبو العباس الحسن بن رشيق من أهل القيروان. أبوه مملوك رومي من موالي الازد كان صائغاً في بلده المحمدية فعلمه أبوه صناعته. ثم قرأ الادب وقال الشعر وتاقت نفسه الى التزيد منه فرحل الى القيروان واشتهر بها وامتدح صاحبها واتصل بخدمته ولم يزل بها حتى هجم عليها العرب وقتلوا أهلها وأخربوها. فانتقل الى صقلية وأقام

بمازر الى أن مات. وله مؤلفات كثيرة أشهرها وأهمها:

١ كتاب العمدة: وبه اشتهر. يبحث في صناعة الشعر ونقده وعيوبه. وهو اجلُّ كتاب في هذا الموضوع يقسم الى ابواب في فضل الشعر واشعار الخلفاء والقضاة والفقهاء ومن رفعه الشعر ووضعه ومن قفى له وقفى عليه واحتماء القبائل بشعرائها والتكسب بالشعر ومنافع الشعر ومضاره والمقلين من الشعراء وحدود الشعر وأوزانه وبحوره والبلاغة والايجاز والاستعاره الخ.. وسائر اوجه البلاغة وانواع الفصاحة والجوازات والاوزان. وفي آخره فصول في النسب وأيام العرب وملوك العرب والخيول والزجر والقيافة والوصف وغير ذلك. وفي خلاله طائفة من احسن الاشعار وبحث تحليلي في الشعر ومعانيه على طريق الانتقاد. قال ابن خلدون «ان كتاب العمدة هو الكتاب الذي انفرد بهذه الصناعة واعطاها حقها ولم يكتب فيها احد قبله ولا بعده مثله» طبع في القاهرة في جزئين سنة ١٩٠٠ وفي غيرها. وقد الف زميله ومعاصره أبو عبد الله ابن شرف رسائل سماها «رسائل الانتقاد» تقدم ذكرها صفحة ٢٤٤

٢ كتاب قراضة الذهب في نقد أشعار العرب: منه نسخة خطية في باريس. وقد ضاعت سائر كتبه

وترجمته في ابن خلكان ١٣٣ ج ١ ومعجم الادباء ١٢٧ ج ١

كتب اخرى في الادب

وهناك طائفة من كتب الادب نكتفي بذكر أصحابها بدون تراجمهم:

١ الجليس الصالح الكافي: في مئة مجلس لابن طرار الجريري المتوفى سنة ٣٩٠ منه اجزاء في المكتبة الخديوية وبرلين وباريس وكمبريدج

وترجمة ابن طرار في ابن خلكان ١٠٠ ج ٢

٢ زهر الآداب: للحصري القيرواني المتوفى سنة ٤١٣ منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية في ٥٠٠ صفحة. وفيه أخبار وقطع تاريخية ومقامات واشعار

وترجمة الحصري في ابن خلكان ١٣ ج ١ ومعجم الادباء ٣٥٨ ج ١

٣ شرح الحماسة: للمرزوقي المتوفى سنة ٤٢١ منه نسخة في المكتبة الخديوية

٤ الموازنة بين الطائيين: لابن بشر الآمدي توفي سنة ٣٧٠ هـ منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية في ٤٤٠ صفحة كبيرة وطبع في الاستانة

وترجمة الآمدي في معجم الادباء ٥٤ ج ٣ والفهرست ١٥٥

٥ الاشباه والنظائر اوحماسة الخالديَّين : هي مجموع مختارات من اشعار المتقدمين الجاهليين والمخضرمين وغيرهم ومنها كثير لم يرد في حماسة ابي تمام . وهي تنسب الى الخالديين من ادباء العصر الثالث وهما ابو بكر محمد وابو عثمان سعيد ابنا هاشم الخالديان كانا يشتركان في نظم الشعر ولا يكادان يفترقان . ولهما اشعار نشرها الثعالبي في يتيمة الدهر (٥٠٧ ج ١) ولهما ايضاً هذه الحماسة منها نسخة خطية في المكتبة الخديوية في ٣٠٠ صفحة

٦ قطب السرور في وصف الخمور : لابي اسحق الكاتب القيرواني المتوفى سنة ٣٨٣ منه نسخة خطية في برلين والاسكوريال وفينا وغيرها

٧ مجموعة المعاني : لمؤلف مجهول لكنها نفيسة وتشتمل على مئة معنى من جيد النظم . وقد اضاف المؤلف الى كل معنى ما يناسبه او يضاده . طبعت في الاستانة في ٢٢٠ صفحة

المحاضرات

هي علم من علوم الادب تحصل به الملكة على ايراد كلام الغير بما يناسب المقام . وفائدته الاحتراز من الخطاء في تطبيق الكلام المنقول عن الغير على المقام حسب اقتضاء المخاطبة من جهة معانيه الاصلية . وهو من الفنون الاجنبية يقال ان مخترعه رجل من اليونان قبل القرن الثالث للميلاد وقد اخذه العرب في جملة ما اخذوه عن الاعاجم في خلافة ابي جعفر المنصور على يد عبد الله بن المقفع عند ما ترجم كليلة ودمنة من الفارسية الى العربية فكانت ترجمته هذه اساساً لهذا الفن لكنه لم ينضج الا في العصر الثالث الذي نحن في صدده . واشهر من الف فيه ابن حيان التوحيدي المتوفى سنة ٤٠٠ هـ الف كتاباً سماه كتاب المحاضرات والمناظرات . وقد تقدم ذكر كتاب الشريف المرتضى في هذا الموضوع . واشهر ما بين ايدينا من كتب المحاضرات كتاب «محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء» لابي القاسم الراغب الاصبهاني وسيأتي ذكره

الروايات او القصص

تمهيد

نريد بالروايات ما يسميه الافرنج بلسانهم « رومان » واحدها رواية وهي القصة عندنا . وانما اخترنا لفظ الرواية مجاراة لمفهوم القراء منها لانها عندهم ادلُّ من القصة على ما نحن فيه . والروايات فنٌّ له شأن عظيم في اداب اللغات الافرنجية يكاد يكون اهمها . واما في العربية فانه من اضعف فروع الادب . ويراد به تمثيل الاخلاق والعادات والاداب في سياق قصة موضوعة . وقد تكون بشكل تمثيلي فتسمى في اصطلاحهم « درام » وقد ذكرنا طرفاً من ذلك في الجزء الاول من هذا الكتاب (صفحة ٥٨) اقتصرنا فيه على ما في اداب الجاهلية مما يقابل الدرام عند اليونان ونحن ذاكرون هنا فن الروايات على الاجمال في التمدن الاسلامي

يظهر ان العرب قلما اهتموا لهذا الفن في صدر دولتهم ولا التفتوا الى ما كان منه عند اليونان لما نقلوا علومهم . فلم ينقلوا الالياذة ولا الانياد ولا غيرهما من الروايات عند اليونان والرومان . لكنهم نقلوا شيئاً من هذا القبيل عن الفرس والهنود على يد عبد الله بن المقفع وجبلة بن سالم وغيرهما . فمما نقل عن الفارسية كليلة ودمنة . وكتاب رستم واسفنديار . وكتاب الاداب الكبير . وهزارافسانه . وشهر يزاد مع ابرويز . والكارنامج في سيرة انو شروان . ودارا والصنم الذهب . وبهرام ونرسي

ومما نقل عن الهندية كتاب سندباد الكبير والصغير . وكتاب بوداسف وكتاب ادب الهند وغيرها . وقد ضاع اكثر هذه الترجمات وتغير ما بقي منها وتبدل حتى صار الى غير ما كان عليه كما سترى

على اننا نرى بين ايدينا قصصاً وروايات مطبوعة يتداولها الناس ويقرأونها اشهرها قصة عنتر والف ليلة وليلة وابو زيد الهلالي والزير والملك سيف والملك الظاهر وعلي الزيبق وفيروز شاه ونحوها . فهذه القصص اكثرها وضع بعد العصر الثالث وانما يهمنا هنا القصص او الروايات التي دونت في ذلك العصر او قبله . وهي تقسم الى قسمين : الاول ما وضعه العرب من عند انفسهم والثاني ما نقلوه عن غيرهم وتوسعوا فيه — واليك تفصيل ذلك

١ — القصص التي وضعوها

من عند انفسهم

اما ما وضعوه فيرجع في الغالب الى تصوير مناقب الجاهلية وحال الاجتماع فيها . كالحماسة والوفاء والجوار والشجاعة والعصبية والثار . وتجد هذه المناقب ممثلة في اخبارهم وايامهم المشهورة قبل الاسلام وهي حقائق تاريخية تناقلوها بعد الاسلام . وكانوا يتلون تلك القصص في صدر دولتهم على جندهم لتحميسهم واستحثاث بسالتهم اذا قاموا لفتح او حرب . كذلك كانوا يفعلون بتلاوة اشعار عنترة وغيرها على ايدي القصاص قبيل المعارك لهذا الغرض

فلما تحضروا وانشأوا الدول عمدوا الى بعض تلك الاخبار فوسعوها في شكل روائي يشوق الى المطالعة . ولم يكن ذلك مقصوداً في بادئ الرأي وانما كانت القصة تكبر وتتسع تدريجاً بالتناقل الشفاهي قبل تدوينها . وبما ان المراد منها التحميس لا تقرير الحقيقة فكان الراوي يبالغ في القصة ويزيد فيها ما يثير الحماسة على ما تقتضيه الاحوال . والقصة تنمو وتتشعب حتى يفضي بهم الامر الى تدوينها بشكل الروايات الحماسية فيدونونها كما صارت اليه — هكذا فعلوا في اكثر قصصهم . ورغبة في تصويرها بشكل الحقيقة اسندوا اخبارها الى بعض الرواة المشهورين كالاصمعي وابي عبيدة وامثالهما . وتنوسي مؤلفوها الحقيقيون بتباعد العهد بهم كما تنوسيت اسماء مؤلفي اكثر القصص القديمة عند الافرنج

وقد نضج هذ الفن عند العرب في العصر العباسي الثالث فدونت تلك الروايات او القصص قبل انقضائه . وهي تتفاوت بعداً عن الحقيقة وقرباً منها وصار بعضها يتلى في المنازل والاندية لمجرد التسلية ولم يصلنا منها كاملاً ناضجاً الا قصة عنتر

قصة عنتر

هي اكبر القصص الحماسية العربية او هي عدة قصص متداخلة متسلسلة لا تحتاج في تعريفها الى تفصيل لاشتهارها وشيوعها . وانما نقول بالاجمال انها قصة حماسية غرامية تمثل آداب الجاهلية واخلاق اهلها وحروبهم وعاداتهم . واكثر الاسماء الواردة فيها لها مسميات تاريخية حقيقية لكنها مسبوكة في سياق قصة والمبالغة ظاهرة فيها . والمشهور انها وضعت في اواخر القرن الرابع للهجرة . وضعها رجل اسمه يوسف بن اسماعيل في زمن الخليفة العزيز بالله الفاطمي بمصر لسبب ذكرناه في الجزء الاول من

هذا الكتاب (صفحة ١٢٠) وبينا هناك ان هذا الرجل ليس هو واضعها دفعة واحدة بل تكونت بالتدريج . وهي احسن القصص العربية وافيدها وقد عني الافرنج بنقلها الى السنتهم كاملة وملخصة وطبعت في العربية مراراً عديدة في بضعة آلاف صفحة

قصة البراق

وهناك طائفة من الروايات الحماسية العربية وقف نموها في اوائل تكونها لانهم اسرعوا في تدوينها ولا تزال عليها صبغة الاخبار التاريخية وتعد من قبيل التاريخ او ايام العرب الجاهلية

منها مجموعة لعمر بن شبة المتوفى سنة ٢٦٢ هـ سماها الجمهرة (تقدم ذكرها صفحة ١٩٤ من هذا الكتاب) تشتمل على حوادث عديدة اكثرها وقع بين ربيعة وغيرهم كما ان قصة عنتر بين عبس وسواهم . لكن المطالع يتبين من مواقف كثيرة ان هذه الاخبار متوسطة بين التاريخ والقصة . بطلها الاشهر اسمه البراق وهو شاعر قديم من ربيعة من اقرباء المهلهل وكليب . وله تاريخ مختصر فيه حماسة مثل تاريخ عنترة وله خبر مع ابنة عمه ليلى بنت لكيز واشعار حماسية وفخرية . وقد توسع خبره هذا بتوالي الايام كما توسعت قصة عنتر لكنه ما زال اصغر حجماً واقرب الى الحقيقة منها . وقصته هذه لا تعرف باسمه وانما هي مجموع اخبار عن وقائع حربية ضمنها ابن شبة كتاب الجمهرة في خمس قصص متسلسلة :

القصة الاولى مبنية على قتل الحارث بن عباد من ضبيعة (بطن من ربيعة) للفضيل بن عمران من سدوس (بطن من طي) بسبب قنص اختصما عليه فانتشبت الحرب بين القبيلتين ثم بين ربيعة وطي وقضاعة . ودخل فيها البراق وهو من رؤساء ربيعة وابن اخت زعيم الطائيين شبيب بن لهيب . فاجتمعت قبائل ربيعة تحت راية البراق وكليب وجرت بين الطائفتين ثماني وقائع قد تكون في اصلها تاريخية لكن سياقها يدل على توسع فيها على سبيل الرواية . واستغرقت هذه القصة ٢٦ صفحة واسناد الحديث فيها الى ذؤيب بن نافع

يليها قصة قطيعة مضر وربيعة . ثم خروج لكيز وهما صغيرتان . ثم قصة سبي ليلى بنت لكيز من وائل الى بلاد العجم وما جرى بسبب ذلك من الحروب بين العرب والعجم والروم . وبطل الرواية البراق المذكور . واستعانوا بمضر وزعيمها نوفل بن عمرو . واخبار البراق في هذا القسم اقرب الى الرواية لانها تشبه ما يروى عن عنترة ويتخلل ذلك اشعار حماسية

ويليها حروب بين وائل واليمنيين سببها ان اسيراً كان عند كليب فقتله كليب . ودخل في هذه القصة كليب ومهلهل . واخيراً حرب البسوس وهي قصة قائمة بنفسها استغرقت مئة صفحة كبيرة يتخللها حوادث عنترية وحماسات ومبارزات ومناشدات وغير ذلك حتى يخيل للقاري انه يطالع قصة عنتر . لكنها اصح لغة واقرب الى اسلوب صدر الاسلام واقل مبالغة . ولعلها لو تداولتها الايدي وتناقلها القصاص شفاهاً الى العصر الذي دونت فيه قصة عنتر لصارت مثلها . ولكنها دونت قبلها بقرن وبعض القرن . والجمهرة موجودة خطاً في المكتبة الخديوية

قصة بكر وتغلب

ومن هذا القبيل كتاب بكر وتغلب ابني وائل وفيه خبر كليب وجساس . والقصة فيه اقرب الى التاريخ مما الى الرواية تشتمل على وقائع لها ذكر في التاريخ . وقد زاد فيها المؤلف قصائد وتفاصيل نظنها خيالية اراد بها بيان حماسة العرب وقوة ربيعة على الخصوص . وهي منسوبة في روايتها الى محمد بن اسحق . او لعل الكاتب اخذ شيئاً من رواية ابن اسحق واتمها من عند نفسه والكتاب مطبوع في بمباي سنة ١٣٠٥ يدخل في ١٢٠ صفحة كبيرة

قصة شيبان مع كسرى انوشروان

هي قصة تاريخية تدخل في سبعين صفحة مطبوعة في بمباي مع تلك لكنها اقرب منها الى الرواية الخيالية. مبنية على حادثة تاريخية في اصلها وتوسع المؤلف بها . فجعل سبب الحروب بين شيبان وكسرى انو شروان ان كسرى طلب من النعمان ابنته الحرقة بنت المتجردة فقامت الحرب بسبب ذلك . ويتخلل تلك الحوادث قصائد تنمُّ عن حداثة نظمها فضلاً عن قصائد حقيقية نظمها ابطال تلك الرواية . ومجمل الحديث فيها مرويٌّ عن بشر بن مروان الاسدي عن ابن نافع التميمي

والتوسع في الوقائع التاريخية حتى تصير بشكل الرواية ليس من مبتدعات العرب بل هو عام في الامم القديمة قبل التدوين لان القصص تنمو بالتناقل بسليقة في فطرة الانسان من الميل الى المبالغة في ما يقصه استلفاتاً لاعجاب السامع . وفي بعض الناس ميل الى تزويق العبارة وتطويلها والتوسع فيها . وبتوالي الاجيال تنمو الحادثة وتصير قصة واكثر روايات الامم القديمة من هذا القبيل . واكثرها شيوعاً بيننا الياذة هوميروس فانها اصلاً تاريخياً هو حصار طروادة اتسع بتوالي الاجيال حتى انتهى الى هوميروس فدوَّنه أو اتمه فنسبت روايته اليه كما تنسب رواية قصة بني شيبان

وكسرى الى ابن نافع . ولم يبلغ العرب ما بلغ اليه اليونان من المبالغة فان هؤلاء انزلوا الالهة الى ساحة الحرب

الروايات الغرامية

ومما وضعه العرب من عند انفسهم ايضاً قصص العشاق العذريين ونحوهم . وفيها تمثيل العفة او التفاني في سبيل الحب . بنوها على ما جاء في اخبار عشاق صدر الاسلام ككثير لبنى وجميل بثينة . فالفوا قصصاً غرامية نضجت قبل انقضاء العصر الثالث الذي نحن في صدده . منها كتاب عمر بن ابي ربيعة الشاعر المشهور بالنسيب . وكتاب مليكة ونعم وابن الوزير. واحمد وداحة . وقصة ابي العتاهية وعتب . واحمد بن قتيبة وبانوحة . ووضعوا قصصاً غرامية على غير المشهورين من عشاق العرب كقصة علي بن اديم ومنهلة وقصة عمرو بن صالح وقصاف . وقصصاً في الحبائب المتطرفات من النساء كقصة ريحانة وقرنفل . ورقية وخديجة . وسكينة والرباب . وهند وابنة النعمان . وسلمى وسعادة . وغيرها . وقد ذكر صاحب الفهرست عشرات منها ومن قصص بين الانس والجن وغيرذلك . واكثرها ضاع وما بقي منها ادخلوه في قصة الف ليلة وليلة

٢ — القصص المنقولة

اما ما نقله العرب من القصص عن اللغات الاخرى فهو يمثل على الغالب اداب الامة التي نقلت القصة عنها . واكثرها نقل عن الفرس والهند فهي لذلك تمثل اداب تينك الامتين . وقد ذكرنا اسماء بعضها وذكر الفهرست عشرات منها وقصصاً واسماراً يونانية ضاعت كلها ولم يصلنا منها الا ما في رواية الف ليلة وليلة من تلك الاقاصيص

الف ليلة وليلة

هي مجموع قصص متسلسلة تدخل في بضعة الاف صفحة . وهي مشهورة ومتداولة ولها طبعات عديدة . واختلف الباحثون في اصلها وتاريخها . وعندنا انها مؤلفة من قصص تجمعت بتوالي الاجيال مما ترجموه او وضعوه . ولها اصلٌ نقل عن الفارسية قبل القرن الرابع للهجرة نعني كتاب « هزار افسانه »

روى ذلك المسعودي المتوفى سنة ٣٤٦ﻫ قال «وقد ذكر كثيرٌ من الناس ان هذه اخبار موضوعة من خرافات مصنوعة نظمها من تقرب للملوك برواياتها وان سبيلها سبيل الكتب المنقولة الينا والمترجمة لنا من الفارسية والهندية والرومية مثل كتاب افسان وتفسيرذلك في الفارسية (خرافة). ويقال له افسانه والناس يسمون هذا الكتاب الف ليلة وليلة وهو خبر الملك والوزير وابنته وجاريتها شهر زاد ودينار زاد»

وجاء بعده ابن النديم البغدادي صاحب الفهرست الآتي ذكره فقال في اصل وضع كتاب هزار افسانه هذا في الفارسية « ان ملكاً من ملوكهم كان اذا تزوج امرأة وبات معها ليلة قتلها من الغد فتزوج بجارية من اولاد الملوك لها عقل ودراية يقال لها شهر زاد فلما حصلت معه ابتدأت تخرّفه وتصل الحديث عند انقضاء الليل بما يحمل الملك على استبقائها ويسألها في الليلة الثانية عن تمام الحديث الى ان اتى عليها الف ليلة وهو مع ذلك يطأها الى ان رزقت منه ولداً اظهرته واوقفت الملك على حيلتها عليه فاستعقلها ومال اليها واستبقاها . وكان للملك قهرمانة يقال لها دينار زاد فكانت موافقة لها على ذلك وقد قيل ان هذا الكتاب تأليف لحماني (الصحيح اهما) ابنة بهمن » وهذا الوصف ينطبق على الف وليلة تمام الانطباق

وذكر ابن النديم في مكان آخر انه شاهد هذا الكتاب وانه غث بارد . ولا ندري الان أي جزء من الف ليلة وليلة هو

فالعرب نقلوا هذا الكتاب من الفارسية قبل القرن الرابع للهجرة ثم اضافوا اليه ووسعوه وغيروا وبدلوا فيه حتى صار كما وصل الينا . ومن يطلع عليه يجد فيه قصصاً يدل اسلوبها والفاظها وبعض ما حوته من العادات انها كتبت بعد ذلك بقرون عديدة كشرب القهوة وذكر بعض الحكام المتأخرين من المماليك اورجالهم كابي طبق ونحوه . ولا يعلل ذلك الاّ بما تقدم من توسيع القصة الاصلية المنقولة عن الفارسية باضافة قصص واسمار كانت شائعة بين الناس مما وضعوه هم او نقلوه عن سواهم

والارجح ان تأليفها على الصورة التي وصلت بها الينا تمّ بعد القرن العاشر للهجرة واكثر تلك الزيادات حدثت في مصر . ولعلنا لو اتيح لنا الوقوف على الترجمة الاصلية لهزار افسانه لوجدنا الفرق بينها وبين قصة الف ليلة وليلة كالفرق بين اوذيسة هوميروس وانيادة فرجيل . فان هذه اكثرها منقول عن الاوذيسة ومع ذلك فهي تنسب الى فرجيل . ولهذا السبب يصح ان يقال عن الف ليلة وليلة انها من مؤلفات العرب وان كان بعضها لا يزال على اصله الفارسي

وهي كما وصلت الينا تمثل الاداب الاجتماعية في القرون الاسلامية الوسطى ويدخل في ذلك الانهماك في الملذات والتهتك . وقد وصفت المراة فيها وصفاً يدلُّ على ضعفها وسوء ظن الرجل فيها وفي آدابها . وفي الكتاب كثير من قصص العفاريت وعجائب الخلق وغرائب الحوادث مما يصوره الوهم والخيال . وسواء كان ذلك مما نقل عن الفرس اومما وضعه العرب فانه من طبيعة تلك العصور . وقد تولد بالنمو التدريجي قبل تدوينه

لميل الانسان من فطرته الى المبالغة كما تقدم . فاخبار السندباد البحري وغرائب ما شاهده في اسفاره من الاسماك الكبيرة الحجم التي يبلغ طولها مئات من الاذرع ومنها ما هو بصفة البقر او الحمير والوادي الذي حجارته من الالماس ويعج بالافاعي عجيجاً . وجبل القرود والثعابين التي تأكل الآدميين . وطير الرخ الذي يشبع من فرخه الصغير عشرات من الناس واذا كبر سطا على السفن وكسرها بصخور يلقيها عليها . ونحو ذلك مما يخالف المألوف عندنا الان فانه لم يوضع دفعة واحدة وانما نما بالتناقل واصله مبالغة قليلة رواها اهل الرحلة كما فعل بزُرك بن شهريار في اخبار الهند مما فصلناه صفحة ٢٠٥ من هذا الكتاب . فمبالغاته وسط بين الحقيقة والخرافة لو توقلت شفاها لصارت كالخرافات تماماً وقس عليه سائر المبالغات

خرافات الافرنج

على ان ذلك ليس خاصاً بالشرقيين كما يتهمنا بعض العلماء من الافرنج بل هو يتناول سائر الامم في تلك العصور من الميل الى المبالغة في رواية الغرائب . ولاسيما في ما تلذ المبالغة فيه من اخبار الابطال والفاتحين . والافرنج اكثر مبالغة في ذلك من العرب . فان هؤلاء نسبوا الى عنترة مقابلة المئة والمئتين او اكثر من الرجال وحده وذلك مع بُعده لا يخالف نواميس الطبيعة . واما الافرنج في قرونهم الوسطى فانهم نسبوا الى الاسكندر المكدوني خرافات تخالف النواميس الطبيعة

ش ١٥ : الاسكندر المكدوني يحارب اقواماً رؤوسهم وحشية
« نقلا عن اصول خطية من القرن الثالث عشر للميلاد »

ش ١٦ : الاسكندر يحارب اقواماً متوحشين لكل منهم ست ايد
« نقلاً عن اصول خطية من القرن الثالث عشر للميلاد محفوظة في مكتبة بروكسل »

فقالوا انه لقي في اثناء فتوحه اقواماً نصف اجسادهم السفلى ادميٌّ والنصف العلوي وحشيٌّ (ش ١٥) . واقواماً وحشيين لكل منهم ست ايدٍ (ش ١٦) . وانه حارب جنوداً من السلاحف واخرى من التنين . وانه بارز مرة حيواناً هائل بثلاثة قرون وبارز مرة اخرى اسوداً وغيرها . وقد صوروا ذلك في كتبهم ونشروه بين عامتهم . وفي (ش ١٥ و١٦) امثلة من ذلك

عود الى الف ليلة وليلة

ويتخلل حكايات الف ليلة وليلة قصص قصيرة ابطالها من مشاهير العرب بالجود والحلم اوالوفاءاو غير ذلك . كقصة حاتم الطائي بعد موته وقصص معن بن زائدة ويحيى البرمكي وابنيه جعفر والفضل وابراهيم بن المهدي واسحق الموصلي وعكرمة وخذيمة والرشيد والمأمون وغيرهم . وفيها قصص مغزاها حسن تمثل الصبر والتعقل والحكمة والتبصر في العواقب . ومعظمها كانت قصصاً مستقلة فادخلت عليها بتوالي الازمان . وبعضها يقرب من الواقع ويطابق سياق التاريخ . وفيها من الجهة الاخرى خرافات على السنة البهائم كقصة الدجاجة والبطة والاسد ونحوها

وبالجملة انها مجموع قصص مختلفة المواضيع والاساليب والاغراض . عبارتها على الاجمال سهلة تختلف قوة وصحة باختلاف القصص واعصرها . على انها لم تبق كما وضعت لان النساخ والطباعين نقحوها وهذبوا عبارتها . وقد طبعت مراراً ونقلت

الى اكثر لغات اوربا نقولاً تختلف قرباً من الاصل وبعداً عنه بين اختصار وتهذيب . وبعضهم بالغ في الاختصار والتبديل حتى صارت الترجمة ليس عليها من قصة الف ليلة وليلة الا اسمها . وفي بعض المواضع من هذه القصة عبارات يخجل الاديب من تلاوتها حذفت من بعض طبعاتها في بيروت ومصر

قصص اخرى من امثالها

لما شاعت الترجمات الفارسية المتقدم ذكرها في العالم العربي اخذ الادباء في القرنين الثالث والرابع ينسجون على منوالها او يجمعون مما بين ايديهم ما يشبهها . وقد ذكر ابن النديم كتاباً شاهده بنفسه تأليف الجهشياري قال في وصفه « وابتدا ابو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري صاحب كتاب الوزراء بتأليف كتاب اختار فيه الف سمر من سمار العرب والعجم والروم وغيرهم كل جزء قائم بذاته لا يعلق بغيره . واحضر المسامرين فاخذ عنهم احسن ما يعرفون ويحسنون واختار من الكتب المصنفة في الاسمار والخرافات ما يحلى بنفسه . وكان فاضلاً فاجتمع له من ذلك اربعماية ليلة وثمانون ليلة كل ليلة سمر تام يحتوي على خمسين ورقة . ورايت من ذلك عدة اجزاء بخط ابي الطيب اخي الشافعي . وكان قبل ذلك من يعمل الاسماروالخرافات على السنة الناس والطير والبهائم جماعة منهم عبد الله بن المقفع وسهل بن هرون وعلي بن داود كاتب زبيدة وغيرهم » . ولم يصلنا من هذه الكتب وامثالها غير الف ليلة وليلة

وهناك طائفة من القصص الخرافية والنكت المجونية ظهرت قبل انقضاء العصر الذي نحن في صدده ككتاب حوشب الاسدي وكتاب جحا ونوادر ابي ضمضم ونوادر ابن الموصلي لم يبق منها الا القليل . اما سائر القصص الكبرى المتداولة بين ايدينا الآن كقصة الزير والزيبق وبني هلال وغيرها فسيأتي ذكرها في مكانه

الدرام

ونريد به الروايات التمثيلية وهو عظيم الاهمية عند الافرنج لانه يمثل الاخلاق والآداب والعادات على المراسح ليشاهدها الناس ويعتبروا بها . لكن العرب لم يعانوا التمثيل على المراسح ولا الفوا فيه . وقد عدَّ بعض المستشرقين المقامات كمقامات الهمذاني او الحريري من قبيل الدرام . ولا نرى مسوغاً لهذا القول والمقامات انما يراد بها الفائدة اللغوية لما يتوخونه فيها من البلاغة والالفاظ الغريبة وايراد الامثال والحكم . وليس المراد مغزاها كما يريد الافرنج من التمثيل . ونجلُّ كتابنا عن ان يكون غرضهم من تأليفها العبرة او الموعظة . وهي في الغالب مبنية على المجون وانتحال

اسباب الكسب بالحيل ونحوها

ولعل السبب في تقاعد العرب عن فن التمثيل انه يحتاج الى ظهور المرأة على المراسح وهم يتجافون عنه بسبب الحجاب . او هو تابع لتباعدهم عن وضع القصص الشعرية او الشعر القصصي (ايبوبه) الذي يحتاج الى توسيع الموضوع وتشعيبه وتفريعه . على ان ابا العلاء المعري نابغة الشعراء في العصر الثالث وضع شيئاً كالدرام نعني رسالة الغفران فانها تشبه ان تكون من نوع الكوميديا وان لم يقصد تمثيلها

ش ١٧ : تشخيص عاشوراء في ايران

ويظهر ان الشيعة في بلاد فارس لم يبالوا بهذه الموانع في تمثيل مقتل الحسين في كربلاء فانهم يمثلون تلك الواقعة على المراسح في عاشوراء . وتبتدئ هذه الرواية بيوم خروج الحسين من مكة وتنتهي بقتله . اوهو الفصل الاخير منها ويسمونه «روز قتل» اي يوم القتل . فهذا الفصل يمثلونه يوم عاشوراء بحضور الشاه ورجال دولته في ساحة كبيرة فيشخصون الحسين وشمر والعباس وجعفر وزينب وسكينة وكلثوم وام ليلى وعمر بن سعد وغيرهم وكيفية الواقعة من اول النهار الى آخره ومقتل الحسين واصحابه — يفعلون ذلك في ساحة ينصبون فيها الخيام عليها شارات الحداد . فيقوم شيخ يقرأ على الناس حكاية مقتل الحسين بنغم محزن ولا يكاد يبدأ بالقراءة حتى تهيج عواطف السامعين فيبكون ويندبون وينوحون فيطوف عليهم شيخ بقطنة يلتقط بها دموعهم ثم يعصرها في قارورة تحفظ بها للاستشفاء . وقد وصف ذلك الاحتفال الرحالة موريه في رحلته الثانية الى فارس سنة ١٨١١ م ونقلنا ذلك في الهلال صفحة ٤٦٦ سنة ١٨

النحو والنحاة

في العصر العباسي الثالث

كان النحاة كثيرين في هذا العصر ولكنهم لم يأتوا شيئاً كثيراً في النحو وقلّ الذين الفوا فيه من عند انفسهم . واكثر ما دونوه شروح على سيبويه او اعراب اونحو ذلك واكثرها ضاع . وهاك اشهر من خلف مؤلفات في النحو من اهل هذا العصر وبقي منها ما يستحق الذكر نرتبهم حسب الوفاة ونذكر مؤلفاتهم في المواضيع الاخرى :

١ — ابن خالَوَيه

توفي سنة ٣٧٠ هـ

هو ابو عبد الله الحسين بن احمد بن خلويه اصله من همذان ودخل بغداد وادرك حلبة العلماء فيها ورحل الى الشام ثم اقام في حلب وتقرب من آل حمدان وقدمه سيف الدولة . وله معه محاضرات حسنة . ومن آثاره الباقية :

١ رسالة في اعراب ثلاثين سورة : منها نسخة خطية في المتحف البريطاني وفي ايا صوفيا

٢ كتاب الشجر : في برلين

٣ كتاب ليس : في الشواذ العربية طبع في اوربا عن نسخة خطية وجدت في المتحف البريطاني بعناية دير نبرج . وطبعت في مصر في جملة كتاب الطرف الادبية

وترجمته في ابن خلكان ١٥٧ ج ١ وطبقات الادباء ٣٨٣ ويتيمة الدهر ٧٦ ج ١ والفهرست ٨٤

٢ — ابو بكر الزُّبَيْدي

توفي سنة ٣٧٩ هـ

هو ابو بكر محمد بن الحسن بن عبد الله بن مذحج الزبيدي الاشبيلي نزيل قرطبة من تلاميذ ابي علي القالي اللغوي . وكان اوحد عصره في النحو وحفظ اللغة واخبر اهل زمانه بالاعراب والمعاني والنوادر والسير . ولم يكن بالاندلس في فنه مثله وقد اختاره الحكم المستنصر بالله صاحب قرطبة ليعلم ابناءَه فعلم هشام المؤيد ولي عهده الحساب والعربية . وكانت له منزلة رفيعة عنده ونال منه دنيا عريضة حتى تولى قضاء اشبيلية

وخطة الشرطة . وحصل له نعمة توارثها بنوه بعده . وكان شاعراً . وقد الف كتباً كثيرة منها طبقات اللغويين والنحاة في المشرق والاندلس من زمن ابي الاسود الى قرب زمنه . وظل هذا الكتاب موجوداً الى آخر القرن التاسع للهجرة واخذ السيوطي عنه في المزهر ولا نعلم خبره . وله كتب اخرى في لحن العامة وآخر في الابنية . ومختصر كتاب العين ذكره السيوطي . ولم يبلغنا من مؤلفاته الا :

١ كتاب الواضح في النحو والعربية : وهو جزيل الفائدة منه نسخة خطية في الاسكوريال

٢ كتاب الاستدراك على سيبويه : استدرك فيه اشياء فاتت سيبويه . طبع في رومية سنة ١٨٩٠ بعناية جويدي المستشرق الايطالي

وترجمته في ابن خلكان ٥١٤ ج ١ ويتيمة الدهر ٤٠٩ ج ١

٣ — ابن جنّي

توفي سنة ٣٩٢ هـ

هو ابو الفتح عثمان بن جني الموصلي قرأ على ابي علي الفارسي . وكان ابوهُ مملوكا روميًا ولعل اسمه « جنّي » معرَّب عن لفظ يوناني مثل « جنايس » توفي ابن جني ببغداد وهو اعظم نحويي هذا العصر واكثرهم آثاراً . وكان شاعراً مطبوعاً وله منظومات حسنة لكن النحو غلب عليه وله فيه مؤلفات هامة فيها فلسفة ونقد — هاك اشهر ما بقي منها :

١ الخصائص في اللغة : كتاب كبير عظيم الفائدة يبحث في اصول النحو على مذهب اصول الكلام والفقه . وهو بحث فلسفي في اللغة واصولها واشتقاقها واحكامها وما خذها وما يجوز القياس فيه . والكتاب عدة اجزاء ضخمة منها الجزآن الاول والثاني في المكتبة الخديوية تزيد صفحاتهما على ٧٠٠ صفحة والجزآن ٣و٤ في مكتبة غوطا . واجزاء اخرى في مكتبتي راغب ونور عثمانية في الاستانة

٢ سر الصناعة في النحو : هو كتاب ضخم في نحو ٦٠٠ صفحة يشتمل على احكام حروف المعجم واحوال كل حرف منها من حيث موقعه . وفيه ابحاث في الصوت ومخارج الحروف ولفظها والحركات وما هي واجناس الحروف وفروعها وما يناسب تقاربه منها في اللفظ ونحو ذلك من الابحاث الدقيقة . فبدا بالهمزة فالباء وما بعدها الى آخر الابجدية . ونظر في كل حرف واين يكثر او يقلُّ من حيث

موقعه من الالفاظ . واحكام ما يصيبه من القلب والابدال وغير ذلك من المواضيع التي تهمُّ طالب تحليل الالفاظ وفلسفة اللغة . منه نسخ خطية في برلين وليدن وباريس وراغب وكوبرلي وفي المكتبة الخديوية ومكتبة الظاهر في دمشق

٣ شرح تصريف المازني : في مكتبتي راغب باشا وكوبرلي بالاستانة

٤ كتاب العروض : هو مختصر لطيف في برلين وفينا وليدن

٥ مختصر القوافي : في الاسكوريال

٦ اللمع في النحو : في برلين واياصوفيا وعليها شروح عديدة

٧ المحتسب في اعراب الشواذ : في مكتبة راغب

٨ شرح المتنبي : في المكتبة الخديوية

٩ المبهج : هو شرح اسماء شعراء الحماسة شرحاً لغويًا لا تاريخيًا . منه نسخة في المكتبة الخديوية في ٧٢ صفحة

١٠ مختصر التعريف الملوكي : اوجل اصول التصريف مطبوع . في ليبسك مع ترجمة لاتينية سنة ١٨٨٥

١١ علل التثنية : منه نسخة خطية في ليدن

١٢ التنبيه في شرح الحماسة : هو كتاب ضخم في نيف و٤٠٠ صفحة فيها شرح لغوي نحوي موجود في ليدن وفي المكتبة الخديوية

وترجمة ابن جني في ابن خلكان ٣١٣ ج ١ ويتيمة الدهر ٧٧ ج ١ وطبقات الادباء ٤٠٦

نحاة آخرون

واشتهر في هذا العصر نحاة يرجع اليهم في التحقيق وان لم يخلفوا كتباً — فان في الناس من يحسن التعليم دون التأليف . ومن مشاهير النحاة الذين لم يصلنا من مؤلفاتهم ما يستحق الذكر :

٤ ابن درستويه المتوفى سنة ٣٤٧ من تلاميذ المبرد وهو فارسي الاصل الف عدة كتب لم يبق منها الا « الالفاظ للكتاب » منه نسخة خطية في مكتبه اكسفورد . وترجمته في ابن خلكان ٢٥١ ج ١

٥ ابو سعيد السيرافي ويعرف بالقاضي توفي سنة ٣٦٨ وكان واسع العلم عريض الجاه تولى قضاء بغداد وشرح كتاب سيبويه والف كتاب الفات الوصل والقطع وكتاب اخبار النحويين البصريين وغيرها لم يصلنا منها شيء وكان الرجل ثقة يشتغل عليه الطلاب عدة فنون في القرآن واللغة والرياضيات والشعر وغيرها . وترجمته في معجم الادباء ٨٤ ج ٣ وابن خلكان ١٣٠ ج ١ وطبقات الادباء ٣٧٩

٦ ابو علي الفارسي المتوفى سنة ٣٧٧ وكانت له منزلة عند سيف الدولة وعضد الدولة . ومن مؤلفاته كتاب الايضاح والتكملة شرحه كثيرون ومنه شروح خطية في المكتبة الخديوية احدها للعكبري . وترجمته في ابن خلكان ١٣١ ج ١ ومعجم الادباء ٩ ج ٣ وطبقات الادباء ٣٨٧

٧ ـ ١١ ابو حسن الرماني المتوفى سنة ٣٨٤ له عدة مؤلفات وشروح . وابن بقية المتوفى سنة ٤٠٦ والربعي سنة ٤٢٠ والاقليلي سنة ٤٤١ والثمانيني سنة ٤٤٢ وغيرهم مما يطول شرحه وقد ترجمهم ابن خلكان

اللغة واللغويون

في العصر العباسي الثالث

يمتاز هذا العصر عما تقدمه ان فيه نضجت علوم اللغة وتم نشوء المعاجم اللغوية فنبغ من علماء اللغة طائفة حسنة اهمهم الذين اشتغلوا في ضبط الالفاظ وتدوينها وتعريف معانيها وترتيبها على حروف المعجم او على المعاني . وهم اصحاب المعاجم سنفرد لهم فصلاً خاصا بعد الكلام عن علماء اللغة على العموم وهم :

١ — المُطَرِّز البارودي

توفي سنة ٣٤٥ هـ

هو ابو عمر محمد بن عبد الواحد بن ابي هاشم المعروف بالمطرّز البارودي الزاهد غلام ثعلب . وكان من اكابر ائمة اللغة المكثرين اخذ عن ثعلب المتقدم ذكره . وكان واسع الرواية غزير المادة لكن ادباء عصره يخطئونه في اكثر نقله ويقولون لو طار طائر لقال ابو عمر «حدثنا ثعلب عن ابن الاعرابي كذا » ويقال انه املى من حفظه اكثر من ٣٠٠٠٠ ورقة في اللغة توفي ببغداد ودفن فيها . والف كتباً كثيرة ذكرها صاحب الفهرست لم يصلنا منها الا :

١ كتاب العشرات : هي عبارة عن جمع عشرة الفاظ في معنى واحد . منه نسخة خطية في مكتبة برلين

٢ كتاب اخبار العرب : في الاسكوريال ولم يذكره الفهرست بهذا الاسم

وترجمته في ابن خلكان ٥٠٠ ج ١ والفهرست ٧٦ وطبقات الادباء ٣٤٥

٢ — ابو علي القالي

توفي سنة ٣٥٦ هـ

هو ابو علي اسماعيل بن القاسم القالي البغدادي اللغوي . جدُّه من موالي عبد الملك بن مروان . وكان احفظ اهل زمانه للغة والشعر ونحو البصريين . تتلمذ لابن دريد ونفطويه وابن درستويه وغيرهم . وطاف البلاد فسافر الى بغداد اقام بها ٢٥ سنة . واقام في الموصل زمناً وسافر الى الاندلس فدخل قرطبة على زمن عبد الرحمن الناصر وتوفي فيها سنة ٣٥٦ وله عدة مؤلفات اكثرها في اللغة هاك ما وصلنا منها :

١ كتاب الامالي : هو من نوع كتاب الكامل للمبرد املاه في جامع الزهراء بقرطبة ومنه نسخ خطية في برلين وباريس والاسكوريال . وقد طبع بمصر سنة ١٩٠٧ في مجلدين لهما ذيل

٢ كتاب البارع في اللغة : بناه على حروف المعجم في نحو ٥٠٠ ورقة اي الف صفحة فهو من قبيل المعاجم ولم يبق منه الا نتف في مكتبة باريس

٣ كتاب النوادر : منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية

وترجمته في ابن خلكان ٧٤ ج ١ ومعجم الادباء ٣٥١ ج ٢

٣ — ابو احمد العسكري

توفي سنة ٣٨٢ هـ

هو ابو احمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري اللغوي نسبة الى عسكر مكرم في الاهواز . وهو غير ابي هلال العسكري المتقدم ذكره بين الادباء . وكان ابو احمد صاحب اخبار ونوادر . وكان الصاحب بن عباد يودُّ الاجتماع به ولا يجد اليه سبيلاً فاحتال في السفر اليه ولقيه واطراه . وخلف ابو احمد عدة مؤلفات وصل الينا منها :

١ كتاب التصحيف والتحريف : جمع فيه المصحَّف والمحرَّف من الكلمات التي وردت عن البلغاء مما يعدُّ من انواع البديع ومن فروع المحاضرات . وشرح الكلمات المشتبهة . وهو مفيد طبع في مصر ١٣٢٧

٢ كتاب الزواجر والمواعظ : في مكتبة كوبرلي بالاستانة

٣ « الحكم والامثال : » مكتبة زكي باشا بمصر

وترجمة ابي احمد في ابن خلكان ١٣٢ ج ١ ومعجم الادباء ١٢٦ ج ٣
ومن علماء اللغة في هذا العصر ايضاً غير اصحاب المعاجم الآتي ذكرهم : جنادة المتوفى سنة ٣٩٩ والسمساني توفي ببغداد سنة ٤١٥ وصاعد اللغوي توفي سنة ٤١٧ وابن السيد القيسي توفي سنة ٤٢٧ هـ وقد ترجمهم ابن خلكان

المعاجم اللغوية

واصحابها

ولدت المعاجم اللغوية في العصر العباسي الاول في كتاب العين للخليل المتوفى سنة ١٨٠ لكنها لم تنضج ويتم نموُّها الا في العصر الثالث الذي نحن في صدده فيحسن بنا ان نشبع الكلام فيها

المعاجم على العموم

اسبق الامم الى المعاجم اللغوية الصينيون فانهم وضعوا معجماً فيه ٤٠٠٠٠ كلمة في القرن الحادي عشر قبل الميلاد . مؤلفه اسمه باوتشي . واقدم معجم لغوي في اللغة اللاتينية اسمه (Lingua Latina) الفه « وارو » المتوفى سنة ٢٨ قبل الميلاد . ونحو ذلك الزمن او بعيده ظهر اقدم معجم للغة هوميروس الفه ابولونيوس الغراماطيقي الاسكندري في زمن اوغسطس . ثم ظهر معجم اللغة اليونانية كاملاً سنة ١٧٧ للميلاد تأليف يوليوس بولكس . ثم يأتي العرب وهم اسبق الامم الحديثة الى المعاجم اللغوية — وهاك تاريخها :

مآخذ المعاجم العربية

نريد بالمعاجم كتب اللغة التي تترتب فيها الالفاظ على حروف المعجم او على المعاني المتشابهة او المتقاربة وهي مأخوذة في الاصل عن السماع من افواه العرب في ادوار مختلفة . وقد علمت مما تقدم انهم بدأوا بأخذ اللغة وآدابها الجاهلية من صدر الاسلام بالبصرة والكوفة من فصحاء ذكرنا بعضهم عند الكلام عن علم الادب صفحة ٩٧
فكان الرواة كحماد والاصمعي وابي عبيدة وغيرهم يروون ما يسمعونه او يأخذونه عمن سمعه ويدونونه او ينقلونه . ويدخل في ذلك اشعار العرب واخبارهم

وامثالهم والفاظهم وعلومهم وآدابهم . ودونوا ذلك اولاً في كتب مستقلة كل موضوع على حدة ككتب الابل واسماء الوحوش وخلق الانسان والخيل والشاه والنبات والشجر والنخل وغيرها للاصمعي وكتب اللبن والمطر لابي زيد الانصاري ونحوها

ويلحق ذلك ما الفوه من كتب النوادر في اللغة وهي تشتمل على النادر استعماله من الالفاظ ودلالاتها ككتب النوادر للكسائي وابي زيد والشيباني والقالي . وكتب الغريب في اللغة كغريب ابي عبيد والشيباني وابن الاعرابي . وشروح الشعر فان فيها كثيراً من الالفاظ المشروحة مع بيان احوالها اللغوية . وسائر الكتب التي تبحث في اللغة واشتقاقها والفاظها . وكذلك كتب الاضداد والاشباه والنظائر ومن هذا القبيل كتاب الالفاظ الكتابية لعبد الرحمن بن عيسى الهمذاني المتوفى سنة ٣٢٧ هـ تقدم ذكره صفحة ١٨٩ وكتاب البارع للقالي . وابنية الافعال لابن القوطية الآتي ذكره

ومنها كتاب « ديوان الادب » لاسحق بن ابراهيم الفارابي المتوفى سنة ٣٥٠ خال الجوهري صاحب تاج اللغة الآتي ذكره . جعله على ستة كتب اولها في السالم والثاني في المضاعف (٣) المثال (٤) ذوات الثلاثة (٥) ذوات الاربعة (٦) كتاب الهمزة وجعل كل كتاب من هذه الكتب شطرين اسماء وافعال وقدم الاسماء على الافعال واستشهد بالاشعار . ومن هذا الكتاب نسخ خطية في ليدن واكسفورد وفي المكتبة الخديوية في ٣٠٠ صفحة خط قديم

فهذه الكتب وامثالها كانت عوناً كبيراً في تأليف المعاجم . على ان الذين الفوا المعاجم رجعوا ايضاً في التحقيق الى سماع الالفاظ من العرب العاربة أو ممن سمعها عنهم . وقد ذكرنا صفحة ٩٧ اسماء القبائل التي اخذت اللغة عنها واليك تاريخ المعاجم :

تاريخ المعاجم العربية

اول من رتب الفاظ اللغة على الابجدية الخليل بن احمد في كتاب العين وقد تقدم ذكره في الكلام عن اللغة في العصر العباسي الاول صفحة ١٢١ تليه جمهرة ابن دريد المتوفى سنة ٣٢١ وقد ذكرناها بين كتب اللغة في العصر العباسي الثاني صفحة ١٨٨ وعليها كان معول طلاب اللغة في ذلك العصر والذي يليه . وقد انتقدها ابن جني ونفطوية . فاقدم المعاجم كتاب العين فالجمهرة لابن دريد فالبارع للقالي وقد تقدم ذكرها

وهاك المعاجم التي ظهرت بعد ذلك مع تراجم اصحابها مرتبة حسب تاريخ الوفاة :

١ — التَّهْذيب للأَزْهري

المتوفى سنة ٣٧٠ هـ

هوابو منصور محمد بن احمد بن الازهر طاحة بن نوح بن ازهر الازهري الهروي اللغوي . كان فقيهاً وغلبت عليه اللغة فاشتهر بها . قرأ على ثعلب وابن دريد ونفطوية ورحل فطاف ارض العرب في طلب اللغة . ووفق الى ذلك بوقوعه في اسر قوم نشأوا في البادية يتتبعون مساقط الغيث ايام النجع ويرجعون الى اعداد المياه في محاضرهم زمان القيظ ويرعون النعم ويعيشون بالبانها ويتكلمون بطباعهم البدوية ولا يكاد يوجد في منطقهم لحن أو خطأ فاحش

فبقي في اسرهم دهراً طويلاً يشتي في الدهناء ويربع في الصمان ويقيظ بالستارين فاستفاد من محاوراتهم ومخاطباتهم الفاظاً جمة . فلما الف كتابه « التهذيب » ادخل ذلك كله فيه . وجرى في ترتيبه على ترتيب كتاب العين اي حسب مخارج الحروف . وقد صدره بمقدمة اورد فيها اسماء الرواة حسب طبقاتهم مع خلاصة تراجمهم واسماء الذين ساؤا التأليف في اللغة . وعقد فصلاً في القاب الحروف ومدارجها مع نصوص كثيرة من كتاب العين . وهي مقدمة مفيدة

ومن كتاب التهذيب نسخ خطية في مكاتب ايا صوفيا ونور عثمانية وكوبرلي في الاستانة ونسخة في المكتبة الاحمدية بحلب . وفي المكتبة الخديوية جزءان كبيران صفحاتهما نحو ٢٠٠٠ صفحة ينتهي الثاني بمادة ذرا والخط جميل والصفحات كبيرة جدًّا

٢ كتاب غريب الالفاظ التي استعملها الفقهاء : منها نسخ في برلين وكوبرلي وترجمة الازهري في ابن خلكان ٥٠١ ج ١

٢ — المُحيط للصاحب بن عبّاد

المتوفى سنة ٣٨٥ هـ

قدتقدمت ترجمته بين المنشئين . وكتابه « المحيط » مرتب على حروف الابجدية كما هي اليوم في سبعة مجلدات اكثر فيه الالفاظ وقلل الشواهد . ومنه الجز الثالث في المكتبة الخديوية

٣ — المُجْمَل لابن فارس

المتوفى سنة ٣٩٠ هـ

هوابو الحسين احمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازي . كان اماماً في علوم شتى وخصوصاً اللغة . وله فضل التقدم في وضع المقامات لانه كتب رسائل اقتبس العلماء منها نسقه . وعليه اشتغل بديع الزمان الهمذاني كما تقدم . وتفقه عليه الصاحب ابن عباد . وكان استاذ عصره وقد خلف مؤلفات ذات شأن هاك اشهرها :

١ كتاب المجمل في اللغة : اقتصر فيه على الالفاظ الهامة المستعملة . اخذ اكثرها عن السماع واخذ عمن تقدمه واختصر الشواهد ورتبه على الابجدية المعروفة اليوم واجمل الكلام فيه ومنه اسمه . منه نسخ خطية في برلين وغوطا وليدن وباريس والمتحف البريطاني واكسفورد وبني جامع وكوبرلي . وفي كتب الشنقيطي بالمكتبة الخديوية نسخة في مجلدين كبيرين صفحاتهما نحو ١٣٠٠ صفحة حسنة الخط

٢ كتاب الثلاثة : يشتمل على الفاظ ذات ثلاثة معان مثل مثلثات قطرب . منه نسخة في الاسكوريال ٣ كتاب ذم الخطأ في الشعر : في برلين

٤ كتاب نقد الشعر : ذكره السيوطي بالمزهر ولم نقف على خبره

٥ كتاب الصاحبي : في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها . تسمى بذلك لانه الفه للصاحب بن عباد وجيه ذلك العصر . وفيه ابحاث في اصل اللغة العربية وخصائصها واختلاف لغاتها بحسب القبائل والمواطن وتعريف اقسام الكلام والاسماء العربية واسبابها والحروف الهجائية وتركيبها على الهجاء وغير ذلك من المواضيع اللغوية . وهو كتاب نفيس طبع بمصر سنة ١٩١٠ وفي صدره فصل في ترجمة حياة المؤلف

٦ كتاب الاتباع والمزاوجة : جمع فيه ما ورد من كلام العرب مزدوجاً كقولهم ساغب لاغب ومايق دايق والسيف والليف . منه نسخة بين كتب الشنقيطي بالمكتبة الخديوية في ٤٤ صفحة ولم يذكر بين مؤلفاته

وترجمة ابن فارس في ابن خلكان ٣٥ ج ١ ومعجم الادباء ٦ ج ٢

٤ — الصِّحَاح للجَوْهَري

المتوفى سنة ٣٩٨ هـ

هو ابو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري . اصله من فاراب ببلاد الترك ولذلك سموه الفارابي ايضاً . وهو غير ابي نصر الفارابي الفيلسوف المتقدم ذكره صفحة

٢١٣ فان اسمه محمد بن طرخان . وغير اسحق بن ابراهيم الفارابي صاحب ديوان الادب المتقدم ذكره صفحة ٣٠٧ فانه خال اسماعيل بن حماد الذي نحن في صدده

وكان اسماعيل هذا واسع العلم في اللغة اخذ عن خاله المذكور وغيره وسافر في البدو والحضر فدخل ديار ربيعة ومضر. وطاف الحجاز في طلب الادب واتقان اللغة ورجع الى خراسان فاقام في نيسابور للتدريس والتأليف وتعليم الخط لان خطه كان جميلاً . ثم وضع كتاب الصحاح وسماه « تاج اللغة وصحاح العربية » فانتقى من الفاظ اللغة ما صح عنده فجاء اوعى من مجمل ابن فارس وتهذيب الازهري وجمهرة ابن دريد . ورتبه على اسلوب لم يسبقه اليه احد فجعل القاعدة في ترتيب الالفاظ على اواخر الكلم — فيضع «قلب» مثلاً قبل كلمة « بيت » وهكذا . ولهذا الترتيب فائدة عند الشعراء في طلب القوافي . ويمتاز الصحاح على سواه انه استوعب الالفاظ المستعملة في ديار مضر وحققها بالسماع من عرب البادية هناك لانه عاشرهم . وفي الكتاب خطأ في ضبط بعض الالفاظ ذكر سببهُ ياقوت في معجم الادباء قال « ان الجوهري صنف كتاب الصحاح للاستاذ ابي منصور عبد الرحيم بن محمد البيشكي وسمعه منه الا باب الضاد المعجمة . واعترى الجوهري وسوسة فانتقل الى الجامع القديم بنيسابور فصعد الى سطحه وقال أيها الناس اني عملت في الدنيا شيئاً لم اسبق اليه فسأعمل للآخرة امراً لم اسبق اليه . وضم الى جنبيه مصراعي باب وتأبطهما بحبل وصعد مكاناً عالياً من الجامع وزعم انه يطير فوقع فمات وظلت بقية الكتاب مسودة غير منقحة ولا مبيضة فبيضه ابو اسحاق ابرهيم بن صالح الوراق تلميذ الجوهري بعد موته فغلط فيه في عدة مواضع غلطاً فاحشاً »

وقد طبع الصحاح في تبريز سنة ١٢٧٠ على الحجر . وفي مصر سنة ١٢٨٢ وفي طبعة مصر مقدمات لابي الوفاء الهوريني في تاريخ المعاجم وكيفية استخدام الكتاب وماهي الفصول الساقطة منه . وقد لخصه كثيرون وترجم الى الفارسية في كتاب سمي « الصراح » ترجمه ابو الفضل جمال الدين القرشي سنة ٩٧٦ هـ ومن هذه الترجمة نسخ خطية في برلين والمتحف البريطاني وغيرهما . وطبعت في كلكتة سنة ١٨١٢

ولخصه محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي من اهل القرن الثامن للهجرة في كتاب سماه « مختار الصحاح » اقتصر فيه على ما لا بد منه في الاستعمال وضم اليه كثيراً من تهذيب الازهري وغيره وكل ما اهمله الجوهري من الاوزان ذكره بالنص على حركاته . وهو شائع ومطبوع مراراً بمصر وغيرها ومنه نسخ خطية في

مكاتب أوربا . والف كثيرون في نقد الصحاح للاسباب التي قدمناها كتباً ورسائل لا محل لذكرها ودافع عنه كثيرون . راجع كشف الظنون ٧٤ ج ٢

وللجوهري هذا فضل في تتميم علم العروض والزيادة في اوزانه[1] وقد تقدم خبر ذلك . وترجمته في معجم الادباء ٢٦٦ ج ٢ ويتيمة الدهر ٢٨٩ ج ٤

٥ — الجامع للقزّاز

المتوفى سنة ٤١٢ هـ

هو ابو عبدالله محمد بن جعفر التميمي النحوي القزّاز القيرواني . كان في خدمة العزيز الفاطمي صاحب مصر . وكان مقدماً وجيهاً وصنف له كتباً من جملتها كتاب « الجامع » في اللغة وكلها ضاعت . وترجمته في ابن خلكان ٥١٤ ج ١

٦ — المُوعَب للتيّاني

المتوفى سنة ٤٣٦ هـ

وهو ابو غالب تمام بن غالب بن عمر اللغوي من اهل قرطبة . الف الموعب وجمع فيه الصحيح من محتويات كتاب العين والجمهرة ولم يختصر الشواهد . لكن الكتاب ضاع . وترجمته في ابن خلكان ٩٧ ج ١

٧ — المُحكَم والمُخصَّص لابن سِيدَه

المتوفى سنة ٤٥٨ هـ

وهو آخر اصحاب المعاجم التي ظهرت في ذلك العصر واعظمهم وهو الحافظ ابو الحسن علي بن اسماعيل المعروف بابن سِيدَه المرسي الاندلسي كان ضريراً وابوه ضرير . وكان ابوه عالماً في اللغة فاخذها عنه وعن غيره . وكان حافظاً اقام في مرسية وتوفي في دانية من اعمال الاندلس . وقد الف غير كتاب في اللغة والادب هاك ما وصلنا منها :

١ المحكم في اللغة : واسمه المحكم والمحيط الاعظم . وهو كبير جامع يشتمل على انواع اللغة رتب الفاظه على ترتيب كتاب العين وقد نظم بعضهم ثلاثة ابيات يؤخذ ترتيب حروف المحكم من اوائل الفاظها وهي :

(١) العمدة ٨٨ ج ١

علقت حبيباً هنت خيفة غدره قليل كرى جفني شكا ضرّ صده
سبا زهوه طفلاً ديانة تائب ظلامته ذنبٌ ثوى ربع لحده
نواظره فتاكة بعميده ملاحته اجرت ينابيع وجده

ويمتاز المحكم بالضبط والدقة وصدق النظر وقد انتقى شواهده من اوثق المصادر الشعرية وغيرها . وعليه كان معول صاحب القاموس في تأليف كتابه كما سيأتي في مكانه . والمحكم موجود في المتحف البريطاني . وفي المكتبة الخديوية منه اجزاء كثيرة لا يتم منها نسخة كاملة . واكبر مجموعة من تلك الاجزاء تبلغ ١٨ جزءاً تزيد صفحاتها على خمسة الاف صفحة خطها قديم مغربي وللمحكم خلاصة لمحمد الانسي المتوفى سنة ٦٨٠ منها نسخة في المتحف البريطاني

٢ المخصّص : وهو معجم معنوي اي ان مواده مرتبة على معانيها وليس على حروفها فهو مثل فقه اللغة للثعالبي ولكنه اوسع منه كثيراً . وقد طبع في مصر سنة ١٣١٦ في ١٧ مجلداً عن نسخة خطية مخرومة كانت في المكتبة الخديوية . ومنه اجزاء خطية متفرقة في مكتبتي اكسفورد والاسكوريال . وهو اوفى كتاب في بابه قد اجتمعت فيه الالفاظ المتشابهة والمتقاربة في معانيها او المتفرعة بعضها عن بعض في باب واحد . وفي ذيله فهرس ابجدي يسهل البحث عن مواده

٣ كتاب شرح مشكل المتنبي : منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية وترجمة ابن سيده في ابن خلكان ٣٤٢ ج ١

التاريخ والمؤرخون

في العصر العباسي الثالث

اتخذ التاريخ في هذا العصر وجهاً آخر فتكاثرت فيه التواريخ الخاصة للمدن الاسلامية او الامم او الاشخاص . وذلك طبيعي بعد استبحار العمران وظهور الدول المتنافسة في الشهرة والسيادة وفي ترقية المملكة الاسلامية . واكثرهم يقربون الكتاب ويغرونهم على تدوين محامدهم . كما فعل عضد الدولة بابي اسحق الصابي المتقدم ذكره وكما فعل محمود الغزنوي بالعتبي الاتي ذكره :

وقد دعا الى تدوين تواريخ الدول المستقلة ما انتهى في ذلك العصر من الانقلابات السياسية . وتاريخ الامة او الدولة يدون غالباً في اواخر ايامها او بعد انقضائها .

واما تراجم الافراد فيغلب تدوينها في حياة اصحابها بايعاز منهم . ونظراً لتوالي التقلبات على مصر في القرنين الثالث والرابع بتنقلها من العباسيين الى الطولونيين فالاخشيديين فالفاطميين ظهر فيها عدة كتب في التواريخ الخاصة ضاع اكثرها وسنذكر ما بقي منها

وفي هذا العصر تولد ضرب من التاريخ سموه « علم الاوائل » ومنه يعرف اوائل الوقائع والحوادث بحسب المواطن . واول من الف فيه تأليفاً مستقلاً ابوهلال العسكري وقد تقدم ذكره

اما التاريخ العام فقد خالط بعضه في هذا العصر صبغة الرحلة لكثرة ما كان من توالي الرحلات فيه كما سيجيء مع وصف الاماكن الجغرافية . فالمؤرخ يصف ما سمعه ورآه من الغرائب . واكثرهم افاضة في ذلك المسعودي وكان هو نفسه من اهل الاسفار وكذلك ابو زيد البلخي وقد الف في التاريخ والجغرافيا وذكرناه بين المؤرخين في العصر الماضي . غير اصحاب الجغرافية الاتي ذكرهم

ويقال على الاجمال ان النقد التاريخي لم ينضج في تواريخ هذا العصر لان اكثرها كتب ولا سيما التواريخ الخاصة تحت سيطرة الملوك والامراء لارضائهم . وقد يمتنعون عن الانتقاد تحاشياً من التعرض للاحزاب الدينية الا ما كان بين السنة والشيعة وهم مع ذلك يتحاشونه . ولعل التلاعب بعد ذلك في النسخ افسد ما دونوه

ونبدأ بذكر التواريخ العامة ثم الخاصة ونرتب التراجم في كليهما على سني الوفاة :

اصحاب التواريخ العامة

١ — المسعودي

توفي سنة ٣٤٦ هـ

هو علي بن الحسين بن علي من ذرية عبد الله بن مسعود ولذلك قيل له المسعودي . نشأ في بغداد وجاء مصر ورحل في طلب العلم الى اقصى البلاد فطاف فارس وكرمان سنة ٣٠٩ حتى استقر في اصطخر . وفي السنة التالية قصد الهند الى ملتان والمنصورة ثم عطف الى كنباية فصيمور فسرنديب (سيلان) ومن هناك ركب البحر الى بلاد الصين وطاف البحر الهندي الى مداغسكر وعاد الى عمان . ورحل رحلة اخرى سنة ٣١٤ الى ما وراء اذربيجان وجرجان ثم الى الشام وفلسطين . وفي سنة ٣٣٢ جاء

انطاكية والثغور الشامية الى دمشق . واستقر اخيراً بمصر ونزل الفسطاط سنة ٣٤٥ وتوفي في السنة التالية . ولم يفتر في أثناء اسفاره عن الاستقصاء والبحث واكتساب العلوم على اختلاف مواضيعها . فجمع من الحقائق التاريخية والجغرافية ما لم يسبقه اليه احد . والف كثيراً من الكتب المفيدة في مواضيع شتى اهمها في التاريخ وهاك اشهر مؤلفاته الباقية :

١ مروج الذهب ومعادن الجوهر : هو اشهر من ان يعرف لشيوعه وقد طبع مراراً في جزئين . وصف في الاول منهما الخليقة وقصص الانبياء مختصراً ثم وصف البحار والارضين وما فيهما من العجائب . ويدخل في ذلك تواريخ الامم القديمة من الفرس والسريان واليونان والرومان والافرنج والعرب القدماء واديانهم وعاداتهم ومذاهبهم واوابدهم واطوال الشهور والتقاويم القديمة والبيوت المعظمة وغيرها . ثم عطف على تاريخ الرسالة الاسلامية من ظهور النبي الى مقتل عثمان . وذكر في المجلد الثاني تاريخ الاسلام من خلافة علي الى ايام المطيع لله العباسي (توفي سنة ٣٦٣)

ويظهر مما جاء في مقدمته انه نقل هذا الكتاب عن عشرات من الكتب التاريخية وغيرها كانت موجودة في ايامه لم يبق لنا منها الا بضعة قليلة كتاريخ الطبري وفتوح البلدان للبلاذري . واما الباقي فقد ضاع وفيه عشرات من كتب التاريخ والسياسة والاجتماع . وفي خلال هذا الكتاب فوائد كثيرة لا تجدها في سواه . ولذلك فقد عني المستشرق باربيه دي مينار بنقله الى اللغة الفرنساوية وطبع في باريس سنة ١٨٧٢ في ٩ مجلدات . وقد انتقد هذه الترجمة عبد الله المراش في مجلة الضياء (سنة ٢) . ونقله الى الانكليزية الاستاذ سبرنجر وطبع الجزء الاول من ترجمته في لندن سنة ١٨٤١

٢ كتاب اخبار الزمان ومن أبادهُ الحدثان من الامم الماضية والاجيال والممالك الدائرة : وهو كبير طويل مثل اسمه يدخل في ٣٠ مجلداً . وقد اكثر المسعودي من الاشارة اليه في مروج الذهب ـ اذا اختصر الكلام في باب قال « وقد فصلنا ذلك في كتابنا اخبار الزمان » لكن هذا الكتاب ضائع الآن . وليس منه الا الجزء الاول في مكتبة فينا

٣ كتاب الاسط : هو وسط بين الكتابين المتقدمين وقد ضاع ايضاً ولكن في مكتبة اكسفورد نسخة يظنون انها هو . ويظن بعض الباحثين انه وقف على شيء منه في بعض مكاتب دمشق [1]

(١) مجلة النعمة سنة ١ ج ٢

٤ كتاب التنبيه والاشراف : اودعه لمعاً من ذكر الافلاك وهيئاتها والنجوم وتأثيراتها والعناصر وتراكيبها واقسام الازمنة وفصول السنة ومنازلها والرياح ومهابها والارض وشكلها ومساحتها والنواحي والافاق وتأثيرها على السكان وحدود الاقاليم السبعة والعروض والاطوال ومصاب الانهار . وذكر الامم السبع القديمة ولغاتها ومساكنها . ثم ملوك الفرس على طبقاتهم والروم واخبارهم . وجوامع تواريخ العالم والانبياء ومعرفة السنين القمرية والشمسية . وسيرة النبي وظهور الاسلام وسير الخلفاء واعمالهم ومناقبهم الى سنة ٣٤٥ وفيه اشياء كثيرة لا توجد في غيره من كتب التاريخ . وقد طبع في ليدن سنة ١٨٩٤ في جملة المكتبة الجغرافية في ٥٠٠ صفحة

وترجمة المسعودي في فوات الوفيات ٤٥ ج ٢ والفهرست ١٥٤

٢ — حَمْزة الأَصْفهاني

توفي نحو سنة ٣٥٠ هـ

هو حمزة بن حسن الاصفهاني كان مقيماً في بغداد باوائل القرن الرابع واصله من اصفهان كان يتعصب لغير العرب وعوّل في ما كتبه على المصادر الفارسية واشهر كتبه :

١ كتاب تاريخ سني ملوك الارض والانبياء : رتبهُ في عشرة ابواب ذكر فيها شيئاً من انساب حمير وسائر دول العرب من غسان ولخم وكندة فضلاً عن ملوك الفرس والروم وغيرهم . ويوجّه همه بالاكثر الى تحقيق سنة الولادة والوفاة . طبع في ليبسك مع ترجمة لاتينية سنة ١٨٤٤ وفي مقدمة الكتاب اسماء الكتب الفارسية التي استعان بها في تأليفه ٢ كتاب الامثال : منه نسخة في مكتبة منشن

٣ كتاب الخصائص والموازنة بين العربية والفارسية : منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية في ١٠٠ صفحة مكتوب على ظهرها انها تأليف حمزة الاصفهاني

وترجمته في الفهرست ١٣٩

٣ — ابن النَّديم

توفي نحو سنة ٣٨٥ هـ

هو ابو الفرج محمد بن اسحق بن يعقوب النديم الوراق البغدادي صاحب الفضل الاكبر على تاريخ آداب اللغة لانه اول من دونها منذ نحو الف سنة في « الفهرست » ولولا هذا الكتاب لضاع اخبار كثير من آداب هذا اللسان . فهو اول من الف في آداب اللغة واليك وصف كتابهِ :

كتاب الفهرست : بدأ فيهِ صاحبهُ بوصف لغات الامم من العرب والعجم وخطوطها وصوَّر امثلة منها . ثم ذكر كتب الشرائع المنزلة على مذاهب المسلمين والقرآن وعلومه . ثم انتقل الى العلوم فذكر النحويين واللغويين وتاريخ النحو واصحابه في البصرة والكوفة واسماء كتبهم فاصحاب الاخبار والآداب والسير وكتبهم فالشعر والشعراء فالكلام والمتكلمين فالفقه والفقهاء والحديث والمحدثين . فالفلسفة والعلوم القديمة واصحابها فالاسمار والخرافات والعزائم والسحر والشعوذة . فالمذاهب والاعتقادات واخيراً الكيمياء واصحابها . وفي كل باب تفاصيل في تاريخ كل مؤلف واسماء كتبه

وقد عني بطبع هذا الاثر النفيس المستشرق فلوجل سنة ١٨٧١ في ليدن في مجلد صفحاته ٣٦٠ صفحة كبيرة . غير الفهارس والشروح في اللغة الالمانية وهي نحو ذلك العدد . وبعد طبع الفهرست عثروا على قطعة منه ساقطة من اول المقالة الخامسة (صفحة ١٧٢) تشتمل على تراجم طائفة من علماء الكلام وهم واصل بن عطاء والعلاف والنظام وثمامة والجاحظ وابن ابي دواد وابن الروندي والناشي والجبائي والرماني وهشام بن الحكم وشيطان الطاق وغيرهم . وقد نشرت هذه القطعة في المجلة الالمانية Die Kunde des Morgenlandes سنة ١٨٨٩

والفهرست ذخيرة ادب لا تثمن لانه حوى من أحوال آداب اللغة العربية في القرون الاولى مالم يتعرض له غيره ولا غنى عنه في درس هذا التاريخ

٤ — المرعشي

توفي سنة ٤٢١ هـ

هوابو منصور الحسين بن محمد المرعشي كان في جملة من تقرب من السلطان محمود الغزنوي وقد خلف :

كتاب الغرر في سيرالملوك واخبارهم : في ٤ مجلدات الاول في تاريخ الفرس الى يزدجرد بن بهرام والحروب بين ابنائه . والثاني الى سقوط يزدجرد بن شهريار وتاريخ ملوك اليهود والانبياء وملوك اليمن وامراء الشام والعراق والروم وظهور الاسلام . الثالث والرابع في تواريخ الخلفاء الامويين والعباسيين والدول الصغرى التي تفرعت من الدولة العباسية كالطاهرية والسامانية والحمدانية والبويهية والغزنوية . وقد الفه بامر ابي المظفر نصر اخي السلطان محمود الغزنوي ومنه الجزآن الاول والثاني في مكتبة باريس

٥ — مسكويه

المتوفى سنة ٤٢١هـ

هو ابو علي الخازن احمد بن محمد بن يعقوب الملقب مسكويه كان مجوسياً واسلم . وهو من نوابغ المفكرين العاملين الذين يندر ظهورهم في الامم . وكانت له معرفة تامة بعلوم الاقدمين وقد الف فيها غير كتاب . وصحب ابن العميد وكان يخدمه في مكتبته لكنه كان يشتغل بالفلسفة والكيمياء والمنطق فضلاً عن الادب والفقه والتاريخ وكان له ولع خاص بالكيمياء فانفق ماله في طلب الذهب بالطبخ . ثم ندم على ذلك وتنقلت به حاله الى خدمة بني بويه وعظم شأنه حتى ترفع عن خدمة الصاحب بن عباد ولم ير نفسه دونه . وكان شاعراً مدح ابن العميد وعميد الملك وله رسائل انيقة على اسلوب ذلك العصر . والف كتباً كثيرة في الفلسفة والتاريخ ذكرها صاحب معجم الادباء (صفحة ٩١ ج ٢) لم يبلغنا منها الا ما يأتي :

١ كتاب تجارب الامم : هو تاريخ عام يبدأ بالخليقة وينتهي سنة ٣٦٩هـ ويدخل في ذلك تاريخ الفرس القدماء وما يتعلق به من اخبار الروم والترك . والكتاب كبير يمتاز عما كتبه معاصروه انه لم يجعل همه فيه جمع الحوادث بلا تدبر او نظر . وقد استغرق هذا المؤلف ستة مجلدات كبيرة . وظلت ضائعة لم يوفق الباحثون الى الوقوف على نسخ كاملة منها حتى عني الاستاذ كايتاني المستشرق الايطالي في امرها . فكلف سنة ١٩٠٦ الدكتور هوروفيتس للبحث عنها في مكاتب الاستانة فعثر على نسخة منها في ايا صوفيا وهي النسخة الوحيدة الكاملة فاستنسخها بالفوتوغراف . وتشتمل على ذلك التاريخ في ستة اجزاء عنيت لجنة تذكار جيب الانكليزية في نشرها مطبوعة على الاصل . اي بان يصوَّر الاصل الخطي كما هو ويطبع كما تطبع الصور . وقد صدر الجزء الاول على هذه الصورة في ٦٠٠ صفحة غير الفهارس والمقدمة . وينتهي الكلام فيه الى حوادث سنة ٣٧ هـ وستظهر سائر الاجزاء بالتدريج

وقد الف الوزير ابو شجاع من وزراء الدولة العباسية المتوفى سنة ٤٨٨ ذيلاً لهذا الكتاب منه نسخة في جملة كتب زكي باشا

٢ كتاب آداب العرب والفرس : نظر فيه نظر الفيلسوف الاديب وهو في ستة مجلدات ايضاً تكلم فيها عن الاخلاق والاداب عند العرب والفرس والهند واليونان منه نسخ خطية في ليدن واكسفورد وباريس

٣ كتاب تهذيب الاخلاق : هو كتاب نفيس بسط فيه آراءه في النفس وقواها وماهيتها وافعالها وقسم ذلك وبوبه على اسلوب واضح . وبحث في الخلق وتقويمه ومراتب الناس في قبوله مستنداً في ذلك على كتب الفلاسفة الاقدمين في اسلوب تهذيبي فلسفي ترتاح النفس اليه ويقتنع العقل باكثر مواده . ويتخلل ذلك ابحاث في طبقات المخلوقات نحو بحث اصحاب النشوء والارتقاء اليوم . وقد أجاد في تعليل السعادة وأسبابها وبحث في العدالة واقسامها وفي الاتحاد والمحبة وضروبها ومراتبها . وآداب الصداقة وامراض النفس واسبابها وعلاجها الى غير ذلك مما يدل على صدق النظر وسداد الرأي . وقد طبع الكتاب مراراً في مصر وغيرها

٤ الفوز الاصغر : في الفلسفة وما يتعلق بها . وفي جملة ذلك رأيه في المخلوقات ونسبتها بعضها الى بعض باختلاف طبقاتها من الجماد والنبات والحيوان نحو ما ذهب اليه اهل النشوء . وقد طبع بمصر مراراً ومنه نسخ خطية في مكاتب اوربا

وترجمة مسكويه في معجم الادباء ٨٨ ج ٢ وفي تراجم الحكماء ٢١٧ وطبقات الاطباء ٢٤٥ ج ١

٦ — صاعد الاندلسي

توفي سنة ٤٦٢ هـ

هو ابو القاسم صاعد بن احمد بن صاعد الاندلسي قاضي طليطلة ولد في المرية سنة ٤٢٠ واشتهر بكتابه « طبقات الامم » وهو من الكتب النادرة في العربية التي تتعرض لوصف العلوم عند الامم بعد كتاب الفهرست . وقد كان مرجع مؤرخي القرن الخامس وما بعده في ما نقلوه عن تواريخ الامم بالنظر الى احوال تمدنها وحال العلم فيها وخصوصاً ابن ابي اصيبعة صاحب طبقات الاطباء وابو الفرج الملطي صاحب مختصر الدول والحاج خليفه صاحب كشف الظنون . وكان المظنون انه لا يوجد من هذا الكتاب الا نسختان في مكتبة لندن ونتف في غيرها . وقد عثر الاب شيخو اليسوعي على نسخة عند احد الوراقين في دمشق فطبعها في المشرق سنة ١٤ وعلق عليها . ولعله ينشرها على حدة ايضا

وهو غير صاعد بن هبة الله الطبيب النصراني . وغير صاعد بن الحسن اللغوي البغدادي المتوفى سنة ٤١٧ هـ . وقد يسمى ابن صاعد ولكنه غير ابن صاعد المحدث المتوفى سنة ٣١٨ هـ

اصحاب التواريخ الخاصة

١ — ابو عمر الكندي

توفي نحو سنة ٣٥٥ هـ

هو ابو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي التجيبي . كان يقيم بمصر الى اوائل النصف الثاني من القرن الرابع . وهو غير يعقوب الكندي الفيلسوف المتقدم ذكره صفحة ٢١٢ . وله من المؤلفات :

١ فضائل مصر : الفه لكافور الاخشيدي يشتمل على ما جاء عن مصر في القرآن والحديث مع تاريخها القديم وجغرافيتها وتاريخها الحديث الى زمن كافور الاخشيدي باختصار . منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية منقولة في الاصل عن مكتبة كافور في ٤٤ صفحة

٢ اخبار القضاة المصريين : هو تاريخ اولئك القضاة الى سنة ٣٤٦هـ منه نسخة في المتحف البريطاني وهي الان تحت الطبع بعناية كونيغ في نيويورك

٣ كتاب تسمية ولاة مصر : طبعه كونيغ المذكور وقد صدر الجزء الاول منه سنة ١٩٠٨ مع ملاحظات

٤ تاريخ مصر : هو عظيم الاهمية منه نسخة خطية في المتحف البريطاني . وقد اخذت لجنة تذكار جيب بطبعه في لندن عن تلك النسخة

٢ — ابو عبدالله الخشني

توفي نحو سنة ٣٥٨ هـ

نسبة الى خشينه من قضاعة في قرطبة . له كتاب اخبار الفقهاء والحفاظ الاندلسيين الى سنة ٣٥٨ منه نسخة خطية في اكسفورد

٣ — ابو الحسن الاسكندراني

كتب نحو سنة ٣٦٥ في ايام المعز لدين الله الفاطمي كتاباً كاليومية سماه « ما كفى من اخبار الايام » . منه نسخة خطية في الاسكوريال

٤ — ابن القُوطِيَّة

توفي سنة ٣٦٧ هـ

هو ابو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية الاندلسي الاشبيلي الاصل القرطبي المولد والدار . تثقف في اشبيلية وقرطبة . وكان من اعلم اهل زمانه باللغة والعربية مع حفظ الحديث والفقه والاخبار والنوادر . وكان اروى الناس للاشعار وادركهم للآثار لا يلحق شأوه ولا يشق غباره . وكان مضطلعاً باخبار الاندلس ملياً برواية سير امرائها واحوال فقهائها وشعرائها يملي ذلك عن ظهر قلبه . وكانت كتب اللغة اكثر ما تقرأ عليه وتؤخذ عنه . توفي في قرطبة سنة ٣٦٧ وقد الف كتباً مفيدة في اللغة ويقال انه اول من فتح باب تصاريف الافعال . وجاء بعده ابن القطاع واتبعه . وله كتب اخرى اهمها :

١ تاريخ الاندلس : يشتمل على فتح الاندلس الى سنة ٢٨٠ هـ ومنه نسخة خطية في مكتبة باريس . وقد ترجمه الى الفرنساوية شاربونو وطبع بباريس سنة ١٨٥٦ وعول عليه طلاب تاريخ الاندلس من الافرنج . وطبعوه مع ترجمة فرنساوية في باريس سنة ١٨٨٩ في ٢١٩ صفحة

٢ كتاب الافعال : نشره الاستاذ جويدي في ليدن سنة ١٨٩٤

وترجمته في ابن خلكان ٥١٢ ج ١

٥ — ابن زُولاق

توفي سنة ٣٨٧ هـ

هو ابو محمد الحسن بن ابراهيم بن زولاق الليثي . كان من فضلاء المؤرخين المصريين . له من المؤلفات :

١ كتاب مختصر تاريخ مصر الى سنة ٤٩ للهجرة : منه نسخة في غوطا

٢ تاريخ مصر وفضائلها : منه نسخة في باريس ولها مختصر في غوطا وباريس

٣ اخبار سيبويه المصري : وهو محمد بن موسى بن عبد العزيز الكندي الصيرفي المتوفى سنة ٣٥٨ منه نسخة في المكتبة الخديوية في نحو ١٠٠ صفحة

٤ تتمة كتاب الكندي في اخبار قضاة مصر : الى سنة ٣٨٦ يبتديء بذكر القاضي بكار وينتهي بمحمد بن النعمان . لم نقف عليه

وترجمته في ابن خلكان ١٣٤ ج ١ ومعجم الادباء ٧ ج ٣

٦ — ابن الفرضي

توفي سنة ٤٠٣ هـ

هو ابو الوليد عبد الله من محمد الازدي الفرضي . ولد في قرطبة سنة ٣٥١ ورحل في طلب العلم الى القيروان ومصر وتعين قاضياً لبلنسية وانتقل الى قرطبة حتى سطا عليها البربر سنة ٤٠٣ فمات في تلك السنة . ومن آثاره الباقية « كتاب تاريخ علماء الاندلس » في عدة مجلدات نشر كوديرا الجزئين ٧ و ٨ منها في مدريد سنة ١٨٩٢

٧ — عزُّ الملك المُسَبِّحي

توفي سنة ٤٢٠ هـ

هو الامير المختار عز الملك محمد بن عبيد الله المعروف بالمسبّحي الكاتب الحراني ولد في مصر ونشأ على زي الاجناد وخدم الحاكم بامر الله الفاطمي وتقلد الاعمال والولايات وترتيب الديوان وله مع الحاكم بامر الله مجالس ومحاضرات . وقد الف كتباً كثيراً في مواضيع مختلفة اكثرها في التاريخ والادب والنجامة وعلم النجوم وغير ذلك . لم يصلنا منها الا القليل . وهاك ما وصلنا خبره منها :

كتاب اخبار مصر : ذكر فيه من نزل مصر من الولاة والامراء والائمة والخلفاء وما فيها من العجائب والابنية واختلاف اصناف الاطعمة . وذكر نيلها واحوال اهلها الى الوقت الذي كتب فيه ذلك الكتاب . ويتخلل ذلك اشعار الشعراء واخبار المغنين ومجالس القضاة والحكام والمعدلين والادباء والمتغزلين وغيرهم . وهو ثلاثة عشر الف ورقة او ٢٦٠٠٠ صفحة . فهو اطول كتاب في تاريخ مصر ينتهي بحوادث سنة ٤١٤ هـ يوجد بعضه في مكتبة الاسكوريال

وقد الف له محمد بن ميسر ذيلاً ينتهي الى حوادث سنة ٥٥٣ منه نسخة في باريس

وترجمة المسبحي في ابن خلكان ٥١٥ ج ١

٨ — ابو اسحق الثعلبي

توفي سنة ٤٢٧ هـ

هو ابو اسحق احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي النيسابوري من علماء التفسير وقد الف فيه . وله في التاريخ « كتاب عرائس المجالس » في قصص الانبياء طبع بمصر مراراً

٩ – ابو النصر العتبي

توفي سنة ٤٢٧ هـ

هو ابو النصر محمد بن عبد الجبار العتبي . اصله من الري وجاء خراسان الى خال له كان من الوجهاء هناك فنشأ عنده . وكان بليغ الانشاء فتولى الكتابة للامير ابي علي ثم لابي منصور سبكتكين مع ابي الفتح البستي . ثم صار نائباً في خراسان لشمس المعالي واستوطن نيسابور واقبل على خدمة الاداب والعلوم . واشتهر على الخصوص بكتابه الفه في تاريخ يمين الدولة السلطان محمود الغزنوي سماه « اليميني » نسبة اليه

اليميني : هو الكتاب الذي اشتهر ابو النصر العتبي بتأليفه . بسط فيه ترجمة حياة السلطان محمود وترجمة ابيه سبكتكين وسبب طمعه في الملك وما جرى من الحروب مع الخوارزمية حتى تولى . ثم تاريخ يمين الدولة الى آخر ايامه . ويدخل في ذلك لطائف كثيرة وحقائق هامة . وقد كتبه مسجعاً على اسلوب الترسل في ذلك العصر كما فعل الثعالبي بيتيمة الدهر لكنه ابلغ منه . ولا يدانيه بالبلاغة الا ابراهيم الصابي المتقدم ذكره . وكان يجب عدُّه من المنشئين لولا اهمية كتابه هذا في التاريخ

وقد اعتنى بضبط الفاظه وشرح مشكلاته جماعة منهم الشيخ مجدالدين الكرماني وقاسم بن حسين الخوارزمي وتاج الدين بن محفوظ وحميد الدين النجاتي وغيرهم . ومنه نسخ خطية في مكاتب برلين ومنشن وفينا وليدن والمتحف البريطاني وباريس وبطرسبرج وبني جامع

وفي المكتبة الخديوية نسخة من كتاب اليميني بخط فارسي جميل جدًّا مذهبة الحواشي تدخل في ٣٧٢ صفحة . على حواشيها شروح بخطوط فارسية جميلة . وقد طبع على الحجر في دلهي سنة ١٨٤٧ وفي لاهور سنة ١٨٨٣

ومن شروحه كتاب الفتح الوهبي على تاريخ ابي النصر العتبي للعتبي الدمشقي منه نسخة في فينا وبطرسبرج . وطبعته جمعية المعارف سنة ١٢٨٦ بمصر في مجلدين كبيرين مصدراً بترجمة العتبي . وبساتين الفضلاء للنجاتي في بني جامع . وقد ترجمه الى الفارسية الجربادكاني . ومن هذه الترجمة نسخ في فينا والمتحف البريطاني وبرلين . وقد ترجمه من النسخة الفارسية الى الانكليزية رينولد وطبع في لندن سنة ١٨٥٨

وترجمة العتبي في يتيمة الدهر ٢٨١ ج ٤ وفي مقدمة الفتح الوهبي

١٠ – هلال الصابي

توفي سنة ٤٤٨ هـ

هو ابو الحسن هلال بن المحسّن بن ابراهيم بن هلال حفيد ابراهيم الصابي المنشيء صاحب الرسائل الذي تقدم ذكره . ولد سنة ٣٥٩ وكان ابوه صابئياً اما هو فاسلم متأخراً وتولى الكتابة لفخر الملك بن غالب محمد بن خلف . وله تصانيف كثيرة في التاريخ والرسائل والسياسة لم يبق منها الاَّ :

تاريخ الوزراء : وهو كتاب جليل القدر لانه مسهبٌ في وصف المدة التي تكلم عنها قاصرٌ على ما حدث من اخبار العباسيين من سنة ٣٦٠ الى ٤٤٧ هـ . والطبري قد وفى التاريخ حقه من البسط الى سنة ٣١٠ والف غيره للمدة التي بعده لكن اكثرها ضاع . حتى تاريخ الوزراء هذا كادت تذهب به يد الزمان لو لم يتدارك ذلك المستشرق امدروز الانكليزي فطبعه سنة ١٩٠٤ في بيروت عن نسخة خطية كانت في مكتبة غوطا مع شروح وملاحظات . وليست هي كل تاريخ الوزراء بل قطعة فيها نقص من اماكن كثيرة تنتهي بسنة ٣٩٣ في نحو ٥٠٠ صفحة كبيرة فيها فوائد يندر العثور عليها في الكتب الاخرى عن احوال الدولة السياسية والمالية والحالة الاجتماعية وادارة الحكومة . ودخائل قصور الخلفاء وثروتهم وعاداتهم وملاهيهم الى غير ذلك مما يفهم من تضاعيف الكلام . ويسمى هذا الكتاب ايضاً كتاب الاعيان والاماثل

وترجمته في ابن خلكان ٢٠٢ ج ٢ ويتيمة الدهر ١٨٧ ج ١ وفي مقدمة طبعة تاريخ الوزراء

١١ – القُضاعي

توفي سنة ٤٥٤ هـ

هو ابوعبدالله محمد بن سلامة بن جعفر القاضي الشافعي . تولى القضاء بمصر وقد نابه المصريون عنهم في رسالة الى بلاد الروم . وله عدة تصانيف اهمها كتاب خطط مصر واسمه المختار في ذكر الخطط والاخبار اخذ عنه المقريزي في خططه وبه عددناه من اصحاب التواريخ الخاصة : لكنهُ ضاع وهاك ما وصل الينا من مؤلفاته الاخرى :

١ كتاب الشهاب في المواعظ والآداب : جمع فيه ١٢٠٠ حديث في الحكم

والوصايا والآداب بدون الاسانيد في نحو مئة صفحة . وهو مختصر مفيد . منه نسخ في برلين وباريس وليدن وفي المكتبة الخديوية

٢ الانباء بانباء الانبياء وتواريخ الخلفاء : وفيه تاريخ العالم من الخليقة الى سنة ٤١٧ منه نسخة في برلين واكسفورد

٣ كتاب عيون المعارف وفنون اخبار الخلائف : يشتمل على تاريخ البطاركة والانبياء وبني امية والعباسيين والفاطميين . وله ذيل الى سنة ٩٢٦هـ وكلاهما في باريس

٤ نزهة الالباب جامع التواريخ : هوذيل للتاريخ . في المتحف البريطاني

٥ مسند الشهاب : وهو يتضمن اسانيد الشهاب المتقدم ذكره ويسمى ايضاً اسناد الشهاب موجود في المكتبة الخديوية في نيف و ٥٠٠ صفحة

وترجمة القضاعي في ابن خلكان ٤٦٢ ج ١ وحسن المحاضرة ٢٢٧ ج ١

١٢ — ابو بكر الخطيب البغدادي

المتوفى سنة ٤٦٣ هـ

هو الحافظ ابو بكر احمد بن علي بن ثابت البغدادي المعروف بالخطيب خاتمة مؤرخي هذا العصر . وكان من الائمة المشهورين والحفاظ المبرزين ختم به ديوان المحدثين . سمع في بغداد شيوخ وقته ورحل الى البصرة والدينور والكوفة ونيسابور وجاء صور فاقام بها مدة وكان يتردد الى بيت المقدس . وخرج من صور سنة ٤٦٢ هـ الى طرابلس وحلب وعاد الى بغداد اقام بها سنة وتوفي فيها سنة ٤٦٣ وله مؤلفات تزيد على ٥٥ كتاباً في التاريخ والحديث والادب والنحو والفقه واللغة وغيرها اكثرها ضاع وهاك ما بلغنا خبره منها :

١ تاريخ بغداد : ويشتمل على تراجم علمائها على الخصوص في ١٤ مجلداً وبه اشتهر . لكنه تبعثر فلا نعرف له نسخة كاملة في مكان . والموجود منه على ما نعلم اجزاء متفرقة في برلين والمتحف البريطاني وباريس وكوبرلي والجزائر والمكتبة الخديوية . وقد نشر المستشرق سلمون مقدمة هذا التاريخ بباريس سنة ١٩٠٤ كتاباً على حدة في ثلاثماية صفحة تحتوي على اصل بغداد واسمها وتاريخ بنائها واقسامها ودورها وقصورها ومدائنها كما كانت في ايامه وغير ذلك من الفوائد . وذيلها الناشر بحواش وفهارس فجاءت كالكتاب المستقل بوصف عمارة بغداد وخططها .

والكتاب على اجماله مرويٌّ بالاسناد على طريقة المحدّثين

٢ الكفاية : في معرفة اصول علم الرواية يبحث في شروط الرواية واحكام قبولها منه نسخ في برلين وليدن . وفي المكتبة الخديوية نسخة في ٣٤٠ صفحة بخط قديم

٣ تقييد العلم : ٤ شرف اصحاب الحديث : ٥ المؤتنف تكملة المؤتلف والمختلف : وكلها في برلين

٦ تلخيص المتشابه في الرسم وحماية ما اشكل منه عن نوادر التصحيف والوهم : هو كتاب كبير الحجم في ما اشكل من اسماء الرواة . مما يتفق في الهجاء ويختلف في الحركات وما يشتبه في الخط ويختلف في هجاء بعض حروفه . أو بتقديم بعض الحروف على بعض او غير ذلك . وفي ما يتفق من اسماء المحدثين وانسابهم . فهو جزيل الفائدة من حيث تحقيق اسماء الرواة وانسابهم واخبارهم . منه نسخة في المكتبة الخديوية في ٧٠٠ صفحة وفي آخرها نقص

٧ كتاب البخلاء : في المتحف البريطاني

وترجمة الخطيب في ابن خلكان ٢٧ ج ١ ومعجم الادباء ٢٤٦ ج ١

الجغرافية والجغرافيون

في العصر العباسي الثالث

ما زال الجغرافيون في هذا العصر يبنون كتبهم في الجغرافية على الرحلات ولم ينضج علم الجغرافيا فيه نضجاً تامًّا . ومع ذلك فانه ابان فضل العرب في اكتشاف اماكن دخلوها وبلاد ومسالك لم يسبقهم احد الى وصفها على اثر الفتوح او الاسفار التجارية في اواسط اسيا وافريقيا وفي البحر الهندي وبحر فارس وغيرها . فاكتشفوا كثيراً من جزائر المحيط وجزائر الاتلانتيك وعرفوا اصقاع الارض اكثر من سائر الامم التي تقدمتهم . وتقسم الجغرافية في هذا العصر كما يقسم التاريخ الى الجغرافية العامة والجغرافية الخاصة . وقبل التقدم الى ذكر اخبار الجغرافيين من العرب نذكر اشتغالهم برسم الخرائط

الخرائط عند العرب

رسم الخرائط من الفنون القديمة . وجدوا امثلة منها في انقاض بابل واشور ومصر . وهذا مثال من خريطة مصرية من زمن الفراعنة

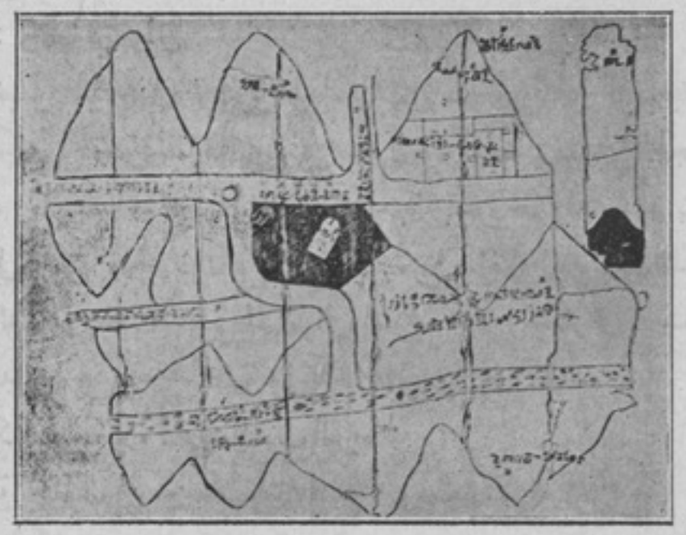

ش ١٨: خريطة مصرية قديمة من زمن رعمسيس الثاني

اما العرب فبداوا برسم الخرائط في صدر الدولة العباسية بعد ترجمة كتب الفلك والجغرافية . وكانوا يجعلون اساس رسومهم قياس العرض والطول . واول من رسم منهم خريطة الارض على هذا الاساس محمد بن موسى المعروف بالخوارزمي في زمن المأمون . فانه عين مواقع المدن والبحور بالدرجات الجغرافية المبنية على علم الفلك كما فعل بطليموس القلوذي . فلما اخذوا في الرحلة اغضوا عن تلك المقاييس وصاروا يرسمون الخرائط بلا قياس كما فعل ابو زيد البلخي في اوائل القرن الرابع للهجرة وابن حوقل والاصطخري والمقدسي في اواسطه . فانهم كانوا يرون مشقة في تعيين الاماكن بالاقيسة فاكتفوا بتعيين مواقع البلاد بالنظر الى الجهات الاربع (الشرق والغرب والشمال والجنوب) بلا تقدير الابعاد بينها . ولم تكن عندهم قاعدة لتعيين الجهات المذكورة في الخارطة كما يفعلون اليوم فان الخرائط عندنا مقيدة في تعيين جهاتها ان يكون دائماً اعلاها شمالاً واسفلها جنوباً ويمينها شرقاً وشمالها غرباً . اما هم فالغالب عندهم ان يجعلوا الجهات في زوايا الخارطة . فالزاوية بين الاعلى واليمين مثلاً قد تكون

شمالاً والزاوية المقابلة لها من الاعلى غرباً كما ترى في خريطة بين النهرين المنقولة عن الاصطخري (ش ١٩) . اوأن تكون الزاوية بين الاعلى واليمين غرباً وتكون المقابلة لها في الاعلى جنوباً كما في خريطة الشام المنقولة عنه (انظر ش ٢٠) او غير ذلك

على ان العرب اخذوا بعد ذلك العصر في تعيين الابعاد بين الاماكن واقدم من عينها منهم الشريف الادريسي في الخريطة التي رسمها للملك روجر الثاني صاحب صقلية وسيأتي ذكره — وهاك تراجم اصحاب الجغرافية العامة :

اصحاب الجغرافية العامة

١ — ابو زيد البلخي

قد تقدم ذكره بين المؤرخين صفحة ١٩٩ وله في الجغرافية كتاب :

صور الاقاليم : وهو اقدم كتاب جغرافي عربي موضح بالخرائط . أو هو خرائط موضحة ببعض الشروح . لان المؤلف اراد تصوير الاقاليم فالف هذا الكتاب وسماه « صور الاقاليم الاسلامية » فرسم الارض واشكالها والاقاليم الاسلامية بالخرائط الملونة على ما بلغ اليه جهد العرب في ذلك العصر . منه نسخة خطية كاملة بخرائطها الملونة في مكتبة برلين . وهي كثيرة الشبه باقاليم الاصطخري الآتي ذكره لان هذا نقل عنه لكنه توسع في شرح احوال البلاد . فنكتفي بشرح جغرافية الاصطخري

٢ — الاصطخري

في اواسط القرن الرابع للهجرة

هو ابو اسحق الفارسي من اهل اصطخر ويعرف ايضاً بالكرخي له كتابان:

١ كتاب الاقاليم : يشتمل على حدود الممالك وصور اقاليم الارض ومدنها وبحارها وانهارها والمسافات بينها مفصلاً . فيبدأ ببلاد العرب فبحر فارس وديار المغرب والاندلس ومسافاتها ومصر واقسامها وبلادها وارض الشام وبيت المقدس والمسافات بينها . وصفة بحر الروم وارض الجزيرة والعراق ومسافاتها وانهارها وخوزستان وبلاد فارس ومسافاتها وبلاد كرمان والسند وارمينية واذربيجان والجبال وطبرستان والديلم وبحر الخزر وخراسان وسجستان وافغانستان وما وراء النهر ومسافاتها . وقد وضح ذلك كله بالخرائط ويسميها « الصور » وجملتها ١٩ صورة كبيرة . وقد طبع هذا

الكتاب على الحجر في غوطا سنة ١٨٣٩ بعناية الدكتور مولر الالماني ومعه الخرائط المشار اليها ملونة مثل الاصل تماماً . وفي ش ١٩ صورة تمثل العراق وش ٢٠ يمثل الشام

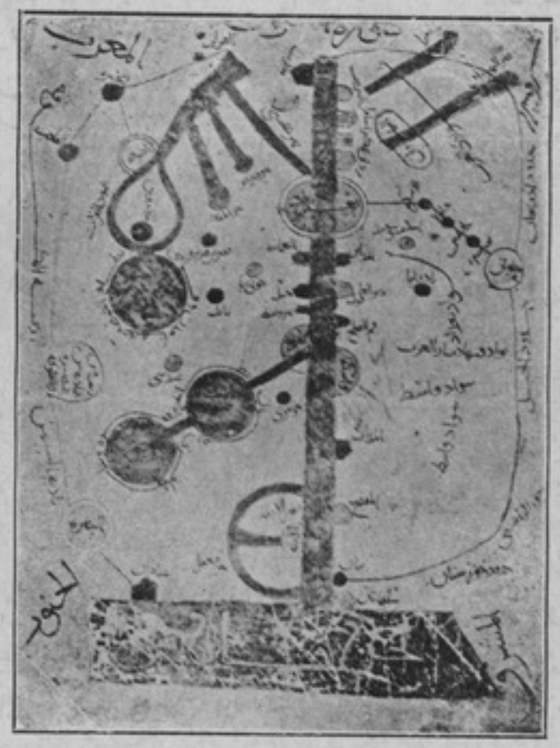

ش ١٩ : خريطة العراق عن كتاب الاقاليم للاصطخري

٢ كتاب مسالك الممالك : هو كثير الشبه بكتاب الاقاليم لكنه خال من الخرائط وفي صدره مقدمة في تأليف الكتاب وتقسيمه في بضع صفحات . ويكاد يكون باقيه نفس كتاب الاقاليم . طبع في ليدن سنة ١٨٧٠ في جملة المكتبة الجغرافية بعناية دي غويه . وقد قال المؤلف في صدره انه عوّل فيه على كتاب صور الاقاليم لابي زيد البلخي

٣ — ابن حَوْقَل

في اواسط القرن الرابع

هو ابو القاسم محمد بن حوقل البغدادي له « كتاب المسالك والممالك » وهو مثل مسالك الممالك للاصطخري مع زيادات قليلة وقد طبع ايضاً في جملة المكتبة الجغرافية وترجم الى الانكليزية وطبع في لندن سنة ١٨٠٠ وترجم بعضه المختص بافريقيا وطبع بباريس سنة ١٨٤٢ وقسم آخر يختص بصقلية طبع في باريس سنة ١٨٤٥

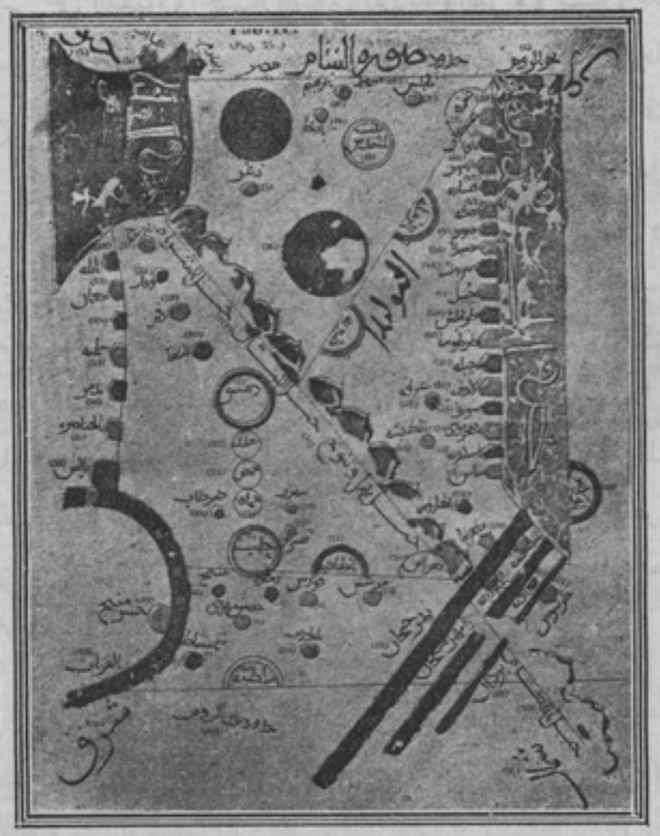

ش ٢٠ : خريطة بلاد الشام عن كتاب الاقاليم للاصطخري

٤ — المَقْدِسي

توفي بعد سنة ٣٧٥ هـ

هو ابو عبدالله محمد بن البشاري المعروف بالمقدسي . ولد في بيت المقدس وساح في اكثر بلاد الاسلام شرقاً وغرباً الى السند والهند والاندلس . وقد عوّل في كثير مما كتبه على اختباره الشخصي مما شاهده بعينه . وذكر عادات الاقوام الذين وصفهم واخلاقهم واحوال بلادهم كما شاهدها . واستفاد أيضاً من سابقيه فالف سنة ٣٧٥ هـ كتاباً سماه :

احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم : وهو افضل الجغرافيات العامة في ذلك العصر . صدره بمقدمة في تاريخ علم الجغرافية عند العرب الى ايامه بانتقاد . ثم ذكر مزية كتابه وما قاساه في سبيل تأليفه وجمع حقائقه فقال : « وما تم لي جمعه الاّ بعد

جولاني في البلدان ودخولي اقاليم الاسلام ولقائي العلماء وخدمتي الملوك ومجالستي القضاة ودرسي على الفقهاء واختلافي الى الادباء والقراء وكتبة الحديث ومخالطة الزهاد والمتصوفين وحضور مجالس القصاص والمذكرين . مع لزوم التجارة في كل بلد والمعاشرة مع كل احد والتفطن في هذه الاسباب بفهم قوي حتى عرفتها . ومساحة الاقاليم بالفراسخ حتى اتقنتها ودوراني على التخوم حتى حررتها وتنقلي الى الاجناد حتى عرفتها وتفتيشي عن المذاهب حتى علمتها وتفطني في الالسن والالوان حتى رتبتها وتدبري في الكور حتى فصلتها وبحثي عن الاخرجة حتى احصيتها » الخ

وقد اوضح كتابه بالخرائط الملونة بدليل قوله بعد ذكر تقسيم الكتاب الى اقاليم « ورسمنا حدودها وخططها وحررنا طرقها المعروفة بالحمرة وجعلنا رمالها الذهبية بالصفرة وبحارها الملحة بالخضرة وانهارها المعروفة بالزرقة وجبالها المشهورة بالغبرة ليقرب الوصف الى الافهام ويقف عليه الخاص والعام » لكن هذه الخرائط لا توجد في الطبعة التي بين ايدينا . وقد طبع مرتين في جملة المكتبة الجغرافية بعناية دي غويه الاولى سنة ١٨٧٧ والثانية ١٩٠٦ مع شروح وملاحظات

٥ — هيئة اشكال الارض

ومن كتب الجغرافية العامة في ذلك العصر كتاب اسمه « هيئة اشكال الارض ومقدارها في الطول والعرض » منه نسخة في مكتبة طوب قبوسراي في الاستانة لم يذكر فيه مؤلفه لكن في المقدمة ذكر سيف الدولة بن حمدان كانه كتب له . وفيه عشرات من الخرائط الملونة . ومنه نسخة في جملة كتب زكي باشا منقولة عن تلك بالفوتوغراف

الجغرافية الخاصة

لم يظهر من الجغرفيات الخاصة في هذا العصر ما يستحق الذكر الا :

جغرافية بغداد لابن سرابيون

وهي جغرافية ما بين النهرين وصف بها تلك البلاد ومسافاتها وطرقها في اوائل ايام البويهيين ولا نعرف شيئاً عن مؤلفها . اما الكتاب فقد نقله الى الانكليزية المستشرق سترانج الانكليزي ونشره سنة ١٨٩٥ مع خرائط استخرجها من وصف المؤلف لجغرافية بغداد وضواحيها واضاف اليها تعاليق وشروح جزيلة الفائدة

وفي مجلة المقتطف مقالة عن جغرافي العرب لسليم شحادة من صفحة ٥٩٣ سنة ٧

العلوم الاسلامية

في العصر العباسي الثالث

تفرعت العلوم الاسلامية في اوائل الاسلام الى القراءة والتفسير والحديث . ثم ظهر الفقه واخذت هذه العلوم تنمو بنمو التمدن . وقد علمت مما تقدم ان الفقه نضج ورسخت قواعده في العصر العباسي الاول والحديث في العصر الثاني . ونشأت في اثناء ذلك فروع اخرى من علوم القرآن او العلوم الاسلامية الدينية على اثر انتشار الفلسفة وغيرها من علوم الاقدمين والعلوم الدخيلة ونشأت فروع اخرى في الاعصر الاتية سيرد بيانها

ومن يتدبر اشتغال المسلمين في العلوم الاسلامية يعجب لما استخدموه فيها من اعمال الفكرة ولا سيما الفقه فانه من ثمار عقولهم واجتهادهم لا دخل فيه لامة اخرى اذ لاعلاقة له بالعلوم القديمة . ومن ينظر في قضاياه واحكامه يعلم ما اقتضاه ذلك من دقة النظر وقوة العقل مما لم يسبق له مثيل . اما الفلسفة أو المنطق مما نقلوه عن اليونان فقد ساعد في انشاء بعض فروعه والتوسع في البعض الاخر كعلم الكلام فقد كان للفلسفة والمنطق تأثير كبير في نموه وقد تقدم خبره في العصر الثاني صفحة ٢٠٧

علم الكلام

ونبغ في هذا العصر غير واحد من علماء الكلام لبعضهم مؤلفات في مواضيع أخرى جاء ذكرهم في ابوابها كالشريف المرتضى بين الادباء . والبعض الاخر لم يخلفوا ما يستحق الذكر . وانما نذكر منهم في هذا الباب اشهر انصار الاشعري وهو :

ابو بكر الباقلاني

هو القاضي ابو بكر محمد بن الطيب بن محمد الباقلاني المتوفى سنة ٤٠٣ هـ صاحب « اعجاز القرآن » وهو مشهور بين طلاب الادب والبلاغة . ومدار البحث فيه على اثبات اعجاز القرآن وانه معجزة نبوة النبي . وفيه فصول في نفي الشعر من القرآن وكيفية الوقوف على عجز القرآن . وطائفة حسنة من خطب النبي وكتبه ومن كلام الراشدين وغيرهم من بلغاء الصحابة والتابعين وغير ذلك . وقد طبع في مصر سنة ١٣١٥ وغيرها . وترجمة الباقلاني في ابن خلكان ٤٨١ ج ١

التصوف

هو من العلوم التي نشأت ونضجت في هذا العصر وخلاصة تاريخه « انه من العلوم الشرعية الحادثة واصله العكوف على العبادة والانقطاع الى الله تعالى والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيها من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة »

وقد اختلف علماء الاسلام في اصل كلمة التصوُّف او الصوفية فقال جماعة باشتقاقها من الصفاء او الصفة وقال آخرون غير ذلك . ويرى ابن خلدون ان اشتقاقها من الصوف اقرب الى الصواب لاختصاص اصحابه بلبس الصوف . وعندنا انها مشتقة من لفظة يونانية الاصل هي Σοφια (صوفيا) ومعناها الحكمة ويتركب منها ومن Φιλος (فيلوس) محب Φιλοσοφια (فيلوصوفيا) اي محب الحكمة وهي بالعربية « الفلسفة » . فيكون الصوفية قد لقبوا به نسبة الى الحكمة لانهم كانوا يبحثون في ما يقولونه او يكتبونه بحثاً فلسفيًا . ويؤيد ذلك انهم لم يظهروا بعلمهم هذا ولا عرفوا بهذه الصفة الا بعد ترجمة كتب اليونان الى العربية ودخول لفظ الفلسفة فيها

ومدار طريقتهم كلها « محاسبة النفس على الافعال والتروك واداب خاصة بهم واصطلاحات في الفاظ تدور بينهم يدلون بها على ما يريدونه من اساليب المجاهدة ومحاسبة النفس عليها والكلام في الاذواق والمواجد العارضة في طريقها وكيفية الترقي من ذوق الى ذوق وشرح الاصطلاحات التي تدور بينهم » فلما دونت العلوم في الاسلام كتب الصوفية في طريقتهم على ذلك المنهج فمنهم من كتب في الورع ومحاسبة النفس على الاقتداء في الاخذ والترك ومنهم ابو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري المتوفى سنة ٤٦٥ هـ وكان عالماً في الفقه والتفسير والحديث والاصول والادب والشعر والكتابة فضلاً عن التصوف وقد الف فيه كتابه المعروف بالرسالة القشيرية وهي مطبوعة بمصر سنة ١٢٨٤ هـ وسنة ١٣٠٤ وبهامشها تقريرات من شرح شيخ الاسلام زكريا الانصاري عليها . وابو حفص عمر بن محمد الملقب شهاب الدين السهروردي المتوفى سنة ٦٣٢ هـ ببغداد الف في ذلك كتاب عوارف المعارف . وقد جمع حجة الاسلام الغزالي بين الامرين في كتاب الاحياء فدون فيه احكام الورع والاقتداء ثم بين آداب القوم وسننهم وشرح اصطلاحاتهم في عباراتهم . وسنأتي على ترجمة حاله ومؤلفاته . وصار علم التصوف علماً مدوناً بعد ان كانت الطريقة عبادة فقط

الفقه

لم يزد الفقهاء بعد رسوخ قواعد الفقه على ايدي الأئمة الاربعة شيئاً غير التلخيص والشرح او التعليق . وقد ظهر في اثناء هذا العصر جماعة من كبار الفقهاء ولكن اكثرهم اشتغلوا بعلوم اخرى . فدخلت ترجماتهم في ابواب تلك العلوم . ولو اردنا ترجمة كل من ظهر من الفقهاء في هذا العصر لخرجنا عن الاختصار الذي اردناه في هذا الباب . وانما نترجم الفقهاء الذين خلفوا كتباً تدخل في بعض الابواب الاخري من اداب اللغة جرياً على الغرض المراد من هذا الكتاب . واشهرهم في هذا العصر :

ابو الحسن المَاوَرْدي

توفى سنة ٤٥٠ هـ

هو ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي الفقيه الشافعي تعلم في البصرة وبغداد وتقدم في مناصب القضاء . وكان مفكراً حسن التأليف كما يظهر من كتبه التي وصلت الينا وهاك اهمها :

١ كتاب الاحكام السلطانية : يبحث في الامامة وشروطها والخلافة واحكامها والوزارة واقسامها وشروطها وامارة الجهاد واقسامها والقضاء والشروط التي يصح التقليد بها والنقابة حسب الانساب . وفصول في الولاية على الحج وولاية الصدقات واحكام الفيء والغنيمة واقسامها والجزية والخراج حسب الارضين واحكام الاقطاع وترتيب الدواوين وانواعها . وما اختص ببيت المال واحكام الحسبة وغير ذلك من القواعد الشرعية مما يتعب الباحث عنه في غير هذا الكتاب . وهو مطبوع في مصر سنة ١٢٩٨ وغيرها

٢ ادب الدنيا والدين : يبحث في الاخلاق والاداب ويشتمل على فصول في فضل العقل وذم الهوى والحث على العلم واخلاق العلماء والآداب الدينية والدنيوية ويدخل تحتها ما يصلح به حال الانسان من المؤاخاة بالمودة وادب النفس وما يتعلق به كحسن الخلق والحياء والحلم والصدق واضدادها وآداب المواضعة . وفيه ابحاث في الكلام والصمت والصبر والجزع والمشورة وكتمان السر والمزاح والضحك . طبع في الاستانة سنة ١٢٩٩ وفي مصر مراراً . وهو من كتب الادب المعول عليها في كثير من المدارس

٣ نصيحة الملوك : في باريس

٤ تسهيل النظر وتعجيل الظفر : في السياسة والحكومة . في غوطا

٥ كتاب الحاوي الكبير في الفروع : هو مطول في الفقه الشافعي يدخل في٢٣ مجلداً منها نسخة في المكتبة الخديوية تنقص الجزء الثامن . وربما زادت صفحات الكتاب كله على ٧٠٠٠ صفحة كبيرة

٦ اعلام النبوة : يبحث في اثبات النبوات وشروطها وما تضمنه القرآن من الاعجاز وما في اقوال النبي من ذلك . منه نسخ في برلين والمكتبة الخديوية في ٣٠٠ صفحة

٧ كتاب الامثال والحكم : يشتمل على ٣٠٠ حكمة و ٣٠٠ حديث و ٣٠٠ شعر . موجود في ليدن

٨ معرفة الفضائل : في الاسكوريال

وترجمة الماوردي في ابن خلكان ٣٢٦ ج ١

الفرائض

وتفرع من الفقه علم الفرائض وهو معرفة حقوق الورثة واشكالها ومختلفاتها وضروب مواقعها وما يحتاج اليه ذلك من الحساب . فافرد له العلماء باباً مخصوصاً وكتب فيه الفقهاء منهم كابي حنيفة وغيره . ولكن بعضهم انقطع له بنوع خاص ومن هؤلاء في اوائل الدولة العباسية ابن شبرمة وابن ابي ليلى ويحيى بن اكثم ثم ابو المعالي ثم الف فيه كثيرون يضيق المقام عن ذكرهم

التفسير والحديث

اما التفسير فما زال للعقل مجالٌ فيه فظهر جماعة كبيرة من المفسرين بعد الطبري المتقدم ذكره في العصر الماضي . ومنهم في هذا العصر النقاش الموصلي المتوفى سنة ٣٥١ صاحب كتاب « شفاء الصدور » ومنه قطعة في المكتبة الخديوية . والحوفي المصري المتوفى سنة ٤٣٠ هـ صاحب كتاب « البرهان في تفسير القرآن » منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية . وابن ابي طالب القيسي المتوفى سنة ٤٣٧ في قرطبة له مؤلفات كثيرة ضاعت وغيرهم .

واما الحديث فاستقرت قواعده في الكتب الستة المتقدم ذكرها لكن العلماء ظلوا يشتغلون فيه بين اخذ ورد . واشهر من نبغ من المؤلفين فيه بهذا العصر الطهماني الحاكم النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٥ وابو الفتح سليم بن ايوب الرازي المتوفى سنة ٤٤٧ والاجري المتوفى سنة ٣٦٠ والبيهقي المتوفى سنة ٤٥٨ وغيرهم . ولم يصلنا من آثارهم ما يستحق الذكر

العلوم الدخيلة

في العصر العباسي الثالث

علمت من كلامنا عن هذه العلوم في العصر العباسي الأول انها تتألف من فروع كثيرة ترجع الى اربعة الطب والفلسفة والنجوم والرياضيات . وكان المشتغلون في نقلها اكثرهم من غير المسلمين ثم اشتغل بها المسلمون في العصر العباسي الثاني وذكرنا من نبغ فيها . وزاد اشتغالهم بها في هذا العصر ونبغ فيها علماء لا يشقُّ لهم غبار فنذكر اصحاب كل فرع على حدة وان كان اكثرهم اشتغلوا بعلمين فأكثر من تلك العلوم . فنضع كلاً منهم في العلم الذي غلب عليه

الطب

يدخل في الطب فروعه الطبيعية كالكيمياء والصيدلة والنبات لكننا سنفرد لها فصلاً خاصًّا . اما الطب فقد اشتغل المسلمون فيه وخدموه وتكاثر الاطباء على الخصوص في هذا العصر وامامهم ابن سينا . ويستدل من بعض القرائن انهم كانوا كثيرين . فقد احصوا اطباء بغداد وحدها في زمن المقتدر بالله في أول القرن الرابع للهجرة فبلغ عددهم ٨٦٠ طبيباً امتحنوا لنيل الاذن في التطبيب سوى من استغنى عن الامتحان لشهرته وسوى من كان في خدمة الخليفة . فلا يمكن ان يكون مجموع ذلك كله اقل من الف طبيب متعاصرين في مدينة واحدة . وبلغ عدد أطباء النصارى فقط في خدمة المتوكل بأواسط القرن الثالث للهجرة ٥٦ طبيباً . وكان سيف الدولة اذا جلس على المائدة حضر معه ٢٤ طبيباً . ومنهم من يأخذ رزقين لتعاطيه علمين . ومن يأخذ ثلاثة ارزاق لتعاطيه ثلاثة علوم

وكان للاطباء عندهم نظام وعليهم رئيس يمتحنهم ويجيز من يرى فيه الكفاءة للتطبيب . واشهر هؤلاء الرؤساء سنان بن ثابت في بغداد ومهذب الدين الدخوار في مصر . وفعلوا نحو ذلك في الصيادلة وكانوا كثاراً . وتفشى الغش في الادوية حتى اضطر اولي الامر الى امتحانهم واعطاء الاجازات او المنشورات الى الذين يحسنون الصناعة ونفي الآخرين . واول من فعل ذلك الافشين في بغداد ووكل زكريا بن الطيفوري به في حديث يطول ذكره . وكان من الاطباء او الصيادلة من هو خاصٌ بالجند يرافقه في اسفاره ومنهم من هو خاص بالخلفاء والامراء ولهؤلاء رواتب خاصة ويعرفون بالمرتزقين . ومنهم من يطببون العامة وهم غير مرتزقين واشهر اطباء هذا العصر ابن سينا

ابن سينا

توفي سنة ٤٢٨ هـ

هو الشيخ الفيلسوف الطبيب ارسطو الاسلام وابقراطه . واسمه ابو علي الحسين ابن عبدالله ويلقب بالشيخ الرئيس ويسميه الافرنج (Avicenna) كان ابوه من بلخ في شمالي افغانستان وسكن مملكة بخارا في زمن نوح بن منصور من الدولة السامانية وتولى التصرف بقرية من قراها اسمها خرميثن . وفيها ولد له ابنه الحسين سنة ٣٧٠ هـ وكان من صغره نادرة عصره في الذكاء والفطنة ثم انتقل والده به الى مدينة بخارا وهي يومئذ حافلة بالعلماء . وحفظ القرآن واخذ يقرأ الفقه قبل ان يتجاوز العاشرة ولم يدرك السادسة عشرة حتى تعلم المنطق والهندسة والطبيعة والفلسفة والطب ثم تفرغ للتوسع بهذه العلوم . وكان يحيي الليل في الدرس والبحث

واتفق ان نوحاً المذكور مرض فذكر له ابن سينا فاستقدمه فبرئ على يده فقربه اليه . وكان عند نوح مكتبة نادرة المثال فاستأذنه في دخولها فاذن له فدرسها درساً ثم احترقت بعد ان وعى زبدتها . واخذ في التأليف وهو في الحادية والعشرين من عمره . وارتفعت منزلته وتولى بعض مناصب الدولة . وتنقل في بلاد خراسان وهو موضع الاعجاب ومصدر الاستفادة بالتطبيب والتأليف . ولم يتمكن من اللغة العربية كما ينبغي الا بعد حين . ومرت به طوارىء مختلفة وقاسى ما يقاسيه طالب العلى من العذاب والملوك مناظروه اومريدوه . وكان قوي القوى كلها جسداً وعقلاً لكن شهواته البدنية كانت غالبة عليه . فاثرت في مزاجه حتى امانته بهمذان سنة ٤٢٨ هـ وهو في الثامنة والخمسين من عمره

ش ٢١ : الشيخ الرئيس ابن سينا

وكان من المتفردين بسعة العلم وقوة العقل وقد الف في كل فن من العلم والادب وتزيد مؤلفاته على مئة وكان لها تأثير كبير في نهضة اوربا الاخيرة لانهم نقلوا اهمها الى لغة العلم عندهم يومئذ (اللاتينية)

اما في الاصل العربي فكثير من مؤلفاته لا يزال باقياً ومنها جانب كبير في المكتبة الخديوية يمكن الاطلاع عليها لمن اراد — فمن كتبه الطبية الموجودة هناك

١ القانون : في ١٤ جزءاً مطبوع في رومية ومصر وهو من اهم كتبه . حوى اهم ما عرف من علوم الطب وخصائص العقاقير والتشريح وغيرها . وعليه وعلى كتاب الحاوي لابي بكر الرازي كان اكثر معول العالم الطبي في التمدن الاسلامي وفي نهضة اوربا قبيل التمدن الحديث

٢ الشفاء : وهو ١٨ جزءاً بعضها في الطب والبعض الآخر في العلوم الاخرى . منه جزآن مطبوعان على الحجر ببلاد فارس والكتاب موجود برمته في المكتبة الخديوية ٣ الالفية في الطب ٤ منظومة في الطب

ومن كتبه الفلسفية — ١ الاشارات : ولها شرح للطوسي مطبوع في الاستانة وعلى هامشه شرح للفخر الرازي ٢ النجاة : ثلاثة مجلدات مطبوع ٣ رسائل

في الانصاف والمسائل العشرين والمباحثات والجوهر الذي لا يتحرك وتقسيم العلوم الفلسفية وحد الجسم وشرح كتاب النفس لارسطو وما بعد الطبيعة . وكلها توجد خطأً في المكتبة الخديوية

ومن كتبه في الفقه والتوحيد — ١ القصيدة العينية في النفس ٢ كتاب المبدأ والمعاد ٣ الاهليات ٤ الجمانة الالهية

وفي المنطق — ١ كتاب الاشارة ٢ كتاب الشرقيين ٣ رسالة العروس . غير ثمانية مؤلفات في المنطق يوجد بعضها في مكاتب اوربا

وفي العلوم الطبيعية والرياضية خمسة عشر مؤلفاً لا يوجد منها في المكتبة الخديوية شيء ولكن اكثرها موجود في مكاتب اوربا ولا محل هنا لتفصيل ذلك . وله مؤلفات في الآداب السياسية والموسيقى وفي اللغة العربية وعلومها ضاع معظمها

ولابن سينا آراء خصوصية في العلم الطبيعي وقد اوضح كثيراً من غوامضه وكذلك الالهيات مما يستغرق شرحه صفحات عديدة

وترجمة ابن سينا في ابن خلكان ١٥٢ ج ١ وطبقات الاطباء ٢ ج ٢ وتراجم الحكماء ٢٦٨ وفي سنة ١٨ من الهلال . وللافرنج مقالات عديدة في ابن سينا وفلسفته وكتبه في الفرنساوية والانكليزية والالمانية وغيرها

الصيدلة والكيمياء والنبات

وللمسلمين فضل كبير على الصيدلة والكيمياء والنبات وهي من فروع الطب بدأوا بذلك في صدر الدولة العباسية وسنلخص تاريخها عندهم وان تجاوزنا هذا العصر لجمع الموضوع في باب واحد . وقد عني الافرنج بعد نهضتهم الاخيرة في درس تاريخ فن الصيدلة فتحققوا ان العرب هم واضعو اسس هذا الفن وهم اول من اشتغل في تحضير الادوية او العقاقير فضلاً عما استنبطوه من الادوية الجديدة . وانهم اول من الف الاقرباذين على الصورة التي وصلت الينا وظل العرب في النهضة العباسية يعتمدون في المارستان وكاكين الصيادلة على اقرباذين الفه سابور بن سهل المتوفى سنة ٢٥٥ هـ حتى ظهر اقرباذين امين الدولة ابن التلميذ المتوفى في بغداد سنة ٥٦٠ هـ . وهم اول من انشأ حوانيت الصيدلة على هذه الصورة . ومن اقرب الشواهد على ذلك اسماء العقاقير التي اخذها الافرنج عن العرب ولا تزال عندهم باسمائها العربية او الفارسية او الهندية كما اخذوها عن العربية

على ان تقدمهم في الصيدلة تابع لتقدمهم في الكيمياء والنبات ولا خلاف في ان العرب هم الذين اسسوا الكيمياء الحديثة بتجاربهم ومستحضراتهم — واول من اشتغل في نقلها الى العربية خالد بن يزيد نقلها عن مدرسة الاسكندرية وعنه اخذ جعفر الصادق المتوفى سنة ١٤٠ هـ وبعده جابر بن حيان ثم الكندي فابو بكر الرازي وغيرهم فاكتشفوا كثيراً من المركبات الكيماوية التي بنيت عليها الكيمياء الحديثة . وقد ذكر محققو الافرنج ان العرب هم الذين استحضروا ماء الفضة (الحامض النتريك) وزيت الزاج (الحامض الكبريتيك) وماء الذهب (الحامض النيتروهيدرو كلوريك) واكتشفوا البوتاسا وروح النشادر وملحه وحجرجهنم (نترات الفضة)

ش٢٢ : العرب يستقطرون العقاقير

والسليماني (كلوريد الزئبق) والراسب الاحمر (اكسيد الزئبق) وملح الطرطير وملح البارود (نترات البوتاسا) والزاج الاحضر (كبريتات الحديد) والكحول والقلي والزرنيخ والبورق . وغير ذلك من المركبات والمكتشفات التي لم يصل الينا خبرها . على اننا نستدل على وجود بعض المركبات الكيماوية في ايامهم مما لم نسمع له بمثيل في تاريخ الكيمياء قبل اواخر القرن الماضي — فقد اشار ابن الاثير الى ادوية استخدمها العرب في واقعة الزنج سنة ٢٦٩ هـ اذا طلي بها الخشب امتنع احتراقه ولم يذكر ما هي . ومما يعد من قبيل الكيمياء ايضاً البارود فقد ترجح لنا بالبحث انهم هم الذين ركبوه . وهم اول من وصف التقطير والترشيح والتصعيد والتبلور والتذويب

وقد الفوا في ابطال الكيمياء القديمة ـ اول من الف ذلك منهم حكيمهم وفيلسوفهم يعقوب الكندي في اواسط القرن الثالث للهجرة

واما النبات فللعرب القدح المعلى في درسه والتأليف فيه وقد اخذوا هذا العلم في النهضة العباسية عن مؤلفات ديسقوريدس وجالينوس ومن كتب الهند . نقل كتاب ديسقوريدس في ايام المتوكل نقله اصطفان بن باسيل من اليونانية الى العربية

ش ٢٣ : ديسقوريدس

فالعقاقير التي لم يعرف لها اسماء في العربية تركها على لفظها اليوناني اتكالاً على ان يبعث الله بعده من يعرف ذلك ويفسره . وحمل هذا الكتاب الى الاندلس على هذه الصورة فانتفع به الناس الى ايام الناصر صاحب الاندلس في أوائل القرن الرابع للهجرة . فكاتبه ملك القسطنطينية سنة ٣٣٧ هـ وهاداه بكتب من جملتها كتاب ديسقوريدس باليونانية مصوَّر الحشائش بالتصوير الرومي العجيب . ولم يكن في الاندلس من يحسن اليونانية فبعث الناصر الى الملك يطلب اليه رجلاً يعرف اليونانية واللاتينية لينقله الى اللاتينية وعارفو هذه اللغة في الاندلس كثيرون . فبعث اليه راهباً اسمه نقولا وصل قرطبة سنة ٣٤٠ هـ فتعاونوا على استخراج ما فات ديسقوريدس ذكره من اسماء العقاقير والادوية وجعله ذيلاً على ذلك الكتاب

ابن البيطار

حتى اذا نبغ ابن البيطار المالقي النباتي في اواسط القرن السابع للهجرة فتناول الكتاب المذكور فدرسه وتفهمه ثم سافر الى بلاد اليونان والى اقصى بلاد الروم ولقي جماعة يعانون هذا الفن واخذ عنهم معرفة نبات كثير عاينه في مواضعه . واجتمع ايضاً في المغرب وغيره بكثير من علماء النبات وعاين منابته بنفسه . وذهب الى الشام ودرس نباتاتها وجاء الديار المصرية في خدمة الملك الكامل الايوبي وكان يعتمد عليه في الادوية المفردة والحشائش حتى جعله رئيساً على العشابين واصحاب البسطات . وبعد طول ذلك الاختبار الف كتاباً في النبات هو فريد في بابه وكان عليه معول اهل اوربا في نهضتهم الاخيرة في علم النبات . ومؤلفاته الباقية :

١ كتاب المغني في الادوية المفردة : الفه للملك الصالح الايوبي . منه نسخ خطية في غوطا وليدن والمتحف البريطاني واكسفورد وباريس

٢ جامع مفردات الادوية والاغذية : طبع بمصر سنة ١٢٩١ وترجم الى الالمانية في مجلدين وطبع في ستتجارت سنة ١٨٧٠ وترجم بعضه الى الفرنساوية بقلم لاكلارك وغيره

٣ ميزان الطبيب : في اوبسالا

وترجمة ابن البيطار في طبقات الاطباء ١٣٣ ج ٢ وفوات الوفيات ٢٠٤ ج ١

رشيد الدين بن الصوري

ومن المبرزين في علم النبات رشيد الدين بن الصوري المتوفى سنة ٦٣٩ هـ صاحب كتاب الادوية المفردة وكان كثير البحث والتدقيق يخرج لدرس الحشائش في منابتها ويستصحب مصوراً معه الاصباغ والليق على اختلافها وتنوعها ويتوجه الى المواضع التي بها النبات في لبنان وسوريا فيشاهد النبات ويحققه ويريه للمصور فيعتبر لونه ومقدار ورقه واعضائه واصوله ويصور بحسبها بالدقة . وذلك غاية ما يفعله الباحثون في هذا العلم اليوم . وفي مجلة المقتطف مقالة عن كيماوي العرب صفحة ٢٢ سنة ٧

الفلسفة

وجمعية اخوان الصفا

كان للفلسفة شأن آخر في هذا العصر واشتغل فيها اكثر الذين عنوا بعلوم القدماء ولا سيما الاطباء وفي مقدمتهم ابن سينا الشيخ الرئيس وقد ذكرناه . وكان الفلاسفة في هذا العصر متهمين بالكفر وكان الانتساب الى الفلسفة مرادفاً للانتساب

الى التعطيل وشاعت النقمة على المأمون لانه كان السبب في نقل الفلسفة الى اللغة العربية حتى قال ابن تيمية بعد ذلك « ما اظن الله يغفل عن المأمون ولابد ان يعاقبه بما ادخله على هذه الامة »

فاضطر اصحابها الى التستر فالفوا الجمعيات السرية لهذا الغرض واشهرها جمعية « اخوان الصفا » تألفت في بغداد باواسط القرن الرابع للهجرة ذكروا من اعضائها خمسة هم : ابو سليمان محمد بن معشر البستي ويعرف بالمقدسي وابو الحسن علي بن هارون الزنجاني وابو احمد المهرجاني والعوفي وزيد بن رفاعة . وكانوا يجتمعون سرًا ويتباحثون في الفلسفة على انواعها حتى صار لهم فيها مذهب خاص هو خلاصة ابحاث الفلاسفة المسلمين بعد اطلاعهم على اراء اليونان والفرس والهند وتعديلها على ما يقتضيه الاسلام . واساس مذهبهم ان الشريعة الاسلامية تدنست بالجهالات واختلطت بالضلالات ولا سبيل الى غسلها وتطهيرها الا بالفلسفة لانها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية وانه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال

رسائل اخوان الصفا

وقد دونوا فلسفتهم هذه في خمسين رسالة سموها رسائل اخوان الصفا وكتموا اسماءهم . وهي تمثل الفلسفة الاسلامية على ما كانت عليه في ابان نضجها وتشمل النظر في مبادىء الموجودات واصول الكائنات الى نضد العالم فالهيولي والصورة . وماهية الطبيعة والارض والسماء ووجه الارض وتغيراته والكون والفساد والاثار العلوية والسماء والعالم وعلم النجوم وتكوين المعادن وعلم النبات واوصاف الحيوانات ومسقط النطفة وكيفية رباط الناس بها . وتركيب الجسد والحاس والمحسوس والعقل والمعقول والصنائع العلمية والعملية والعدد وخواصه والهندسة والموسيقى والمنطق وفروعه واختلاف الاخلاق وطبيعة العدد . وان العالم انسان كبير والانسان عالم صغير والاكوار والادوار وماهية العشق والبعث والنشور واجناس الحركات والعلل والمعلولات والحدود والرسوم . وبالجملة فقد ضمنوها كل علم طبيعي او رياضي او فلسفي او الهي او عقلي

ويظهر من امعان النظر فيها ان اصحابها كتبوها بعد البحث الدقيق والنظر الطويل . وفي جملة ذلك اراء لم يتصل اهل هذا الزمان الى احسن منها . وفيها بحث من قبيل النشوء والارتقاء . وفي ذيل الكتاب فصل في كيفية عشرة اخوان الصفا وتعاونهم بصدق المودة والشفقة وان الغرض منها التعاضد في الدين . وذكروا شروط

قبول الاخوان فيها وغير ذلك

وكان المعتزلة ومن جرى مجراهم يتناقلون هذه الرسائل ويتدارسونها ويحملونها معهم سرًا الى بلاد الاسلام . ولم تمض مئة سنة على كتابتها حتى دخلت الاندلس على يد ابي الحكم عمرو بن عبد الرحمن الكرماني . وهو من اهل قرطبة رحل الى المشرق للتبحر في العلم على جاري عادة الاندلسيين . فلما عاد الى بلاده حمل معه الرسائل المذكورة وهو اول من ادخلها الاندلس فما لبثت ان انتشرت هناك حتى تناولها اصحاب العقول الباحثة واخذوا في درسها وتدبرها

وقد طبعت رسائل اخوان الصفا غير مرة . اتقنها طبعة ديتريشي في ليبسك سنة ١٨٨٣ وطبعت في بومباي سنة ١٣٠٣ وفي مصر سنة ١٣٠٦ ومنها نسخة خطية في المكتبة الخديوية . وقد ترجمت الى اللغة الهندستانية وطبعت في لندن سنة ١٨٦١

وهي غير رسائل اخوان الصفا للحكيم المجريطي المتوفى سنة ٣٩٥ ومنها نسخة خطية في المكتبة الخديوية في ١٨٠ صفحة . وهي تشبه تلك لكن صاحب هذه يريد ان يفسر الفلسفة بالدين

مآخذ لطلاب فلسفة الاسلام

ومن الكتب الافرنجية التي يستعان بها في درس تاريخ الفلسفة والفلاسفة في الاسلام :

(١) Boer, The history of philosophy in Islam. London, 1903

(٢) Dietrici, Die Philosophie der Araber in X Jahrhundert n. chr. Leipzig, 1897

(٣) Dugat, Histoire de philosophes et des théologiens musulmans. Paris, 1878

(٤) Leclerc, Histoire de la médecine arabe 2 vol. Paris 1876

(٥) Wuestenfeld, Geschichte der arabischen Aerzte und Naturforscher. Göttengen, 1840

غير مقالات عديدة في المجلات الاسيوية والشرقية والفرنساوية والانكليزية والالمانية . وفي دائرة المعارف البريطانية مادة Arabian Philosophy ومثلها في دوائر اللغات الاخرى . وفي المقتطف مقالة في الفلسفة الاسلامية وابن رشد صفحة ٦٤٩ سنة ١٠ ومقالة أخرى في فلسفة العرب لحسين بيهم صفحة ١٣ سنة ٧

ومن الكتب العربية التي يستعان بها في درس تراجم الفلاسفة والاطباء وسائر علماء الطبيعة والرياضيين « طبقات الاطباء » لابن ابي أصيبعة و « تراجم الحكماء » لابن القفطي وكلاهما مطبوعان

ولم تظهر ثمار الطب والفلسفة وفروعها في الاندلس الا في العصر الاتي فنبغ الزهراوي وابن جزلة وابن رشد وغيرهم كما سيجيء

النجوم

كان للمسلمين حظ وافر من علم النجوم وفضل كبير عليه يكفيك انهم جمعوا فيه مذاهب اليونان والهند والفرس والكلدان والعرب الجاهلية شأنهم في اكثر العلوم الدخيلة . وقد اتينا على تفصيل ذلك في الجزء الثالث من تاريخ التمدن الاسلامي من صفحة ١٨٩ وقد اشتهر في العصرين الماضيين جماعة لم يخلفوا آثاراً وصلت الينا وان كان لهم فضل كبير على هذا العلم اشهرهم بنو شاكر وابو معشر البلخي المتوفى سنة ٢٧٢ وحنين بن اسحق سنة ٢٨٨ واحمد بن كثير الفرغاني وسهل بن بشر ومحمد بن عيسى الماهاني ومحمد بن جابر الحراني المعروف بالبتاني المتوفى سنة ٣١٧ وكان اوحد عصره في فنه وقد استعان الافرنج بكتبه في نهضتهم الاخيرة . أما في العصر الثالث الذي نحن في صدده فاكثر فلكي المسلمين آثاراً البيروني وقد بقي منها شيء كثير وسنأتي على ترجمته واعماله

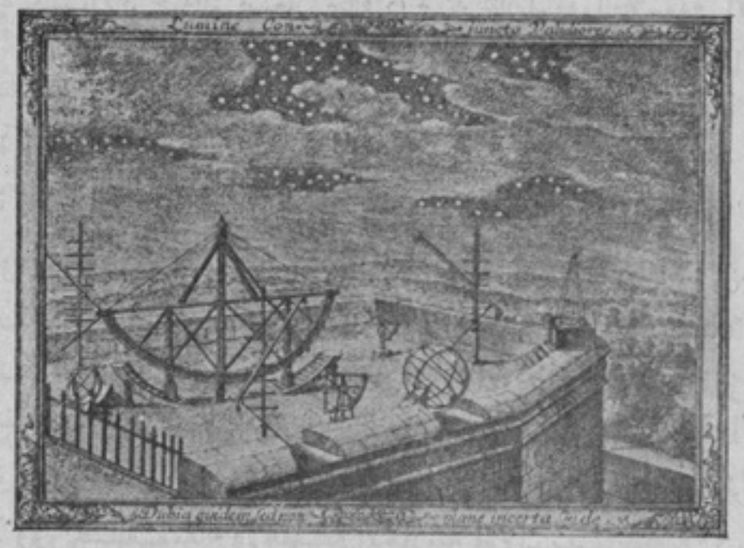

ش ٢٤ : مرصد فلكي وفيه آلات الرصد في الاجيال الوسطى

واول ما يستلفت انتباهنا من هذا القبيل ان العرب (او المسلمين) قالوا بابطال صناعة التنجيم المبنية على الوهم ولعلهم اول من فعل ذلك وان كانوا لم يستطيعوا ابطالها ولكنهم مالوا بعلم النجوم نحو الحقائق المبنية على المشاهدة والاختبار كما فعلوا بعلم

الكيمياء . وكانوا كثيري العناية بعلم الفلك يرصدون الافلاك ويؤلفون الازياج ويقيسون العروض ويراقبون السيارات ويرتحلون في طلب ذلك العلم الى الهند وفارس ويتبحرون في كتب الاوائل ويتممون ما نقص منها او يجمعون بين مذاهبها

ش ٢٥ : ذات السموت من آلات الرصد العربية

ولعلم النجوم تاريخ طويل عند العرب لا محل له هنا . وقد ذكرنا تاريخ المراصد وآلاتها وما ادخله العرب من الاصلاح في هذا العلم في تاريخ التمدن الاسلامي ج ٣ صفحة ١٩١ واليك ترجمة نابغة علم النجوم في هذا العصر :

ابو الريحان البِيرُوني

المتوفى سنة ٤٣٠ هـ

هو اشهر علماء النجوم والرياضات من المسلمين في العصر الثالث . واسمه محمد بن احمد البيروني نسبة الى بِيرون بلد في السند . سافر في بلاد الهند اربعين سنة اطلع فيها على علوم الهنود فضلاً عن مطالعة الكتب العلمية المنقولة او المؤلفة في هذه الفنون واقام مدة في خوارزم . واكثر اشتغاله في النجوم والرياضيات والتاريخ وخلف مؤلفات نفيسة اليك ما بقي منها مما وصل خبره الينا :

١ الاثار الباقية عن القرون الخالية : الفه للامير شمس المعالي وهو يبحث في التواريخ التي كانت تستعملها الامم في زمانه والاختلاف الواقع في الاصول التي هي مبادئها والفروع التي هي شهورها وسنوها والاسباب الداعية لذلك . وفي الاعياد المشهورة والايام المذكورة للاوقات والاعمال وغيرها مما يعمل به بعض الامم دون البعض الاخر. فهو من قبيل التوقيت او ما يسميه الافرنج علم الكرونولوجيا . ويدخل فيه النظر في ما هو اليوم والشهر والسنة على اختلاف الاصطلاح عند الامم القديمة وتاريخ ذلك عند الاشوريين واليونانيين الى الاسلام وما بعده الى ايامه . وما اصاب التقاويم في اثناء ذلك الزمن من التعديل والتبديل . وجداول للاشهر الفارسية القديمة على اختلاف الاعصر والبلاد . ومثل ذلك عند العبرانيين وعند العرب في الجاهلية والاسلام وعند الروم والهند والترك بالتفصيل والمقابلة . وفي استخراج التواريخ بعضها من بعض وتواريخ الملوك ومدد حكمهم على اختلاف الاقاويل من آدم فما بعده من رجال التوراة ويلحق ذلك جداول عن ملوك اشور وبابل والكلدان والقبط واليونان والرومان قبل النصرانية وبعدها وملوك الفرس قبل الاسلام على اختلاف طبقاتهم وبازاء كل ملك مدة حكمه الى يزدجرد الذي توفي بعد الاسلام . وفصول في مواليد السنين وكيفياتها وكبائسها عند اليهود وغيرهم وتواريخ المتنبئين وامهم من اهل الاوثان او اهل البدع في الاسلام واعياد الفرس . ومذاهب اهل خوارزم وحساب قبط مصر في السنين والكبس والاعياد عندهم وعند الملكية . واعياد النصارى واحوالهم على اختلاف الطوائف ومثل ذلك عن المجوس والصابئة وما كانت العرب تستعمله من هذا القبيل في ايام الجاهلية وما فعله الاسلام فيها . وغير ذلك مما لا تقف عليه في كتاب آخر ولذلك فقد عني المستشرق سخاو الالماني بترجمته الى الانكليزية وقد طبع الاصل في ليبسك سنة ١٨٧٨ والترجمة في لندن سنة ١٨٧٩

٢ تاريخ الهند : وهو من الكتب النادرة في هذا الموضوع بالعربية . ترجمه سخاو ايضاً الى الانكليزية وطبع الاصل في لندن سنة ١٨٨٧ والترجمة فيها ١٨٨٨

٣ التفهيم لاوائل صناعة التنجيم : هو مختصر في الهندسة والفلك والنجامة منه نسخ في برلين واوكسفورد والمتحف البريطاني وفي كتب زكي باشا بمصر

٤ القانون المسعودي : في الهيئة والنجوم قدمه للسلطان مسعود بن محمود الغزنوي ومنه اسمه . موجود في برلين والمتحف البريطاني واكسفورد

٥ رسالة في الاسطرلاب . في برلين وباريس

٦ استيعاب الوجوه الممكنة في صنعة الاسطرلاب . في برلين وليدن وباريس

٧ استخراج الاوتاد في الدائرة بخواص الخط المنحني فيها : هي مسائل هندسية وله فيها طرق خصوصية . موجودة في ليدن

٨ رسالة في راسيكات الهند : في التناسب منه نسخة في المكتب الهندي بلندن

٩ مبحث في مبادىء العلوم الفه بالفارسية . وتوجد ترجمته العربية في باريس

١٠ رسالة في سير سهمي السعادة والغيب : في اكسفورد

١١ كتاب الجماهر في معرفة الجواهر : الفه للملك المعظم ابي الفتح مودود . موجود في الاسكوريال وفي كتب زكي باشا

وترجمة البيروني في طبقات الاطباء ٢٠ ج ٢ وفي مقدمة الطبعة العربية للآثار الباقية

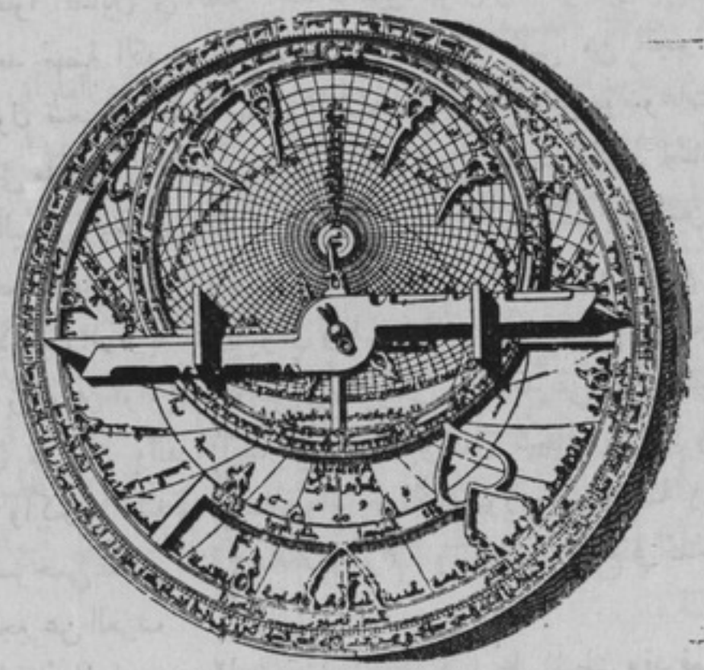

ش ٢٦ : الاسطرلاب

ونبغ غير واحد من علماء الفلك في هذا العصر كالبوزجاني المتوفى سنة ٣٨١ وابن رستم الكوهي والمنجم القمي وابو الحسين الصوفي وابن اللبان الجبلي وعبد الاعلى الصدفي وغيرهم يضيق المقام عن ذكرهم . وقد اردنا الاختصار في هذا الباب لان التطويل فيه لا يفيد المطالعين بعد تغير تلك العلوم وانقلابها في هذا العصر فمن اراد التوسع في هذا الشأن فليطالع تراجم اولئك العلماء في اماكنها

الرياضيات

نريد بالرياضيات هنا الحساب والجبر والهندسة وكان للعرب فيها شأن عظيم . ومن اكبر مآثرهم فيها نقلهم الحساب الهندي والارقام الهندية من الهند الى سائر اقطار العالم . فالعرب يسمونها ارقاماً هندية لانهم نقلوها عن الهنود والافرنج يسمونها عربية لانهم اخذوها عن العرب واول من تناول تلك الارقام من الهنود ابو جعفر محمد بن موسى الخوارزمي

وأما الجبر فللعرب فضل كبير في وضعه او تأليفه . ولما اخذ العرب في نقل العلوم اليونانية نقلوا كتابين في الجبر احدهما لذيوفانتوس والاخر لابرخس وقد وجد الباحثون بعد نهضة التمدن الحديث ان ما كتبه هذان ليس من الجبر في شيء أو هي أصول ضعيفة لا يعتدُّ بها . وهم يعتقدون ان الجبر من موضوعات العرب . والحقيقة على ما نرى ان العرب بعد ان اطلعوا على حساب الهنود اضافوه الى ما نقلوه عن اليونان وبنوا على ذلك علم الجبر . ومن اشهر كتب المسلمين في الجبر كتاب الجبر والمقابلة للخوارزمي المذكور . فالظاهر ان الخوارزمي جمع بين ما عثر عليه من الاصول الجبرية عند اليونان والهنود والفرس فاستخرج منه الجبر العربي كما جمع في زيجه بين أراء الهند والفرس واليونان . وقد عني العرب بشرح كتاب الخوارزمي مراراً . والف ايضاً في الجبر ابو كامل شجاع بن اسلم وابو الوفاء البوزجاني واكثر مؤلفاته في الحساب وابو حنيفة الدينوري المتوفى سنة ٢٨١ هـ وابو العباس السرخسي المتوفى سنة ٢٨٦ هـ وغيرهم . ولما نهض الافرنج في تمدنهم الحديث اخذوا الجبر عن العرب

ومما احدثه المسلمون في الهندسة انهم طبقوها على المنطق وقد فعل ذلك ابن الهيثم المصري في اوائل القرن الخامس للهجرة فانه الف كتاباً جمع فيه الاصول الهندسية والعددية من اقليدس وابلنيوس ونوع فيها الاصول وقسمها وبرهن عليها ببراهين نظمها من الامور التعليمية والحسية والمنطقية حتى انتظم ذلك مع انتقاص توالي اقليدس وابلونيوس . وادخل في الجبر والحساب اساليب جديدة في استخراج المسائل الحسابية من جهتي التحليل الهندسي والتقدير العددي وعدل في اوضاع الجبريين والفاظهم

وبنو موسى بن شاكر اشتغلوا في استخراج مسائل هندسية لم يستخرجها احد من الاولين كقسمة الزاوية الى ثلاثة اقسام متساوية

واشتغل العرب في اعوص المسائل المشكلة في الهندسة كقسمة الدائرة الى سبعة اقسام ووضعوا فيها الرسائل والكتب

الفنون الجميلة

ذكرنا تاريخ نشوء الموسيقى العربية صفحة ١٣٤ من هذا الكتاب . وقد ارتقت بعد ذلك ونبغ فيها كثيرون وان لم يخلفوا كتباً مستقلة في هذا الفن ولكن ورد كثير من قواعده في كتاب الاغاني وامثاله وكان لهم شأن في اختراع الالات الموسيقية وتحسين الآلات التي اخذوها عن سواهم

ومن مخترعاتهم الموسيقية القانون والمشهور انه من اختراع الفارابي الفيلسوف المتقدم ذكره صفحة ٢١٣ فقد ذكروا انه اصطنع آلة مؤلفة من عيدان يركبها ويضرب عليها وتختلف انغامها باختلاف تركيبها ولكنها في كل حال غريبة في بابها —

ذكروا ان الفارابي حضر مجلس غناء لسيف الدولة ولم يكن احد من الحضور يعرفه فعاب المغنين فسأله سيف الدولة هل يحسن الغناء ففتح خريطة كانت معها واستخرج تلك الالة وركبها ثم لعب بها فضحك منها كل من كان في المجلس . ثم فكها وركبها تركيباً آخر وضرب عليها فبكى كل من كان في المجلس ثم فكها وغير تركيبها وضرب ضرباً آخر فنام كل من في المجلس حتى البواب فتركهم نياماً وخرج

زرياب وابن فرناس

وزاد المسلمون في العود وتراً خامساً زاده زرياب بالاندلس — كان للعود اربعة اوتار على الصنعة القديمة التي قوبلت بها الطبائع الاربع فزاد عليها وتراً خامساً احمر متوسط ولون الاوتار وطبقها على الطبائع . وهو الذي اخترع مضراب العود من قوادم النسر وكانوا قبله يضربون بالخشب

وعباس بن فرناس في الاندلس اصطنع الالة المعروفة بالمثقال يعرف بها الاوقات على غير رسم ومثال

نظرة

انقضى العصر العباسي الثالث وبانقضائه تم الجزء الثاني من هذا الكتاب . وقد رايت ان العصر العباسي الثالث المذكور من اهم عصور آداب اللغة . والباقي لنا من ثمار قرائح اصحابه اكثر من بقايا سائر العصور التي تقدمته وفيها نخبة من الكتب الهامة المعول عليها في اللغة والادب والشعر والتاريخ والجغرافية وغيرها . لكنها مع ذلك اقل من بقايا العصر الرابع الآتي ذكره في الجزء الثالث من هذا الكتاب . فان اكثر ما يتداوله القراء من كتب الموسوعات التاريخية والجغرافية والكتب المطولة في الادب واللغة انما هي من بقايا العصر الرابع المذكور والذي يليه . كما ستراه مفصلاً في الجزء الثالث ان شاء الله

﴿ تم الجزء الثاني ﴾

صقر قريش

جاء صفحة ٢٤٩ من الجزء الاول ان عبد الملك بن مروان « صقر قريش » والصواب ان هذا اللقب لعبد الرحمن الداخل صاحب الاندلس

فهرست الجزء الثاني

من تاريخ آداب اللغة العربية

	صفحة
المقدمة	٣
اقسام العصر العباسي	٩
القرآن وآداب اللغة العربية	١٠
العصر العباسي الاول	
الانقلاب السياسي فيه	١٧
الخلفاء والعلم	١٨
حرية الدين	١٩
الوزراء الفرس والموالي	٢٠
اقسام آداب اللغة العربية	
العلوم الدخيلة	٢١
امتياز العرب على سواهم	٢١
اداب اللغه اليونانية وفلاسفتها	٢٢
الطب والنجوم واصحابها	٢٥
آداب اللغة الفارسية	٢٩
اداب اللغة السريانية	٣٠
« « الهندية	٣١
نقل الكتب ونقلتها	٣٢
الكتب التي نقلت	٣٤
الخلاصة	٣٤
الباقي من المنقولات	٣٦
العلوم العربية الاصلية	
اللغة	٣٧
الالفاظ العلمية العربية	٣٧
الالفاظ العلمية الاعجمية	٣٨
التراكيب الاعجمية	٣٩
الشعر	
الانتقال الاجتماعي	٤١
مميزات الشعر	٤٢
طريقة النظم	٤٢
المعاني الجديدة	٤٤
وصف الخمر والغلمان	٤٧
الشعر المجوني ووصف الرياض	٤٨
الشعراء	٤٩
الفرق بينهم وبين من تقدمهم	٤٩
التهتك والخلاعة	٥٠
الشعراء الموالي	٥٠
الشكوك في الدين	٥١
حرية الاقلام والالسنة	٥٢
الشعراء عند الخلفاء	٥٣
نفوذ الشعراء	٥٤
تأثير الشعر في الهيئة الاجتماعية	٥٥
طبقات الشعراء	٥٦
الشعراء المتحضرون	٥٦
عمدة الشعراء	
بشار بن برد	٥٨

السيد الحميري ٦١
ابو نواس ٦٢
مسلم بن الوليد ٦٦
ابو العتاهية ٦٧
ابو تمام ٧٠
دعبل الخزاعي ٧٢
سائر الشعراء
ابو دلامة ٧٤
حماد عجرد ٧٥
مروان بن ابي حفصة ٧٧
سلم الخاسر ٧٨
منصور النمري ٧٩
علي بن الجهم ٨٠
حسين بن الضحاك ٨١
شعراء البرامكة
ابان بن عبد الحميد ٨٢
ابن مناذر ٨٣
الرقاشي ٨٤
اشجع السلمي ٨٤
شعراء الشيعة وغيرهم
ديك الجن ٨٥
مطيع بن اياس ٨٦
ابو الشيص ٨٧
العكوك ٨٨
شعراء لم يكتسبوا بالشعر
صالح بن عبد القدوس ٨٩
عباس بن الاحنف ٩٠
محمد بن بشر الرياشي ٩١
شعراء لم يتحضروا
كلثوم بن عمرو ٩٢
ربيعة الرقي وغيره ٩٣
العلوم اللسانية
الادب والادباء
رواة الادب ٩٦
الفصحاء الذين نقل الرواة عنهم ٩٧
عمدة الرواة
قتادة بن دعامة ١٠٠
ابو عمرو بن العلاء ١٠٠
ابو عبيدة ١٠٠
الاصمعي ١٠١
ابو زيد الانصاري ١٠٢
ابو عبيد القاسم بن سلام ١٠٣
رواة الشعر
حماد الرواية ١٠٥
المفضل الضبي ١٠٦
خلف الاحمر ١٠٦
ابو عمرو الشيباني ١٠٧
محمد بن سلام ١٠٨
ابن ابي الخطاب ١٠٩
ما هو مبلغ صدق الرواة ١١٠
النحو
البصريون والكوفيون ١١٣
سيبويه ١١٤
معاذ الهراء ١١٦
الكسائي ١١٦

الفراء ١١٧
ابن السكيت ١١٨
علم اللغة
اوليات كتب اللغة ١٢٠
الخليل بن احمد ١٢١
مؤرج السدوسي ١٢٤
النضر بن شميل ١٢٥
قطرب ١٢٥
ابن الاعرابي ١٢٥
الانشاء والمنشئون
الانشاء ١٢٦
اول ثمار الرخاء ١٢٧
التوقيعات ١٢٨
الانشاء المرسل ١٢٩
منشئو الرسائل ١٣٠
الكتاب المؤلفون ١٣١
عبدالله بن المقفع ١٣١
سهل بن هارون ١٣٤
الموسيقى او الغناء ١٣٤
العلوم الاسلامية
الفقه ١٣٧
ابو حنيفة النعمان ١٣٨
مالك بن انس ١٣٩
الامام الشافعي ١٤٠
الامام ابن حنبل ١٤١
القاضي ابو يوسف ١٤٢
محمد بن الحسن الشيباني ١٤٣
عبد الرحمن بن القاسم ١٤٣
الحديث ١٤٤
التفسير والقراءة ١٤٥
التاريخ
الشيخ ابو اسماعيل ١٤٦
الواقدي ١٤٦
كتب الطبقات ١٤٧
ابن سعد صاحب الطبقات ١٤٨
الانساب وكتابها ١٤٨
هشام الكلبي ١٤٩
السيرة النبوية ١٥٠
عبد الملك بن هشام ١٥٠
محمد بن اسحق ١٥٠
نظر عامة في العصر الاول ١٥٢
العصر العباسي الثاني
تاريخه السياسي ١٥٣
مميزاته ١٥٥
الشعر والشعراء
مميزات الشعر ١٥٦
اشهر الشعراء
ابن الرومي ١٥٨
البحتري ١٥٩
ابن المعتز ١٦١
البسامي ١٦٣
الخبزارزي ١٦٤
ابن العلاف ١٦٤

الادب والادباء

مميزات الادب ١٦٦

ادباء هذا العصر

الجاحظ ١٦٧

السكري ١٦٩

ابن قتيبة ١٧٠

ابن ابي الدنيا ١٧٢

قدامة بن جعفر ١٧٢

الوشاء ١٧٣

ابن عبد ربه ١٧٣

ابو بكر الصولي ١٧٤

ادباء آخرون ١٧٥

الانشاء ١٧٦

اسلوب بن المقفع ١٧٦

كساد البضاعة وفساد العقيدة ١٧٧

النحو والنحاة

ابو عثمان المازني ١٨٠

ابوالعباس ثعلب ١٨٠

ابو اسحق الزجاج ١٨١

ابن الانباري ١٨٢

ابن ولاد ١٨٢

ابوجعفر النحاس ١٨٢

ابو القاسم الزجاجي ١٨٣

مذاهب البصريين والكوفيين ١٨٤

اللغة واللغويون

ابو عمرو الهروي ١٨٥

ابو حاتم السجستاني ١٨٥

ابو العباس المبرد ١٨٦

المفضل بن سلمة ١٨٧

ابن دريد ١٨٨

عبد الرحمن الهمذاني ١٨٩

التاريخ والمؤرخون

ابن عبد الحكم ١٩١

البلاذري ١٩١

محمد بن حبيب ١٩٣

الزبير بن بكار ١٩٣

عمر بن شبة ١٩٤

الازرقي ١٩٥

ابن طيفور ١٩٥

اليعقوبي ١٩٦

ابو حنيفة الدينوري ١٩٧

ابن جرير الطبري ١٩٧

ابو زيد البلخي ١٩٩

ابن البطريق ٢٠٠

الجغرافيا والجغرافيون

اسباب وضع الجغرافية ٢٠١

ابن خرداذبه ٢٠٢

قدامة ٢٠٢

ابن الفقيه ٢٠٣

ابن رسته ٢٠٣

ابن الحائك ٢٠٤

ابن فضلان ٢٠٤

سلسلة تواريخ ٢٠٥

بزرك بن شهريار ٢٠٥

العلوم الاسلامية الشرعية

علم الكلام ٢٠٧

علماء الكلام ٢٠٨

الحديث ٢٠٩

البخاري ٢١٠

القشيري ٢١٠

ابن ماجة ٢١٠

ابو داود ٢١١

الترمذي ٢١١

النسائي ٢١١

التفسير للطبري ٢١١

العلوم الدخيلة

الفلسفة والرياضيات

يعقوب الكندي ٢١٢

ابو نصر الفارابي ٢١٣

ابن ابي الربيع ٢١٤

الطب والاطباء

ابن ماسويه ٢١٦

ابن سهل ٢١٦

ابو بكر الرازي ٢١٦

الزراعة ٢١٩

العصر العباسي الثالث

تنقل العلم في المدائن ٢٢١

اسباب النهضة ٢٢٢

الدول التي ساعدت عليها

الدولة البويهية ٢٢٣

« السامانية ٢٢٦

« الزيارية ٢٢٦

الدولة الغزنوية ٢٢٧

« الحمدانية ٢٢٨

« المروانية بالاندلس ٢٢٩

« الفاطمية ٢٣٠

الوجهاء والعلم ٢٣٠

مزايا هذا العصر

نضج العلم ٢٣١

ظهور الموسوعات ٢٣٢

تعدد العلوم ٢٣٢

التدبير المنزلي ٢٣٢

كتب السياسة ٢٣٣

الاقتصاد السياسي ٢٣٣

علم العمران ٢٣٤

الشعر والشعراء

مزايا الشعر في هذا العصر

حل القيود القديمة ٢٣٥

مقتبسات الفلسفة وغيرها ٢٣٦

ابواب عديدة ٢٣٦

المبالغة ٢٣٧

طول القصائد ٢٣٨

الوصف الشعري ٢٣٩

زيادة ابحره ٢٤٠

تاريخ نقد الشعر ٢٤١

اشهر الشعراء

ابو الطيب المتنبي ٢٤٥

ابو فراس ٢٤٩

كشاجم ١٥١

السري الرفاء ٢٥١

ابن هاني الاندلسي ٢٥٣

الوأواء الدمشقي ٢٥٤
السلامي ٢٥٥
الببغاء ٢٥٦
النامي ٢٥٦
ابن نباتة السعدي ٢٥٧
الشريف الرضي ٢٥٧
صريع الدلاء ٢٥٧
مهيار الديلمي ٢٥٩
ابو العلاء المعري ٢٦٠
سائر الشعراء ٢٦٤

الانشاء والترسل

اسلوب الترسل ٢٦٥
الطريقة المدرسية وشروطها ٢٦٦
المنشئون
ابن العميد ٢٦٩
ابو بكر الخوارزمي ٢٧٢
ابو اسحق الصابي ٢٧٣
الصاحب بن عباد ٢٧٤
بديع الزمان الهمذاني ٢٧٥
ابو منصور الثعالبي ٢٧٦
الادب وانشاء عند الافرنج ٢٧٧

الادب والادباء

ابو الفرج الاصبهاني ٢٨١
ابو علي التنوخي ٢٨٣
ابو هلال العسكري ٢٨٣
ابو منصور الثعالبي ٢٨٤
الشريف المرتضى ٢٨٨
ابن رشيق القيرواني ٢٨٨
كتب اخرى في الادب ٢٨٩
المحاضرات ٢٩٠

الروايات والقصص

تمهيد ٢٩١
القصص التي وضعها العرب ٢٩٢
القصص المنقولة ٢٩٥
خرافات الافرنج ٢٩٧
الدرام عند العرب ٢٩٩

النحو والنحاة

ابن خالويه ٣٠١
ابو بكر الزبيدي ٣٠١
ابن جني ٣٠٢
نحاة آخرون ٣٠٣

اللغة واللغويون

المطرز البارودي ٣٠٤
ابو علي القالي ٣٠٥
ابو احمد العسكري ٣٠٥
المعاجم اللغوية واصحابها ٣٠٦
التهذيب الازهري ٣٠٨
المحيط للصاحب ٣٠٨
المجمل لابن فارس ٣٠٩
الصحاح للجوهري ٣٠٩
الجامع للقزاز ٣١١
الموعب للتياني ٢١١
المحكم والمخصص لابن سيده ٣١١

التاريخ والمؤرخون

المسعودي ٣١٣

حمزة الاصفهاني ٣١٥
ابن النديم ٣١٥
المرعشي ٣١٦
مسكويه ٣١٧
صاعد الاندلسي ٣١٨
ابو عمر الكندي ٣١٩
ابو عبد الله الخشني ٣١٩
ابو الحسن الاسكندراني ٣١٩
ابن القوطية ٣٢٠
ابن زولاق ٣٢٠
ابن الفرضي ٣٢١
عز الملك المسبحي ٣٢١
ابو اسحق الثعلبي ٣٢١
ابو النصر العتبي ٣٢٢
هلال الصابي ٣٢٣
القضاعي ٣٢٣
ابو بكر الخطيب ٣٢٤

الجغرافيا والجغرافيون

الخرائط عند العرب ٣٢٦
اصحاب الجغرافية
ابو زيد البلخي ٣٢٧
الاصطخري ٣٢٧
ابن حوقل ٣٢٨
المقدسي ٣٢٩
ابن سرابيون ٣٣٠

العلوم الاسلامية

علماء الكلام ٣٣١
الباقلاني ٣٣١
التصوف ٣٣٢
الفقه ٣٣٣
الماوردي ٣٣٣
الفرائض ٣٣٤
التفسير والحديث ٣٣٤

العلوم الدخيلة

الطب ٣٣٥
ابن سينا ٣٣٦
الصيدلة والكيمياء ٣٣٨
ابن البيطار وابن الصوري ٣٤١
الفلسفة ٣٤١
اخوان الصفا ٣٤١
مآخذ لطلاب الفلسفة ٣٤٣
النجوم ٣٤٤
ابو الريحان البيروني ٣٤٥
الرياضيات ٣٤٧
الفنون الجميلة ٣٤٨
نظرة ٣٤٩

تم الفهرست

مؤلفات جرجي زيدان

صاحب الهلال ومؤلف هذا الكتاب

البريد	الثمن	
ص	ص	
		١ — مؤلفاته التاريخية
٤	٤٠	تاريخ مصر الحديث مزين بالرسوم جزآن (طبعة ثانية)
٥	٧٥	« التمدن الاسلامي ٥ اجزاء مزين بالرسوم
٢	٢٠	« العرب قبل الاسلام جزء اول
٢	٢٠	« الماسونية العام
٢٠	٣	« اليونان والرومان (مختصر)
١	٤	« انكلترا مزين بالرسوم
١ ٢٠	٨	التاريخ العام الجزء الاول
٥	٤٠	تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر مزين بالرسوم جزآن مجلدان (طبعة ثانية)
		٢ — مؤلفاته العلمية واللغوية وغيرها
	٨٠	الهلال — مجلة علمية تاريخية ادبية تصدر مرة في الشهر مزينة بالرسوم قيمة اشتراكها بالسنة للقطر المصري والسودان
	١٠٠	وقيمة اشتراكها في السنة للخارج
٥	٦٠	سنوالهلال من السنة الاولى الى الخامسة عشرة ثمن السنة
٥	٨٠	ومن السنة السادسة عشرة الى الاخيرة « «
١	١٠	الفلسفة اللغوية (طبعة ثانية)
٢٠	٥	تاريخ اللغة العربية
٣	٢٠	تاريخ آداب اللغة العربية الجزء الاول والثاني. ثمن الجزء
٢٠	٤	انساب العرب القدماء
٢	١٥	علم الفراسة الحديث مزين بالرسوم

البريد	الثمن	
ص	ص	ثابع مؤلفات جرجي زيدان
		٣ — سلسلة روايات تاريخ الاسلام
٣	٢٠	١ فتاة غسان جزآن طبعة ثالثة
٢	١٠	٢ ارمانوسة المصرية " "
٢	١٠	٣ عذراء قريش " "
٢	١٠	٤ ١٧ رمضان " ثانية
١٢٠	١٠	٥ غادة كربلاء " "
١٢٠	١٠	٦ الحجاج بن يوسف " "
١٢٠	١٠	٧ فتح الاندلس " "
١٢٠	١٠	٨ شارل وعبد الرحمن " "
١٢٠	١٠	٩ ابو مسلم الخراساني " "
١٢٠	١٠	١٠ العباسة اخت الرشيد " "
١٢٠	١٠	١١ الامين والمأمون
١٢٠	١٠	١٢ عروس فرغانة
١٢٠	١٠	١٣ احمد بن طولون
١٢٠	١٠	١٤ عبد الرحمن الناصر
١٢٠	١٠	١٥ الانقلاب العثماني
٢	١٠	١٦ فتاة القيروان

---

٤ ــ رواياته الاخرى

٢	١٠	اسير المتمهدي تاريخية غرامية	طبعة ثالثة
١٢٠	٨	استبداد المماليك « ادبية	« ثالثة
١٢٠	٨	المملوك الشارد « غرامية	« ثالثة
١٢٠	٦	جهاد المحبين ادبية غرامية	" ثانية